كتاب



لطرق رياض الصالحين

« تأليف »

العالم العلامة مفسر كلام الله تعالى وخادم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
محمد بن علان الصديقي الشافعي الاشعري المكي المتوفي سنة ١٠٥٧ هـ رحمه الله تعالى

« وقد وضع »

بأعلى كل صفحة ما يخصها من كتاب « رياض الصالحين » للامام الرباني العارف بالله تعالى شيخ الاسلام والمسلمين وملاذ الفقهاء والمحدثين ابي زكريا يحيي محيي الدين النووي المتوفي سنة ٦٧٦ هـ تغمده الله تعالى برحمته

الجزء الرابع

(عنيت بنشره)

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ بابُ الخوف ﴾

قالَ اللهُ تعالى « وإيّايَ فارْهَبُونِ » وقال تعالى « إنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ » وقالَ تعالى « وكذلكَ أخْذُ رَبِّكَ إذا أخذَ القرى وهي ظالِمة

(باب الخوف)

أى من الله عز وجل قال الشيخ زكريا فى شرح الرسالة هو فزع القلب من مكروه يناله أو من محبوب يفوته وسببه تفكر العبد فى المخلوقات كتفكره فى تقصيره واهماله وقلة مراقبته لما يرد عليه وتفكره فيما ذكره الله عز وجل فى كتابه من اهلاك من خالفه وما أعدله فى الآخرة وقد يعبر عن الخوف بالفزع والروع والرهبة والخيفة والخشية (قال الله تعالى وإياى فارهبون) أى خافون خوفا معه تحرز فيما تأتون وتذرون قال البيضاوى وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعولية والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون : وفى الآية أن المؤمن ينبغي أن لا يخاف أحداً الا الله سبحانه وتعالى (وقال تعالي ان بطش ربك لشديد) البطش هو الأخذ بعنف وشدة بالمأخوذ بحسب ارادته تعالي (وقال تعالى وكذلك) أي ومثل ذلك الاخذ للامم الماضين (أخذ ربك إذا أخذ القرى) أى أهلها وقرىء إذ لان المعني على المضي (وهى ظالمة) حال من القري وهى في الحقيقة لاهلها

إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ

لكنها لما أقيمت مقامه أجريت عليها وفائدتها الاشعار بأنهم أخذوا لظلمهم وإنذار كل ظالم ظلم نفسه أو غيره من وخامة العاقبة (إن أخذه أليم شديد) وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة فى التهديد والتحذير (إن فى ذلك) أى مانزل بالأمم الهالكة أو فيما قصه الله من قصصهم (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة) يعتبر بها عظة لعلمه بأن ماحاق بهم أنموذج مما أعد للمجرمين فى الآخرة أو ينزجر به عن موجبه لعلمه بأنها من إله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من أنكر الآخرة وأحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت فى تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها (ذلك) اشارة الى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له الناس) أى يجمع له الناس والتعبير له الجمع للدلالة علي ثبات معني الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة (وذلك يوم مشهود) أى مشهود فيه أهل السموات والارض واتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك (وما نؤخره) أى اليوم (الالأجل معدود) إلالانتهاء مدة معدودة متناهية علي خلاف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل لامنتهاها فانه غير معدود (يوم يأت) أى الجزاء أو اليوم كقوله «حتى تأتيهم الساعة» علي أن يوم بمعنى حين أو الله تعالي كقوله «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله» ونحوه (لا تكلم) أى لا تتكلم (نفس) بما ينفع وينجى من جواب أو شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل أن نصبه باضمار اذكر أو بالانتهاء المحذوف (إلا باذنه)

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ »
وقالَ تَعالَى « وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ » وقالَ تعالَى يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ
وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ »

أي باذن الله كقوله «لا يتكلمون إلامن أذن له الرحمن» وهذا في موقف وقوله «هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون» في موقف آخر أو المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة (فمنهم شقى) وجبت له النار بمقتضي الوعيد (و) منهم (سعيد) وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكروا لأنه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس أو الناس (فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق) الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالها فى أول النهيق وآخره والمراد بها الدلالة على شدة كربهم وغمهم فالمراد تشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمير (وقال تعالى ويحذركم الله نفسه) أي يغضب عليكم من فعل ماحظر وملابسة ما منع (وقال تعالى يوم) بدل من اذا الظرفية المتضمنة معنى الشرط المذكور فى آخر الآية قبله (يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته) أي زوجته (وبنيه) بدأ بالاخ ثم بالابوين لأنهما أقرب ثم بالصاحبة والولد لانهما أقرب والاخ من الابوين والاخ ايذانا أنه لايقف لاحد منهم (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أى يشغله عن شأن غيره أي اشتغل كل بنفسه والجملة حال وهو دليل جواب اذا المحذوف وقيل يفر حذراً من تبعاتهم فيقول الاخ لم تواسنى بمالك والابوان قصرت فى برنا والصاحبة أطعمتنى الحرام وفعلت والولد لم تعلمنى ولم ترشدني قال الكواشى وهذا عام فى كل كافر فى كل موطن من مواطن القيامة وخاص با ؤمن فى بعض

وقالَ تَعالَى «يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبكُمْ إنَّ زَلْزَلةَ السَّاعةِ شَيْءٌ عَظِيم يوْمَ تَروْنهَا تذْهَلُ كلُّ مُرْضعةٍ عمَّا أرْضعتْ وتَضعُ كلُّ ذاتِ حملٍ حملَها وترَى النَّاسَ سكارَى وما هُمْ بِسكارَى ولكنَّ عذابَ اللهِ شَدِيد» وقال تعالى «ولِمنْ خَافَ مقَام رَبهِ

مواطنها (وقال تعالي يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة) تحريكها للاشياء علي الاسناد المجازى أو تحريك الاشياء فيها فأضيفت اليهـا إضافة معنوية بتقدير واضافة المصدر الى الظرف علي اجرائه مجرى المفعول به (شيء عظيم) هائل علل أمرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا علي أنفسهم ويتقوها بملازمة التقوى (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت) تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ معلوماً ومجهولا أي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على أن هولها بحيث اذا دهشت التى القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة أو مصدرية (وتضع كل ذات حمل حملهـا) أى جنينها قال المصنف فى آخر كتاب الايمان من شرح مسلم وقد اختلف العلماء فى وقت وضع كل ذات حمل حملها وغيره من المذكور فقيل عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا وقيل هو يوم القيامة وليس فيها حمل ولا ولادة وتقديره تنتهي به الاهوال والشدائد الى أنه لو تصورت الحوامل هناك لوضعت حملهن كما تقول العرب أصابنا أمر يشيب فيه الولد يريدون شدته اه (وترى الناس سكارى) كأنهم سكارى (وماهم بسكارى) حقيقة (ولكن عذاب الله شديد) فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم وأذهب تمييزهم (وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه) موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب أو قيامه على أحواله من قام عليه اذا راقبه أو مقام الخائف عند

جَنَّتَانِ » الآيات * وقال تعالى « وأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللهُ عَلينا ووَقَانَا عذابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنامِنْ قَبلُ نَدْعُوهُ إِنهُ هوَ البَرُّ الرَّحِيمُ » والآياتُ في الْبابِ كَثِيرة جدًّا معلومات والْغَرَضُ الإشارَةَ إِلَى بَعْضِهَا وقَدْ حصَلَ * وأَمَّا الأَحادِيثُ

ربه للحساب بأحد المنبين فاضافه الى الرب تفخيما وتهويلا أو ربه ، ومقام مفخم للمبالغة (جنتان) جنة لعقيدته وأخرى لعمله أوجنة لفعل الطاعات وأخرى لاجتناب المعاصى أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية (الآيات) الى أواخر السورة وفيه أن هذه الآيات من آيات الوعد المثيرة للرجاء لامن آيات الوعيد الباعثة للخوف وكان المصنف عقب الآيات الاول بها ايماء الى أنه ينبغى أن يكون المؤمن خوف يمنعه من العصيان ورجاء يبعثه على الطاعة وعمل البر وقدم تلك على هذه لانها أدلة الباب وأساس بنيانه وإيماء الى أن الخوف من باب التخلية والرجاء من باب التحلية بالمهملة والاول مقدم وختم بما هو من قبيل الاول لمناسبته بالباب فقال (وقال تعالي وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) أى يسأل بعض أهل الجنة بعضاً عن أحواله وأعماله (قالوا انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين) خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته أو وجلين من العاقبة (فمن الله علينا) بالرحمة والتوفيق (ووقانا عذاب السموم) عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم (انا كنا من قبل) أى من قبل ذلك فى الدنيا (ندعوه) نعبده أو نسأله الوقاية (إنه هو البر) المحسن وقرئ بفتح الهمزة أى لانه (الرحيم) الكثير الرحمة (والآيات) الواردة (فى الباب) أى فى باب الخوف (كثيرة جداً) بكسر الجيم أى قطعاً (والغرض) أي المطلوب (الاشارة إلى بعضها) تبركا وتشرفا (وقد حصل وأما الاحاديث)

فَكَثِيرَةٌ جدا فَنذكر مِنْها طرَفاً وبالله التوْفيقُ * عَنْ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال « حدثنا رسُول الله صلى الله عليه وسلم وهُو الصادِقُ المَصدُوقُ أنَّ أحدَكُمْ يجمع خلقه فى بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبعِينَ يوْماً نُطفَةً ثُمَّ يكونُ علَقةً مِثلَ ذَلِكَ ثم يكون مضغة مثل ذلك ثمَّ يرْسلُ

المرفوعة (فكثيرة جداً فنذكر منها طرفا) أي جانباً والظرف حال لانه كان وصفاً لطرف قدم عليه ومن فيه للبيان (وبالله) لا بغيره (التوفيق) وهو لغة جعل الاسباب موافقة المسببات وشرعاً خلق قدرة الطاعة فى العبد (عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق) فى أقواله وأفعاله وأحواله (المصدوق) فيما يأتيه من الوحي والجملة اعتراضية لا حالية لتعم الاحوال كلها (إن أحدكم) أى الواحد منكم (يجمع) بالبناء للمفعول أى يقدر (خلقه) أى ما يخلق منه (فى بطن أمه) صفة خلق أو حال منه أى مادة خلقه الحاصلة أو حاصلة (أربعين يوما) ظرف لمتعلق الظرف المحذوف (نطفة) وهي الماء القليل والمراد هنا المني لانه ينطف أى يسيل ومعني جمعه فيها مكثه أربعين ليلة منتشراً فى بشرة المرأة بعد ان انتشر تحت كل ظفر وشعر منها ثم ينزل منها دم فى الرحم فذلك جمعه وهو وقت كونه علقة ولا ينتقل عن كونه منيا قبل الاربعين (ثم يكون) أى يصير خلقه (علقة) هي دم جامد لانها إذ ذاك تعلق بالرحم (مثل ذلك) بالنصب صفة علقة وذلك اشارة الى خلقه أى علقة مماثلة لخلقه فى انهما يكونان أربعين يوما (ثم يكون) أى يصير خلقه (مضغة) أى قطعة من اللحم بقدر ما يمضغ (مثل ذلك) أى أربعين يوما وفيها يصورها الله تعالى ويجعل الاعضاء والسمع والبصر وغيرهما « هو الذى يصوركم في الارحام كيف يشاء » (ثم) اذا تمت وصار ابن مائة وعشرين يوما (يرسل)

الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ

بالبناء للمفعول أى يرسل الله (الملك) في الطور الرابع ولا مخالفة بين حديث الباب وحديث مسلم عن حذيفة بن أسيد مرفوعا « اذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها وعظامها ثم يقول أذكر أم أنثى فيقضى ربك ما شاء ثم يكتب أجله ورزقه » لان لتصرف الملك أوقاتا أحدها حين كونه نطفة ثم ا قلابه علقة وهو أول علم الملك بأنه ولد وذلك عقب الاربعين الأولى وحينئذ ربه يكتب رزقه وأجله وعمله وخلقته وصورته ثم يتصرف فيه بتصويره وخلق أعضائه وذلك فى الاربعين الثالثة فينفرد بالتصوير بعد أن يكتب ذلك ثم ينقله فى وقت آخر لان التصوير بعد الاربعين الاولى غير موجود عادة أشار اليه المصنف في شرح مسلم وقد استفاض بين النساء أن النطفة إذا قدرت ذكراً تتصور بعد الاربعين الاولي بحيث يشاهد منه كل شيء حتي السرة فتحمل رواية ابن مسعود علي البنات أو الغالب (فينفخ فيه) أى فينفخ الملك فى ذلك المخلوق (الروح) بعد كمال الجسم وخلقه وفيه دليل على حدوث الروح والنفخ بالمعجمة وبالمهملة والنفث يستعملان بمعني إلا أن الاولين يستعملان على طريق الخير والشر والثالث فى الثانى فقط (ويؤمر) أى ذلك الملك عطف علي ينفخ (بأربع كلمات) أى يؤمر بكتابة الاحكام المقدرة له علي جبهته أو بطن كفه أو ورقة تعلق بعنقه قاله مجاهد واعلم أن الكتابة التى فى أم الكتاب تعم الاشياء كلها وهذا ما خص به كل انسان إذ لكل سابقة وهي ما فى اللوح ولاحقة تكتب ليلة القدر ومتوسطة أشير اليها فى الحديث (يكتب) بدل كل من قوله بأربع ويروي بالمضارع علي الاستئناف (رزقه) ما ينتفع به حلالا كان أو حراما مأكولا أو غيره (وأجله)

وعَمَلُهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيد فَوالذِى

أى مدة عمره أو الوقت الذي ينقرض فيه (وعمله) من صلاح وضده (وشقي أو سعيد) خبر لمبتدأ تقديره هو وعدل اليه عن شقاوته وسعادته بحكاية صورة المكتوب والتدبر وانه شقي أو سعيد وكان العدول فيه لان التفصيل الآتى وارد عليهما ذكره الطيبي والسعادة معاونة الامور الالهية للانسان على نيل الخيرات وتقابلها الشقاوة وقدمت ليعلم أنها كالخير من عند الله تعالي وحول الانسان أطواراً فى بطن أمه والقدرة صالحة لخلقه جملة فى لحة لدفع المشقة عن الام لانها غير معتادة فربما ظنته علة فدرج في حال الى آخر لتعتادها ولاظهارها قدرة الله سبحانه ليعبدوه ويشكروه إذ قلبهم من أخس الاشياء وستقذرها الي أحسن صورة، محلى بالعقل ولارشاد الناس الى كمال قدرته تعالى علي الحشر والنشر اذ من قدر على خلق انسان من ماء مهين ثم من علقة ثم من مضغة قادر على اعادته ونفخ الروح به ولغير ذلك * ثم اعلم أن الآيات القرآنية تشهد أن التصوير من الله تعالي وفى بعض الروايات إضافته الي الملك الموكل بالرحم والحمل علي ظاهر التنزيل أولى وجمع بعض بأن الملك الموكل بالرحم من أعوان اسرافيل وبيده الصور وهو ناظر الى اسرافيل واسرافيل ناظر الى الصورة المنقوشة فى العرش فقد ورد «إن الله تعالى جعل لكل ماخلق صورة مخصوصه في ساق العرش وتلك الصورة حكاية عما في علم الله الازلى» فيأخذ اسرافيل الصورة المختصة بتلك الذرة ويلقيها الى الرحم وملك الارحام يلقيها الى الجنين فيصوره بتلك الصورة فحيث أسند التصوير اليه تعالى فلأنه المقدر للصورة حقيقة الموجد لها وحيث أسند الملك فلأنه المباشر لها حسبما رأى فى نسخة اسرافيل (فوالذى) هو من جملة المرفوع كما يدل عليه ظاهر رواية الصحيحين هذه وغيرها وأما ما رواه الخطيب البغدادي فى المدح من أن من هنا الى الآخر

لَا إِلَهَ غيْرُه إنَّ أحدكمْ لَيعْمَلُ بِعَمَلِ أَهلِ الجَنةِ حتى مايَكُونُ بينهُ وبينهَا الاَّ ذِرَاع فيَسبقُ عليهِ الـكتاب فيَعْمَل بعَملِ أَهلِ النارِ فَيدْخلها وإن أَحدَكُم لَيَعملُ بَعملِ أَهْلِ النارِ حتى مَايكُونُ بَيْنهُ وَبينْها إلا ذِرَاع فَيسْبِقُ عليهِ الكِتَابُ فيَعْمَلُ بِعمل أهْلِ الجَنةِ فيدخلُها »

من كلام ابن مسعود فلايعارض ما فى الصحيحين بل ما فيهما مقدم عليه وبفرض ثبوت ما فيه فالذى توقف عليه إنما هو هذه المباني ولا فقد جاء هذا المعني مرفوعا فى أحاديث كثيرة بينتها أواخر شرح الاذكار الفاء فصيحة وهي العاطفة علي مقدر وقيل الواقعة جوابا لشرط مقدر وقد بسطت الكلام فى تحقيق هذه الفاء وأحوالها فى كتابى المسمى بإيقاظ النائم من سنة نومه ببعض فوائد قوله تعالى «واذ استسقى موسى لقومه» أي فاذا كانت السعادة والشقاوة مكتوبتين فوالذى (لا إله غيره) أكده بالقسم لتأكيد أمر القضاء (ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى) أي الى أن ينتهى الى أمد (مايكون) ما نافية ويكون مرفوع إجراء لحتى وما بعدها مجرى الحكاية الحالية قاله الكازروني شارح الاربعين قال والنصب فيه وفى الجملة الثانية خطأ (بينه وبينها) أى الجنة (الا ذراع) أراد به التمثيل للقرب من موته ودخوله عقبه الجنة (فيسبق) أورد الفاء لتدل علي حصول السبق بلا مهلة وعداه بعلي فى قوله (عليه الكتاب) لتضمنه معني يغلب أى يغلب عليه ما كتب عليه قبل النفخ من الشقوة (فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) بفصل القضاء السابق المحتوم لشقوته (وان احدكم ليعمل بعمل أهل النار حتي ما يكون) أى الى أن لا يبقى (بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة) من الانابة والاستغفار وعمل الابرار (فيدخلها) فالخاتمة نسخت السابقة وبذر السعادة والشقاوة قد اختفي فى الاطوار الانسانية ولا يظهر الا اذا انتهى الى الغاية الايمانية

متفق عليه * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يُؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألفَ زمامٍ مع كل زمام سبعون ألفَ ملك يجرُّونها» رواه مسلم *وعن النعمان بن بشير

أو الطغيانية ففي الحديث ايماء الي عدم الاغترار بصور الاعمال والركون اليها بل بالخاتمة وقدجاء فى بعض روايات الحديث زيادة« وانما الاعمال بالخواتيم » فلايقطع لاحد معين بدخول الجنة الا من أخبر صلي الله عليه وسلم انه من أهلها فعليك أن لا تتكل علي عمل ولا تعجب به واسأل الله حسن الخاتمة واستعذ به من سوئها ولا تقل قوله تعالى «انا لا نضيع أجر من أحسن عملا» مخبر بأن من أخلص عمله أمن من سوئها لانا نقول يجوز أن يكون ذلك معلقا على شرط القبول وحسنه ثم قال القاضى عياض الثانى كثير وأما الاول فقليل لان الله كريم يستحى أن ينزع السر من أهله وفيه اثبات القدر وهو مذهب أهل الحق وان جميع ما فى الكون بقضاء وقدر من نفع أو ضر (متفق عليه) وكذا رواه أصحاب السنن الاربعة * (وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم) قال المصنف اختلف أهل العربية هل جهنم اسم عربى أم عجمي فقيل عربى مشتق من الجهومة وهي كراهة المنظر وقيل من قولهم بئر جهنام أى عميقة فعلى هذا لم تصرف للعلمية والتأنيث وقال الاكثرون هى عجمية معربة وامتنع صرفها للعلمية والعجمة (يومئذ) أى يوم اذ يقوم العباد للحساب (لها سبعون الف زمام) جملة حالية والزمام لغة ما يجعل في أنف البعير يشدعليه المقود فيحتمل أن يكون ذلك علي حقيقته وان تكون تمثيلا لعظمها وفرط كبرها بحيث إنها تحتج فى الاتيان بها لى هذه الازمة (مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها رواه مسلم) فى باب الجنة والنار ورواه الترمذى فى جامعه في باب صفة جهنم *(وعن النعمان بن بشير) بفتح الموحدة وكسر الشين المعجمة

رَضى الله عنهما قال سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول إِن أَهْوَنَ أَهلِ النارِ عذابا يوْم القِيامةِ لرَجُل يُوضع فى اخمص قَدَميْهِ جمْرَتانِ يَغْلِي منهُمَا دِمَاغه ما يرَى أَن أَحداً أَشدُّ مِنْه عذاباً وإِنهُ لأَهْوَنهُم عَذابا» متفق عليه * وعنْ سَمُرَة بن جندب رَضيَ اللهُ عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم

(رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أهون أهل النار) أي الكفار لانهم أهلها الملازمون لها الخالدون ابدا أما العصاة من مؤمنى الامة المحمدية الذين سبق فى العلم الازلي تعذيبهم بها فليسوا أهلها لخروجهم ودخولهم الجنة (عذابا يوم القيامة رجل) هو أبو طالب (على أخمص) بفتح الهمزة (قدميه) أي المتجافي من الرجل عن الارض (جمرتان يغلي) بالتحتية والغين المعجمة مبنى للفاعل والغليان معروف وهو شدة اضطراب الماء ونحوها علي النار لشدة ايقادها يقال غلت القدر تغلى غليا: قاله المصنف (منهما دماغه) بكسر الدال المهملة معروف قال القسطلانى في المواهب جاء فى رواية حتى يسيل دماغه (مايرى) بفتح التحتية أي يعتقد (أن أحدا أشد منه عذابا) لقوة ما يلقاه منه (وانه لاهونهم عذابا متفق عليه) رواه البخاري في الرقاق ومسلم في صفة النار كذا قال المزى والذى رأيته أنه منه فى كتاب الايمان (وعن سمرة) بفتح المهملة وضم الميم (ابن جندب) بضم الجيم والدال المهملة وبفتحها والنون بينهما ساكنة بينهما آخره موحدة تقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب توقير العلماء (أن نبي الله صلى الله عليه وسلم) قال الشافعي فيما نقل البيهقى عنه يكره أن يقال فى حقه صلي الله عليه وسلم النبي أو الرسول بغير إضافة وإنما يقال رسول الله أو نبي الله بها ولا يرد نحو قوله تعالى «يا أيها النبي» لان خطاب الله تعالي

قالَ «مِنهُم مَنْ تأخُذُهُ النارُ إلَى كَعْبيه وَمنْهُم منْ تأخُذهُ إلَى ركبَتَيه وَمِنهم مَنْ تأخُذُهُ إلَى حجزَتِهِ ومِنهُم مَنْ تأخُذهُ إلَى تَرْقُوتِهِ» رواه مسلم (الحجزَة) معقد الأزار تحتَ السرّة (والترقُوة) بفتح التاء وضم القاف هِيَ العَظْم التي عِندَ ثغرة النحْر وللإنسَان تَرْقوتان في جانبي النحر * وعنْ ابن عمر رضي الله عنهما أن رَسول الله صلى الله عليه

لنبيه تشريف بأي صيغة كانت اه وكان القوم لم ينظروا لذلك لعدم حضور مايوهمه لفظ الرسول أو النبي في الذهن كما استقر فيه من شرفه وعظمته مع ما فيه من كثرة الدوران المقتضي للتخفيف في اللفظ (قال منهم) أي من أهل النار ومرجع الضمير دل عليه حال التكلم أو سياق الكلام وفي رواية أخرى لمسلم بزيادة «إن في أوله» والتأكيد مناسب للوعيد. والتشديد (من تأخذه النار الى كعبه) وهو العظم الناتىء عند مفصل الساق من القدم (ومنهم من تأخذه الي ركبته) وهو مجمع عظم الساق والفخذ (ومنهم من تأخذه الى حجزته) بضم الحاء المهملة واسكان الجيم وبالزاي (ومنهم من تأخذه الى ترقوته) أي وباقي الجسد الذى لم يأخذه العذاب يغلي بما أخذه منه العذاب (رواه مسلم) في صفة النار (الحجزة) بضبطها السابق وكان عليه ذكر ذلك (معقد الازار) والسراويل كما في شرح مسلم له (تحت السرة) المراد ما يحاذى ذلك المحل من جنبيه (والترقوة بفتح التاء) المثناة الفوقية (وضم القاف) وسكون الراء وفتح الواو تفعلة وجمعها تراقى (هى العظم الذي عند ثغرة النحر) الثغرة بضم المثلثة وسكون المعجمة بعدها راء مهملة التي في وسطه قال في شرح مسلم الترقوة بين ثغرة النحر والعاتق (وللانسان ترقوتان في جانب النحر) قال في المصباح قال بعضهم ولا تكون الترقوة لشيء من الحيوان إلا للانسان خاصة (وعن ابن عمر) ابن الخطاب (رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه

وسلّم قالَ «يقومُ الناسُ لِرَبِّ العالمين حتى يَغيبَ أحَدُهُم في رَشحِهِ الى انصاف أُذُنَيهِ». متفق عليه (والرَّشحُ) العرَقُ * وعنْ أنس رضى الله عنه قالَ «خطَبَنَا رسولُ الله صلى الله عَلَيْه وَسلم خطبة مَاسَمِعْت مِثْلها قَط فقَالَ لوْ تَعلمُون ما أعْلم

وسلم قال يقوم الناس) أي من قبورهم (لرب العالمين) أي لامره وجزائه قال كعب يقومون ثلاثمائة عام (حتي يغيب أحدهم في رشحه الى انصاف أذنيه) قيل سبب هذا العرق تراكم الاحوال وتزاحم حر الشمس والنهار كما جاء في الرواية «ان جهنم تدير أهل المحشر فلا يكون لاهل الجنة طريق إلا الصراط» فيكون الناس في ذلك العرق علي قدر أعمالهم فمنهم من يلجمه ويصير له كاللجام ويمنعه من الكلام ويصل لاذنه ومنهم دون ذلك حتى أنه يكون للبعض الى كعبه * فان قلت اذا كان العرق كالبحر يلجم البعض فكيف يصل الى كعب الآخر قلنا يجوز أن يخلق الله ارتفاعا في الارض تحت أقدام البعض أو يقال يمسك الله عرق كل انسان عليه بحسب عمله فلا يصل الى غيره منه شيء كما أمسك جرية البحر لموسي وقومه حتي اتبعهم فرعون، قاله ابن ملك في شرح المشارق (متفق عليه) والسياق لمسلم (الرشح) بفتح الراء وسكون الشين المعجمة وبالحاء المهملة (العرق) بفتح أوليه المهملتين * (وعن أنس رضي الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي وعظ وسميت خطبة لانهم كانوا يلقونها عند الخطب والمهام وحذف المفعول للتعميم أو للجهل بأعيانهم (خطبة ماسمعت مثلها قط) لكمال بلاغتها وقط بفتح القاف وضم الطاء المهملة المشددة في اللغة الفصحى ظرف لاستغراق ما مضى من الزمان نحو ما فعلته قط قال ابن هشام وقول العامة لا أفعله قط لحن (فقال) أي من جملتها أو يحتمل أن يكون ذلك هو المقول كله (لو تعلمون ما أعلم) أي من أهوال الآخرة

لَضحكتم قَليلا ولبكَيتمْ كَثيرًا فغطى أصْحَاب رَسول الله صلى الله عليه وسلم وُجوههم ولهُمْ خَنين» متفق عليه* وفِي رِوَايةٍ «بَلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنْ أصْحَابِهِ شَيء فخَطبَ فَقالَ عُرضتْ عَلى الجَنة

وما أعد في الجنة من نعيم وفى النار من العذاب الاليم (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً) قيل ان كان الخطاب للكافرين فليس لهم ما يوجب الضحك أصلا وأن كان المؤمنين فعاقبتهم الجنة أبدا وان دخلوا النار فما يوجب البكاء بالنسبة الى ما يوجب الضحك شيء يسير فينبغي أن يكون الأمر بالعكس «قلنا» الخطاب للمؤمنين لكن خرج هذا الحديث فى مقام ترجيح الخوف علي الرجاء قال الكازرونى ففى الحديث الحث على البكاء والتحذير من اكثار الضحك (فغطى أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وجوههم) فيه استحباب تغطية الوجه عند البكاء وقد ورد الأمر به حال العطاس وكأنه ستر لما يعرض حينئذ في بشرة الوجه (ولهم خنين) فى المشارق لقاضى عياض أنه بالمهملة للابسي والعذرى وبالمعجمة للكافة وهو الصواب وهو تردد فى البكاء بصوت أغن وقال أبو زيد الحنين كالجنين اه وفى شرح مسلم للمصنف هو بالمعجمة فى معظم النسخ ولمعظم الرواة ولبعضهم بالمهملة ومن ذكر الوجهين صاحب التحرير وآخرون وسيأتي معناه (متفق عليه) أخرجه البخارى في التفسير واللفظ له ومسلم فى فضائل النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه ورواه الترمذى فى التفسير وقال حسن صحيح غريب ورواه النسائى فى الرقائق مختصرا «لوتعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» اه ملخصا من الاطراف للمزى وللحافظ العسقلانى تعقب عليه فى بعضه فى كتابه النكت الظراف (وفي رواية) هي لمسلم (بلغ رسول الله صلي الله عليه وسلم عن أصحابه شيء فخطب فقال عرضت على الجنة

والنَّار فلم أرَ كاليوْم في الخَيرِ والشَّرِّ ولَوْ تعلمُونَ ما أعْلم لضَحكتم قَليلا ولَبكَيتم كثيرًا فما أتى على أصْحَاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يوم أشد مِنْه غَطّوا رُؤوسهُم ولهُم خنين (الخنين) بالخاء المعجَمَةِ هُو البكاءُ معَ غنةٍ وانتشاق الصوْت من الأنْفِ

والنار) قال القاضي عياض قال العلماء يحتمل أنه رآهما رؤية عين كشف الله تعالى عنهما وأزال الحجاب بينه وبينهما كما فرج له عن بيت المقدس حين وصفه ويحتمل أن يكون عرض وحي وعلم من امورها تفصيلا ما لم يعلمه قبل ذلك ومن عظم شأنهما ما زاده علما بأمرهما وخشية وتحذيراً ودوام ذكر فلذا قال لو تعلمون الخ قال القاضي والتأويل الاول أولي والتنبيه بالفاظ الحديث لما جاء في الاحاديث مما يؤيده كتناوله العنقود وتأخره مخافة أن تلحقه النار وفيه أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان اليوم وهو مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة (فلم أر كاليوم في الخير والشر) قل المصنف معني الحديث لم أر خيرا أكثر مما رأيته اليوم في الجنة ولا شرا أكثر مما رأيته في النار (ولو تعلمون ما أعلم) مما رأيته اليوم (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) أي لحصل من الاشفاق البليغ مايقل ضحككم ويكثر بكاءكم وفيه دليل على أنه لا كراهة في استعمال لو في مثل هذا (فما أتي) أي جاء (على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم أشد منه) في ازعاجهم بالموعظة وتأثرهم بها (غطوا) بتشديد الطاء المهملة أي ستروا (رؤسهم) بالغطاء (ولهم خنين) جملة حالية (الخنين بالخاء المعجمة) المفتوحة وبنونين أولاهما مكسورة خفيفة وبينهما تحتية ساكنة (هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت) وفي شرح مسلم ومعناه بالمعجمة صوت وهو نوع من البكاء دون الانتحاب قالوا وأصل الخنين خروج الصوت (من الانف) كالحنين

* وعن المقداد رضى الله عنهُ قالَ «سَمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقول تُدنى الشَّمْس يوْم القِيامةِ من الخَلق حَتى تكون مِنْهم كَمِقدَار ميْل قال سُلَيمُ بن عَامِر الرَّاوى عَن المقدَاد فَوالله ماأدْرى ما يَعنى بالميل أمسَافةَ الأرض أم الميلَ الذِى تكتحلُ بِه العَيْن

بالمهملة وقال الخليل هو صوت فيه غنة وقال الاصمعي اذا تردد بكاؤه وصار فى كونه غنة فهو خنين وقال أبو زيد الخنين هو شدة البكاء (وعن المقداد رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدني) بالبناء للمفعول وحذف الفاعل للعلم بانه الله تعالى (الشمس يوم القيامة من الخلق) أل فيه للجنس أى من المخلوقين (حتى تكون) تصير (منهم كمقدار) أى مثل مقدار (ميل) وذلك تشديد فى الهول والكرب (قال سليم) بضم المهملة وفتح اللام وتخفيف التحتية (ابن عامر) وهو الجنائزى بالجيم والنون وهمزة بعد ألف ثم زاى الحمصى (الراوى عن المقداد) فهو تابعي يروى عن أبي الدرداء وعوف بن مالك والمقداد ثقة بقى الى بعد عشر ومائة روى عنه مسلم والاربعة كذا فى الكاشف للذهبي (فوالله ماأدرى مايعني) أى النبي صلى الله عليه وسلم (بالميل امسافة الارض) أى أراد المسافة التى هى عند العرب مقدار مد البصر من الارض وعند القدماء من أهل الهيئة ثلاثة آلاف ذراع وعند المحدثين أربعة آلاف ذراع قال فى المصباح والخلف لفظي فانهم اتفقوا علي أن مقداره ست وتسعون ألف أصبع ولكن القدماء يقولون الذراع اثنتان وثلاثون اصبعا والمحدثون أربع وعشرون اصبعا فاذا قسم الميل على رأى المحدثين أربعا وعشرين كان المتحصل أربعة آلاف ذراع اه (أم) أراد (الميل الذى تكتحل به العين) قال فى المصباح قال الاصمعي العامة يقولون لما يكتحل

فيكُونُ النَّاسُ على قَدْرِ أعمالِهِم في الْعرَق فَمنهُمْ من يكونُ الى كَعبَيهِ ومِنْهُمْ مَن يكُون الَى ركْبتَيهِ ومِنهُم مَنْ يكونُ إلَى حَقْوَيه ومِنْهمْ من يلجمه الْعرَقُ إلجاماً وأشَارَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بيدِهِ إلَى فِيه» روَاه مُسلِم * وعَنْ أبي هرَيْرَةَ رضِيَ اللهُ عَنهُ ان رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال «يعرَقُ الناس يوْمَ الْقيامةِ حتى يَذْهب عرَقهُم فى الأَرْض سبعينَ ذرَاعاً ويُلجمُهمْ حتى يَبْلغ آذانهُمْ» . متفق عليه

به ميل وهو خطأ وانما هو ملمول وقال الليث الميل المملول الذى يكتحل به البصر والله أعلم (فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق) أى اختلافهم في مكان العرق منهم بحسب اختلافهم فى العمل صلاحا وفسادا ثم فصله كذلك زيادة فى البيان فقال (فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه) بفتح الحاء المهملة وكسرها وهما معقد الازار والمراد هنا المحاذى ذلك الموضع من جنبيه (ومنهم من يلجمه العرق الجاما) أى يصل الى فيه وأذنيه فيكون له بمنزلة اللجام من الحيوانات كما قال الراوى (وأشار رسول الله صلي الله عليه وسلم بيده الى فيه رواه مسلم * وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعرق) بفتح التحتية والراء (الناس) من شدة كرب يوم القيامة وأهوالها (يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعاً ويلجمهم) بضم التحتية من ألجمه الماء اذا بلغ فاه (حتى يبلغ آذانهم) وهذا لبعض الناس لتفاوت الناس فى ذلك كما تقدم في الحديث قبله واستثنى من ذلك الانبياء والشهداء ومن شاء الله من المؤمنين والمؤمنات ثم أشد الناس عرقا الكافر ثم أصحاب الكبائر ثم من بعدهم (متفق عليه) رواه البخارى فى الرقاق ومسلم فى باب صفة الجنة والنار

(ومعنى يذهبُ فى الأرض) ينزِل ويغوص * وعنه قال «كُنا معَ رسُول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمعَ وجْبة فقال هل تدرون ما هذا قلنا الله ورسُوله أعلم قال هذا حَجر رُمى به فى النارِ منذ سَبعين خَريفاً فهوَ يهْوى فى النّار الآنَ

(ومعنى يذهب فى الارض أى ينزل فيها و يغوص) فى المصباح يقال نزل من علو الى أسفل ينزل نزولا وما ذكره المصنف فى الحديث وجه وفسر الشيخ زكريا يذهب بقوله يجرى ولا مانع من جريانه على وجه الارض هذا القدر دون ما زاد عليه مع ارتفاعه و بلوغه الى آذانهم لا ممكن والقدرة صالحة له* (وعنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سمع وجبة) بفتح الواو وسكون الجيم وبالموحدة أى سقطة قال فى المصباح يقال وجب الحائط ونحوه سقط (فقال هل تدرون ما هذا) أى المسموع وظاهره أنهم سمعوها أيضا كرامة ولا مانع فقد سمعوا حنين الجذع وتسبيح الحصا فى يده وغير ذلك لكن قوله أولا اذ سمع النبى صلى الله عليه وسلم ربما يومىء الى اختصاصه صلى الله عليه وسلم بذلك والله أعلم (فقلنا الله ورسوله أعلم) فيه بيان أن الادب اذا سئل الانسان عما لا علم له به ان يكل العلم فيه الى الله سبحانه ولا يتكلم فيما لا علم له به وليس من التكلم بلا علم ما يستنبطه أهل العلم ويستخرجونه بما عندهم من جودة الذهن وحسن الفكر بل هو من التكلم بالعلم قال تعالى «لعلمه الذين يستنبطونه» منهم (قال هذا حجر) أى صوت حجر (رمى) بالبناء للمفعول (به فى النار من) كذا فيما وقفت عليه من نسخ الرياض بمن الجارة وهو فى مسلم بلفظ منذ وهى هنا بمعنى من لأنها جارة لاسم الزمان الماضى فما فى الرياض ان كان من المصنف فرواية بالمعنى (سبعين خريفا) أى عاما والمقام يقتضى حمله على حقيقته ويحتمل أنها كناية عن الكثرة بما فوق وما دون (فهو يهوى) بكسر الواو أى ينزل (فى النار الآن) اسم للزمان الحال وهو ظرف خبر مقدم لقوله

حين انتهى إلَى قعرِها فسَمِعتم وَجبتَها» رَواهُ مسلم * وعن عدى بن جاتِم رَضِيَ اللهُ عنه قالَ «قالَ رَسولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وسلم مامنكم مِنْ أحدٍ إلا سيكلِّمهُ رَبهُ ليسَ بينه وبينَهُ تَرْجُمَانٌ فَينظر أَيمَنَ منْه

(حين انتهي الى قعرها) وجملة انتهى مضاف اليها وفتحت حين لاضافتها الى جملة صدرها مبنى فهو مرفوع وتقديره الآن حين انتهى بها الى قعر النار (فسمعتم وجبتها) بفتح الواو وسكون الجيم هكذا هو فى أصل مصحح ويحتمل أن يكون بكسر الجيم وبالتحتية فالموحدة ومعناه الاضطراب أى صوت اضطراب النار من نزول الحجر اليها قال فى المصباح وجب القلب وجيبا ووجبا رجف ثم قوله فسمعتم وجبتها ليس هو عند مسلم فى حديث حتي انتهى الى قعرها انما هو عنده باسناد آخر الحديث وفيه «وقال هذا وقع فى أسفلها فسمع وجبتها» فيكون ذكر فسمعتم وجبتها مدرجا في الحديث الذى ذكره المصنف لانه ليس عنده باسناد ذلك الحديث انما هو باسناد آخر والله أعلم (رواه مسلم) فى باب صفة الجنة والنار * (وعن عدى) بفتح العين المهملة وكسر الدال المهملة وتشديد التحتية (ابن حاتم) بالمهملة فالفوقية (رضي الله عنه) تقدمت ترجمته فى الكلام على الحديث فى باب بيان كثرة طرق الخير (قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما منكم من أحد) من مزيدة في الفاعل لتأكيد العموم فيه لوقوعه بعد النفي (الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان) قال فى المصباح ترجم فلان كلامه اذا بينه وأوضحه وترجم كلام غيره اذا عبر عنه بلغة عن المتكلم واسم الفاعل ترجمان وفيه لغات أجودها فتح التاء وضم الجيم ثم ضمهما ثم فتحهما والجمع تراجم والتاء والجيم فيه أصليتان فترجم بوزن دحرج اهـ والمراد هنا أنه تعالى يكلمه بلا واسطة (فينظر أيمن منه) أى جانبا أيمن منه

فلاَ يرَى الا ما قدَّمَ وينظُر أشأَم منهُ فلايرى إلاَّ ما قدَّم ويَنظر بين يديه فلاَ يرَى إلاَّ النار تلقاء وجهه فاتَّقوا النار ولو بشق تمرة» متفق عليه * وعن أبى ذر رَضي الله عنه قالَ «قالَ رسول الله صلَّى الله علَيه وسلَم انى أرَى مالا ترون أطَّت السماء وحُق لها أن تئط ما فيها موضع أربَع أصَابع الاَّ وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى

(فلايرى) أي يبصر (إلا ما قدم) من صالح العمل (وينظر أشأم منه) بالشين المعجمة والهمزة من الشومى وهو من اسماء الشمال (فلا يرى الا ما قدم وينظر بين يديه فلايرى إلاالنار تلقاء) بكسر الفوقية وبالمد أى قبالة (وجهه فاتقوا النار) أى اجعلوا أصالح العمل وقاية بينكم وبينها (ولو) كان (بشق) بكسر الشين المعجمة أى نصف (تمرة متفق عليه * وعن أبى ذر) بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء (رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أرى) أى أبصر أو أعلم (مالا ترون) أي تبصرون أو تعلمون (أطت السماء وحق) بضم الحاء المهملة وتشديد القاف أي وحق (لها أن تئط) أي لما فيها من أعمال البر وعمالها كما قال (مافيها موضع أربع أصابع الا وملك) قال الدلجي موضع بالتنوين وقوله أربع أصابع ظرف مستقر لاعتماده على حرف النفي الا وملك حال من فاعل الظرف أعنى موضعاً أى وفيه ملك (واضع) بالتنوين ويجوز تركه (جبهته ساجداً) حال من الضمير قبله لكون المضاف بعض ما أضيف اليه (لله تعالي) واستدل به علي فضل السماء على الارض وهو المختار عند أصحابنا الشافعية فهى محل الطاعة ولم يقع عليها عصيان وامتناع ابليس من السجود كان وهو خارج عنها ويؤخذ منه فضل مواضع أعمال البر من الارض على مواضع غيره وقد أشار اليه امامنا الشافعي بقوله :

والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى » رواه الترمذى وقال حديث حسن (وأطت) بفتح الهمزة وتشديد الطاء وتئط بفتح التاء وبعدها همزة مكسورة والأطيط صوت الرحل

انى نظرت الى البقاع وجدتها * تشقى كما تشقي الرجال وتسعد

(والله) أتى به تأكيداً لما بعده (لو تعلمون ما أعلم) من عظم جلال الله تعالى وشدة انتقامه (لضحكتم قليلا) خوفا من سطوة المولى سبحانه (ولبكيتم كثيرا) كذلك وفى قوله قليلا أولا وكثيرا ثانيا ايماء الى أن المطلوب من العبد أن لا ينتهى به الخوف الى اليأس والقنوط بل يكون عنده بعض الرجاء فيعمل معه البر ويكون عنده من الخوف ماينزجر به عن المخالفة ويكون تارة في مظهر الجمال وتارة فى مظهر الجلال (وما تلذذتم بالنساء على الفرش) أى لشدة ما كان يحصل لكم من الوجل (ولخرجتم الى الصعدات) أى الطرقات (تجأرون) بسكون الجيم بعدها همزة مفتوحة أي ترفعون أصواتكم بالاستغاثة الى الله تعالى والجملة فى موضع الحال أى رافعى اصواتكم متضرعين (الى الله تعالى رواه الترمذي وقال حديث حسن) قال ابن اقبرس أخرجه مرفوعا وأخرجه أيضا في الزهد ويروى عن أبي ذر موقوفاً وأخرجه ابن ماجه اه وكذا ذكر السيوطي فى تخريج الشفاء أن ابن ماجه أخرجه أيضا (وأطت بفتح الهمزة وتشديد الطاء) المهملة (وتئط بفتح التاء) أى الفوقية (وبعدها همزة مكسورة) مكتوبة بصورة الياء علي القاعدة (والاطيط) بفتح الهمزة وكسر الطاء الاولى (صوت الرحل) بالحاء المهملة هو مايشد على البعير ويوضع عليه الحمل ويسمى بالكور قال فى النهاية وقد تكرر ذكر

والقَتَب وشبهها ومعناه أن كثرة من فى السماء من الملائكة العابدين قد أثقلتها حتى أطت والصُّعُدات بضم الصاد والعين الطرقات ومعنى تجأرون تستغيثون * وعن أبى بُرْزَة براء ثم زاى نَضلة بن عبيد

الرحل مفردا وجمعاً وهو له كالسرج للفرس اه (والقتب) بفتح القاف والفوقية و بالموحدة قال فى المصباح القتب للبعير جمعه اقتاب كسبب وأسباب وعليه فيكون من عطف الرديف (وشبهها) من ذى الصوت (ومعناه) أى معنى هذا الكلام (ان كثرة من فى السماء من الملائكة العابدين قد اثقلتها حتى أطت) أى حصل الصوت منها كما يحصل من الرحل اذا ركب عليه أجرى المصنف الكلام على ظاهره قال ابن الاثير فى النهاية وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم أطيط انما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى زاد الدلجي بعد حكايته قوله فافرغ هذا الكلام في قالب الاستعارة التمثيلية تقريبا وتقريراً لعظمة الله تعالى وقال ابن اقبرس وهذا عندى على طريق الاستعارة بالكناية شبهت السماء بذي الصوت من الابل ثم ذكر شيئاً من لوازم الابل والاقتاب المركوب عليها وهو الصوت المعبر عنه بقوله اطت لينتقل الذهن منه اليه وأنت خبير بما بين الكلامين يعنى كلامه وكلام النهاية من الحسن اه وما ذكره من ان الاستعارة المكنية لفظ المشبه به مرادا به المشبه مذهب فيها ومذهب الخطيب وعليه الجمهور انها التشبيه المضمر فى النفس وقرينتها الاستعارة التخييلية اي اثبات لازم المشبه به للمشبه والله اعلم (والصعدات بضم الصادوالعين) و بالدال المهملة (الطرقات) بضم أوليه جمع طريق (ومعني تجأرون تستغيثون) مضارع من الاستغاثة بالمثلثة سؤال للغوث (وعن أبى برزة) بموحدة (ثم راء ثم زاى) ثم هاء (نضلة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة ابن عبيد بضم المهملة وفتح الموحدة وسكون التحتية

الأسلمي رضي الله عنه قالَ «قال رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لا تَزُول قَدَما عَبْدٍ حتى يُسأَل عن عُمُرِهِ فيما أفناه وعن عمله فيما فعل وَعَنْ ماله مِنْ أينَ اكْتَسَبَهُ

هذا هو الصحيح المشهور في اسمه واسم أبيه ويقال نضلة بن عمرو ويقال نضلة بن عبد الله قال الحاكم في تاريخ نيسابور وقيل اسمه عبد الله بن نضلة وقيل نضلة بن دينار قال وقيل كان اسمه نضلة بن دينار فسماه رسول الله صلي الله عليه وسلم عبد الله وقال دينار شيطان (الاسلمي) من ولد أسلم بن افصى بن حارثة (رضي الله عنه) وأبو برزة كنية انفرد بها لا يعرف في الصحابة من يكنى بها غيره كما قاله الحافظ ابو الفضل محمد ابن ناصر بن محمد بن علي البغدادي في التنبيه على الغريبين وذكره الحاكم في الكني المفردة ومعناه ليس في الناس من يكنى بها غيره ومراده من قبله ولا فقد كنى بها بعده ابو برزة الفضل بن محمد الحاسب ، اسلم ابو برزة قديما وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة ، روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة واربعون حديثا اتفقا على حديثين وانفرد البخارى بحديثين ومسلم باربعة ، نزل البصرة وولده بها ثم غزا خراسان وقيل انه رجع البصرة وبها توفي وقيل توفى بخراسان فى خلافة معاوية أو يزيد وقيل توفى سنة ستين وقيل سنة أربع وستين اه ملخصاً من التهذيب للمصنف (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد) أي من موقفه للحساب إلي جنة أو نار (حتي يسأل) بالبناء للمفعول (عن عمره) بضم أوليه ويسكن ثانيه تخفيفا أى حياته وبقائه فى الدنيا (فيما أفناه) فى طاعة أم معصية فما استفهامية فيه وفيما بعده واثبات ألفها مع كونها مجرورة قليل والكثير حذفها (وعن عمله فيما عمله) لوجه الله تعالى خالصا فيثاب عليه أو رياء وسمعة فيعاقب عليه إن شاء الله تعالى (وعن ماله من أين اكتسبه) أمن حلال ذلك

وَفيما أنفقه وَعن جسمه فيم أبلاه » رواه الترمذى وَقال حديث حسن صحيح * وَعَنْ أبى هريرة رَضى اللهُ عنه قالَ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تحدثُ اخبارها ثم قالَ أتدرون َماأَخبارُهَا قالوا الله وَرَسوله أَعلم قالَ فإنّ أَخبارَهَا أَنْ تشهد على كل عبد أَوْ أَمة بمَا عملَ على ظهرها تقول عملت كذَا وكذا في يوم كذَا وكذا

أو حرام (وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه) فى طاعة مولاه أم في سواه ويستثني من ذلك الانبياء وبعض صالحى المؤمنين كالذين يدخلون الجنة بغير حساب (رواه الترمذى) فى أبواب الزهد من جامعه (وقال حديث حسن صحيح) وطريقه واحد فالتقدير على ماقرره الحافظ العسقلاني فى مثله كما تقدم حسن أو صحيح * (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تحدث أخبارها ثم قال أتدرون ما أخبارها) المحدثة بها (قالوا الله ورسوله أعلم) أى عالم وليس مرادهم أن عدمهم به علم والله ورسوله أعلم بذلك منهم فافعل فيه بمعنى أصل الفعل ويحتمل كونه علي ظاهره وسكوت العالم إما أدبا أو لزيادة استبصار ووقوف على ما لم يعلم (قال فان أخبارها أن تشهد) بلسان قالها كما هو الظاهر ولا مانع منه لانه ممكن وهو أبلغ فى الزام الحجة (علي كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها) الظاهر أن العموم فيه مخصوص بغير ذى الاعمال المكفرة ويحتمل عموم الخبر لهم ويكون شهادتها بذلك تذكيرا لمزيد انعام الله عليه حيث سامحه بسوء عمله ولم يعاقبه عليه بل أثابه من فضله وقوله (تقول عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا) تفصيل للشهادة و بيان لكيفيتها وكذا كناية عن مقدار الشيء وعدته وتكون كناية عن الاشياء فتقول فعلت كذا وقلت كذا قال فان قلت فعلت كذا وكذا فلتعدد

فَهٰذِهِ أَخبارها » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وَعَنْ أَبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قالَ رسول الله صلّى اللّٰه عليه وسلم كَيْفَ أَنعم وَصاحِبُ القَرْن قَدِ التَقَمَ القَرْن واستَمع الإِذْن متي يؤْمر بالنفخ فينفخ فكأَن ذَلك ثقل على أَصحاب رَسولِ الله

الفعل والاصل ذا ثم أدخل عليه كاف التشبيه بعد زوال معنى التشبيه والاشارة وجعل كناية عما يراد به وهو معرفة فلا يدخله أل قاله فى المصباح (فهذه أخبارها) بفتح الهمزة جمع خبر (رواه الترمذى) فى الزهد والتفسير من جامعه (وقال حديث حسن) ورواه النسائي في التفسير * (وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم كيف أنعم) بفتح العين من النعمة بفتح النون وهي المسرة والفرح قال فى المصباح نعم عيشه ينعم من باب تعب اتسع ولان أى كيف اتسع فى الدنيا والتذ بها قال المظهرى أي كيف أطيب عيشا وقد قرب أمر الساعة وكأنه خاف علي أصحابه منها وقد علم أنها لا تقوم إلا علي أشرار الناس أو حث لاصحابه على الوصية لمن بعدهم بالتهيؤ لها (وصاحب القرن) أى الصور يعني الملك الموكل به وهو اسرافيل (قد التقم القرن) أى وضع فاه عليه قال المظهرى فى المفاتيح يقال التقمت اللقمة أى ابتلعتها يعني وضع الصور فى فمه (واستمع) أى أصغي (الاذن) يحتمل أن يكون مفعولا به أى يستمعه وينتظره وان يكون مفعولا له (متي يؤمر بالنفخ) أى بنفخ الصور (فينفخ) أى عقب الامر فحينئذ يصعق من فى السموات والارض أى يموت (فكان ذلك) أى المذكور من قرب الساعة وهي انما تقوم على الاشرار (ثقل) بفتح المثلثة وضم القاف أي عظم ومصدره ثقل بوزن عنب كما فى المصباح أى فكانه ثقل (علي أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وَسلم فقالَ لهم قولوا حسبنا الله وَنعم الوكيل » رواه الترمذي وَقالَ حديث حسن (القرن) هُوَ الصور الذى قال الله تعالى وَنفخ فِي الصور كذا فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم فقال) أى النبي صلى الله عليه وسلم (لهم قولوا حسبنا) أي محسبنا وكافينا من أحسبه الشيء أى كفاه وهو خبر والمبتدأ هو (الله ونعم الوكيل) أى الموكول اليه والمخصوص بالمدح مضمر بعد الواو والجملة الفعلية خبره والاصح وقوع الجملة الانشائية خبرا بلا تأويل وفى الكلام عطف خبرية على مثلها قال في المفاتيح والدليل أن حسبك بمعنى محسبك وقوعه صفة للنكرة فى نحو مررت برجل حسبك فلو لم يصح لكان اسم فاعل واضافته على معنى الانفصال لما وصف به النكرة لانه مضاف لمعرفة (رواه الترمذى) في أبواب الزهد من جامعه (وقال حديث حسن) ورواه النسائي فى التفسير من طريق عن أبى هريرة بنحوه (القرن) بفتح القاف وسكون الراء مضاف لمعرفة (الصور) بضم الصاد المهملة وسكون الواو وبالراء (الذى قال الله تعالى) أى فيه (ونفخ فى الصور كذا فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم) قلت رواه أحمد والترمذي وأبو داود والحاكم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الصور قرن ينفخ فيه » وفى الترمذى بيان سببه قال « قال اعرابي يارسول الله ما الصور قال قرن ينفخ فيه » قال ابن رسلان قوله الصور قرن هو علي هيئة البرق دائرة رأسه كعرض السموات والارض ولابي الشيخ في كتاب العظمة من حديث أبى هريرة « إن الله تعالى لما خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متي يؤمر » وفى رواية لابي الشيخ « فأطرق صاحب الصور وقد وكل به مستعدا ينظر نحو العرش مخافة

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قالَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ خاف أَدلج ومن أَدلج بلغَ المنزلَ ألا إنَّ سِلْعة الله غالية ألا إنَّ سلعة الله الجَنَّة» رواه الترمذي وقالَ حديث حسن (وأَدلج) باسكان الدال ومعناه سارمن أَوَّلِ الليل

أن يؤمر قبل أن يرتد اليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان» واسنادهما جيد اه *

(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من خاف) أي خاف البيات (أدلج) أي هرب في أول الليل (ومن أدلج بلغ المنزل) الذي يأمن فيه البيات قال العاقولي هذا مثل طالب الآخرة وكون الشيطان على طريقه فان تبتل بالطاعة وصبر مدة أيامه القلائل وأمن فيه الشيطان وقال المظهري أي من خاف الله فليهرب من المعاصي الى طاعته تعالي (ألا) أداة استفتاح (إن سلمة الله) بكسر السين المهملة وجمعها سلع فهي كسدرة وسدر والسلعة المتاع (غالية) بالمعجمة أي رفيعة القيمة (ألا إن سلمة الله هي الجنة) وهي عزيزة لا يليق بثمنها الا بذل النفس والمال (رواه الترمذي) في باب الزهد (وقال حديث حسن) وروي عن مطرف عن أبي سعيد وقيل عن ابن عباس اه (وأدلج باسكان الدال) المهملة وبالجيم معناه (سار من أول الليل) وهو أنسب بالحديث لكونه أدل علي مزيد الاهتمام والاعتناء وأمكن في القصد للبعد عن العدو وما ذكره المصنف هو ما في النهاية وزاد فيها وادلج بالتشديد اذا سار من آخره والاسم منها الدلجة بالضم والفتح ومنهم من يجعل الادلاج أي بوزن إكرام مصدر أدلج بالتخفيف لليل كله ولم يفرق بين أوله وآخره وأنشدوا

* لعلي أصبر على السير والادلاج في السحر * اه ﴿قلت﴾ وجرى على هذا

والمراد التشميرُ فِي الطاعة والله أعلم * وعن عائشة رَضي الله عنها قالت « سَمِعتُ رَسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ يحشر الناس يوم القيامة حفاة عُراة غرلا قالت يارسول الله الرجالُ وَالنساءُ جَمِيعاً يَنظر بعضهم إلى بَعض

الأخير صاحب المصباح وعبارته أدلج ادلاجاً مثل أكرم اكراماً سار كله فهو مدلج وان خرج آخر الليل فقد ادلج بالتشديد اه وكان المصنف جرى على القول المذكور فى الأصل لانه أنسب بالحديث لما ذكرنا (والمراد التشمير فى طاعة الله) أى أنه تمثيل لذلك كما سبق عن العاقولى والا فلا مسافة حسية تقطعها بسيرك ليلا انما هي المجاهدات المورثة بالفضل الالهى المشاهدات (وعن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول يحشر الناس) عام مخصوص فقد جاء فى صحيح مسلم « أول من يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام ثم أكسى » الحديث (يوم القيامة حفاة) بضم أوله المهمل وبالفاء جمع حاف وهو الذي لا حذاء فى رجله ولا خف (عراة) بالضبط المذكور جمع عار وهو الذى لا ثوب ببدنه (غرلا) أي غير مختونين والفائدة فى خلق الجلدة المقطوعة من الذكر والعلم عند الله تعالى التنبيه على احكام خلقته اذ خلقه للأبد لا للفناء اذ لم ينقص من أعضائه بل أعيد كاملا أو أنه التزم عوده كما كان قاله المظهري والثلاثة منصوبة على الحال من الفاعل (قلت يا رسول الله الرجال والنساء جميعا) منصوب علي الحال من الرجل الفاعل بمحذوف دل عليه ما قبله أى الحشر حال كونهم مجموعين وقولها (ينظر بعضهم الى بعض) يحتمل أن يكون حال من ذلك أو من ضمير جميعاً المستكن فيه وأن تكون مستأنفة لبيان السؤال عن جمعهم فى

قَالَ يا عائشة الأَمر أشدُّ من أَن يهمهم ذلك *وفي رواية الامر أهمُّ مِنْ أَن يَنْظر بعضُهم الى بعض . متفق عليه (غرلا) بِضَم الغين المعجمة أَى غير مختونين

الحاشر (فقال ياعائشة الأمر) أي هول الأمر وشدته (أشد من أن يهمهم) بفتح التحتية وضم الهاء أو بضم التحتية وكسرها قال فى المصباح يقال أهمنى الأمر بالألف أقلقنى وهمنى هما من باب قتل مثله (ذلك) أى النفوس انما تنظر لذلك عند الاستراحة وهم فى هول يذهل به الخليل عن خليله كما تقدم أول الباب (وفي رواية) هى للصحيحين أيضا كما فى المشكاة وهى عند النسائي وابن ماجه كما فى الجامع الكبير (الأمر أشد من أن ينظر بعضهم الى بعض) جاء فى رواية ابن مردويه عن ابن عمر مرفوعا « قالت عائشة ينظر بعضهم الى بعض قال شغل الناس يومئذ عن النظر وسموا بأبصارهم الى السماء موقوفون أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون » (متفق عليه) أخرجه البخاري في الرقاق ومسلم في أبواب صفة الجنة والنار (غرلا بضم الغين المعجمة) وسكون الراء (أى غير مختونين) فى المصباح الغرلة مثل القلفة وزنا ومعنى . وغرل غرلا من باب تعب اذا لم يختن فهو أغرل والأنثى غرلاء والجمع غرل من باب أحمر اه والله أعلم

باب الرجاء

قال الله تعالى « قُلْ يا عبادىَ الذين أَسرفوا على أَنفُسِهِمْ لا تقنطوا منْ رَحْمة الله إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً

﴿ باب الرجاء ﴾

بفتح الراء وبالمد هو ضد الخوف وعرف بأنه تأمل الخير وقرب وقوعه ويطلق على الخوف ومنه قوله تعالى « مالكم لا ترجون لله وقارا » وقال الراغب في مفرداته قيل مالكم لاتخافون ووجه ذلك ان الرجاء والخوف يتلازمان وفى الرسالة القشيرية الرجاء تعليق القلب بمحبوب فى المستقبل والفرق بينه وبين التمني أن التمني يصاحبه الكسل ولا يسلك صاحبه طريق الجد وضده صاحب الرجاء وقدم المصنف الخوف عليه لانه باعتبار نتائجه من باب التخلية بالخاء المعجمة اذ ينتج ترك المخالفة والرجاء من باب التحلية بالمهملة اذ يبعث علي صالح العمل اذ لولا الرجاء لما وجد عمل اما تمنى الثواب لامع صالح العمل فذلك أمنية وليس من الرجاء فى شىء وفى الحديث عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى علي الله الاماني » رواه أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم في المستدرك

(قال الله تعالى قل ياعبادى) اضافتهم اليه اضافة تشريف وتكريم ليذهب عنهم ماعداهم من خشية المعصية وبعد المخالفة وتخصيصهم بالمؤمنين على ماهو عرف القرآن (الذين أسرفوا علي أنفسهم) أفرطوا فى الجناية عليها بالاسراف فى المعصية (لاتقنطوا من رحمة الله) لاتيأسوا من مغفرته أولا وتفضله ثانيا (ان الله يغفر الذنوب جميعا) عفوا ولو بعد بعيد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل علي

إنهُ هُوَ الغفورُ الرحيم» وقالَ تعالى «وهل يُجَازى إلاَّ الكفور» وقال تعالى «إنَّا قَدْ أُوحِيَ إلَيْنَا أَنَّ العذاب عَلَى مَنْ كَذَّبَ وتولَّى» وقالَ تعالى «ورحمتي وسِعَتْ كلَّ شيء» * وعَنْ عبادةَ بن الصَّامت

اطلاقه فيما عدا الشرك قوله تعالى «ان الله لايغفر أن يشرك به» الآية والتعليل بقوله (انه هو الغفور الرحيم) للمبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم مايستدعى عموم المغفرة ممـا في عبادى من الدلالة علي الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهى عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم علي الاطلاق والتـأكيد وما روى من خصوص نزولها بعياش أو الوليد بن الوليد فى جماعة فتنوا فافتتنوا أو في وحشى لاينفي عمومها اذ العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (وقال تعالى وهل يجازى الا الـكفور) أى هل يجازى بمثل مافعلنا بهم الا البالغ فى الـكفران او الـكفر وفيه ايماء الى ان المؤمنين لايجازون كذلك للغفران الـكائن لهم بشرف الايمـان (وقال تعالى) مخبرا عن موسى وهارون (إنا قد أوحى الينا أن العذاب) وهو عبارة عن الالم مع الاهانة (علي من كذب وتولي) وفيه ايماء الى سلامـة من أ ن من ذلك ولا ينافيـه ما ورد من تعذيب قوم من أهـل التوحيـد لانه ليس لاهانتهم بل لتطهيرهم لما حصل لهم من دنس المخالفة حتى يتأهلوا لدخول الجنة والحلول بها جعلنا الله من أهل الجنة بمحض الفضل والمنة (وقال تعـالي ورحمتي وسعت كل شيء) المؤمن والـكافر قال البيضاوى وهذا في الدنيا وأما فى الآخرة قوله «فسأكتبها للذين يتقون» الآية (وعن عبادة بن الصامت) الانصارى الخزرجى تقدمت

رضي الله عنه قال قال رَسولُ الله صلّى الله عليه وسلم «مَنْ شَهِدَ أن لاَ إله إلا اللهُ وَحده لاَشَرِيكَ لهُ وأنَّ محمداً عبدُه ورَسولهُ وأن عِيسى عَبدُ الله

ترجمته (رضي الله عنه) في باب لامر بالمعروف (قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من شهد) أى علم (أن لا إله) أى لا معبود بحق فى الوجود (لا الله) بالرفع بدلا من محل اسم لا قبل دخولها ولا يجوز الابدال من محله بعد دخولها لانها لا تعمل فى المعارف وفي اعرابها بسط ذكرته فى باب فضل الذكر وباب التشهد من شرح الاذكار (وحده) أى منفرداً بالالوهية وغيرها من أوصاف الكمال (لاشريك له) في ذلك ولا فى شيء من أوصافه ولا من أفعاله بل كل مافى الوجود خلق الله وحده والمراد من صدق بمضمون ذلك وأذعن له بجنانه ونطق به بلسانه فان منع من النطق مانع من خرس أو معاجلة منية فهو مؤمن والا فنقل المصنف فى أول شرح مسلم الاجماع على كفره وعورض بأن الغزالي نقل فيه عن جمع أنه مؤمن عاص بترك النطق بها (و) شهد (أن محمداً عبده) هو أشرف أوصافه فلذا ذكره به فى الكتاب فى أشرف المواطن كمقام الاسراء وانزال الكتاب عليه ولذا قدمه على قوله (ورسوله) وفيه إيماء الى ما جنح اليه ابن عبد السلام فى تفضيل النبوة لتعلقها بالحق على ارسالة لتعلقها بالخلق وذلك لأنه قدم العبودية لكونها اضافة الى الحق له بها شرف علي الخلق والرسالة ليست كذلك وان كان الاصح عند الجمهور تفضيل الرسالة لوجود التعلق بالحق فيها كالنبوة وزيادتها بالابلاغ للخلق (وان عيسى) اسم معرب يسوع كما فى البيضاوى قال واشتقاقه من العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته (عبد الله) خصه بالذكر رداً على النصاري فى انكارهم ذلك وقولهم

ورَسوله وكلمتهُ ألقـاها الى مَريمَ ورُوحٌ منهُ وأنَّ الجنّةَ حق والنارَ حقٌ أدْخلهُ اللهُ الجنّة على ما كانَ منَ العَمَلِ»

أنه ابن الله تعالي الله عن ذلك (ورسوله) الى بنى اسرائيل (وكلمته) سمي به لانه وجد بأمره تعالى دون أب فشابه البدعيات التى هى عالم الاوامر قال الشيخ أكمل الدين فى شرح المشارق وسماه كلمة مبالغة لأنه تكلم في غير أوانه وأضيف إلى الله تعالى تعظيما (وروح منه) سماه روحا لانه أحيي به الاموات فكان كالروح وأحيي به القلوب من موت الجهالة أولانه حدث من نفخ الروح كما قال تعـالي « فنفخنا فيها من روحنا »قيل كان النافخ جبريل وأضافته الي الله تعالى لأنه كان بأمره وفى تفسير البيضاوى أى ذى روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة (والجنة والنار) بالنصب عطفاً على ما قبله أى وشهد أنهما (حق) أى ثابتان موجودان وأفرد الخبر مع تثنية المخبر عنه إما لأنه مصدر أو لارادة كل واحدة منهما (أدخله الله الجنة على ما فيه من العمل) أى علي أى عمل كان سيئاً أو حسنا وهو حال نحو رأيت فلانا علي أكله أى آكلاً وفيما نحن فيه لا يجوز أن يقدر عاملا لأن العمل غير حاصل وقت الدخول فيقدر مستحقا بما يناسب عمله من الثواب والعقاب يعني من مات علي الايمـان لا تخرجه الـكبائر عن إيمانه فيدخل الجنة أما كونه ابتداء أو بعد دخول النار فمفوض الي مشيئة الله تعالى قال الطيبي فى شرح المشكاة لا يتصور هذا فى حق العـاصي الذى مات قبل التوبة إلا إذا دخل الجنة قبل استيفاء العقوبة « فان قلت » ما ذكرت يستدعي أن لا يدخل أحد من عصاة المؤمنين النار « قلت »اللازم عموم العفو وهو لا يستلزم عدم دخول النار لجواز أن يعفو عنهم بعد دخولها قبل استيفاء العذاب فليس بحتم عندنا أن يعذب بالنار أحد من الامة بل الواجب العفو عن الجميع بموجب وعده حيث

متفقٌ عليه وفي رِوايةٍ لمسلم «منْ شَهِدَ أنْ لاَ إلهَ الا الله وأن محمداً رَسُولُ الله حرم الله عليهِ النار» * وعن أبي ذرٍ رَضِيَ اللهُ عنه قال قال رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَقول اللهُ عز وَجل «منْ جاءَ

قال «ان الله يغفر الذنوب جميعا» (متفق عليه) رواه البخاري في أحاديث الانبياء ومسلم في الايمان ورواه النسائي في اليوم والليلة وفي التفسير من سننه كذا قاله المزي في الاطراف (وفي رواية لمسلم) أي عن عبادة بن الصامت أيضا رواه الامام أحمد والترمذي قاله في الجامع الصغير وقال الحافظ المزي أخرجه مسلم والترمذي في الايمان وأخرجه النسائي في اليوم والليلة وقال الترمذي حسن صحيح غريب من هذا الوجه (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) ويلزم من شهادته برسالته صلى الله عليه وسلم شهادته برسالته بسائر الانبياء لأن النبي صلي الله عليه وسلم جاء بذلك (حرم الله عليه النار) أي الخلود فيها وأول الحديث كما في مسلم عن الصالحي قال «دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت فبكيت فقال لي مهلا لم تبك فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك ولئن شفعت لأشفعن لك ولئن استطعت لانفعنك ثم قال والله مامن حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير إلا حدثتكموه الا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي سمعته يقول من شهد الخ» * (وعن أبي ذر) الغفاري (رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول الله عز وجل) فيه دليل على عدم كراهة استعمال المضارع فيه لان المراد به الدلالة علي دوام ذلك وعدم انقطاعه خلافا لمن كرهه من السلف لما يدل عليه من التجدد والحدوث وأوصاف الله تعالى قديمة أزلية والحديث من الاحاديث القدسية (من جاء

بالحَسَنَةِ فَلَهُ عشرُ أمثالها أوْ أَزِيدَ ومَنْ جاءَ بالسَّيِّئَة فجزاءُ سيِّئَةٍ سيِّئَةٌ مثلها أَوْ أَغفِر ومنْ تقرَّبَ مني شبراً تقرَّبتُ منه ذِراعاً ومنْ تقرَّبَ مني ذِراعاً تقربتُ منه باعاً ومنْ أتاني يمشي أتيته هرْولة

بالحسنة فله عشر أمثالها) أى عشر حسنات أمثالها فضلا من الله أي جزاءها مكررا عشرا لا أنه يكرر نفس الحسنة كذلك وقد نبه الشيخ زكريا فى سورة النساء من حاشيته على البيضاوى على ان هذا أقل مراتب المضاعفة ولذا قال (أو أزيد) وأو فيه يحتمل أن تكون بمعني بل أى بل أزيد من ذلك كما قال تعالى « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » وقال تعالى « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » وقال تعالى « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » قال البيضاوي وهذا أى العشر أقل ماوعد من الأضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذا قيل المراد بالعشرة الكثرة دون العدد (ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها) قضية العدل (أواغفر) فضلا واحسانا ، وانظر الى ما انطوى عليه هذا الحديث من اللطف فى جانب الحسنة إضافتها للجاني بها باللام الدالة علي الاختصاص تشريفا وتكريما وفى جانب السيئة ترك ذلك إيماء الى قبح المعصية وان حقها ان تباعد وتزايل حتى لا تنسب لأحد (ومن تقرب منى) أي من فضلي ورحمتي (شبراً) بالمبالغة فى المجاهدة وأداء واجب الالوهية (تقربت منه) أي بفضلي وتوفيقي (ذراعا ومن تقرب منى) بذلك (ذراعا) وهو دون ما قبله (تقربت منه باعا) ففيه ان الجزاء على قدر العمل وبحسبه والباع والبوع بضم الموحدة وفتحها طول ذراعى الانسان وعضده وعرض صدره قال الباجى وهو قدر أربعة أذرع (ومن أتاني يمشى) وأسرع بخطاعتي (أتيته هرولة) أى صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه الى مزيد مشي فى وصوله لمراده والمقصود

وَمنْ لَقِيني بقراب الارْض خَطِيئَةً لاَيشرِكُ بى شَيْئاً لَقِيتُهُ بِمثلهامَغْفِرة»
رواه مسلم (ومَعْنى الحدِيث)

أن جزاءه يكون على حسب عمله وتقربه ، والهرولة بفتح الهاء وسكون الراء وهي اسراع في المشي دون الخبب قال المصنف هذا الحديث من أحاديث الصفات ومستحيل ارادة ظاهره لما فيه من باب التمثيل كما سيأتي قال القرطبي ان قيل مقتضى ظاهر الخطاب ان جزاء الحسنة بمثلها اذ الذراع شبران والباع ذراعان وتقدم فى الكتاب والسنة ان أقل ما يجازى على الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الى أضعاف لا تحصى فما وجه الجمع « قلنا » هذا الحديث ما سيق لبيان مقدار عدد الأجور وعدد تضاعيفها وانما سيق لتحقيق أن الله تعالى لا يضيع عمل عامل قليلا كان أو كثيراً وان الله يسرع الى قبوله والي مضاعفة الثواب عليه أسراع من جيء اليه بشيء فبادر لأخذه وتبشبش له بشبشة من سرته ووقع منه الموقع ألا ترى الى قوله « وان أتاني يمشى أتيته هرولة » وفى لفظ آخر أسرعت اليه ولا تتقدر الهرولة والاسراع بضعفي المشى وأما عدد الاضعاف فيؤخذ من حديث آخر لا من هذا الحديث اه وما ذكره من أن الباع ذراعان مخالف لما نقله المصنف عن الباجى من أنه أربعة أذرع (ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة) تمييز لقراب الارض أي بما يقارب ملأها من الخطايا لو كان جسما وجرماً وقوله (لا يشرك بى شيئاً) جملة فى محل الحال من فاعل لقى (لقيته بمثلها مغفرة * رواه مسلم) فى كتاب الدعوات ورواه ابن ماجه فى فضائل التسبيح (ومعني الحديث) ان قوله تعالى فيه « من تقرب منى شبراً » الى قوله « أتيته هرولة » ليس علي ظاهره لاستحالته علي الباقى لما فيه من اعتوار الحركة وغيرها عليه تعالى عن ذلك بل معناه من تقرب الي بطاعتي تقربت اليه برحمتي وان زاد زدت ظاهره ان قوله وان زاد زدت

مَن تقرَّب إليَّ بطَاعتي تقربتُ اليه برحمتي وَان زَادَ زدتُ وإن أتاني يمشي وأسرَع في طاعتي أتيته هرولة أي صببتُ عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصُول الى المَقصُود وقراب الارض بضم القاف ويقالُ بكسرها والضمُّ أصح وأشهرُ ومعناهُ مَايقارب ملأها والله أعلم

تفسير للمراد من قوله ومن تقرب مني ذراعا وفيه مالا يخفي بل الظاهر انها أومأت الى جزاء العامل علي عمله الصالح وان قل فالجملة الاولى لبيان عظم الثواب علي كثرة العمل ومزيد المجاهدة والثانية لبيان حصول ثواب العمل وإن قل « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » والله أعلم * (وان أتاني) أي أقبل على طاعتي (يمشي) أي يجد ويجتهد (وأسرع في طاعتي) حسب طاقته فيها ولم يقدم عليها علائقه (أتيته أي صببت عليه الرحمة صبا وسبقته بها ولم أحوجه الى المشي الكثير في الوصول الى المقصود) قال القرطبي هذه الجمل أمثال ضربت لمن عمل من الطاعات وقصد به التقرب الى الله تعالي تدل علي أنه تعالى لا يضيع أجر محسن وان قل عمله بل يقبله ويثيبه مضاعفا ولا يفهم من الحديث الخطا بنقل الاقدام الا من ساوى الحمر في الافهام اه (وقراب الارض بضم القاف ويقال) فيما نقله القاضي عياض وغيره (بكسرها) مصدر قارب الامر اذا دناه يقال لو أن لي قراب هذا ذهبا أي ما يقارب ملأه ولو جاء بقراب الارض بالكسر أيضا بما يقاربها اه (والضم أفصح وأشهر) مقتضي كلامه في شرح مسلم أن الكسر غريب وعبارته فيه بضم القاف علي المشهور فيخالف ماهنا من أن الكسر مشهور إلا أن الضم أشهر منه ولا مخالفة تأمل (ومعناه مايقارب ملأها) بكسر الميم (والله أعلم) *

*وَعنْ جَابِر رَضى الله عنه قال«جاءَ اعرَابيٌّ الى النبي صلى الله عليه وسلم فقَالَ يارَسولَ اللهِ مَا المُوجِبَتان قال من مَاتَ لَا يشرِكُ باللهِ شَيئاً دَخلَ الجنة ومنْ مَاتَ يُشْرِكُ بهِ شيْئاً دَخَلَ النار» رواه مسلم * وعنْ أَنَس رضي الله عنه أَن النبي صلى الله عليه وسلم وَمُعاذ رَدِيفه على الرحل قال يامَعاذ قال لبيكَ

وعن جابر رضي الله عنه قال جاء اعرابى) واحد الاعراب وهم سكان البادية من العرب (الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما الموجبتان قال) أى النبي صلى الله عليه وسلم (من مات لا يشرك بالله شيئا) أى من الشرك الجلى أو من المعبودات أي وحد الله تعالى وافرده بالعبودية (دخل الجنة) قال المصنف هذا مما اجمع عليه المسلمون ابتداء مع الفائزين ان لم يمت مصرا على الكبائر وان مات مصراً عليها فهو تحت المشيئة ان شاء عذبه ثم ادخله الجنة وان شاء ادخله اياها ابتداء بفضله (ومن مات يشرك به شيئاً) من الشرك الجلى أو من المعبودات (دخل النار) وخلد فيها ولم يخرج منها ابداً لا فرق بين كتابي وعابد وثن وسائر الكفرة ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادا وغيره ولا بين من خالف ملة الاسلام ولا من انتسب اليها ثم حكم بكفره بجحده ما يكفر بجحده اوغير ذلك اما الشرك الخفي من الرياء والسمعة فلا يقتضى ان يؤبد فى النار اذا مات صاحبها على الايمان (رواه مسلم) فى كتاب الايمان (وعن أنس رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ) كذا وقفت عليه فى نسخ الرياض بالرفع وهو مبتدأ خبره قوله (رديفه) بفتح الراء وكسر المهملة وقوله (على الرحل) متعلق بالخبر والجملة اعتراضية بين اسم ان وخبرها وهو قوله (قال يامعاذ قال لبيك) بتشديد الموحدة اي اجابة بعد اجابة وقيل

يارسولَ الله وَسعديكَ ق لَ يامُعاذ قال لبيك يارَسُول الله وَسَعديكْ ق لَ يامُعَاذ قال لَبيكَ يارَسُول الله وَسَعْديكَ ثلاثاً قال مامنْ عَبدٍ يشهدُ أنْ لاَ إلَه إلا الله وَانَ محَمدا عَبده ورَسُولُه صِدْقاً منْ قَلْبه الا حَرمهُ اللهُ عَلى النار قالَ يارسُول الله أفلاَ أُخبرُ بهاَ الناسَ فَيستَبشرواقَال اذاً يَتكلوافأَخبرَ بهاَ

قربا منك وطاعة لك وقيل أنا مقيم على طاعتك وقيل محبتي لك وقيل غير ذلك (وسعديك) أى ساعدت طاعتك مساعدة لك بعد مساعدة فهما مثنيان مراداً منهما التكثير (قال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا) ظرف لمكرر مقدر وتكرير نداء معاذ لتأكيد الاهتمام بما يخبره به وليكمل تنبه معاذ فيما يسمعه وثبت فى الصحيح «انه صلي الله عليه وسلم كان اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا لهذا المعنى» قاله المصنف (قال ما من) مزيدة لتأكيد عموم النفى (عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا) حال أى حال كونه صادقا فى ذلك أو مفعول مطلق أى شهادة صدقا أوشهادة صدق فأقيم المضاف مقامه فانتصب انتصابه (من قلبه) وهذا القيد لاخراج شهادة اللسان اذا لم يطابقها الجنان كالمنافقين (الا حرمه الله علي النار) أى الخلود فيها فلا ينافى تعذيب بعضهم (قال) أى معاذ (يارسول الله ألا أخبر بها الناس) ادخالا للسرور عليهم وحثا على صدق الايمان وتحريضاً علي الاخلاص (فيستبشروا قال اذا يتكلوا) أي يتركوا الاعمال ويتكلوا علي ذلك فيفوتهم بذلك عالى المنازل فى العقبي وهو صلى الله عليه وسلم لمزيد اهتمامه بأمته واعتنائه بشأنهم لا يريد لهم الا المنازل العلى فأشار الي معاذ بالترك لانه رأي الثمرة المترتبة عليه أتم من المترتبة على الاعلام (فاخبر بها) أي بالبشارة المدلول عليها بقوله

مَعاذ عِنْدَ موْتِه تأثماً » . متفق عليه (قوْله تأثماً) أىْ خَوْفاً مِن الإِثْم فى كتم هذَا الْعِلْم * وَعَنْ أَبى هُرَيرَة أَوْ أَبى سَعيدِ الخدْري رَضِيَ الله عَنْهُمَا شَكَ الراوى ولاَ يَضر الشك فى عيْن الصحابى لأنهُم كلهمْ عدولٌ قَال لما كَانَتْ غزْوَة تَبُوكَ أَصابَ الناسَ مجاعَةٌ

يستبشرون (عند مرته تأثما) مفعول له أى خروجا من اثم كتم ما للناس اليه حاجة من الشريعة وقد جاء الوعيد الشديد في الكتم قال تعالي « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدي » الآية (متفق عليه) أخرجاه في الايمان (قوله تأثماً أى خوفا من الاثم) الكائن أو كائنا (فى كتم هذا العلم) أى كتم هذا القدر منه (وعن أبي هريرة أو أبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما) وقوله أو (شك الراوى) أى وهو الاعمش كما فى صحيح مسلم بيان لان أو للتردد والشك في عين الراوى منهما (ولا يضر الشك فى غير الصحابى لانهم كلهم عدول) من خالط الفتن ومن اعتزلها لأنهم فيها بين مجتهد مصيب فله أجران أو مخطئ فله أجر وإذا كانوا كذلك فلا غرض فى تعيين الراوي منهم وقد قال علماء الاثر إذا قال الراوى حدثنى فلان أو فلان وهما ثقتان احتج به بلا خلاف لان المقصود الرواية عن ثقة سمي وقد حصل وهذه قاعدة ذكرها الخطيب البغدادى فى الكفاية وذكرها غيره وهي في غير الصحابى ففي الصحابي أولى لعدالتهم أجمعين قاله المصنف فى شرح مسلم (قال لما كان يوم) المراد به هنا الزمن أى زمن (غزوة تبوك) تقدم ضبطه وبيان جواز صرفه وعدمه ووجه تسميته بذلك وبيان تاريخ الغزوة فى باب التوبة أول الكتاب (أصاب الناس مجاعة) قال فى النهاية مفعلة من الجوع اه ومقتضى قول الصحاح وقد جاع يجوع جوعاً ومجاعة أنه مصدر ميمى والجوع ضد الشبع

فقالُوا يارسُول الله لَوْ اَذنْتَ لَنا فَنحرْنا نوَاضِحنَا فا كلْنا وَادهنا فقال رَسول الله صلى الله عليه وسلم ' ' فجَاءَ عمر رضي الله عنه فقال يارَسُول الله إنْ فَعلتَ قلّ الظهر

(قالوا يارسول الله) استئناف بيانى كأنه قيل ما ذا قالوا حينئذ فقال قالوا يارسول الله (لو أذنت لنا) أي فى نحر دوابنا المأكولة كما يدل عليه ما بعده ولو فيه للتمنى فلا جواب لها ويحتمل كونها الشرطية والجواب محذوف أى لو أذنت لنا فى نحرها (فنحرنا نواضحنا) جمع ناضح أصله البعير الذى يستقى عليه الماء قال فى المصباح ثم استعمل فى كل بعير وان لم ينضح عليه ومنه حديث «أطعمه ناضحك» أى بعيرك « قلت » وما هنا محتمل لذلك (فأكلنا) لحومها (وادهنا) من شحومها وقال صاحب التحرير ليس المقصود منه ما هو المعروف من الادهان إنما معناه لو اتخذنا من شحومها لارتفقنا بذلك أو لكان خيراً أو لكان صوابا أو رأيا مبينا أو مصلحة ظاهرة وما أشبه ذلك وعلى كونها شرطية محذوفة الجواب جرى المصنف فى شرح مسلم ثم قال وقولهم «لو أذنت لنا» هذا من أحسن أدب خطاب الكبار والسؤال منهم وهو أجمل من قولهم للكبير افعل كذا بصيغة الامر وفيه أنه لا ينبغي للعسكر أن يضيعوا دوابهم التى يستعينون بها في القتال بدون اذن الامام ولا يأذن لهم إلا إذ رأى مصلحة أو خاف مفسدة ظاهرة اه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افعلوا) وذلك مراعاة لمصلحتهم وتقديم الاهم فالاهم وارتكاب أخف الضررين دفعا لاشدهما (فجاء عمر فقال يارسول الله ان فعلت قل الظهر) أى الدواب سميت بذلك لكونها يركب علي ظهورها أو لكونها يستظهر بها ويستعان بها على السفر واسناد فعلهم وهو نحرها اليه مجاز عقلي لكونه عن أمره فهو كقولهم بني الامير المدينة وفي الخبر جواز الاشارة على الائمة والرؤساء وان المفضول أن يشير عليهم

ولكنْ ادعهم بفضلِ ازْوَادِهِمْ ثمْ ادع اللهَ لهُم عليْها بالبَركةِ لعلَّ اللهَ انْ يجْعلَ في ذَلِكَ البَركَةَ فقالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فدَعا بنطعٍ فبَسَطهُ ثمّ دعا بفضل أزْوادهمْ فجَعلَ الرَّجلُ يجيءُ بكفِّ ذرَةٍ ويجيءُ الآخر بكفِّ تمْرٍ

بخلاف مارآه (ولكن) استدراك عن معني الكلام السابق أي لا تنظر لمصلحتهم بذلك لئلا يقل الظهر ولكن انظر اليها بوجه آخر وهو قوله (ادعهم بفضل أزوادهم) متعلق الظرف أى يأتون به والجملة فى محل الحال والفضل بفتح الفاء وسكون الضاد مصدر فضل يفضل كنصر ينصر وجاء كنعت ينعت وهو البقية أي بالباقى من أزوادهم وزاد المسافر طعامه المتخذ لسفره (ثم ادع الله عليها بالبركة) أتى بثم إشارة الى تراخي اجتماعه وانضمامه عن أمرهم بذلك الذى عندها يكون الدعاء (لعل الله أن يجعل في ذلك) قال المصنف كذا وقع فى الاصول التى رأينا وفيه محذوف تقديره يجعل فى ذلك بركة أو خيرا فحذف المفعول به لانه فضلة وأصل البركة كثرة الخير وثبوته وتبارك الله ثبت الخير عنده (فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم نعم) بفتح أوليه وهى هنا لكونها بعد الطلب للوعد فهو وعد منه صلي الله عليه وسلم بفعل ذلك لتصويبه له (قال فدعا بنطع) فيه أربع لغات مشهورة أشهرها كسر النون مع فتح الطاء وبفتحها وتفتح النون وكسرها مع سكون الطاء فيهما حكاه المصنف في شرح مسلم ولم يبين معناه وكأنه لوضوحه قال في المصباح هو المتخذ من الاديم معروف اه (فبسطه) أي نشره (ثم دعا بفضل) أى بقية (أزوادهم قال) أى الصحابي الراوي (فجعل الرجل يجيء بكف) أى بملئه (ذرة) بتخفيف الراء نوع من الحبوب معروف قال (ويجيء الآخر) بفتح الخاء المعجمة أى غير من قبله (بكف تمر) بفتح المثناة الفوقية والاضافة فيه وفيما قبله بيانية

ويجيء الآخر بكِسرَةٍ حتى اجتمعَ على النطع من ذَلِكَ شيءٌ يسيرٌ فدَعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركةِ ثم قالَ خذُوا في أوعيتكم فأخذُوا في أوعيتهمْ حتي ماترَكُوا في العسكرِ وعاءً الا ملؤهُ وأكلوا حتى شبِعُوا وفضلَ فضلة فقَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أشهدُ أن لاَ إلهَ إلا الله وأنى رَسُول الله

من إضافة المميز الى تمييزه كخاتم حديد إذ المراد بالكف هنا ملؤه كما قدرنا (ويجيء الآخر بكسرة) بكسر الكاف القطعة المكسورة من الشيء ومنه كسرة الخبز وجمعها كسر كسدرة وسدر كذا في المصباح (حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير) حتي فيه غاية لمقدر أى جمعوا حتى اجتمع (فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة) في الاتيان بالفاء إيماء الى مزيد اهتمامه صلي الله عليه وسلم بشأن أمته وبما ينفعهم (ثم قال خذوا في أوعيتكم) أى واجعلوه أي المأخوذ في أوعيتكم فمتعلق الظرف محذوف والاوعية بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر العين المهملة جمع وعاء وهو مايوعى فيه الشيء اى يجمع (قال فاخذوا في أوعيتهم حتي) عاطفة على عموم الآنية (وما) تركوا (في العسكر) وهو الجيش قال ابن الجواليقي فارسي معرب كذا في المصباح (وعاء الاملؤه قال فاكلوا) اى بعد ملء الاواعى (حتي شبعوا وفضل فضلة) تقدم انه يجوز فتح العين في الغابر وضمها في المضارع وكسرها في الماضى وفتحها في المضارع وهما كما قال المصنف لغتان مشهورتان واما فضل كعلم يفضل كينصر فمن باب التداخل (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا إله الا الله وأنى رسول الله) فيه بيان كيفية اتيانه بشهادته لنفسه بالرسالة وجاء انه أذن فقال «وأشهد أن محمداً رسول الله» قال وفيه انه صلي الله عليه وسلم كان يجب

لا يَلْقى اللهَ بهمَا عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيُحجبُ عنِ الجنة» رواهُ مسلم *وعن عِتْبان بن مالكٍ رَضيَ الله عَنه وهُوَ مِمَّنْ شهد بدرا قالَ كُنت أُصلي لقَومي بنى سالم وكانَ يحول بيْني وبيْنهُم وَادٍ إذا جاءتِ الأمْطار فيشق علَيّ اجْتيَازهُ قَبلَ مسجدهم فجِئتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلتُ له إني أَنكَرتُ بَصرِي

عليه الايمان برسالته ونبوته (لا يلقي الله بهما عبد) بعد موته (غير شاك) يجوز رفعه صفة لعبد وهو الذي رأيته فى أصل مصحح ونصبه حالا منـه لتقدم النفى عليـه والمراد به اخراج المنافقين ممن قال ذلك بلسانه غير موقن بمضمونه بجنانه (فيحجب) بالنصب أي فيمنع (عن الجنة) بل لا بد من دخولها اما ابتداء مع الناجين أو بعد اخراج من النار (رواه مسلم) في كتاب الايمان * (وعن عتبان ابن مالك) بن عمرو بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن الخزرج الانصاري الخزرجي السالمي (رضى الله عنه) قال المصنف كابن الاثير فى أسد الغابة (وهو ممن شهد بدراً) قال ابن الاثير ولم يذكره ابن اسحاق فى البدريين وذكره غـيره ولم يخرج له الشيخان غير هذا الحديث الواحد ، مات فى خلافة معاوية وكان قائما بديات قومه الى أن مات رضى الله عنـه (قال كنت أصلي لقومى بنى سالم) أى لأجلهم والمراد انه يؤمهم كما صرح به أبو داود الطيالسي إماما بهم (وكان يحول بينى وبينهـم واد اذا جاءت الامطار) أي يحول السيل الكائن فيه عند مجيء الامطار (فيشق علي اجتيازه) أى الجواز فيه والمرور به (قبل) بكسر القاف وفتح الموحدة أى جهة (مسجدهم فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له انى أنكرت بصرى) كذا ذكره جمهور أصحاب الزهرى

وَأَنَّ الوَادِي الذِي بيني وبينَ قَوْمي يسيلُ اذا جاءَتِ الأَمطارُ فَيَشُقُّ عَلَى اجْتِيَازُهُ فَوَدِدتُ

وهو عند البخارى ومسلم فى بعض طرقه وعند مسلم من طريق أخرى « أصابني فى بصرى بعض الشئ » وعند الطبرانى « لما ساء بصرى » قال الحافظ وهو ظاهر في انه لم يعم اذ ذاك لكن أخرج البخارى من طريق أخرى عن محمود بن الربيع انه كان يؤم قومه وهو أعمى وانه قال يا رسول الله انها تكون الظلمة والسيل وأنا رجل ضرير البصر « قلت » وعند مسلم فى رواية انه عمى وقد جمع المصنف فى شرح مسلم بأنه أراد به بعض الشىء في تلك الرواية العمى وهو ذهاب البصر جميعه ويحتمل انه أراد به ضعفه وذهاب معظمه وسماه عمى فى الرواية الأخرى لقربه منه ولمشاركته في فوات بعض ما كان حاصلا في حال السلامة قال الحافظ ابن حجر ويجمع بأن قوله انه كان يؤم قومه وهو أعمى أراد ان عماه كان حين لقي محمود له وسمع فيه حديثه لا حين سأل عتبان النبي صلى الله عليه وسلم وقوله فيه له وأنا ضرير البصر كقوله أنكرت بصرى قال الحافظ وجمع ابن خزيمة بأن قوله أنكرت بصرى يطلق على من في بصره سوء وان أبصر بصراً ما وعلى من صار أعمى لا يبصر شيئا اه والأولى أن يقال أطلق عليه العمى لقربه منه ومشاركته له فى فوات بعض ما كان يعهده حال الصحة وبهذا تأتلف الروايات ، انتهى كلام الحافظ (وان الوادى الذي بيني وبين قومى يسيل) اسناد السيل الى الوادى اسناد مجازى من اسناد ما للحال الى المحل (اذا جاءت الامطار فيشق) بضم الشين المعجمة أى يصعب (على اجتيازه فوددت) بكسر الدال الأولى أى تمنيت وحكي الفراء فتح الدال فى الماضي والواو فى المصدر والمشهور فى المصدر الضم وحكى أيضاً الكسر فهو مثلث وتقدم التنبيه عليه فى باب فضل بر أصدقاء الاب

أَنكَ تأْتِي فتصلى فِي بَيْتِي مكَانًا أَتخذهُ مصلى فَقَالَ رَسولُ الله صلى الله عليهِ وسلم سأَفعل فغدا عليَّ رَسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رَضي الله عنهُ بعْدَما اشْتدَّ النهارُ واستأْذنَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فأَذنْتُ لهُ فلم يجلِسْ حتى قَالَ أَينَ تحبُّ

(انك تأتي فتصلى) هو باسكان الياء ويجوز النصب لوقوع الفاء بعد التمنى امكانا ظرف وقوله (اتخذه مصلي) صفة امكان وعند البخارى فاتخذه ويجوز فيه ما جاز فى يصلى من الرفع والنصب (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سأفعل) في البخارى بزيادة إن شاء الله قال الحافظ هو للتعليق لا لمحض التبرك كذا قيل ويجوز أن تكون للتبرك لاحتمال اطلاعه بالوحى علي الجزم بوقوع ذلك « قت » ويؤيده ادخال حرف التنفيس عليه وتقدم فى الكاشف انها فى مثله للتأكيد قال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى «أولئك سوف يؤتيهم أجورهم» ما لفظه وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة علي انه كائن لا محالة وان تأخر لكن اعترضه في التقريب بأن سوف للتأخير وأما جزم وقوعه فمن خارج وهو قرينة اخباره به سبحانه (فغدا على رسول الله صلي الله عليه وسلم) زاد الاسماعيلي بالغدو وعند الطبرانى فى بعض طرقه ان السؤال وقع يوم الجمعة وأن الوصول اليه كان يوم السبت (وأبو بكر رضى الله عنه) لم يذكر جمهور الرواة عن الزهرى غيره حتى ان فى رواية الاوزاعى «فاستأذنا فأذنت لهما» لكن عند مسلم فى طريق «فأتاني ومن شاء الله من أصحابه» وللطبرانى فى طريق آخر «فجاءني فى نفر من أصحابه» وجاء فى رواية ومعه أبو بكر وعمر ، ويحتمل الجمع بأن أبا بكر صحبه وحده ابتداء ثم عند الدخول اجتمع عمر وغيره فدخلوا معه (بعد ما اشتد النهار) قال فى النهاية أى علي وارتفعت شمسه (واستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذنت له فلم يجلس حتى قال أين تحب

أَنْ أُصلِّي منْ بَيْتِكَ فأَشَرْتُ لهُ إلى المـكانِ الذي أحِبُّ أَنْ يُصلِّيَ فيه فقام رسول اللهِ صلى الله عليه وسلَّمَ فكبر وَصففنا وراءهُ فَصلى ركعتينِ ثمَّ سَلمَ وسلمْنا حينَ سلم فَحبَسْنَهُ على خزيرةَ تَصنعُ له فسَمعَ أهْلُ الدَّارِ أَنَّ رسُولَ الله صلَى الله عليهِ وسلم في بَيْتي فثابَ رَجالٌ منهم حتى كَثرَ الرِّجالُ في البيتِ فقالَ رجلٌ

أن أصلي من بيتك) هذا لفظ احدى روايات البخارى وهو بين فى المراد أى انه لم يجلس حتي صلى بخلاف ما وقع منه فى بيت مليكة حيث جلس وأكل ثم صلي لانه هناك دعى الى الطعام فبدأ به وهنا الى الصلاة فبدأ بها ثم هو هكذا عند رواة البخارى ووقع عند الكشميهني وحده فى بدلها (فأشرت له الى المكان الذى أحب) أى أريد (أن يصلي فيه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي شرع فى الصلاة (وكبر وصففنا) المفعول محذوف أى أنفسنا ويمكن أن لاحذف والمراد فحصل منا التصاف (وراءه فصلي ركعتين ثم سلم وسلمنا حين سلم) فيه صحة الجماعة في النافلة المطلقة وان كانت لا تشرع فيها (فحبسته) عند البخارى فحبسناه أى منعناه من الرجوع (علي خزيرة) يأتي ضبطها ومعناها ففيه اكرام الضيف (تصنع له) في محل الصفة لما قبله (فسمع أهل الدار) أى المحلة لقوله صلى الله عليه وسلم « خير دور الانصار دار بنى النجار أى محالهم » والمراد أهلها (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فثاب رجال منهم) ثاب بالمثلثة و بعد الألف موحدة أي اجتمعوا بعد ان تفرقوا قال الخليل المثابة مجتمع الناس بعد افتراقهم ومنه قيل للبيت مثابة وفى المحكم يقال ثاب اذا رجع وثاب اذا أقبل « قلت » وكلا المعنيين هنا محتمل (حتى كثر الرجال في البيت فقال رجل منهم) قال

مَا فَعَلَ مَالِكٌ لَا أَرَاهُ فَقَالَ رَجُلٌ ذَلِكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُلْ ذَلِكَ أَلَا تَرَاهُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ تَعَالَى فَقَالَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ أَمَّا نَحْنُ فَوَاللهِ مَا نَرَى وُدَّهُ وَلَا

الحافظ لم يسم هـذا المبتدى (مافعل مالك لا أراه) أي ابن الدخيشن او الدخشن بالدال والخاء والشـين المعجمتين والنون شك فيه الراوى عنـد البخارى هل هو مصغر أو مكبر وعند أحد رواة البخارى بالميم بدل النون قال الطبراني عن احمد ابن صالح الصواب الدخشم بالميم قال الحافظ وهى رواية أبى داود الطيالسى وكذا لمسلم فى بعض طرقه (فقال رجل) قيل هو عتبان واستدل قائله لتسمية المبهم به بما لا دليل فيه على دعواه (ذلك منافق لا يحب الله ورسوله) تقدم ان محبة العبد لله وللرسول المراد منها انقياده لأحكامهما والدخول بالرضا تحت طاعتهما (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل ذلك) أى انه منافق (ألا تراه) أى ما تعلمه (قال لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله تعالى) فيه شهادة منه صلى الله عليه وسلم بالايمان له قال ابن عبد البر لم يختلف فى شهود مالك بدراً وهو الذى أسر سهيل بن عمرو ثم ساق الحديث باسناد حسن عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تكلم فيه «أليس قد شهد بدراً» قال الحافظ العسقلانى وفي مغازى ابن اسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث مالكا ومعن بن عدى فحرقا مسجد الضرار فدل على انه بريء من النفاق أو كان قد أقلع عن ذلك أو النفاق الذى اتهم به نفاق العمل لا نفاق الكفر وانما أنكر عليه الصحابة لتردده للمنافقين ولعل له عـذراً فى ذلك كما وقع لحاطب (فقال الله ورسوله أعلم اما) بتشديد الهمزة(١) أداة متضمنة لمعنى الشرط (نحن فوالله لا نرى) أي نعلم (وده ولا

---

(١) كذا فى أصله وصوابه تشديد الميم إذ الهمزة لاتشدد . ع

حديثه الا إلى المُنافقين فقال رسُول الله صلى الله عليه وسلّم فانّ الله قد حرّم على النار من قالَ لاَ الهَ الاَّ الله يبتغي بذلك وجهَ الله » متفق عليه (وعِتْبان) بكسر العين المهملة واسكان التاء المثناة فوق وبعدها باء موحدة (والخزيرة) بالخاء المعجمة والزاى هى دقيق يطبخ بشحم

حديثه الا الى المنافقين) الظاهر انه متعلق بوده والى فيه بمعني اللام فان الود تعدى بها ومفعول حديثه محذوف (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم على النار من قال لا اله الا الله محمد رسول الله) وقوله (يبتغى بذلك) أى القول (وجه الله) لاخراج من نافق بها لحقن دمه وحفظ ماله فلا يكون كذلك والمراد من تحريمها علي المؤمن الحقيقى تحريم خلوده فيها كما تقدم أو تحريم الدخول فى طبقة الكفار الخاصة بهم لا الطبقة المعدة لعصاة المؤمنين أو المراد تحريم دخولها بشرط حصول قبول العمل الصالح والتجاوز عن السيئ والله أعلم (متفق عليه) رواه البخارى فى مواضع من صحيحه وهذا سياقه فى بعضها ورواه مسلم فى كتاب الايمان بنحوه (وعتبان بكسر العين المهملة) قال فى شرح مسلم هذا هو الصحيح المشهور الذي لم يذكر الجمهور سواه قال صاحب المطالع وقد ضبطناه من طريق ابن سهل بالضم أيضا اه وكذا قال فى المغني نقل عن الزركشى بكسر العين وقد تضم ومقتضي قول الحافظ فى الفتح بكسر العين ويجوز ضمها جوازهما معا والله أعلم (واسكان المثناة الفوقية بعدها باء موحدة) وبعد الالف نون (والخزيرة بالخاء المعجمة) المفتوحة (والزاى) المكسورة وحكي فى المطالع أنها رويت فى الصحيحين بحاءين وراءين مهملات (هى دقيق يطبخ بشحم) وقال ابن قتيبة

وقوله ثَابَ رجال بالثاء المثلثة أيْ جاءُوا واجتَمَعوا » وعنْ عمر ابن الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ قال « قَدِمَ على رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بسبي فاذا امرأةٌ منَ السبي تسْعَى إذَا وجدَتْ صَبِيّاً

يصنع من لحم صغار ثم يصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق فان لم يكن فيه لحم فهو عصيدة وكذا ذكره يعقوب وزاد من لحم بات ليلة قل وقيل حساء من دقيق فيه دسم وحكي فى الجمهرة نحوه قال فى النهاية وزاد وقيل اذا كان من دقيق حريرة واذا كان من نخالة فخزيرة وحكي الازهري عن أبي الهيثم ان الحريرة من النخالة وكذا حكاه البخارى في الاطعمة عن النضر بن اسمعيل قال عياض والمراد بالنخالة دقيق لم يغربل قل الحافظ فى الفتح ويؤيد هذا التفسير قوله فى رواية الاوزاعى عند مسلم فحبسناه على جشيشة بجيم ومعجمتين قال أهل اللغة أن تطحن الحنطة قليلا ثم يلقي فيها شحم أو غيره اه (وثاب رجال بالثاء المثلثة) وآخره باء موحدة (أي جاؤا واجتمعوا) تقدم بـ طه * (وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قدم) بالبناء للمفعول (على النبي صلي الله عليه وسلم بسبى) احد الظرفين نائب الفاعل والآخر فى محل الحال والسبي بفتح المهملة وسكون الموحدة مصدر سبي كرمى يرمى والمراد منه اسم المفعول اى المسبي (فاذا) فجائية (امرأة) مبتدأ وقوله (من السبي) فى محل الصفة له والخبر جملة (تسعى) هذه رواية البخاري بالسين المهملة من السعى ورواية مسلم تبتغي بالموحدة والفوقية من الابتغاء وهو الطلب قال القاضي عياض ورواية مسلم وهم والصواب مافي رواية البخارى قال المصنف كلاهما صواب لا وهم فيه فهي ساعية وطالبة ومبتغية لابنها (اذا) ظرفية مضمنة معنى الشرط اى كل وقت (وجدت صبيا) الظاهر ان المراد به ما يشمل الانثى اى

فى السبي أَخَذَتْهُ فألزقته ببطنها فأَرْضَعتهُ فقالَ رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلم أَتُرَوْنَ هذه المرْأَةَ طارحة ولَدها فى النار قُلنا لا والله فقالَ اللهُ أرحَم بعباده من هذه بولدها » متفق عليه * وعنْ أبى هريرةَ رضى الله عنه قالَ «قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لما خلقَ اللهُ الخلقَ كتبَ في كِتَاب فهو عِنْدهُ فوق العرش انَّ رحمتى تغلب غضبي وفى رواية غلبت غضَبي وَفى رواية سبقتْ غضبي »

رضيعا (فى السبي أخذته فألزقته ببطنها) رحمة له (فارضعته) لذلك (فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم أترون) يحتمل أن تكون بفتح الفوقية اى اتعتقدون وأن يكون بضمها اى اتظنون (هذه المرأة) مفعول اول علي الاول وثان على الثاني والمرأة نعت واسم الاشارة بدل ، أوعطف بيان عليه (طارحة) حال علي الوجه الثاني و(ولدها) مفعول طارحة و(في النار) متعلق بطارحة (قلنا لا) أى لانرى ذلك وأكد عدم اعتقاد ذلك بالقسم فقال (والله فقال) اى النبي صلي الله عليه وسلم (الله) وفى نسخة من البخارى «والله لله» بادخال لام القسم عليه وفى أخرى لله من غير قسم قبله فاللام حينئذ اما للتوكيد أو جواب قسم مقدر (أرحم بعباده من هذه بولدها متفق عليه) اخرجه البخارى فى الادب ومسلم فى التوبة (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب) أى من صحف الملائكة والا فاقضية الله قديمة ازلية (فهو) ضمير شأن والخبر جملة ان مع اسمها وخبرها (عنده فوق العرش) ظرفان فى محل الحال حذف عاملهما اى اعنيه حال كونه عنده عندية شرف ومكانة فوق العرش (ان رحمتي تغلب غضبي وفى رواية) اى لهما (سبقت غضبي) قال المصنف قال العلماء

متفق عليه * وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « جَعَلَ اللهُ الرَّحمةَ مائةَ جُزْءٍ فأَمسَكَ عِنْدَهُ تِسعةً وتِسعينَ

غضب الله ورضاه يرجعان الي معنى الارادة فارادته الاثابة للمطيع ومنفعة العبد تسمى رضاه ورحمته، وارادته عقاب العاصى وخذلانه يسمي غضبا وارادته ، سبحانه صفة له قديمة يريد به جميع المراد قالوا والمراد بالسبق والغلبة هنا كثرة الرحمة وشمولها كما يقال غاب على فلان الكرم والشجاعة اذا كثر منه اه (متفق عليه) رواه البخارى فى الرقاق ومسلم فى التوبة (وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء) قال الدمامينى فى تعليق المصابيح على ابواب الجامع الصحيح اعلم انه يجوز عند المتكلمين فى تأويل ما لا يسوغ انسبته الى الله تعالى علي حقيقته اللغوية وجهان ، احدهما، الحمل على الارادة فيكون من صفات الذات ، والآخر ، الحمل على فعل الاكرام فيكون من صفات الفعل كالرحمة فانها في اللغة مشتقة من الرحم وحاصلها رقة طبيعية وميل جبلى وهذا مستحيل من البارى سبحانه فمنهم من يحملها على ارادة الخير ومنهم من يحملها على فعل الخير ثم بعد ذلك يتعين احد التأويلين فى بعض السياقات لمانع يمنع من الآخر مثالها ههنا فيتعين تأويلها بفعل الخير لتكون صفة فعل فتكون حادثة عند الاشعرى فيتسلط الخلق عليها ولا يصح تأويلها هنا بالارادة لانها من صفات الذات فتكون قديمة فيمتنع تعلق الخلق بها ويتعين تأويلها بالارادة فى قوله تعالى «لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم» لانك لو حملتها على الفعل لكانت العصمة بعينها فيكون استثناء الشيء من نفسه وكأنك قلت لا عاصم إلا العاصم فتكون الرحمة الارادة به والعصمة علي بابها لفعل المنع من المكروهات كانه قيل لا يمتنع من المحذور إلا من أراد الله له السلامة اه هذا وقد جاء في رواية لمسلم « كل رحمة طباق ما بين

وأَنْزَلَ فى الأَرْضِ جزءاً واحِداً فمِنْ ذَلكَ الجُزء يتَرَاحَمُ الخلاَئق حتي ترْفعُ الدابةُ حافرهاعَنْ ولَدِها خشْية أنْ تصيبه وفى رِوَايَة إنَّ اللهِ تعالى مِائَة رَحْمة أَنْزَل مِنها رحمةواحِدة بينَ الجن والانس والبَهائم وَالهَوام فبِها

السماء والارض » (فأمسك عنده تسعة وتسعين) جزءاً في رواية وأنه أخر عنده تسعة وتسعين رحمة (وأنزل في الارض جزءا واحدا) وفى رواية «وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة» (فمن ذلك الجزء) من يحتمل أن تكون تعليلية وأن تكون بمعنى الباء أو الابتداء أو التبعيض (يتراحم الخلائق فى رواية « فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش علي ولدها» (حتي ترفع الدابة حافرها) هو للفرس والحمار بمنزلة الظلف من البقر والخف من الجمل (عن ولدها خشية) مفعول له (أن تصيبه) وخص ذو الحافر بالذكر قال ابن أبي جمرة لانه أشد الحيوان المألوف الذى يرى المخاطبون حركته مع ولده ولما في الفرس من الخفة والسرعة فى التنقل ومع ذلك تتجنب أن يصل الضرر منها الى ولدها (وفى رواية) أي لهما من حديث ابي هريرة كما يقتضيه قول المصنف بعد «متفق عليه» ولكن رأيته في باب التوبة من مسلم ولم أره فى أبواب الادب من البخارى (إن الله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس) الظرف محتمل للحالية لوصف النكرة والوصفية لنكارتها (والبهائم) جمع بهيمة قال البيضاوى والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات أربع قال القرطبي سمي بهذا لانه بهم عن أن يبين قال الراغب البهيمة ما لا نطق له من الحيوان ثم خص في التعارف بما عدا السباع والطير ثم استعملت فى الازواج الثمانية اذا كان فيها الابل وسمي بذلك لابهامه الامر وكتمه (والهوام) بتشديد الميم جمع هامة وهى الحشرات وفى الفتح الهوام بتشديد الميم جمع هامة وهي مايدب من الاحناش (فبها) أي

يَتَعاطفونَ وَبِهَا يتراحمونَ وَبِها تَعطف الوَحش على ولدِهَا واخّرَ الله تسعًا وتِسعِينَ رَحمةً يَرحمُ بها عبادَه يومَ القيامة » متفقٌ عليهِ * وَرواهُ مُسلم أيضاً مِنْ رِوَايةِ سلمان الفارسي رضى الله عنهُ قالَ « قالَ رسُول الله صلى الله عليه وسلم انَّ للهِ تعالى مِائَةَ رحمَةٍ فمِنها رَحمَة يتَرَاحَم بها الخلق بينَهُم وَتِسعٌ وتسعُونَ ليومِ القيامَة» وَفى رِوَايةٍ « ان الله تعالى خلَقَ يومَ خلق السمٰوَات والأرض

بتلك الرحمة (يتعاطفون وبها يتراحمون وبها يعطف الوحش) بفتح الواو وهو مالا يستأنس من دواب البر كذا فى المصباح وهو اسم جنس فلذا أعاد الضمير عليه مؤنثا فقال (على ولدها وأخر الله تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة) ففيه ايماء الى مزيد الكرم وتقوية الرجاء فى فضل المولى سبحانه (متفق عليه) أخرجه البخارى بالرواية الاولي فى الادب ومسلم بروايته فى التوبة (وفى رواية مسلم) فى باب التوبة (أيضًا) انفرد بها عن البخارى وغيره (من رواية سلمان الفارسي رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى) دون غيره كما يؤذن به تقدم ماحقه التأخير وهو الخبر الظرف على الاسم وهو قوله (مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم) بمعنى المجرد والعدول الى التفاعل للمبالغة أى يرحم (بها الخلق بينهم وتسع) وفى نسخة مصححة من مسلم وتسعة بالتاء آخره (وتسعون ليوم القيامة) يحتمل أن تكون الواو عاطفة ويكون تسع مبتدأ خبره محذوف تقديره منها دل عليه ذكره فى الجملة قبلها والظرف حال سوغه خصوص المبتدأ بتقديم خبره الظرفي عليه ويحتمل أن يكون الظرف الخبر والاول أنسب بتمام التفصيل (وفى رواية) هي لمسلم في باب التوبة أيضًا (ان الله خلق يوم خلق السموات والارض

مِائَةَ رحمة كل رَحْمَةٍ طباق مَا بيْنَ السماءِ الى الأَرْضِ فَجَعل منْها فى الأَرض رَحْمةً فَبِهَا تَعْطف اوَالدةُ على ولَدِهَا وَالوَحش والطيْر بعْضُها على بعْض فإذا كانَ يوْم القيامَة أَكْمَلها بهذِه الرَّحمة » وعنه

مائة رحمة) أي مائة نوع من الانعام والافضال كما تقدم الايماء عليه فى كلام البدر (كل رحمة طباق) بكسر الطاء المهملة قال فى النهاية أي غشاء (ما بين السماء والارض) أى مايملأ ذلك لو كان جسما من كبره وعظمه (فجعل منها فى الارض رحمة فبها) أي بسببها ويحتمل أن تكون للتبعيض كهي فى قوله تعالى «يشرب بها عباد الله» ويؤيده أنها تعود في الآخرة وتكمل بها المائة فاظهر فى الدنيا بعض ثمراتها والبعض الي الآخرة أى فيبعضها (تعطف) بكسر الطاء (الوالدة على ولدها) قال فى المصباح عطفت الناقة على ولدها عطفا من باب ضرب حنت عليه ودر لبنها اه (والوحش والطير) قال أبو عبيدة وقطرب والطير يقع علي الواحد والجمع وقال ابن الانباري الطير جماعة وتأنيثها أكثر من التذكير ولا يقال للواحد طير بل طائر وقل مايقال للانسان (١) طائره وفى المصباح أنه جمع طائر مثل صاحب وصحب وراكب وركب وجمع الطير طيور وأطيار (بعضها) مبتدأ وقوله (علي بعض) أى يعطف وحذف مع كونه كونا لدلالة ماقبله عليه ويجوز اعراب بعضها بدلا مما قبله بدل بعض من كل (فاذا كان) أى وجد (يوم القيامة) وأتى باذا الشرطية لتحقق الامر (أكملها) أي التسعة والتسعين المدخرة عنده (الله بهذه الرحمة) قال المصنف هذه الاحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين قال العلماء لانه اذا حصل للانسان من رحمة واحدة فى هذه الدار المبنية علي الاكدار ، الاسلام والقرآن والصلاة والرحمة فى قلبه وغير ذلك مما أنعم الله به عليه فكيف الظن بمائة رحمة فى الدار الآخرة وهي دار القرار ودار الجزاء والله أعلم (وعنه) أى عن أبى هريرة لا عن سلمان كما قد

---

١ هكذا بالاصل ولعله للانثي . ع

عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عنْ ربهِ تبارك وتعالى قال « اذْنبَ عَبْدٌ ذنبا فقال اللهم اغفر لى ذَنبى فقال الله تبارك وتعالى أَذْنَبَ عَبْدِى ذَنْباً فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال اى رب اغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى اذنب عبدى ذنبا فعلم أَنّ لهُ رَبًّا يغفرُ الذنب ويأخذ بالذّنبِ ثمّ عادَ فأَذْنَبَ فقالَ أَى رَب

يتوهم من كونه أقرب (عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه تعالي قال اذا أذنب) أي أثم (عبدى ذنبا فقال اللهم اغفرلى ذنبي) فى الاتيان بالفاء ايذان بوجوب المبادرة الي التوبة عقب المخالفة (فقال تبارك وتعالى أذنب عبدى) اضافة تشريف هذا من كمال الكرم ومزيد الفضل أنه من فضله عليه بغفره عنه اضافه اليه اضافة تشريف وتكريم (ذنباً فعلم أن له ربا) كذا فيما وقفت عليه من نسخ الرياض وهو كذلك فى نسخة مصححة من مسلم وفى أخرى منه باثباتها وهو فى صحيح البخارى بلفظ « فقال ربه أعلم عبدى أن له ربا ؟ » وعلي هذا المعنى يحمل ما حذف منه الفاء والهمزة أى اعلم أن له ربا والاستفهام ليس علي حقيقته ولا يجوز أن يكون مما حذف فيه العاطف لانه لا يحذف إلا الواو فقط عند أمن اللبس (يغفر الذنوب جميعا) أي الكثيرة فما بالك بالذنب الراحد (ثم اد) أي بعد التوبة منه اليه أو الى ذنب آخر (فأذنب فقال اى) بفتح الهمزة المقصورة وحكى الكسائي أنها قد تمد أيضا كما قاله المرادى قال يحكي بعضهم أنها قد تمد اذا بعدت المسافة فيكون المد لها دليلا علي البعد وسكون الياء حرف نداء قيل للتعدية و ليه فأتي بها لكونه كالبعيد من حيث أنه لا يراه أحد سوى المصطفي صلى الله عليه وسلم من العباد فى الدنيا بالعين الشحمية وقيل إنها للقرب كالهمزة و ليه فالنداء بها لكونه أقرب الي كل من حبل الوريد ونادى ثانيا باي لما يومئ اليه العود الى الذنب من البعد

اغْفِرْ لِي ذَنبي فقَالَ تَبارَكَ وتَعالَى أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنباً فعَلِمَ أَنَّ لهُ رَبّا يَغفِرُ الذنبَ ويأخُذُ بالذنْب قَدْ غفَرْتَ لِعَبدِي فَلْيفعلْ مَاشاءَ »
«متفق عليه وقوله تعالَى فَلْيفعلْ مَاشاءَ أَيْ مادَامَ يفعل هكَذا يذنب ويتوب

وقلة الاهتمام بالديانة وعتب النداء بقوله (رب) بكسر الموحدة الدالة على الياء المضاف اليها المحذوفة ويحتمل ان يكون بفتحها دلالة على الالف المحذوفة المنقلبة اليها اليا تخفيفا ويحتمل ان يكون بضمها وهذه الوجوه الثلاث من جملة اللغات الست الجائزة فى المضاف الياء من مثله وكان النداء بلفظ الرب توسلا الى التكميل والتخليص من نقص المخالفة فأن الرب هو الذى يربى الشيء ويبلغه إلى كماله (اغفرلى ذنبي فقال الله تبارك وتعالى عبدى اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب) اى ان شاء ال فيه الجنس فيساوى لكونه مفردا محلي بال الجنسية الذنوب فى العموم والشمول (ويأخذ) اى يعاقب (بالذنب) وأتى به مظهرا تقبيحاله وتنبيها على داعي الاخذ وهو المخالفة (ثم عاد فاذنب ذنبا فقال اى رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى اذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدى) اى لتوبته الصحيحة المشير اليها «قوله اللهم اغفرلى» او بمحض الفضل وان لم يتب والاول أقرب وسيأتى في كلام المصنف ما يقويه (فليفعل ما شاء) اى من الذنب المعقب بالتوبة الصحيحة ففيه ان التوبة الصحيحة لا يضر فيها نقض بالذنب ثانيا بل مضت على صحتها ويتوب من المعصية الثانية وهكذا (متفق عليه) والسياق لمسلم اخرجه فى التوبة واخرجه البخاري بنحوه في التوحيد (وقوله فليفعل ما شاء اى مادام يفعل هكذا) اى مدة دوامه يفعل ذلك فما فيه مصدرية ظرفية وهو ظرف لقوله اغفر له وقوله هكذا فيه اجمال بينه بقوله (يذنب ويتوب) اى فلا يتوهم

أغفِرْ لَه فانَّ التوْبَةَ تهدم ماقبلَهَا » وَعَنه قالَ « قالَ رَسُول الله صَلّى الله عَلَيه وسَلّم وَالذى نفسي بِيدِه لوْ لَم تُذْنِبُوا لذَهَبَ اللهُ بكُمْ وَجاءَ بقَوْم يذْنِبُونَ فَيستَغفِرُونَ اللهَ تَعالى فيغْفِرْ لهُم » رواهُ مُسلِم* وعن أبي أيُّوب الأنْصَارى رضي الله عنـه قالَ سَمِعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لولا إنكم تذنبون لخلقَ الله خَلقاً يَذْنبونَ فَيَستَغفرونَ فَيَغفِرْ لهم » رواه مسلم

منه اباحة المخالفة واكتساب الآثام (اغفر له) وبين حكمة ذلك بقوله (فان التوبة الصحيحة الجامعة لشروطها ومتمماتها (تهدم) بكسر الدال المهملة اي تسقط (ما قبلها) اى من الذنب* (وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده) اى بقدرته والقسم أتى به لتأكيد المقام وتقويته عند السامع (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله) اى عقب الذنب فورا (فيغفر لهم رواه مسلم* وعن أبي ايوب الانصارى) واسمه زيد بن خالد وتقدمت ترجمته (رضى الله عنه) في باب بر الوالدين وصلة الارحام قال حين حضرته الوفاة كنت كتمت عنكم شيئاسمعته من رسول الله صلي الله عليه وسلم (سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لولا انكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم رواه مسلم) واحمد والترمذي كما فى الجامع الصغير و رواه مسلم ايضا بلفظ «لو أنكم لم يكن لكم ذنوب يغفرها الله لجاء الله بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم » و بهذا اللفظ أورده الصغاني فى المشارق ورمز بالقاف التى هى للمتفق عليه وقد رواه أحمد عن ابن عباس بلفظ لو لم تذنبوا لأتى الله بقوم يذنبون ليغفر لهم قال ابن مالك ليس هذا تحريضاً للناس على الذنوب بل كان صدوره لتسلية الصحابة وازالة

وعن أَبِى هُرَيرَةَ رَضِيَ الله عنْه قالَ « كُنا قعُوداً مَعَ رَسُول الله صلى الله عَلَيه وسَلم مَعَنا أبو بكرٍ وَعُمَرَ فِي نفرٍ فقَامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ بينِ أظهُرِ نا فأَبْطأَ عَلَيْنا وخشينا أنْ يُقتَطَعَ دونَنا ففَزِعنا

شدة الخوف عن صدورهم لان الخوف كان غالبا عليهم حتي فر بعضهم الى رؤس الجبال للعبادة وبعضهم اعتزل النساء و بعضهم النوم وفي الحديث تنبيه علي رجاء مغفرة الله تعالى وتحقق ان ما سبق في علمه كائن لانه سبق في علمه تعالى انه يغفر للعاصي فلوقدر عدم عاص لخلق الله من يعصيه فيغفرله » (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنا قعوداً) بضم أوله جمع قاعد (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معنا) بفتح العين من مع فيها على الظرفية هذه هى اللغة المشهورة ويجوز تسكينها فى لغة حكاها صاحب المحكم والجوهرى وغيرها وهي للمصاحبة قال صاحب المحكم مع اسم معناه الصحبة (أبو بكر وعمر فى نفر) بفتح اوليه جمع الرجال من الثلاثة الى التسعة وقيل الى السبعة (فقام رسول الله صلي الله عليه وسلم من بين أظهرنا) اى من بيننا باقحام المضاف وزيد لظهور كرنه بينهم(فابطأعلينا) اى تاخر مجيئه عنا كما فى المصباح (وخشينا ان يقتطع) بالبنا للمفعول اي يؤخذ (دوننا) ولعل ذلك كان قبل نزول قوله تعالي «والله يعصمك من الناس» او بعده وخافوا أن يصيبه من الضرر مادون القتل (ففزعنا) بكسر الزاى الفزع ياتى بمعنى الروع و ياتي بمعنى المبوب للشيء والاهتمام به و بمعني الاغاثة قال القاضي عياض فتصح هذه المعانى الثلاثة اي ذعرنا باحتباسه صلى الله عليه وسلم عنا الا تراه كيف قال وخشينا ان يقتطع دوننا و يدل على الوجهين الاخيرين قوله اي خفنا اى

فقُمنا فكُنتُ أولَ من فَزِعَ فخرجت أبْتَغِي رَسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم حَتى أتيتُ حائطاً للأنصَارِ وذكر الحديث بطوله إلى قَوْله فقالَ رسُول الله صَلى الله عَليهِ وسَلم إذْهَبْ فَمَن لقيتَ وراءَ هذا الحائِطِ يشهدُ أن لا إله إلا اللهُ مستَيْقناً بها قَلْبه فبَشِّرْه بالجَنة »

حصل لنا خوف وحذف المعمول لان القصد حصول الفعل دون تعلقه بمعمول (فقمنا فكنت اول من فزع اى) خاف (فخرجت أبتغى) اطلب (رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتيت حائطا للانصار) حتى فيه للغاية لمقدر تقديره فسرت والحايط البستان وجمعه حوايط قال المصنف سمي حائط لانه لا سقف له (وذكر الحديث بطوله) اى مما لا يتعلق غرض الترجمة به فلذلك حذفه ويؤخذ منه كما تقدم التنبيه عليه جواز تقطيع الحديث اذا كان لا تعلق للآتي به بالمحذوف بان لا يكون غاية ولا استثناء ولا نحو ذلك (الى قوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مخاطبا لابى هريرة (اذهب فمن لقيته) بكسر القاف (وراء هذا الحائط) أى البستان (يشهد أن لا إله الا الله) اى مع قرينتها التى لا يعتد بها الا معها وهى محمد رسول الله كما تقدم نظيره (مستيقنا بها قلبه) اي موقنا بها قلبه والسين فيها للمبالغة لان كثرة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبا وخرج بها المنافق (فبشره بالجنة) اما ابتداء ان مات عقب الاسلام قبل التلبس بكبيرة أو بعد الاسلام بمدة ولم يفعل معصية او فعلها وكانت صغائر وله حسنات لم تغلب عليها المعاصى او كانت كبائر فتاب منها او بعد ادخال النار مدة ان مات على صغائر زايدة على حسناته او علي كبيرة ولم يتب منها و يجوز ان يتفضل الله عليه فيدخله الجنة ابتداء قال تعالى «ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» وحذف المصنف ما اشار به عمر من ترك هذا التبشير مخافة مما يترتب عليه من ترك صالح العمل المقتضى لفوات المراتب العلية في الجنة فوافقه صلى الله عليه وسلم على ذلك

رواه مسلم * وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمْرو بنِ العاصِ رَضي الله عنهما أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم تلى قَوْلَ اللهِ تعالى في ابراهيمَ صلى الله عليه وسلم « ربِّ إنهنَّ أضلَلْنَ كثيراً من الناسِ فمن تبعني فإنهُ مني الآية » وقالَ عيسى صلى الله عليه وسلم « إنْ تعذّبهُمْ فإنّهم عبادكَ وإنْ تغفرْ لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » فرفع يديه وقال اللهمَّ أُمتي أُمتي

لعدم تعلق غرض الترجمة به (رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا) اى قرأ (قول الله تعالى في قصة ابراهيم صلى الله عليه وسلم) رب اي يارب بكسر الموحدة وحذف حرف الندا لمزيد الشهرة المستغني به عن النداء الكائن للبعيد عادة (انهن) يعنى الاصنام (اضللن) اى أوقعن فى الضلال (كثيرا من الناس) واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحياة الدنيا (فمن تبعنى) على دينى (فانه مني) اى بعضى لاينفك عنى فى امر الدين (ومن عصاني فانك غفور رحيم) تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة قال البيضاوى وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتي الشرك الا ان الوعيد فرق بينه و بين غيره اه وهذا مذهب الاشعرى وذهب المازريدى الى استحالة ذلك عقلا وعدم امكانه اصلا قال لان ذنبه لقبحه منع من جواز العفو (وقال) مصدر معطوف على قول الله تعالى قال القاضي عياض قال هو اسم للقول لا فعل يقال قال قولا وقالا وقيلا كانه قال وتلا (عيسي صلى الله عليه وسلم ان تعذبهم فانهم عبادك) أحقاء بالتعذيب لانك المالك المتصرف (وان تغفر لهم) اى المؤمنين منهم (فانك انت العزيز الحكيم) لمخيصه ان تعذب فعدل وان تغفر ففضل (فرفع) صلى الله عليه وسلم (يديه وقال اللهم أمتى أمتى) أي ارحمهم او الحظهم او نحو ذلك فهو

وَبكى فقالَ اللهُ عزّ وجلّ ياجبريلُ اِذهب اِلى محمدٍ وَرَبُّكَ أعلم فاسأله ما يبكيك فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول اللهِ صلى الله عليه وسلَمَ بمَا قال وهو اَعلم فقال الله تعالى ياجبريلُ اذْهَبْ اِلى محمدٍ فَقُلْ اِنا سنُرْضِيكَ فى أُمتكَ ولا نسُؤْكَ » رواه مسلم

مفعول به بعامل محذوف و يجوز ان يكون مبتدءا اى امتى عبادك فنعمتك فيهم فضل وعقابك عدل (و بكي) خضوعا لله وتذللا له (فقال الله ياجبريل اذهب الى محمد) وقوله (ور بك اعلم) جملة معترضة اتي بها لدفع توهم ان الاستفهام منه تعالى على حقيقته وهو استكشاف ما يجهله المستفهم بل علمه تعالى محيط بجميع المعلومات قبل وجودها فيه وفيه و بعد انقضائها وقوله (فسله ما يبكيك) معطوف على جملة اذهب وهو هكذا فى الاصول سله بحذف همزة الوصل والهمزة عين الفعل والاصل اسأله فنقلت حركة الهمزة الى السين فحذفت همزة الوصل لعدم الحاجة اليها والهمزة المنقول حركتها لالتقا الساكنين والاستفهام معلق للسؤال عن الجملة بعده (فاتاه جبريل اظهاراً لشرف المصطفى صلى الله عليه وسلم وانه بالمحل الاعلي عند مولاه فيسترضى و يكرم بما يرضيه (فأخبره صلي الله عليه وسلم بما قال) أى من قوله امتي امتى (وهو أي الله (اعلم) أى بما قال نبيه صلى الله عليه وسلم (فقال الله تعالى ياجبريل اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك فى أمتك) هو موافق لقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى (ولا نسؤك) قال صاحب التحرير هو تأكيد للمعنى أى لا نخزيك لان الارضاء قد يحصل في حق البعض بالعفو عنهم و يدخل الباقي النار فقال تعالى نرضيك ولا ندخل عليك خزيا بل ننجى الجميع (رواه مسلم) قال المصنف في الحديث أنواع من الفوائد منها بيان كمال شفقته صلى الله عليه وسلم على امته واعتنائه

* وعَنْ مُعاذ ابن جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عنه قال كُنتُ رِدْفَ النبى صلى الله عليه وسلم عَلَى حِمَارٍ فقَالَ يا مُعَاذُ أتدْرِى مَا حَقُّ اللهِ على عِبَادِهِ وَمَا حقُّ العِبَادِ على الله .

بمصالحهم واهتمامه بأمرهم ومنها البشارة العظيمة لهذه الامة زادها الله شرفا بقوله سنرضيك فى أمتك وهذا من أرجى الاحاديث لهذه الامة ومنها بيان عظمة النبى صلى الله عليه وسلم (وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت ردف) بكسر الراء وسكون الدال المهملة هذه الرواية المشهورة وهى التي ضبطها معظم الرواة وحكي القاضي عياض أن أبا علي الطبرى الفقيه الشافعي احد رواة الكتاب ضبطه بفتح الراء وكسر الدال قال والرديف هو الراكب خلف الراكب يقال منه ردفته اردفه بكسر الدال فى الماضى وفتحها فى المضارع اذا ركبت خلفه قال القاضي عياض ولا وجه لرواية الطبرى الا أن يكون فعل هذا اسم فاعل مثل عجل ان صحت رواية الطبرى اه (النبي صلى الله عليه وسلم علي حمار) جاء في رواية اخرى لمسلم على حمار يقال له عفير بضم المهملة وفتح الفاء وسكون التحتية قال المصنف وهو يقتضى أن يكون فى مرة غير المرة المتقدمة فى الحديث السابق فان الرحل يختص البعير قال ويحتمل أن يكونا قصة واحدة «قلت» ويجوز بالرحل عما يرحل عليه على مطلق الدابة والله اعلم (فقال يامعاذ هل تدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله) قال صاحب التحرير اعلم ان الحق كل موجود متحقق أو ما سيوجد لامحالة والله سبحانه هو الحق الموجود الازلى الباقي الابدى والموت والجنة والنار حق أى انها واقعة لامحالة فحق الله على العباد مايستحقه عليهم وحقهم عليه معناه محقق لا محالة اه ملخصا وقال غيره قول الرجل حقك واجب على أي متأكد قيامي به قاله

قُلْتُ اللهُ وَرَسولُهُ أَعْلَمُ قال فَإِنَّ حقَّ اللهِ على العِبادِ أَنْ يَعْبُدوهُ وَلاَ يُشرِكُوا بِهِ شَيْئاً وحقَّ العِبادِ على اللهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً فقُلْت يا رسولَ اللهِ فَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ قال لا تُبَشِّرْهم فيتّكلوا » متفق عليه * وعن البراء بنِ عازبٍ رَضيَ اللهُ عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ « المسلم إذا سُئِلَ في القبرِ يشهدُ أن لاَ إلهَ الا الله وأنَّ محمداً رَسُولُ الله فذلك قوله تعالى يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقولِ الثابت

المصنف (قلت الله ورسوله أعلم قال فان حق الله على العباد) أي واجبه الثابت عليهم (أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا) من المعبودات (وحق العباد) بالنصب عطفا على ماقبله ويجوز الرفع على الابتداء والواو عاطفة للجملة أو مستأنفة (على الله أن لايعذب من لايشرك به شيئاً) أي وإدخال بعض عصاة المؤمنين النار ليس من العذاب لان العذاب فيما قال بعضهم الالم مع الاهانة والاذلال والله تعالى اذا أدخل المؤمن النار فهو لتطهيره حتى يتأهل لمنازل الاخيار (فقلت يارسول الله أفلا أبشر الناس) أي أسكت عن نشر ذلك فلا أبشر الناس (قال لاتبشرهم فيتكلوا) رجح صلى الله عليه وسلم مصلحة ترك التبليغ لما فيه من الحث على الاكثار من صالح العمل على التبليغ لما قد يؤدي اليه من التعطيل (متفق عليه) رواه البخاري في التوحيد ومسلم فى الايمان (وعن البراء ابن عازب رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم) الحقيقي (اذا سئل فى القبر) على وجه الامتحان وحذف السائل للعلم به وهما الملكان الموكلان بذلك منكر ونكير والمسئول عنه للعلم به أي سئل عن ربه ونبيه (يشهد أن لااله الا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) أى الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن فى قلوبهم

في الحياةِ الدُّنيَا وفي الآخرة » متفقٌ عليه * وعنْ أنَسٍ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالَ « إنَّ الكافِرَ اذا عَمِلَ حَسَنَةً أُطعِمَ بهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنيا وأما المؤمِنُ فإن الله يدَّخرُ لَهُ حسنَاته فِي الآخرةِ ويُعْقِبهُ رِزقاً في الدُّنيَا على طاعَتِهِ * وفي رِوَايةٍ انَّ اللهَ لاَ يَظْلِمِ مُؤْمناً حسنةً يُعْطَى بهَا في الدُّنيا

(متفق عليه) رواه البخاري في التفسير ومسلم في صفة النار ورواه النسائي في الجنائز (وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ان الكافر) بأي نوع من أنواع الكفر (إذا عمل حسنة) أي طاعة لا تتوقف على نية كإعتاق وتصدق واطعام محتاج أما المتوقفة عليه كالصيام والصلاة فلا تصح منه لفقد شرط النية المتوقفة عليه من الاسلام وانما حكم بصحة غسل الكتابية من نحو الحيض لحلت لحليلها للضرورة ولذا تجب إعادته اذا أسلمت (أطعم) بالبناء للمجهول (بها طعمة) بضم الطاء وسكون العين المهملتين وهو الرزق وجمعه طعم كغرفة وغرف قاله في المصباح (من الدنيا) في محل الصفة لطعمة فيكون ذلك حظه من عمله الذي جاء به (وأما المؤمن) ظاهره وان كان فاسقا ويحتمل تخصيصه بكامل الايمان (فان الله يدخرله حسناته في الآخرة) أي ثوابها الي الآخرة وقد يجزى بها مع ذلك في الدنيا أيضا كما قال (ويعقبه) بضم التحتية أي يعطيه مع ذلك (رزقا في الدنيا علي طاعته) ولا مانع من جزائه بها فيهما وقد ورد الشرع به فيجب اعتقاده قاله المصنف (وفي رواية) هي لمسلم أيضا (ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة) أي لا يترك مجازاته بشيء من حسناته والظلم يطلق بمعني النقص وحقيقة الظلم محالة في حقه تعالى (يعطى) بالبناء للمفعول (بها في الدنيا) أحد

ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل لله تعالى في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها » رواه مسلم * وعن جابر رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات »

الظرفين نائب الفاعل والآخر في محل الحال (ويجزى بها) أي ثوابا مع ذلك (في الآخرة) وجملة يعطى الخ استئنافية جواب مايقل ماذا يكون له بها (وأما الكافر فيطعم) بالبناء للمفعول أي يرزق (بحسنات ماعمل بها) الباء الأولى للسببية والثانية للبدل أي بدلها وقوله (لله) في محل الحال من فاعل عمل وفيه تنبيه على أن جزاء الكافر علي عمله بالحسنة الدنيوية أنما هي فيما اذا كان العمل الصالح لله لا لرياء أو سمعة وفيه ايماء الي إحباطهما ثواب العمل وصفة الثواب دنيا وأخري (حتى اذا أفضي) أي صار (الى الآخرة) أي وقد مات علي كفره (لم يكن له حسنة يجزى بها) أما اذا أسلم الكافر علي مثل هذه الحسنات فيثاب عليها في لآخرة علي المذهب الصحيح (رواه مسلم) فى آخر أبواب صفة الجنة والنار * (وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم مثل) بفتح أوله وثانيه المثلث تقدم معناه (الصلوات الخمس كمثل) الكاف زائدة (نهر) بسكون الهاء ويجوز فتحها وهما لغتان في كل ما كان هكذا وعينه حرف حلق كشعر ونحر (جار) جاء في رواية عند أحمد بزيادة «عذب» قال في النهاية الماء العذب هو الطيب الذى لاملوحة فيه (غمر) بفتح الغين المعجمة وسكون الميم أي يغمر من دخله و يغطيه (على باب أحدكم) أشار به الى سهولته وقرب تناوله (يغتسل منه كل يوم خمس مرات) زاد في رواية أحمد فما يبقى ذلك من الدنس

رواه مسلم (الْغَمْرُ الكثير) * وعنْ ابن عباسٍ رضي اللّه عنهما قالَ سَمِعْتُ رَسولَ الله صَلى اللّه عليهِ وسلم يَقولُ ما من رجل مسلم يموتُ فَيَقُوم عَلى جنَازته أرْبعون رجلاً لاَ يُشْرِكُونَ باللّه شيئاً إلاَّ شفَّعَهُمُ الله فيه » رواه مسلم * وعنِ ابنِ مسعودٍ رَضي الله عنه قال كُنا مع رَسول الله صلى الله عليه وسلم فى قُبَّةٍ

وما فيه استفهامية والدنس الوسخ أى كما أن الغسل المكرر كذلك يذهب الدنس الحسي كذلك الصلوات الخمس مذهبة للدنس المعنوى (رواه مسلم) فى كتاب الصلاة والامام أحمد في مسنده بزيادة نبهت عليها (الغمر الكثير) كما فى النهاية * (وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول مامن) زائدة لتأكيد العموم المستفاد من (رجل مسلم) لكونه نكرة في سياق النفى وذكره لشرفه وإلا فالمرأة كذلك في ذلك (يموت فيقوم) بالرفع عطفا على يموت ويجوز النصب لانه فى جواب النفي (علي جنازته أربعون رجلا) أي يصلون عليه (لايشركون بالله شيئا) من الاشراك (الا شفعهم الله فيه) أى بأن يغفر له ولا ينافيه حديث الطبراني وأبى نعيم فى الحلية عن ابن عمر مرفوعا « مامن رجل يصلى عليه مائة الا غفر له » إما لان العدد لامفهوم له وعلي الاعتداد بمفهومه فما فى الصحيح مقدم علي غيره وان جمع فيحمل ماعند الطبرانى علي انه صلي الله عليه وسلم أخبر بما فيه فأخبر به ثم تفضل الله علي عباده بحصول ذلك العدد المذكور فى الصحيح فأخبر به صلي الله عليه وسلم ثانياً (رواه مسلم) فى الجنائز (وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فى قبة) بضم القاف وتشديد الموحدة من الخيام بيت صغير مستدير وهو من بيوت العرب قاله في النهاية

نحواً من أربعينَ فقالَ أترضَوْنَ أنْ تكونوا رُبُعَ أهلِ الجنة قلنا نعم قال أترضَوْنَ أن تكونوا ثُلثَ أهْلِ الجنةِ قلنا نعم قال والذى نفسُ محمدٍ بيدِهِ إنى لأرْجو أن تكونوا نِصفَ أهلِ الجنة

(نحوا من أربعين) يجوز أن يكون نحواً حالا والظرف قبله خبر كان ويجوز عكسه (فقال أترضون أن تكونوا ربع) بضم أوليه وكذا ثلث (أهل الجنة قلنا نعم قال) أى بعد ان أخبر بثبوت ذلك (أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذى نفس محمد بيده) أتي بالقسم وباسمه صلي الله عليه وسلم مظهرا تأكيدا الأمر وتفخيما له (اني لأرجوا أن تكونوا نصف أهل الجنة) قال العلماء كل رجاء جاء عن الله تعالي أو عن النبي صلي الله عليه وسلم فهو كائن ألبتة وانما أتى فيه بصيغة الرجاء دون صيغة الجزم على عادة الملوك فى وعد مايقطعون بفعله يقولون عسى تعطى ذلك وهم جازمون قال القرطبي وهذه الطماعية قدحققت له بقوله تعالى « ولسوف يعطيك ربك فترضي » و بقوله « إنا سنرضيك فى أمتك » كما تقدم لكن عللوا هذه البشرى بالطمع أدبا مع الحضرة الالهية ووقوفا مع أحكام العبودية قال المصنف والحكمة فى قوله « ربع أهل الجنة ثم ثلث أهل الجنة » ثم الشطر ولم يقل اولا شطر أهل الجنة ان ذلك أوقع فى نفوسهم وابلغ فى اكرامهم فان اعطاء الانسان مرة بعد أخرى دليل علي الاعتناء به ودوام ملاحظته وان ذلك فيه تكرير البشارة مرة بعد أخري وفيه حملهم على تجديد شكره تعالى وحمده على كثرة نعمه قال المصنف وقد جاء فى الحديث الآخر « ان أهل الجنة مائة وعشرون صفا هذه الأمة منها ثمانون صفا » فهذا دليل علي انهم يكونون ثلثى أهل الجنة ولا يشكل ذلك على حديث الباب بل يكون صلي الله عليه وسلم اخبر بما فى حديث الباب أولا ثم زاده الله فى العطاء فاخبر به بعد وله نظائر كحديث « صلاة الجماعة

وذلكَ أنَّ الجنةَ لا يدخلها إلاَّ نفسٌ مسلمةٌ وما انتم فى أهلِ الشِّرْكِ إلاَّ كالشَّعْرَةِ البيضاءِ فِي جلدِ الثورِ الأسودِ أو كالشعرةِ السوداءَ فِي جلدِ الثورِ الأحمرِ » متفق عليه * وعن أبي موسي الأشعري رضى الله عنه قال « قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيه وسلم اذا كانَ يومُ القيامة دُفِعَ إلى كل مُسلم يهوديًا أَوْ نصرانيًا فيقالُ هذا فَكَاكُكَ مِنَ النار

تفضل صلاة الفذ بخمس وعشرين وفى رواية سبع وعشرين» ثم بين وجه ذلك بقوله (وذلك) أى التبشير المشار اليه (أن الجنة) اى لان الجنة (لايدخلها الا نفس مسلمة) هذا نص صريح في أن من مات على الكفر لايدخل الجنة اصلا وهذا النص علي عمومه باجماع المسلمين (وما أنتم فى أهل الشرك) من سائر الامم ومنهم ياجوج وماجوج (الا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود أو) شك من الراوى (كالشعرة السوداء فى جلد الثور الاحمر) يعني الابيض (متفق عليه) أخرجه البخارى فى الرقاق ومسلم في الايمان ورواه الترمذى وابن ماجه في الجنة (وعن ابي موسى الأشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه وسلم اذا كان) اى وجد (يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيًا) يحتمل أن يقال إنهما مقيدان لمطلق الكافر الوارد فى رواية أخرى لمسلم عن أبي موسي مرفوعا «اذا كان يوم القيامة أعطي كل رجل من هذه الامة رجلا من الكفار» ويحتمل أن لايقيد بل هو من ذكر بعض الافراد وهى لاتقيد (فيقول) اى الله عز وجل (هذا فكاكك من النار) وعند مسلم فى الحديث الذى ذكرناه عنه هذا فداؤك من النار « قال المصنف » الفكاك بفتح الفاء وكسرها والفتح أفصح وأشهر وهو الخلاص والفداء (وفى رواية) هى لمسلم أيضًا (عنه) أي عن أبى موسى (عن النبي صلي الله عليه وسلم قال

* وفي روايةٍ عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يجيء يوم القيامةِ ناسٌ مِنَ المسلمين بذُنوبٍ أمثال الجبال يغفرها الله لهم » رواه مسلم (قوله) دَفَعَ اِلى كُلِّ مسلم يهوديًا او نصرانيًا فيقال هٰذا فِكَاكُكَ مِنَ النارِ معناه ماجاء فِي حَدِيث أبي هريرة لِكلِّ اَحَدٍ منزلٌ في الجَنةِ وَمنزلٌ في النارِ فالمؤمنُ اِذَا دخَلَ الجنةَ خَلَفَهُ الكافرُ فِي النارِ لِأَنه مستحقٌ

يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب) اى عظيمة كما يؤخذ من قوله (أمثال الجبال يغفرها الله لهم) اقتصر المصنف على هذا القدر من الحديث لحصول غرض الترجمة وهى الرجاء به وتتمته « و يضعها على اليهود والنصاري » فهو بمعنى الحديث الذى قبله قال المصنف رحمه الله ومعناه ان الله يغفر ذنوب المسلمين بفضله و يسقطها عنهم و يضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم فيدخلهم النار بعملهم وهذا التأويل لابد منه لقوله « ولا تزر وازرة وزر اخرى » فقوله يضعها مجاز اى يضع مثلها عليهم بذنوبهم لكن لما اسقط تعالي عن المسلمين سيئاتهم وابقي علي الكفار سيئاتهم صاروا في معني من حمل اثم الفريقين لكونهم حملوا الاثم الباقى وهو آثامهم و يحتمل ان يكون المراد آثاما كان الكفار سببا فيها بان سنوها فيسقط عن المسلمين بعفو الله و يوضع علي الكفار مثلها لكونهم سنوها ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها (رواه مسلم قوله دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا) ليس هو علي ظاهره من وضع اعمال المؤمنين على الكافرين لان الله تعالى يقول « ولا تزر وازرة وزر أخرى » لكن (معناه ماجاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لكل أحد) أي سواء كان مسلما أو كافرا (منزل من الجنة ومنزل من النار فالمؤمن اذا دخل الجنة) أي منزله فيها (خلفه الكافر في النار لانه مستحق

لِذلِكَ بِكُفْرِهِ ومَعْنى فِكاكُكَ أَنَّكَ كنتَ معرَّضاً لِدُخولِ النار وهذا فِكاكُكَ لِأَنَّ اللهَ تعالى قدر للنار عدداً يَمْلَؤُها فاذَا دخلها الكفارُ بذنوبهم وكُفرهم صاروا فى مَعْنى الفِكاكِ للمسلمينَ وَاللهُ أعلم *

وعن ابنِ عُمَرَ رَضى الله عنهما قال سَمِعْتُ رَسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ يدنى المُؤْمنُ يوم القيامة من ربِّهِ حتى يَضَعَ عليه كنفه فَيُقَرِّرُهُ بذنوبه فيقولَ أَتعرِفُ ذنْبَ كذا أَتعرِفُ ذنْبَ كذا فيقولُ رَبِّ أَعرِفُ قالَ فإنى قدْ سترتها عليكَ فِى الدُّنيا

لذلك) أى دخول النار (بكفره ومعنى فكاكك) من النار (انك كنت معرضا لدخول النار) أى لو كنت خذلت (وهذا فكاكك) أي بمنزلته صورة (لان الله تعالى قدر للنار عددا يملؤها فاذا دخلها الكافرون بذنوبهم وكفرهم صاروا في معني الفكاك للمسلمين) من حيث إن بهم تم عدد أهل النار فامنها المسلمون قال المصنف قال عمر بن عبد العزيز والشافعى هذا الحديث أرجي حديث للمسلمين وهو كما قالا لما فيه من التصريح بفداء كل مسلم وتعميم الفداء ولله الحمد اه * (ومن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى) بالبناء للمفعول أى يقرب (المؤمن يوم القيامة من ربه) قرب مكانة لاقرب مكان قال المصنف هو دنو كرامة واحسان لادنو مسافة والله تعالى منزه عن المسافة (حتى يضع عليه كنفه) بفتح الكاف والنون أى ستره (فيقرره بذنوبه) ويسترها عن سائر أهل المحشر (فيقول ألا تعرف ذنب كذا) تقدم أنه من ألفاظ الكنايات ويكني به عن المجهول وما لا يراد التصريح به (فيقول رب اعرف قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا) بان لم يطلع عليها أحد

وَأَنَا أَغفرها لكَ اليَوْمَ فَيُعطى صَحِيفة حسناته » متفق عليه (كنفه) ستره ورَحْمته * وعن ابن مسعودٍ رضِي اللهُ عنه أنّ رَجلاً أَصابَ من امْرَأَةٍ قُبْلةً فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأَخبرَهُ فأَنزلَ اللهُ تعالى «أقِمِ الصلاةَ

من الناس ويحتمل سترها حتي عن الملكين مبالغة فى الستر (وأنا أغفرها لك اليوم) عطف على الجملة المحكية بالقول (فيعطي صحيفة) أى كتاب (حسناته متفق عليه) أخرجه البخاري فى الرقاق ومسلم فى صفة الجنة والنار (كنفه) بفتح أوليه كما تقدم (ستره ورحمته) قال فى شرح مسلم ستره وعفوه اه فالرحمة هنا مجاز عن الاحسان (وعن) عبد الله (بن مسعود رضي الله عنه أن رجلا) عند ابن أبى خيثمة زيادة من الانصار يقال له معتب وقد جاء اسمه كعب بن عمرو وهو أبو اليسر بفتح التحتية والسين المهملة الأنصاري أخرجه الترمذى والنسائي والبزار عن أبى اليسر بن عمرو نفسه وذكر بعض الشراح أن اسمه نبهان التمار وقيل عمرو بن غزيه وقيل عامر بن قيس وقيل عباد قال الحافظ بعد ذكر قصتي نبهان وعمرو ومن أخرجهما فان ثبت حمل أيضا على التعدد قال الحافظ العسقلاني وظن الزمخشرى أن عمرو بن غزية اسم أبى اليسر فجزم به فوهم وعباد اسم جد أبى اليسر فلعله نسب ثم سقط شيء وأقوى الجميع انه أبو اليسر اه ملخصا (أصاب من امرأة قبلة) أخرج قصته الترمذى ومن معه عنه قال «أتتنا امرأة وزوجها قد بعثه صلي الله عليه وسلم في بعث فقالت له بعني تمرا بدراهم قال وأعجبتنى فقلت لها ان فى البيت تمرا أطيب من هذا فانطلق بها معه فغمزها وقبلها ثم فزع حتى قالت له اتق الله فخرج فلقى أبا بكر فقال تب ولا تعد ثم أتى النبي صلي الله عليه وسلم» الحديث (فأتي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فانزل الله تعالي أقم الصلاة)

طرفَيِ النهارِ وَزُلَفاً منَ الليلِ إنّ الحسنات يذهِبْنَ السيئاتِ » فقالَ الرجلُ أَلِيَ هذَا يا رسولَ اللهِ قالَ لجميعِ أُمتي كلِّهِمْ » متفق عليه

كذا هو بحذف الواو فى الصحيحين والتلاوة باثباتها (طرفى النهار) اى غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لأنه مضاف اليه (وزلفا من الليل) أى ساعات منه قريبة من النهار فانه من أزلفه اذا قربه وهو جمع زلفة قال المصنف ويدخل فى صلوات طرفى النهار الصبح والظهر والعصر وفي زلفا من الليل المغرب والعشاء وقرئ زلما بضمتين وبضمة فسكون كبسر بالغتين فى بسرة وزلفى بمعني زلفة كقربى وقربة (ان الحسنات يذهبن السيآت) يكفرنها وفى الحديث « ان الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر » قال الامام الرازى وفى تفسير الحسنات قولان قال ابن عباس معناه الصلوات الخمس مكفرة سائر الذنوب اذا اجتنبت الكبائر وقال مجاهد الحسنات قول سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر وقد حكاهما المصنف فى شرح مسلم (فقال الرجل ألى هذا يا رسول الله) يعنى خاص بى أى ان صلاتى تذهب معصيتى وظاهر هذا ان القائل هو السائل وعند أحمد والطبراني من حديث ابن عباس فقال يارسول الله ألى خاصة أم للناس عامة فضرب عمر بصدره فقال لا ونعمة عين بل للناس عامة فقال صلي الله عليه وسلم صدق عمر وهذا من اجتهاد عمر الموافق للصواب لكن جاء عند مسلم فى رواية « فقال معاذ يا رسول الله أله وحده أم للناس » ووقع مثله عند الدارقطني قال الحافظ ويحمل علي تعدد السائلين وقوله ألى بفتح الهمزة استفهام والظرف بعده خبر مقدم وهذا مبتدأ مؤخر وقدم عليه خبره لافادة التخصيص (قال لجميع أمتي كلهم) والمكفر بالحسنات صغائر الذنوب المتعلقة بحق الله تعالى كما قاله المصنف (متفق عليه) أخرجه البخارى في التفسير ومسلم فى التوبة

٭وعن أَنَسٍ رضي الله عنه قالَ جاءَ رَجُلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالَ يارَسولَ اللهِ أصبْتُ حَدًّا فأَقِمْهُ عليَّ وحَضَرَتِ الصلاةُ فَصلَّى مع رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فلما قَضي الصلاةَ قال يا رَسُولَ الله إنّي أَصَبتُ حَدًّا فأقِمْ فِيَّ كِتابَ اللهِ قالَ هلْ حَضَرْتَ مَعَنا الصلاةَ قالَ نَعَمْ قال قَدْ غُفِرَ لكَ » متفق عليهِ (وقوله) أَصَبتُ حَدًّا مَعْناهُ مَعْصِيَةً توجِبُ التعزيرَ وَلَيْسَ المراد الحدَّ الشرعيَّ الحقيقيَّ كَحَدِّ الزِّنا والخمرِ وغيرِهِمَا فإنَّ هَذِهِ الحُدُودَ لا تَسقُطُ بِالصلاة ولا يجوز لِلامامِ تَرْكُهَا

(وعن أنس رضى الله عنه قال جاء رجل) قال الشيخ زكريا فى تحفة القارئ هو أبو اليسر (الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أصبت حدا) أي مقتضيه والمراد من الحد ما فيه التعزير أو توهم ان فيه حداً مخصوصاً (فأقمه على وحضرت الصلاة فصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى الصلاة) أى أتمها معه صلى الله عليه وسلم (قال يا رسول الله اني أصبت حداً فأقم فى كتاب الله قال هل حضرت معنا الصلاة قال نعم قال قد غفر لك) قال المصنف هذا المقتضى للحد فى كلامه معناه معصية من المعاصى الموجبة للتعزير وهى هنا من الصغائر لانها كفرتها الصلاة ولو كانت كبيرة موجبة لحد أو غيره موجبة له لما كفرتها الصلاة فقد أجمع العلماء على أن المعاصى الموجبة للحد لا تسقط الحد بالصلاة وهو معنى قول المصنف هنا (قوله أصبت حداً معناه معصية توجب التعزير وليس المراد الحد الشرعي الحقيقي كحد الزنا والخمر وغيرهما فان هذه الحدود لا تسقط بالصلاة) أي بعد تعينها كما يعلم من الوجه الآتي (ولا يجوز للامام تركها) قال المصنف في شرح

وعنه قالَ قالَ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم إنَّ اللهَ ليرضَى عَنِ الْعَبْدِ أنْ يأْكلَ الأَكلةَ فيحمدُهُ عليهَا أوْ يَشربَ الشربةَ فيحمده عليها» رواه مسلم (الأَكلةُ) بفتح الهمزة وَهيَ المرةُ الواحدةُ من الأكل كالغداءِ والعشاءِ وَالله أعلم وعن أبي موسى رضي الله

مسلم وهذا هو الصحيح فى تفسير هذا الحديث وحكي القاضي عن بعضهم ان المراد به الحد المعروف قال وانما لم يحده لانه لم يفسر موجب الحد ولم يستفسره صلي الله عليه وسلم عنه ايثارا للستر بل استحب تلقين الرجوع عن الاقرار بموجب الحد صريحا (متفق عليه) أخرجه البخارى في المحاربين ومسلم فى التوبة (وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليرضى) المراد منه فى حقه تعالى غايته من القبول أو ارادته (عن العبد أن يأكل الاكلة فيحمده عليها) يحتمل أن يكون قبل أن لام التعليل أى لأجل أو بسبب أكله ويحتمل أن يكون أن ومدخولها بدل من العبد بدل اشتمال ومرضى منه هو الحمد علي الأكل والشرب ويحمد روى بالرفع والنصب قال بعض شراح الشمائل والظاهر من حيث العربية الأول أى يرضى أكله المسبب للحمد مع ان نفعه لنفسه فكيف بالحمد علي ما لا نفع له فيه بوجه (أو يشرب الشربة فيحمده عليها) يعني يرضى لاحد هذين النعماين ايا كان وليس هو بشك من الراوى خلافا لزاعمه وفى الحديث حصول أصل سنة الحمد باى لفظ اشتق من مادة ح م د بل بما يدل على الثناء على الله تعالى (رواه مسلم) في باب الحمد ورواه أحمد والترمذى في جامعه وشمائله والنسائى كلهم من حديث أنس (الأكلة بفتح الهمزة وهي المرة الواحدة من الاكل كالغداء والعشاء) و بضمها اسم للقمة قال بعض شراح الشمائل و يرجحه ملاءمته للشربة «قلت» بل هو ملائم للفتح (والله أعلم وعن أبي موسى) وهو الاشعرى (رضي الله

عنهُ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنّ الله تعالى يَبْسُطُ يدهُ بِاللّيلِ لِيَتوبَ مُسيءُ النهارِ وَيَبْسُطُ يدهبالنهارِ لِيَتوبَ مُسيءُ اللَّيلِ حتى تَطلُعَ الشمسُ مِنْ مَغرِبها » رواه مسلم * وعَنْ أبي نَجيحٍ عَمْرِو بنِ عَبَسةَ بفتح العين وَالباءِ السُّلَمِيِّ رَضي الله عنه

عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط) بضم السين (يده بالليل ليتوب مسيء النهار و يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل) قال المصنف معناه يقبل التوبة من التائبين نهارا وليلا (حتى تطلع الشمس من مغربها) ولا يختص به قبولها بوقت و بسط اليد استعارة في قبول التوبة قال المازرى المراد به قبول التوبة وأنما ورد لفظ بسط اليد لأن العرب اذا رضى أحدهم الشيء بسط يده لقبوله واذا كرهه قبضها عنه فخوطبوا بامر يفهمونه وهو مجاز فان اليد بمعنى الجارحة محال عليه تعالى (رواه مسلم) فى باب التوبة وكذا أحمد (وعن أبي نجيح) ضبطه صاحب المغنى بفتح النون وكسر الجيم وسكون التحتية بعدها حاء مهملة وقيل كنيته أبو شعيب (عمرو ابن عبسة بفتح العين) المهملة (والباء) الموحدة ثم سين مهملة علي وزن عدسة قال المصنف فى التهذيب هـذا الضبط لا خلاف فيه بين أهل الحديث والأسماء والتواريخ والسير والمؤتلف وغيرهم من أهل الفنون ورأيت جماعة ممن ضبط ألفاظ المهذب يزيد فيه نونا وهو غلط فاحش ومنكر ظاهر نبهت عليه لئلا يغتر به وعبسة هو ابن عامر بن خالد بن عاصرة بن عتاب ويقال ابن غفار بن امريء القيس بن بهثة بموحدة مضمومة ثم هاء ساكنة ثم مثلثة ابن سليم بن منصور بن عكرمة بن خفصة بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة ابن قيس عيلان بالمهملة ابن مضر بن نزار (السلمي) الصحابى الصالح أسلم عمرو (رضى الله عنه) رابع أربعة وحديث هجرته هو الحديث المذكور وقدم المدينة بعد الخندق فسكنها ثم نزل الشام، روى

قَالَ كُنْتُ وَأَنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ على ضَلَالَةٍ وأُنهم ليسوا على شيء وهُمْ يعبدونَ الأوثانَ فسَمِعتُ بِرَجُلٍ بمكة يخبر اخباراً فقَعَدْتُ على راحِلَتِي فقَدِمتُ عليهِ فاذا رسُولُ الله صلى الله عليهِ وسلَّم مُسْتخفياً جُرَّاءُ عليه قَوْمهُ

له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية وثلاثون حديثا روى مسلم منها الحديث المذكور وروى عنه جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وأبو أمامة وسهل بن سعد وجماعة من التابعين سكن حمص وتوفي بها اهـ ملخصا (قال كنت وأنا فى الجاهلية) هى ما قبل الاسلام سموا به لكثرة جهالاتهم والجملة حال من اسم كان وخبر كان جملة (أظن أن الناس على ضلالة وانهم ليسوا على شيء) ينفعهم عند الله تعالى (وهم يعبدون الاوثان) جملة حالية من اسم ليس والاوثان جمع وثن قيل هو الصنم بمعنى وعليه اقتصر المصباح فى مادة وثن وزاد في مادة صنم قوله وقيل الصنم المتخذ من الجواهر المعدنية والوثن المتخذ من حجر أو خشب وقال ابن فارس الصنم ما يتخذ من خشب أو نحاس أو فضة اهـ (فسمعت برجل بمكة) الباء الثانية ظرفية (يخبر أخباراً) بفتح الهمزة أى أخباراً عجيبة الشأن عظيمة الموقع فالتنوين فيه للتعظيم (فقعدت على راحلتي) أى ركبت عليها مسافرا (فقدمت) بكسر الدال (عليه فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا) حال من ضمير خبر المبتدأ المحذوف تقديره كائن أى هو حال كونه مستخفيا اى مستترا من الكفار الاشرار (جراء) بضم الجيم وتشديد الراء بعدها همزة ممدودة جمع جريء من الجرأة وهي الاقدام والتسلط وسيأتي فيه بسط عند ذكر المصنف الاختلاف فى ضبطه وهو حال مترادفة أو متداخلة وقوله (عليه قومه) الظرف

فَتَلَطَّفتُ حتي دَخلتُ عليه بمكة فقلت له ما أَنتَ قالَ أَنا نبيٌّ فقلت وما نبيٌّ قالَ أَرسلني الله فقلت بِأَيِّ شيءٍ أَرْسَلَكَ قالَ أَرْسَلَني بصِلَةِ الأَرْحَامِ وكسرِ الاوثانِ وأَنْ يُوَحدَ اللهُ لاَ يُشْرَكُ بِهِ شيءٌ قلت فمن معك على هذا قالَ حُرٌّ وعَبْدٌ ومعه

متعلق به وقوله فاعله لانه وصف اعتمد على ذى الحال (فتلطفت) أي ترفقت فى الامر مع قرشي (حتى دخلت عليه بمكة فقلت له ما أنت) قال البيضاوى كما تقدم نقله عنه ما يسأل به عن كل شيء مالم يعرف فاذا عرف خص العاقل اذا سئل عن تعيينه وإن سئل عن وصفه قيل ما زيد فقيه أم طبيب اه ولما كان مسئول عمرو عن وصف النبي صلي الله عليه وسلم قال ما أنت ويدل له قوله صلي الله عليه وسلم له (قال أنا نبي) وكذا قال المصنف فى شرح مسلم قال ما ولم يقل من لانه سأله عن صفته لا عن ذاته وما لصفات من يعقل اه (فقلت وما نبي) أى ما حقيقة النبي المميزة له عن سواه (قال أرسلني الله) أى أرسل الله إياى (قلت بأى شيء ارسلك) لما عمم النبي صلى الله عليه وسلم بحذف معمول ارسل استفهمه عمرو عنه وسأل بيانه (فقال أرسلني بصلة الارحام وكسر الاوثان وأن يوحد الله) بالمضارع المبني للمفعول وكذا فى قوله (لا يشرك) بالرفع ونائب فاعله شيء من قوله (به شيء) قال المصنف هذا فيه دلالة ظاهرة علي الحث على صلة الأرحام لان الله تعالى قرنها بالتوحيد ولم يذكر له جزئيات الامور وانما ذكر مهمها وبدأ بالصلة « فان قلت » ما الحكمة فى أنه أتي بالمصدر فى الاولين وبان والفعل فى الثالث « قلت » الاشارة الى تجديد ذلك الثالث كل آن ذكرا بقول لا إله الا الله فقد ورد الامر بالاكثار منها مع ما فيه من التفنن فجمع التعبير المورث للكلام نظرية وتحسينا (قلت فمن معك علي هذا قال حر وعبد ومعه

يومَئِذٍ أبو بكرٍ وبلالٌ رَضي الله عنهما فقلت إني متبعك قال إنك لَنْ تَستَطيعَ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا ألاَ تَرَى حالى وحالَ الناسِ ولكن ارْجِعْ إلى أهْلِكَ فإذا سمِعت بى قَدْظهرتُ فأتنى قالَ فَذَهَبتُ إلَى أهْلِي وقَدِمَ رَسُول الله صلَى الله عليه وسلم المدينةَ وكنت في أهلِي فجعلت أتَخَبَّرُ الأخبارَ

يومئذ) المراد باليوم فيه مطلق الحين أى حينئذ (أبو بكر وبلال رضى الله عنهما) وكان الاقتصار عليهما مع تقدم اسلام خديجة علي اسلامهما اذ هى أول الناس اسلاما واسلام علي أيضا قيل انه أسلم قبل الصديق وان كان الراجح خلافه لانهما كاملان فى الرجولية والبلوغ فقد كان علي حينئذ صبيا (فقلت اني متبعك) أى على اظهار الاسلام هنا واقامتي معك (قال انك لانستطيع ذلك يومك هذا) أى فى هذا الزمن الحاضر وذلك لضعف شوكة الاسلام فيخاف عليك من أذى كفار قريش (ولكن ارجع الى أهلك) قال القاضي عياض ليس معناه أنه رده دون اسلام وانما رده عن صحبته واتباعه لانه كان في أول الاسلام وقبل قوته فخاف عليه لغربته أن تهلكه قريش أو تفتنه اه وحينئذ فتقدير الكلام كما أشار اليه المصنف «لكن قد حصل أجرك فابق علي اسلامك وارجع الى قومك واستمر على اسلامك حتى تعلمني ظهرت» (فاذا سمعت بى قد ظهرت فأتنى) فيه معجزة للنبى هى اعلامه بأنه سيظهر فكان كما أخبر (فذهبت) أى رجعت (الى أهلي وقدم) بكسر الدال (رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة) منصوب على التوسع كدخلت المسجد أو على حذف الجار (وكنت فى أهلى) أى مقيما فيهم (فجعلت) من أفعال الشروع (أتخبر الاخبار) أى أتكلف الوقوف عليها وأعاني ذلك

وَاسأَلُ النَاسَ حينَ قَدِمَ المدينةَ حتى قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ اهْلِ المدينةِ فَقُلْت ما فعل هَذَا الرجُلُ الذى قَدِمَ المَدينةَ فقالوا النَّاسُ إلَيهِ سِراعٌ وقَدْ أرادَ قومُهُ قتله فلم يستَطيعوا ذَلكَ فَقَدِمتُ المدينةَ فدخلت عليه فقلت يارسول الله أتعرِفني قال نعم أنتَ الذى لقيتَنى بمكة

(وأسأل الناس حين قدم المدينة) أي وقت قدومه لها (حتى قدم نفر من أهل المدينة) غاية لتخبره وسؤاله والنفر كما تقدم مرارا بفتح أوليه مابين الثلاثة والتسعة وقيل السبعة من الرجال ومعني قوله من أهل المدينة أى المقيمين بها القاطنين فيها (فقلت مافعل هذا الرجل) أتي باسم الاشارة الموضوع لان يستعمل فى المشار اليه الحاضر اليه تفخيما لشأن المصطفي صلى الله عليه وسلم وان حقه لكمال مجده أن لا يغيب عن النفوس بل لا تزال مشاهدة بعين لبها الجمال كماله (الذى قدم المدينة فقالوا الناس اليه سراع) بكسر السين أى مسرعين (وقد أراد قومه) أى كفار قريش (قتله) بانواع من المكر والخديعة المذكورة عنهم فى كتب السير (فلم يستطيعوا ذلك) بل رد الله كيدهم فى نحرهم وحفظ نبيه صلى الله عليه وسلم من ذلك (فقدمت المدينة) أى امتثالا لقوله « فاذا سمعت بي ظهرت فأتنى » (فدخلت عليه فقلت يارسول الله أتعرفني قال نعم) وسؤاله لطول مدة غيبته ثم هو فى نسخ الرياض هكذا ووقع فى مسلم بلفظ قال بلي قال المصنف في شرحه فيه صحة الجواب ببلي وإن لم يكن قبلها نفي وصحة الاقرار بها وهو صحيح في مذهبنا وشرط بعض أصحابنا أن يتقدمها نفي أو نهي و به يعلم أن ماهنا ان لم يكن فى بعض نسخ مسلم اختلاف من تحريف الكتاب « قلت » وان اعتبر تقدم النفى ان يقول تقدير الكلام أما تعرفني و يكون قرينة تقديرها قوله فى الجواب بلى والله أعلم

قالَ فقلت يارسولَ الله أخبرني عما علمك الله وأجهله أخبرني عنِ الصلاةِ قالَ صلِّ صلاةَ الصُّبْحِ ثمَّ أقْصُرْ عنِ الصلاةِ حتى ترتفع الشمسُ قِيدَ رُمْحٍ فإنها تطْلُعُ حين تطلع بين قرني شيطانٍ وحينئذٍ يسجدُ لها الكفارُ

(قال فقلت أخبرني عما علمك الله) العائد ضمير نصب محذوف أى علمكه قال المصنف هكذا هو وهو صحيح ومعناه أخبرني عن حكمه وصفته وبينه لى اه «قلت» ويحتمل أن يكون عن للتعليل كما قيل به فى قوله تعالى «وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك» أي لاجله وقوله (واجهله) يحتمل أن يكون أتي به على وجه الاطناب ويحتمل أن يكون الاحتراز عما علمه منه صلى الله عليه وسلم فى اجتماعه السابق به (أخبرنى عن الصلاة) أى النافلة (قال صل الصبح ثم اقصر) بضم الصاد أى اقعد (عن الصلاة) أى النفل المطلق الذي لا سبب له او له سبب متأخر (حتي تطلع الشمس حتي ترتفع) يحتمل أن يكون بدلا مما قبله ويحتمل أن يكون غاية بعد غاية لتحريم النفل المذكور قال المصنف فيه أن النهي عن الصلاة بعد الصبح لا يرتفع بنفس الطلوع بل لا بد من الارتفاع والمراد ارتفاعها كرمح في رأي العين ثم النافلة تحرم من صلاة الصبح الى ارتفاعها علي من صلى الصبح اما من لم يصلها فلا تحرم عليه إلا من طلوع الشمس لا قبل، الى الغاية المذكورة (فأنها) أى الشمس (تطلع) بضم اللام (حين تطلع) أى وقت طلوعها (بين قرنى شيطان) سيأتي بيان معناه وتنكير شيطان لتحقيره وقرناه ناحيتا رأسه قال المصنف وسمى شيطانا لتمرده وعتوه وكل مارد عات شيطان والاظهر انه مشتق من شطن اذا بعد لبعده من الخير والرحمة وقيل من شاط اذ اهلك واحترق أى فالمصلى حينئذ كالساجد للشيطان (وحينئذ يسجد لها الكفار) أى وحين تطلع بين قرنيه، قال القاضى عياض هذا يدل علي صحة

تأويل من جعله علي ظاهره وان الشيطان يفعل ذلك و يتطاول لها ليخادع نفسه ان السجود له (ثم صل) اى ماشئت من النفل (فان الصلاة مشهودة محضوره) أى يحضرها الملائكة فهي أقرب الى القبول وحصول الرحمة قال في فتح الاله اى تحضرها ملائكة النهار لتكتبها وتشهد بها لمن صلاها فهى بمعني رواية مشهودة مكتوبة خلافا لمن زعم ان بينهما فرقا أو أن هذه أحسن (حتى يستقل) من القلة لا من الاقلال الذى هو الارتفاع وهو غاية لقوله صل (الظل بالرمح) المغروس بالارض وهذا من باب القلب كطينت الطين بالقصر وعرضت الناقة على الحوض أى حتى يستقل الرمح بالظل أي يبلغ ظله ادنى غاية النقص ففيه محسن القلب من المبالغة المتولدة عنه لافادة كون الرمح صار بمنزلة الظل فى القلة والظل صار بمنزلة الرمح فى عدم وجود شيء فى الارض الا بمقدار مركزه وذلك لان ظل الشاخص يكون اول النهار طويلا الى جهة المغرب ثم ما زاد يتناقص الي أن يصل الى غايته وذلك وقت الاستواء أو يزول بميل الشمس الي ناحية لمغرب وتحول الظل الى جهة الشرق وهذا هو وقت الزوال الذى به يدخل وقت الظهر و يزول وقت النهي والظل الموجود عند الاستواء يسمى ظل الزوال لوجوده عنده في أكثر البلاد قبل ظهور الزيادة واقول لايحتاج الى هذا التكلف لان الباء للالصاق والرمح كناية عن الشاخص والتقدير حتى يقل الظل الملصق بالشاخص أى ينتهي الى غاية قلته أوحتي ينتهى أى يرتفع الظل الملصق بالشاخص عما حواليه حتي لا يبقي على الارض منه الا نذر لا يظهر ببادى الرأى وماذكرهو ما فى نسخ مسلم المعتمدة وفى بعض نسخه حتي يستقل الرمح بالظل وقال القاضي عياض معنى «قوله يستقل الظل » بالرمح اى يكون ظله

ثم اقْصِرْ عنِ الصلاَةِ فانه حينئذٍ تسجر جهنم فاذا أقْبَلَ الفيء فصلِّ فانَّ الصلاةَ مشهودةٌ محضورةٌ حتي تصلى العَصرَ

قليلا كانه قال حتى يقل ظل الرمح والباء زائدة جاءت لتحسين الكلام وقد جاء في رواية أبي داود حتى يعدل الرمح ظله قال الخطابي هذا اذا قامت الشمس وتناهي قصر الظل، وادرى موافقة هذا ليعدل ولعل معنى يعدل هنا يكون مثله في الظل لا يزيد كما لا يزيد الرمح في طوله أو يكون يعدل بمعني يصرف كان الرمح صرف ظله عن النقص الى الزيادة ومن الميل الي المغرب الى الميل الى المشرق واضافها الى الرمح لانه سبب، فالمصنف لا يرتضي هذا الكلام منه وقال القاضي عياض كلام عجيب في تفسير الحديث نبهت عليه لئلا يغتر به اه وفي هذه الجملة حجة على مالك في تجويزه الصلاة عند الاستواء مطلقا مستدلا بانه لم يزل يرى الناس يصلون حينئذ يوم الجمعة وما استدل به لا ينهض له لان يوم الجمعة مستثنى (ثم اقصر عن الصلاة فانه حينئذ تسجر) أي تهيج بالوقود (جهنم) وتسجر بتقدير ان المصدرية قبله اسم ان على حد قوله تعالى «ومن آياته يريكم البرق» أو اسمها ضمير شأن وما قيل انه لا يحذف لان القصد به التعظيم وهو يفوت بحذفه مردود بان سبب دلالته على التعظيم ابهامه وحذفه ادل على الابهام ومن ثم حذف في قوله تعالي «من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم» (فاذا أقبل الفيء) أي الى جهة المشرق والفيء مختص بما بعد الزوال وأما الظل فيقع علي ماقبل الزوال و بعده وفي التهذيب للمصنف نقلا عن ابن قتيبة في أدب الكاتب انما سمي بعد الزوال فيئا لانه ظل فاء من جانب الى جانب أي رجع والفيء الرجوع (فصل فأن الصلاة مشهودة محضوره حتى تصل العصر) قال المصنف فيه دليل على ان النهى لا يدخل بدخول وقت العصر ولا بصلاة غير الانسان وانما يكره لكل بصلاته حتى لو أخرها عن اول الوقت

ثم أقصِرْ عنِ الصلاةِ حتى تَغرُبَ الشَّمْسُ فانها تغرب بينَ قرنَيْ شيطانٍ وَحِينَئذٍ يسجدلها الكفارُ

لم يكره التنفل اه ومراده أخرها عن أول الوقت لما تقرر أنها من الاصفرار يكره لمن صلى ولغيره (ثم اقصر عن الصلاة) أى النافلة التي لاسبب لها أو لها سبب متأخر (حتي تغرب فانها تغرب بين قرني شيطان) فى تنكيره مامر (وحينئذ يسجد لها الكفار) هذه حكمة النهى وليست بعلة لعدم اطرادها والا لنهي عن ذات السبب وفي مكة أيضا وقال العز بن عبد السلام التعليل بذلك لا يظهر لان تعظيم الله في وقت يسجد فيه لغيره أولي لما فيه من ارغام اعدائه ولو صح التعليل فاي فرق بين ذى السبب وغيره اه «وأجيب» بانها حكمة فلا يلزم اطرادها ووجه اختصاصها بغير ذي السبب وبوقتي الطلوع والغروب ان أنشاء صلاة لاسبب لها في هذا الوقت فيه نوع تشبه بالكفار فى عبادتهم للشمس حينئذ وقد نهينا عن التشبه بهم بل وعما يؤدى اليه أو يوهمه ولا شك أن ايقاع ذلك حينئذ يستلزم ذلك بخلاف ذات السبب كالعيد والضحى بناء على دخول وقتهما بالطلوع فان ظهور السبب الحامل عليها ينفي ذلك وقد ذكر ابن الاثير ما يؤيد ذلك وهو أن كلا من هذين وقت لظهور سلطانها وانفصالها فكره لئلا يتوهم تعظيم شأنها كما هى عادة الملوك عند قدومهم وانفصالهم «فان قلت» انما يتضح ذلك اذا كان السبب غير نفس الطلوع أما اذا كان هو الطلوع كما فى المثالين المذكورين فكيف يظهر ما ينفي ذلك «قلت» الظهور وعدمه انما هو بالنسبة الى نية المصلي فحيث نوى سببا انتفى ذلك عند من علم بنيته وحيث لا فلا وبه يتضح الجواب عما يقال الصلاة عندنا للقبلة وسجود الكفار انما هو لجهة الشمس فكيف يتأتى التشبه أو ايهامه وجوابه ماتقدم أن نية الصلاة حينئذ لالسبب يوهم أن للشمس باعتبار ظهور سلطانها وانفصالها حينئذ دخلا فى ذلك

قال فقلت يارسول الله فالوُضوءُ حدّثني عنه فقالَ ما منكم رجلٌ يقرّبُ وضوءَهُ فيتمضمضُ ويستنشقُ فيستنثرُ إلا خرّتْ خطايا وجهه وفيهِ وخياشيمهِ ثم اذا غسلَ وجهه كما أمرهُ الله

فامتنعت لذلك وانما حرمت النافلة من بعد صلاتى الصبح والعصر قبل طلوعها وغروبها مع انتفاء الحكمة أو العلة لان ما قارب الشيء أعطي حكمه كما حرمت مباشرة مابين سرة الحائض وركبتها لانه حريم الفرج وأيضا فعباد الشمس ربما تهيؤا لتعظيمها من أول ذينك الوقتين فيرصدونها الى أن تظهر فيخروا لها سجدا فلو أبيح التنفل حينئذ لكان فيه تشبه بهم أو ايهامه أو التسبب اليه (قال فقلت يارسول الله فالوضوء حدثني عنه) أى من حيث الفضيلة بدليل الجواب (فقال مامنكم رجل يقرب وضوءه) بفتح الواو أى يحضر ما يتوضأ به وخص بالذكر لانه يترتب عليه من الثواب مالا يترتب على من يزاول مشقة في تحصيل الماء وإحضاره (فيتمضمض) سكت عما يسن قبلها من نحو التسمية لعله لعلمه أنه يعلم ذلك أو لأن الغرض ذكر مافيه ثواب عظيم من أعمال الوضوء لاسيما ما اختلف فى وجوبه كالمضمضة (ويستنشق) الواو بمعنى ثم (فيستنثر) أى يجذب الماء بخياشيمه ثم يدفعه ليزيل ما في أنفه من الاذي (الا خرت خطايا وجهه وفيه) «خرت» بالخاء المعجمة علي المختار كما يأتى اى سقطت صغائر خطاياه ثم يحتمل ان يراد خطايا جميع وجهه وان لم يظهر الا بعضه لانه أقذر مافيه فخرت خطاياه الآتي بعد كناية عن مزيد التطهير ويحتمل أن يراد بعضه لذكر كله الآتى فعطف (وخياشيمه) بيان لذلك البعض المبهم والخياشيم جمع خيشوم وهو أقصى الانف وقيل عظام رقاق فى أصل الانف بينه وبين الدماغ وقيل غير ذلك (ثم اذا غسل وجهه كما أمره الله) أى بقوله عزوجل «اذا قمتم

إلاَّ خَرَت خطايا وجهِهِ منْ أطرافِ لحيتهِ معَ الماءِ ثمّ يَغسِلُ يديْهِ الى المِرْفَقيْنِ إلاَّ خرّتْ خَطايا يديهِ منْ أناملهِ معَ الماء ثم يمسحُ رأْسه الا خرت خطايا رأْسهِ منْ أطْرافِ شعرِهِ معَ الماءِ ثم يَغْسِلُ قَدَميه إلى الكَعْبَيْنِ

الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم» وفائدة قوله كما أمره الله الايماء الى وجوب الترتيب فى الوضوء عند من يوجبه كامامنا الشافعى المأخوذ وجوبه من الآية لما فيه من الفصل بالمسح بين مغسولين والعرب سيما الفصحاء منهم لا توسط أجنبيا بين متجانسين الا لحكمة هى هنا وجوب الترتيب لا تنبه لان الآية لبيان واجبات الوضوء والايماء الى المبادرة بامتثال هذا الامر والمسارعة اليه عند من لا يقول بوجوب الترتيب لان كونه أمرا لله يحمل العاقل على امتثاله والاتيان به على الوجه الاكمل وذكر هذا في أول فروضه فيه للتنبيه على انه مراعي فى باقيها فلم يحتج لتكرير (إلا خرت خطايا وجهه) ان قلت الوجه لا يتصور منه خطايا في العادة إلا باعتبار منافذه وقد غفرت خطايا منفذين فلم يبق الاخطايا البصر «قلت» يحتمل أن يراد هنا بعضه الباقي وهو العينان ويحتمل أن يراد الثلاثة وفائدته أن الاولين لو لم يطهرا بأن غسل وجهه أولا كفرت خطاياهما وان لم يغسلا بواسطة غسل ظاهر الوجه (من اطراف لحيته) عبر بها للغالب والا فمن لا لحية له كالامرد والمرأة كذلك (مع الماء) فى العطف بهما دلالة لوجوب الترتيب (يغسل يديه الى المرفقين الا خرت خطايا يديه من) اطراف (أنامله مع الماء ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء) ذكره للغالب أيضا (ثم يغسل قدميه الى الكعبين) فيه دليل لمذهب العلماء كافة أن الواجب غسل الرجلين وقالت الشيعة الواجب

لَأخرتْ خطايا رِجليْهِ منْ أنامِلهِ مَعَ الماءِفإنْ هوَ قامَ فصلّى فحمدَ اللهَ وأثنى عليهِ ومجّدهُ بِالذي هولهُ أهلٌ وفرّغَ قلبهُ للهِ تعالى إلا انْصرفَ منْ خطيئتهِ كهيئتهِ يومَ ولدتهُ أمّهُ

مسحهما وقال ابن جرير هو مخير وقال بعض الظاهرية يجب الغسل والمسح حكاه المصنف فى شرح مسلم (الا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء) وما بعد الا الاولي مستثنى من مقدر هو خبر ما أي ما منكم رجل متصف بذلك كائنا على حال من الاحوال الا علي حال خروج خطايا وجهه وما وأسمها مقدران فيما بعد ثم الاولى وفيما بعد ثم الثانية وهكذا كما دل عليه العطف أى ثم ما منكم رجل متصف بغسل وجهه كائنا على حال الا على حال خروج خطايا وجهه وهكذا (فان) شرطية (هو) أى المتوضئ الدال عليه سياق الكلام وسباقه وزرافعه فعل الشرط محذوف يفسره (قام) ولحذفه برز ضميره المستكن فيه (فصلى فحمد الله) أى أثنى عليه بالصفات الثبوتية (وأثنى عليه) بالتنزيه عما لا يليق به وقيل هما بمعنى والعطف للتأكيد (ومجده) بتشديد الجيم أى وصفه (بالذى هو) سبحانه (له أهل) من أوصاف المجد وهو العز والشرف كما في المصباح وقدم الخبر أي له على المبتدا لافادة الاهتمام والاختصاص (وفرغ قلبه لله تعالي) هو بتشديد الراء المبالغة فى تنظيف القلب وتنزيهه من دنس التعلق بغير المولى سبحانه والركون الى سواه ومن سائر الشواغل والخواطر لله تعالى دون غيره ولو ثوابا لان ربط القصد به ينافى مقام الكمل المشار اليه بقوله تعالى «فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً» وجواب أن الشرطية مقدر أى فلا ينصرف خارجا من شيء من الاشياء (الا انصرف) خارجا (من خطيئته) أى صغائره فيصير متطهراً منها (كهيئته) أى طهارته من كل خطيئة (يوم ولدته أمه) وقصرنا التشبيه على

تحدَّثَ عَمْرُو بن عبسةَ بِهذَا الحديثِ أباأُمامةَ صاحبَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فقالَ لهُ أبو أُمامةَ يا عَمْرُو بنَ عَبسةَ انْظُرْ ماتقولُ فِي مقامٍ واحدٍ يعطَى هذا الرَّجلُ فقال عَمْرو ياأَباأُمامةلقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي ودَقَّ عظْمِي واقْترَبَ أَجلِي وَمَابي حاجةأَنْ أَكذِبَ على اللهِ تعالى وَعلَى رسولهِ صَلَى اللهعليهوسلم لوْ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم

ماذكرنا لقيام الادلة عليه و كون التطهير من الذنوب بمعنى ازالتها بعد وقوعها ومن المدلول بمعنى عدم وجودها لاينافى التشبيه وقدرنا الجواب نفيا لانه فى سياق النفى بما والالا لوجوبه لجواز قرأت الايوم كذا (تحدث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا امامة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) وأبو امامة كنيته واسمه صدى بضم المهملة الاولى وفتح الثانية وتشديد التحتية ابن عجلان و تقدمت ترجمته فى باب التقوى (فقال له أبوامامة ياعمرو)يجوز ضمه وفتحه او صفه بقوله (ابن عبسة) المتعين فيه النصب لكونه مضافا (أنظر) بضم الظاء أى تفكر وتأمل (ما تقول فى مقام) بفتح الميم أى مكان (واحد يعطي هذا) الثواب العظيم (لرجل) وليس ذلك منه استبعاداً ولا استعجابا من سعة الفضل إنما هو استكشاف لليقين وحذراً من وهل(١) عمرو في ذلك (فقال عمرو يا أباأمامة لقد كبرت) بكسر الباء الموحدة أي تقدمت (سنى) أى عمرى قال فى المصباح السن واحد الاسنان وقد يعبر بالسن عن العمر « قالت » وعليه فتأنيث الفعل لانها بمعنى المدة (ورق عظمي) أى نحف ونحل (واقترب اجلى) أى قرب والاتيان بالتاء مبالغة فى ذلك(وما بى حاجة) أى داعية (أن أكذب علي الله تعالى ولا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي فى أوالى ان اكذب (لولم اسمعه من رسول الله صلي الله عليه وسلم

---

(١) غلط ونسيانه يقال وهل كفرح معناه غلط ونسي

إِلا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَينِ أَوْ ثَلاَثاً حتي عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ ماحدثت بهِ أَبَداً وَلكني سمِعْتُه أَكْثَرَ مِنْ ذلكَ رواهُ مُسلِم (قوله) جُرَآءُ عليه قومه هو بجيمٍ مضمومةٍ وبالمدِّ على وَزْنِ عُلَماء أَيْ جاسرونَ مستطيلونَ غيرَ هائبينَ هَذِهِ الرواية المشهورةُ * ورَواه الحميديُّ وغيره حِرَآء عليهِ بكسرِ الحاءِ المهملةِ

إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا) منصوبات على الظرفية (حتى عد سبع مرات) أى بان قال أو أربعا الي أن قال أو سبع مرات (ماحدثت به أبدا ولكني سمعته أكثر من ذلك) قال المصنف هذا الكلام قد يستشكل من حيث إن ظاهره أنه لا يري التحديث الا بما سمع أكثر من سبع مرات ومعلوم أن من سمع مرة واحدة جاز له الرواية بل تجب عليه اذا تعين لها وجوابه أن معناه لو لم أتحققه وأجزم به لما حدثت به وذكر المراتب بيانا لصورة حاله ولم يردان ذلك شرط والله أعلم (رواه مسلم) قبيل باب صلاة الخوف و بعضه عند النسائى وابن ماجه (قوله جرآء عليه قومه هو بجيم مضمومة وبالمد على وزن علماء) لأن واحده جرىء فهو كعليم وعلماء وشرفاء (أى جاسرون مستطيلون) من الاستطالة لكن فى شرح مسلم من الجرأة وهى الاقدام والتسلط وقضيته أن يكون جاسرون متسلطون وكذا هو فى المشارق للقاضى عياض أى جرآء متسلطون عليه (غير هائبين) أي له لعدم معرفتهم بعظيم قدره لعمى بصائرهم عن مشاهدة أنواره

لكن نور الله جل فلا يرى   الا بتوفيق من الله الصمد

(هذه الرواية المشهورة) وعليها اقتصر عياض فى المشارق ولم يحك الثانية وفى شرح مسلم هكذا فى جميع الاصول (ورواية الحميدي) أي في الجمع بين الصحيحين (وغيره) ولم يذكر في شرح مسلم هذه الرواية عن غير الحميدي (حرآء عليه بكسر الحا المهملة) اما لراء المهملة

وقالَ معناه غِضاب ذُوو غمٍّ وَهَمٍّ قَدْ عِيلَ صَبرهم بهِ حتى أثرَ في أَجْسَامِهم من قَوْلهم حَرى جِسْمه يَحْرى إذا نَقَصَ منْ اَلَمٍ أو غَمٍّ ونحوه وَالصحيحُ أنهُ بالجيم (قوله) صَلى الله عليه وسلم بَينَ قرْنَيْ شَيْطانٍ أي نَاحِيتيْ رَأْسهِ والمرادُ التَّمثيلُ معْناه أنه حينئذٍ يتحرَّكُ الشيطانُ وشيعتهُ ويتسلَّطونَ ،

ولا د ففيهما معا فلذا امسكت عنه المصنف (وقال معناه غضاب) بكسر الغين المعجمة (ذووغم) هو الحزن على فوات أمر (وهم) هو الخوف من أمر يترقب وقوعه (قد عيل صبرهم به) قال في النهاية في أثناء كلام له يجوز أن يكون من عاله يعوله اذا غلبه ومنه قولهم عيل صبرك اه أي غلبهم صبرك عنه (حتى اثر) اى الصبر (في أجسامهم) مأخوذ من قولهم (حرى جسمه يحري) قال في شرح مسلم كضرب يضرب (اذا نقص من ألم أوغم ونحوه والصحيح أنه) أي قوله جرا لاجرى جسمه يجري كما قد يتوهم من قربه (بالجيم قوله صلى الله عليه وسلم بين قرني شيطان أي ناحيتي رأسه) كما تقدم (والمراد) منه (التمثيل) و بينه بقوله (معناه) اى المراد منه في الحديث (أنه حينئذ يتحرك الشيطان وشيعته و يتسلطون) فشبه تحركهم وانتشارهم وتمكنهم من الاذى واستعير للحاصل من ذلك قوله بين قرني شيطان فهي استعارة تمثيلية وقال القاضي عياض قيل ان ذلك استعارة وكناية عن اضراره لما كانت ذوات القرون تتسلط بقرونها على الاذى استعير للشيطان اه وفي شرح مسلم قيل المراد بقرني شيطان حزبه وأتباعه وقيل قوته وغلبته وانتشار فساده وقيل القرنان ناحيتا الرأس وانه علي ظاهره وهذا هو الأقوى قالوا ومعناه انه يدني رأسه الى الشمس في هذه الاوقات ليكون الساجدون لها من الكفار

وقوله يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ معناه يُحْضِرُ الماءَ الذى يَتَوَضَّأُ بهِ، وقوله إلاَّ خَرَّتْ خَطَايَاهُ وبالخاء المعجمة أى سقطتْ. ورواهُ بَعْضهم جرَّتْ بالجيم والصحيحُ بالخاء وهو رواية الجُمْهُور. وقوله فيَسْتَنْثِرُ أى يَستخرِجُ ما فى أنفهِ من أذى والنَّثْرَةَ طَرَفُ الانْفِ * وَعَنْ أبي موسي الأَشعري رَضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ إِذا أرادَ اللهُ رَحْمَةَ أُمَّةٍ قَبَضَ نَبيها قبلها

كالساجدين له فى الصورة وحينئذ يكون له واشيعته تسلط ظاهر وتمكن من أن يلبسوا علي المصلين فكرهت الصلاة حينئذ صيانة لها عن ذلك وهذا الأخير هو الظاهر لما فيه من السلامة من تأويل الخبر عن ظاهره الذي لا يعارضه معارض (وقوله يقرب وضوءه معناه يحضر الماء الذى يتوضأ به) ويطلق الوضوء لغة علي الماء المغسول به أعضاء الوضوء بضم الواو وعلي الباقى فى الاناء بعد تمام الوضوء (وقوله إلا خرت خطاياه هو بالخاء المعجمة أى سقطت ورواه بعضهم) هو ابن أبي جعفر أحد رواة مسلم كما نقله عنه القاضى عياض (جرت) أى (بالجيم) وتخفيف الراء معناه على هذا ظاهر (والصحيح بالخاء) أى المعجمة (وهو رواية الجمهور) قال فى شرح مسلم وكذا نقله القاضي عياض عن جميع الرواة الا ابن أبى جعفر (وقوله فيستنثر أى يستخرج ما فى أنفه من أذى) بعد أن يجذب الماء بالنفس الى الخيشوم والانتثار افتعال من النثرة (والنثرة) بفتح النون وسكون المثلثة (طرف الانف * وعن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال اذا أراد الله رحمة أمة) أي الاحسان اليهم واللطف بهم ولا يصح تأويلها هنا بارادة ذلك لان الارادة لا تتعلق بالارادة كما سبق عن الدماميني (قبض) بفتح الموحدة أى توفى (نبيها قبلها) ليكون صبرهم علي المصاب به

فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر فتقر عينه بهلاكها حين كذبوه وعصوا أمره » رواه مسلم

واحتسابهم ذلك زيادة فى أجورهم قال تعالى « وبشر الصابرين الآية » وقال صلى الله عليه وسلم من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته فى ، أو كما قال دل مجموع الحديث والآية على ان المؤمن اذا صبر على مصيبته على فقد المصطفي صلي الله عليه وسلم واحتسب ذلك عند مولاه أجر كما ان الانسان اذا ذكر مصابه بمن تقدم له من القرابة فاحتسب عند ذلك يؤجر فكذا ما ذكرنا وهو ظاهر والله أعلم (فجعله لها فرطاً) الفرط بفتح الفاء والراء والفارط الذى يتقدم الوراد يصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء أى أنه المهيء لمصالحها فى عقباها من مزيد رحمته (وسلفا) قال فى النهاية قيل هو من سلف المال كأنه قد أسلفه وجعله ثمنا للأجر والثواب الذى يجازى به على الصبر عليه وقوله (بين يديها) ظرف مستقر متعلق بمحذوف صفة لهما أي كائنتين بين يدي الامة أو حال من مفعول جعله أي كائناً بين يديها أو ظرف لغو متعلق بجعل (واذا أراد هلكة) بفتح حروفه مصدر هلك الشيء هلكا من باب ضرب وهلاكا وهلوكا ومهلكا بفتح الميم وتثليث اللام وأهلكه بوزن أتعبه والهلكة بوزن القصبة مثل الهلاك أى فى كونه مصدراً كذا في المصباح أى واذا أراد هلاك (أمة نبيها ونبيها حي) جملة حالية من فاعل عذب والمراد منه الرسول لانه الذي له أمة لكونها مأمورة بالتسلى بخلاف النبي هذا هو المشهور (فأهلكها وهو) أى نبيها (ينظر) هلاكها والجملة الاسمية حالية (فأقر) أى الله تعالى (عينه) أى عين نبيه لتلك الامة (بهلاكها حين كذبوه وعصوا أمره) أى وقت تكذيبهم له وعصيانهم أمره (رواه مسلم) فى باب

باب فضل الرجاء

قال الله تعالى إخباراً عن العبد الصالح « وأفوض أمرى الى الله

فضائل النبي صلى الله عليه وسلم فقال وحدثت عن أبى أسامة قال المازري والقاضى هذا الحديث من الأحاديث المنقطعة في مسلم الذى حدثه عن أبى أمامة قال المصنف قلت ليس هذا حقيقة انقطاع وانما هو رواية مجهول «. قلت » هو وان كان كذلك الا ان المحدثين المتقدمين يعبرون عنه بالمنقطع وبعضهم بالمرسل قال العراقى فى ألفيته

ورسموا منقطعاً عن رجل ٭ وفي الاصول رسمه بالمرسل

قال الشيخ العراقى فى شرحها قلت وفى كلام غير واحد من أهل الحديث انه متصل في سنده مجهول وحكاه الرشيد العطار فى الغرر المجموعة عند الاكثرين واختاره شيخنا الحافظ أبو سعيد العلائى في كتاب جامع التحصيل قال المصنف وقد وقع فى حاشية بعض النسخ المعتمدة قال الخلودى حدثنا محمد بن المسيب الارعياني حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى بهذا الحديث عن أبي أسامة باسناده اه وفى النكت علي الاطراف للحافظ وقع لنا أن مسلما لم يسمعه من ابراهيم انما سمعه من محمد بن المسيب عن ابراهيم وأخرجه البزار فى مسنده عن ابراهيم بن سعيد وأخرجه أبو نعيم من طريق أبي يعلى وغيره عن ابراهيم بن سعيد اه

﴿ باب فضل الرجاء ﴾

أى ما جاء فيه من الكتاب والسنة (قال الله تعالى إخباراً) أى مخبراً ويجوز أن يكون منصوبا علي المصدرية بكون الاخبار من أنواع القول (عن العبد الصالح) هو مؤمن آل فرعون (وأفوض أمرى الى الله) أى أسلمه إلى الله تعالى ليعصمني من

إِنَّ اللّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللّهُ سَيِّآتِ مامكروا » * وعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنه عنِ النبي صلى الله عليه وسلم أنهُ قال يقول الله عز وجلّ أنا عِندَ ظَنِ عَبْدِي بِي وَأنا مَعَهُ حيثُ يَذْكُرُنِي وَاللهِ للهُ أفرحُ بِتَوْبَةِ عَبدِهِ مِنْ أحَدِكم يجِدُ ضَالّتَهُ

كل سوء (ان الله بصير بالعباد) فيجزيهم وكأنه جواب بوعد (١) المفهوم من قوله (فوقاه الله سيآت ما مكروا) شدائد مكرهم وقال البيضاوى وقيل الضمير لموسى * (وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بي) قال ابن الجوزى أى فى الرجاء وأمل العفو قال القارى فى شرح الحصن الحصين ويؤيده ما أخرجه البيهقى فى شعب الايمان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم أمر الله بعبد الى النار فلما وقف علي شفيرها التفت وقال أما والله يا رب ان كان ظنى بك لحسن فقال الله ردوه أنا عند ظن عبدي بي ذكره السيوطي فى البدور السافرة وعليه فالظن بمعناه أى الطرف الراجح وقيل بمعنى اليقين والمعنى أنا عند يقينه بى وعلمه بأن مصيره الى وحسابه علي وأن ما قضيت له به من خير أوشر فلامرد له لدى ﴿ فائدة ﴾ الظن فى الشرع ينقسم الى واجب كحسن الظن بالله تعالى والى حرام كسوء الظن به تعالى قال تعالي « وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم » وبكل من ظاهره غير العدالة ومندوب وهو حسن الظن بمن ظاهره العدالة من المسلمين وجائز كظن السوء بمن وقف مواقف التهم (وأنا معه) أى بالرحمة والتوفيق والاعانة والنصر (حيث ذكرنى) بين الملاء أو فى الخلاء (والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته) الذى هو في غاية الاحتياج اليها

---

(١) وفي نسخة توعد

بالفلاةِ وَمنْ تقربَ إِلَيَّ شبراً تقربت اليه ذراعاً ومن تقرب إِلَيَّ ذِرَاعاً تقربْتُ اليه باعاً وإِذَا أقبلَ إِلَيَّ يَمْشِي اقبلتُ اليهِ أُهرولُ » متفق عليه ، وَهذَا لفظُ إِحْدَى رِواياتِ مسلم وتقدم شرحُهُ فِي البابِ قبله *

وَرُوِيَ فِي الصحيحين وأنا معه حينَ يذكرِنِي بالنون وفِي هذهِ الرواية حيث بالثاء وكلاَهما صحيح

والاضطرار كما بينته رواية أخرى فى الصحيح (بالفلاة) هى كما فى المصباح الارض التي لا ماء فيها وجمعها فلا قال المصنف قال العلماء فرح الله هو رضاه قال المازرى الفرح ينقسم الى وجوه منها السرور والسرور يقارنه الرضى بالمسرور به والمراد هنا إن الله يرضى توبة عبده أشد مما يرضى واحد ضالته بالفلاة فعبر عن الرضى بالفرح تأكيداً لمعنى الرضي في نفس السامع ومبالغة فى تقريره (ومن تقرب الى) أي الى فضلي ورحمتي بصالح العمل (ذراعا تقربت منه باعا واذا أقبل إلى يمشى أقبلت اليه أهرول متفق عليه) رواه البخارى فى باب الرجاء ومسلم فى باب التوبة (وهذا لفظ احدى روايات مسلم وتقدم شرحه) أي شرح قوله ومن تقرب إلى الخ الموهم ظاهره المكان وجواز الاعراض علي البارى سبحانه (في الباب قبله) بما حاصله أنه مؤول بأن المراد بالتقرب اليه التقرب الى فضله واحسانه بصالح العمل والمراد بتقربه تعالى من العامل اسباغ فضله عليه زيادة على قدر عمله (وروى في الصحيحين) أى فى رواية أخرى (وأنا معه حين يذكرني بالنون) فيكون منصوبا علي الظرفية الزمانية (و) روى (فى هذه الرواية بالثاء) أي المثلثة (وكلاهما) أى المرويين (صحيح) زاد فى شرح مسلم بعد قوله صحيح ظاهر المعنى وأفرد الخبر باعتبار لفظ كلا وهو الاصح قال تعالي « كلتا الجنتين آتت أكلها » ويجوز مطابقة معناها وقد اجتمع الاستعمالان فى قوله :

* وعَنْ جابرٍ رَضي الله عنه أنَّهُ سَمِعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول قَبْلَ موتهِ بثلاثةِ أيامٍ لا يموتَنَّ أحَدُكم إلا وهْوَ يُحْسِنُ الظنَّ باللهِ عزَّ وَجلَّ» رواهُ مسلم

كلاهما حين جد الجرى بينهما * قد اقلعا وكلا أنفيهما رابي

(وعن جابر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام كما صرح به فى مسلم (يقول لا يموتن أحدكم إلا وهو محسن الظن بالله عز وجل) قال المصنف وفى رواية وهو يحسن الظن بالله قال العلماء هذا تحذير من القنوط وحث علي الرجاء عند الخاتمة وقد سبق أنا عند ظن عبدى بى قال العلماء : معنى إحسان الظن بالله أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه قالوا وفى حال الصحة يكون خائفا راجيا وسيأتي الخلاف فى انهما هل يكونان متساويين حينئذ أولا ، واذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه لان مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح والحرص على اكثار الطاعة وصالح العمل وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذه الحال فاستحب احسان الظن المتضمن للافتقار الى الله تعالي والاذعان له ويؤيده حديث يبعث كل عبد علي ما مات عليه قال العلماء معناه يبعث على الحال التى مات عليها قال القرطبي نهى أن يموتوا علي غير حالة حسن الظن وذلك ليس بمقدورهم بل المراد الأمر بتحسين الظن ليوافى الموت وهو عليه اه ونظيره قوله تعالى « ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » وفى الديباجة للدميرى فى مروج الذهب عن فقير بن مسكين ، قال دخلت علي الشافعى أعوده فى مرض موته فقلت له كيف أصبحت ياأبا عبد الله قال أصبحت من الدنيا راحلا ولاخواني مفارقا ولكأس المنية شاربا ولا أدري الى الجنة تسير

*وعنْ أنَسٍ رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ قالَ الله تعالى يا ابْنَ آدَمَ إنَّكَ ما دعَوْتني وَرَجَوْتَني غفرتُ لكَ على ما كانَ مِنكَ ولا أُبالِي يا ابنَ آدمَ لَوْ بلَغَتْ ذُنوبكَ عنانَ السماءِ ثم استَغْفرتَني غَفَرْتُ لكَ

روحي فأهنيها أم الى النار فأعزيها وأنشأ يقول

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي * جعلت الرجا مني لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك أعظما

اه وما يعزى للرافعي قوله

اذا أمسى فراشي من تراب * وصرت مجاور الرب الرحيم

فهنوني أحبائي وقولوا * لك البشرى قدمت على كريم

(وعن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم) نداء لم يرد به واحد معين عدل اليه ليعلم من يتأتى نداؤه وآدم عربي مشتق من أديم الارض أي وجهها وأصله أأدم بهمزتين وزن أفعل فأبدلت الثانية ألفا ومنع الصرف للعلمية والوزن وقيل أعجمي وعليه فمنع صرفه للعلمية والعجمة وأضيف اليه المنادى للعموم لان اضافة المفرد تفيده فالنداء هنا لا يختص به منادى دون آخر (انك ما دعوتني ورجوتني) أى مدة دعائك إياي ندما وصلاحا وتأميلك خير ما عندي (غفرت لك ما كان منك) أى محوت ما كان من الذنوب منك كذنب الكفر بالايمان وغيره بالاستغفار (ولا أبالي) بما كان منك منها عظم أولا وذلك لحسن رجاء العبد والله عند حسن ظن عبده به (يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء) أى ما يملأ ما بينها و بين الارض لو كان جسما (ثم استغفرتني) أي سألتني غفران ذلك (غفرت لك) إياها وذلك لانه تعالى

يا ابنَ آدمَ إنكَ لَوْ أتيْتَني بقُرابِ الأرْضِ خطايا ثم لقيتَني ولَمْ تُشْرِكْ بي شيئاً لأتيتُكَ بقُرابها مغْفِرَةً » رواه الترمذي وقالَ حديث حسن

كريم يقبل العثرات ويغفر الزلات وهذا مثال بالغ فى الكثرة جيء به تنبيها علي ان كرمه وفضله ورحمته لا تتناهى وأنها أكثر وأوسع مما ذكر (يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الارض) أى ما يقارب ملأها (خطايا) جمع خطيئة ، قال فى الصحاح وكان الاصل خطائيء علي فعائل فلما اجتمعت الهمزتان قلبت ياء لان قبلها كسرة ثم استثقلت والجمع ثقيل وهو معتل مع ذلك فقلبت الياء ألفا ثم قلبت الهمزة الاولى ياء لخفائها بين الالفين اه (ثم لقيتني لا تشرك بي) جملة فى محل الحال من الفاعل (شيأ) أي من الشرك أو من المعبودات (لاتيتك بقرابها مغفرة) أى لغفرتها لك وذلك لان الايمان به تعالي شرط فى العفو عن الذنب غير الشرك لانه أصل يبني عليه قبول الطاعة والعفو عن المعصية بخلاف الشرك اذ لا أصل منه يبني عليه العفو عنه ولابد أن يضم الى الايمان بالله تعالي الايمان بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به هذا والمراد من أتيتك غايته من المغفرة أو ارادتها لاستحالته عليه وأتى به مشاكلة والحديث من الاحاديث القدسية (رواه الترمذى وقال حديث حسن) زاد في الجامع بعد قوله حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه قال الحافظ العلائى فى الاربعين « قلت » يعني غريبا من جهة أنس وقد روى من حديث ابن عباس وأبي ذر ثم أخرج حديث ابن عباس من طريق الطبراني وحديث أبى ذر من طريقين وقال بعد اخراجه رواه الحافظ أبو عوانة فى صحيحه « قلت » وذكر السخاوى في تخريج الاربعين الحديث التي جمعها المصنف إن

(عَنانَ) بفتح العين قيل هو ما عَنَّ لكَ منها أى ظَهَرَ إذا رفعتَ رَأسكَ وقيل هُوَ السحابُ ، وقُرابُ الأرْض بضم القاف وقيل بكسرها والضمُّ أصحُّ وأشهر وهو ما يُقارِبُ مِلْأَهَا

باب الجمع بينَ الخوفِ والرجاءِ

إعلَمْ أنَّ المختارَ للعبدِ فى حالِ صِحَّتِهِ أنْ يكونَ خائفاً راجِياً وَيكون خَوْفُهُ وَرَجاؤهُ سَواءً

لحديث أنس طريقا آخر غير طريق الترمذي عند ابن فنجويه (١) بنحو الحديث المذكور وقال بعد تخريجه سنده ضعيف والأول أصح (عنان السماء بفتح العين) المهملة و بنونين خفيفتين (قيل هو ما عن) بتشديد النون (لك منها أى ظهر اذا رفعت رأسك وقيل هو السحاب) هو ما اقتصر عليه صاحب المصباح المنير وعبارته العنان قيل السحاب وزنا ومعنى الواحدة عنانة (وقراب الارض بضم القاف وقيل بكسرها والضم أصح وأشهر وهو ما يقارب ملأها) تقدم الكلام من المصنف أوائل باب الرجاء وتقدم ما يتعلق به من الشرح ثمة

﴿ باب الجمع بين الخوف ﴾

من الله تعالى (والرجاء) لفضله واحسانه (اعلم أن المختار للعبد) أى المكلف حراً كان أو رقيقاً ذكراً كان أو غيره (فى حال صحته) أى سلامته من المرض (أن يكون خائفاً راجيا) ليزجره الخوف عن المخالفة ويبعثه الرجاء على اكتساب العمل الصالح (ويكون خوفه ورجاؤه سواء) لان الغالب فى القرآن ذكر الترغيب والترهيب مقترنين وهذا أصح الوجهين عند الاصحاب وقيل يكون خوفه أكثر

(١) بضم الجيم وفتح الياء

وَفي حالِ المَرَضِ يَتَمَحضُ الرجاءُ وقَواعِدُ الشَّرْعِ مِنْ نُصُوص الكتابِ والسُنَّةِ وَغيرِ ذلكَ مُتَظاهرةٌ على ذلك * قالَ اللهُ تعالى فَلاَ يَأْمَنُ مَكرَ اللهِ الاَّ القَوْمُ الخاسرونَ * وقالَ اللهُ تعالى اِنَّهُ لاَ يَيأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ اِلاالقَومُ الكافِرونَ *وقالَ تعالى يوم تَبْيَضُّ وُجوهٌ وتَسْوَدُّ وُجوهٌ *وقالَ

ومحل الخلاف ما لم يغلب عليه القنوط فيغلب علي نفسه باب الرجاء ومالم يغلب عليه سعة الرجاء ويخشي انحلال ربقة التكليف فيغلب حينئذ باب الخوف (وفى حال المرض يتمحض الرجاء) لما تقدم فى حديث لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله (وقواعد الشرع) جمع قاعدة وهو قانون كلى يتعرف منه أحكام جزئياته والشرع ماشرعه الله من الاحكام للعباد مما ينتظم به أمر معاشهم ومعادهم وتسمي القاعدة قانونا وضابطا وأصلا ويرادف الشرع من حيث الماصدق الاسلام والدين والملة ، وان كانت متخالفة من حيث الاعتبار (من نصوص الكتاب) أى القرآن (والسنة) وهو ما أضيف اليه صلي الله عليه وسلم من قول أو صفة أو فعل أو تقرير (وغير ذلك) كالاجماع (متظاهرة على ذلك) أى المذكور والتظاهر بالهاء كأن بعضها يشد ظهر الدليل الآخر (قال تعالى فلا يأمن مكر الله) قال البيضاوي ومكر الله استعارة لاستدراج العبد وأخذه من حيث لا يحتسب (إلا القوم الخاسرون) أى الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار (وقال تعالى انه لا ييأس) أي يقنط (من روح الله) أى من رحمته التى يحيى به العباد (إلا القوم الكافرون) بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته تعالى فى شيء من الاحوال (وقال تعالى يوم تبيض وجوه) وهو يوم القيامة تبيض وجوه المحقين سرورا ونورا (وتسود وجوه) هى وجوه المبطلين تسود خزاية ودحورا (وقال

تعالى إن ربكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ وإنهُ لَغفورٌ رَحيمٌ وقال تعالى إنّ الأبْرَارَ لَفِي نَعيمٍ وإنّ الفُجارَ لَفِي جَحيمٍ * وقال تعالى فأما منْ ثَقُلَتْ موازينهُ فَهوَ فى عيشةٍ راضيةٍ وأما مَنْ خفتْ مَوازينهُ فأُمهُ هاويةٌ وما أدْراكَ ماهِيَهْ نَارٌ حاميةٌ . والآياتُ فى هذا المعنى كثيرةٌ معلومةٌ فيجتمعُ الخوفُ والرجاءُ فى آيتَينِ مفترقتَيْنِ أوْ آياتٍ أوْ آيةٍ *وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ لَوْ يَعلَمُ المُؤْمِنُ ما عِندَ اللهِ مِنَ العقُوبةِ ما طَمِعَ بِجَنتِهِ أحَدٌ

تعالى إن ربك لسريع العقاب) لمن عصاه (وأنه لغفور) لاهل طاعته (رحيم) بهم (وقال تعالى إن الابرار) المؤمنين الصادقين (لفي نعيم) جنة (وان الفجار) الكفار (لفى جحيم) نار محرقة (وقال تعالى فأما من ثقلت موازينه) بأن رجحت حسناته على سيآته (فهوفي عيشة راضية) فى الجنة أى ذات رضى يرضاها أى مرضية له (وأما من خفت موازينه) بأن رجحت سيآته على حسناته (فأمه) مسكنه (هاوية) وبينها سبحانه مهولا لشأنها بقوله (وما أدراك ماهيه نار حاميه) نسأل الله العافية (والآيات فى هذا المعنى) أى الجمع بين الرجاء والخوف (كثيرة فجمع الخوف والرجاء في آيتين مقرونتين) كآية « إن الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم » (أو آيات) وذلك كثير فى التنزيل (أو آية) كقوله «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » * (وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لو يعلم المؤمن ما عند الله) من العقوبة (ماطمع بجنته أحد) وذلك لما يشهده من جلال الحق سبحانه ويخشاه من انتقامه وهو العدل في جميع

وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ ما عنـدَ اللهِ مِنَ الرحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ رَحْمَتِهِ أَحَدٌ » رواه مسلم * وعنْ أبي سَعيدٍ الخُدْرِي رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ إذَا وُضِعَتِ الْجِنازَةُ واحْتَمَلَهاالرِّجالُ على أَعْنَاقِهِمْ فإنْ كانتْ صالِحَةً قالَتْ قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي وإنْ كانتْ غيرَ صالِحَةٍ قالَتْ ياوَيْلَها

ذلك (ولو يعلم الكافر ما عند الله) من الرحمة (ما قنط) من القنوط بالضم وهو الاياس (من رحمة الله) قال فى المصباح قنط يقنط من باب ضرب يضرب وتعب فهو قانط وقنوط وقنط وحكي الجوهرى لغة ثالثة من باب قعد اه أى ما ييئس من جنته أحد بل كان يرجوها لما يعلمه من كثرة الرحمة وسعتها (رواه مسلم) وفى الجامع الصغير رواه الترمذى وهو منه عجيب كان حقه حيث ماهو فى الصحيح عزوه اليه وفى المشارق رمز متفق عليه وتعقبه شارحه الكازروني بأن الحديث لمسلم انفرد به عن البخارى * (وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وضعت الجنازة) أى بين يدى الرجال ليحملوها (واحتملها الرجال)على أعناقهم قيد اذ لا يتولى حمل الجنازة ولو امرأة الا الرجال ان وجدوا لضعف النساء غالبا فيكره لهن حملها ويكره للرجال كراهة شديدة تمكينهن منها بل أطال بعضهم فى الانتصار لحرمته نعم الاولى لا يتولي حمل المرأة من المغتسل الي النعش وتسليمها لمن فى القبر وحل ثيابها الا النساء على أعناقهن (فان كانت صالحة) يحتمل أن المراد مطلق الصلاح وهو الايمان أو الصلاح الذى هو امتثال لاوامر واجتناب النواهى (قالت قدموني قدموني) اشتياقا الى ما أعده الله لها من نعيم القبر ونضارته (وان كانت غير صالحة قالت ياويلها) اضافته رما

أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلاَّ الإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ » رواه البخارى *وعَنِ ابْنِ مسعودٍ رضى الله عنه قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلى أَحَدِكُم مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ رواه البخارى

بعده اليها بضمير الغيبة على خلاف القياس من ويلى لانه حكاية كلامها وكراهة ان الويل يضاف لنفس المتكلم وهو كلمة جزع وتحسر والمعنى يا حسرته وندامته هذا وقتك فاحضرينى والويل الهلاك (أين تذهبون بها يسمع) الظاهر انه بمعنى يستمع (صوتها كل شيء) عمومه متناول للجماد ولا بعد فى خلق قوة الاسماع فى الجماد (الا الانسان) وحكمة استثنائه قوله (ولو سمعه لصعق) بكسر العين أى مات لشدة ذلك الصوت الناشىء عن شدة ما يرى مما أعد له من الويل والثبور (رواه البخاري) فى الجنائز * (وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الجنة أقرب الى أحدكم من شراك نعله) بكسر الشين المعجمة وتخفيف الراء وآخره كاف أحد سيور النعل التي تكون فى وجهها و يطلق على كل سير وقى به القدم (والنار مثل ذلك) أي فى الاقربية قال ابن بطال فيه أن الطاعة موصلة الى الجنة وان المعصية مقربة الى النار وأن الطاعة والمعصية قد يكونان في أيسر الأشياء وفى هذا المعنى حديث ان الرجل ليتكلم بالكلمة الحديث فينبغي للمرء أن لا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه ولا فى قليل من الشر أن يجتنبه فانه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها ولا السيئة التى يسخط الله عليه بها وقال ابن الجوزى معني الحديث أن تحصيل الجنة سهل بتصحيح القصد وفعل الطاعة والنار كذلك بموافقة الهوى وفعل المعصية اه من فتح البارى (رواه البخارى) ورواه أحمد أيضاً كما فى الجامع الصغير

﴿ بابُ فَضْلِ البُكاءِ مِنْ خَشْيَةِ الله تعالى وَشَوْقاً إِلَيْهِ ﴾

قال الله تعالى « وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشوعاً » وقال تعالى « أَفَمِنْ هذا الحديثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ ولا تَبْكُونَ » * وعنِ ابنِ مَسْعودٍ رضي الله عنه قالَ قالَ لي النبيُّ

﴿ باب فضل البكاء من خشية الله تعالى ﴾

الخشية الخوف المقرون باجلال وذلك للعلماء بالله تعالى كما قال تعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء » أماتنا الله علي محبتهم (وشوقا اليه) معطوف على محل الجر بمن اذ هو مفعول له وقد صرح النحاة بأن المفعول له عند اجتماع شروط نصبه لا يجب النصب بل يجوز جره حينئذ وما هنا كذلك ويجوز العطف بالنصب على محل ذلك ، قال الله تعالي « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة » فزينة معطوف على محل لتركبوها علي أحد الاقوال فى اعراب الآية وأشار المصنف بالترجمة الى أن الداعى للبكاء إما أن يكون خشية لما علم العارف من عظم جلال مولاه وإما شوقا لما كشف له مما تقصر العبارة عن بيان أدناه فضلا عن أقصاه (قال الله تعالى) مبينا حال من اطلع علي الكتب السابقة وعرف حقيقة المصطفى وما أنزل عليه فى تلك الكتب (ويخرون للاذقان يبكون) أى لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله تعالى وذكر الذقن لانه أول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرورية (ويزيدهم) أي سماع القرآن (خشوعاً) كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالي (وقال تعالى أفمن هذا الحديث) يعنى القرآن (تعجبون) انكاراً (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) تحزنا علي كشف ما فرطتم * (وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول

صلى الله عليـه وسلم إِقْرَأْ عَلَيَّ القُرْآنَ فَقلتُ يارسولَ اللهِ اقرأُ عَلَيكَ وَعليكَ أُنْزِلَ قالَ إِني أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ منْ غيرِي فقَرَأْتُ عليهِ سُورَةَ النساءِ حتي جِئْتُ الى هذِهِ الآيةِ فَكَيفَ إذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهيدٍ وَجِئْنا بِكَ على هؤُلاءِ شَهيداً

الله صلي الله عليـه وسلم أقرأ علي القرآن فقلت يا رسول الله أقرأ عليك) بتقدير همزة الاستفهام قبله أى أأقرأ عليك (وعليك) أى لا علي غيرك (أنزل) الجملة حاليـة من ضمير المخاطب والرابط الواو، فهم ابن مسعود أنه أمر بالقراءة ليتلذذ بقراءته لا ليختبر ضبطه فلذا سأل متعجبا والا فلا مقام للتعجب (قال اني أحب أن أسمعه من غـيرى) لكونه أبلغ فى التفهيم والتدبير لان القلب حينئـذ يخلص لتعقل المعاني والقارئ مشغول بضبط الألفاظ وآدائها حقها ولانه اعتاد سماعه من جبريل والعادة محبوبة بالطبع ولهـذا كان عرض القرآن علي الغير سنة قولا ومن فوائد هذا الحديث التنبيه علي أن الفاضل لا يأنف من الأخذ عن المفضول قال ابن النحوى وقراءته عليه يحتمل أن يراد بها علم الناس بحاله أو خشي صلي الله عليه وسلم أن يغلبه البكاء عنها (فقرأت عليه سورة النساء) فيه رد على من قال ينبغي أن يقال السورة التى يذكر فيها كذا (حتى جئت) أى وصلت (الى هذه الآية) وعطف عليها عطف بيان قوله (فكيف) أي فكيف حال الكفار (اذا جئنا من كل أمة بشهيد) يشهد عليها بعملها وهونبيها (وجئنا بك علي هؤلاء) أى الاشخاص المعينين من الكفرة (شهيدا) وزعم المغنى أن كل نبي شهيد على أمته وكذا نفعل بك وبأمتك يامحمد رده الطيبي بقوله تعالى « ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء علي الناس » فالشهادة لهم لا عليهم وقال ابن النحوى وهؤلاء هم سائر أمته

قالَ حَسْبُكَ الآنَ فالْتَفَتُّ إلَيْهِ فإذا عَيْناهُ تَذْرِفانِ

يشهد عليهم أو لهم فعلي بمعني اللام وقيل أراد به أمته الكفار وقيل اليهود والنصارى وقيل كفار قريش وفيما يشهد به البلاغ أو بالايمان أو بالاعمال أقوال اه (قال حسبك) أى يكفيك ذلك (الآن فالتفت اليه) أي لأنظر الداعي الى الأمر بالكف عن القراءة بعد الأمر بها (فاذا عيناه تذرفان) بذال معجمة ساكنة وكسر الراء أى تسيل دموعهما قال ابن النحوى في شرح البخارى يقال ذرف الدمع وذرفت العين دمعها قال فى تفسير السمرقندي من حديث محمد بن فضالة عن أبيه انه عليه السلام أتاهم فى بني ظفر فجلس على الصخرة التى فى بني ظفر ومعه ابن مسعود ومعاذ بن جبل وناس من أصحابه فأمر قارئًا يقرأ حتي أتى علي هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد بكي حتي اخضلت لحيته وقال يا رب هذا علي من أنا بين أظهرهم فكيف بمن لم أرهم وللثعلبي فدمعت عينا رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال حسبنا الله وفى تفسير ابن الجوزى شهيداً عليهم ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم قال ابن النحوى وبكاؤه عند هذه الآية لانه لابد من أداء الشهادة والحكم على المشهود عليه انما يكون بقول الشاهد فلما كان صلي الله عليه وسلم هو الشاهد وهو السامع بكى على المفرطين منهم وقيل بكى لعظم ما تضمنته هذه الآية من هول المطلع وشدة الامر اذ يؤتى بالانبياء شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب وقيل بكي فرحًا بقبول شهادة أمته وتزكيته لهم ذلك اليوم اه وقال بعض شراح الشمائل بكاؤه عليهم لفرط رأفته ومزيد شفقته حيث عز عليه عنتهم ويؤخذ من قوله حسبك الآن جواز أمر الغير بقطع القراءة للمصلحة قال الحراني انما قال صلى الله عليه وسلم للقارىء حسبك الآن حفيظة على حسن ترديه بالصبر فى هيئته فان كان ينكف عن السماع الذى يغلب

متفق عليه * وعنْ أَنَسٍ رضي الله عنـه قالَ خَطَبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خُطْبَةً

تأثيره في ظاهره الهيئة فكانت سنته العلمية أن يتردى رداء السكون و يصون ظاهر أعضائه عن الخروج عن الاحساس فى الهيئة كما كان لا تبدو عليه في أقو له وأعماله عند ما ترهقه الارهاقات حركة فكان لا يزول عن ظاهر رداء الصبر ولا يخرج عن حسن السمت وهيئة السكون وقد كان عيسى عليـه السلام اذا ذكر الساعة يخور كما تخور البقرة فكان أثر السماع يظهر فى كثير من الأنبياء والاولياء وكان المصطفى ساكنا فيه حتى يفيض سكونه على جلسائه و كان قليلا مايخرج حاضروه عن هيئة السكون كما قال العرباض خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب الحديث فقلما كان يغلب عليهم السماع لما يصل اليهم من بركة ترديه برداء الصبر ولزوم حسن السمت فأنبأنا رسول الله صلي الله عليه وسلم أن انفعال النفس لما تسمع الاذن لا بد منه لكن ينبغي الستر والتثبت وعدم اظهار الحركة والصرخة فكان على من علي سنته فى الوجد التثبت وحسن السمت والصبر على جميع مواجيده التى لا يجدها سواه وكان يدعو حاضريه لذلك فعلمنا التأسي به (متفق عليه) أخرجه البخارى في التفسير ومسلم فى كتاب فضائل القرآن وأخرجه الترمذى والنسائى في التفسير ﴿ فائدة ﴾ قال ابن النحوى في شرح البخارى روى عبد بن حميد فى تفسيره ان عبد الله بن مسعود لما قرأ هذه الآية قال صلي الله عليـه وسلم من سره أن يقرأ القرآن غضا طريا فليقرأ على قراءة ابن أم عبد اه * (وعن أنس رضى الله عنـه قال خطب النبى صلي الله عليـه وسلم خطبـة) بضم الخاء المعجمة فى الوعظ وهى فعـلة بمعنى مفعول نحو نسخة بمعنى

ما سَمِعْتُ مِثْلَها قطُّ فقالَ لوْ تَعْلَمونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قليلاً ولَبَكَيْتُمْ كثيراً قالَ فَغَطَّى أَصْحَابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وُجوهَهُمْ لهُمْ خَنِينٌ » متفق عليه ، وسَبَق بيانه في باب الخوف * وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَلِجُ النَّارَ رَجلٌ بكى منْ خشيةِ اللهِ تعالى

منسوخ وجهها خطب (ما سمعت مثلها قط) من كمال البلاغة ومزيد التذكير والتنبيه على ما يحتاج اليه (فقال لو تعلمون ما أعلم) أى من اجلال الله سبحانه وعظمته (لضحكتم قليلا) لما تشهدون من مظهر الرحمة المنبثة من فضله في الاكوان ففيه ايماء الى أن الكمال عدم غلبة الخوف بحيث يؤدى الي الانقطاع عن الرجاء (ولبكيتم كثيرا) والاسمان منصوبان على المفعولية المطلقة ويحتمل نصبهما على الظرفية الزمانية أى فى قليل وكثير من الزمان (قال فغطي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين) جملة حالية من فاعل غطى والرابط الضمير (متفق عليه وسبق بيانه) مع شرحه (فى باب الخوف * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله) من فيه تعليلية أي لخشية الله الداعية الى امتثال الأوامر واجتناب النواهي ومن كان كذلك لا يلجها بالوعد الكريم الا تحلة القسم وقال العاقولى لعل المراد به العارف به تعالى وهو العالم العامل لقوله تعالي « انما يخشى الله من عباده العلماء » وبالجملة فلا بد من نوع معرفة ليتصور الخشوع والبكاء لان البكاء ممن لا يعرفه بوجه ممتنع انتهى وأشار الي سبب البكاء وما ذكرته أولى لان الموصوف بما ذكرته القائم به من أهل الجنة ابتدأ بالوعد الكريم وظاهر الخبر إن لم يحمل على

حتى يَعودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ وَلاَ يجْتَمِعُ غُبارٌ في سَبيلِ اللهِ وَدُخانُ جَهَنَّمَ » رواه الترمذى وقالَ حديث حسن صحيح * وَعنه قالَ قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يوْمَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ إمامٌ عادِلٌ وشابٌّ نَشأَ فِي عِبادَةِ اللهِ تعالى

ذاك معارض لما جاء فى الاخبار من دخول قوم من عصاة المؤمنين النار وقوله (حتي يعود اللبن فى الضرع) أي يدخل من مسامه اليه أى وذلك محل عادة فتعلق ولوج الخائف الوجل من الله تعالى العارف بجلاله القائم بما تقتضيه الخشية من امتثال الاوامر واجتناب النواهي بعود اللبن الي الضرع والمراد بالولوج الدخول فيها فلا ينافى وجوب المرور عليها المفسر به الورود أما من لم يقم بقضية الخشية مما ذكر ومات علي غير الشرك من المعاصي فأمره الى مولاه ان شاء أدخله الجنة مع الفائزين وعفا عنه ماجناه وان شاء حبسه بالنار قدر ما سبق في علمه ثم أدخله الجنة لايمانه بمحض فضله وما ذكرت من أن المراد عود اللبن الى الضرع من مسامه ليكون محالا عاديا والا فقد صرح الفقهاء بأن اللبن اذا تنجس أمكن تطهيره بان تسقاه نحو الشاة ثم يخرج من ضرعها طاهرا وكذا اذا تنجس العسل يسقاه النحل ثم يمجه طاهرا (ولا يجتمع غبار في سبيل الله) المراد جهاد أعداء الدين لوجه الله تعالى (ودخان جهنم) ظاهره ان الجهاد فى سبيل الله مقتض لسلامة المجاهد من العذاب بالوعد الذي لا يخلف فيحمل على ما اذا مات فيه أو بعده ولم يقترف موبقا يصده عن ذلك (رواه الترمذى) فى كتاب الجهاد (وقال حديث حسن صحيح * وعنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله) هى ما تعبد

ورجـلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمساجِدِ وَرَجُلانِ تحابا فِي اللهِ اجْتَمَعا عليـهِ وَتَفَرَّقا عليهِ وَرَجلٌ دَعَتهُ امْرَأَةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وَجَمالٍ فقالَ إِنِّي أخافُ اللهَ ورجل تَصَدَّقَ بِصَدَقةٍ فَأَخفاها حتى لاَ تَعْلَمَ شِمالُهُ ما تُنفقُ يَمِينُه وَرَجل ذَكَرَ اللهَ خالياً ففاضتْ عَيناهُ ». متفق عليه * وعَنْ عَبْدِ اللهِ ابنِ الشِّخيرِ

به بشرط معرفة المتقرب اليـه فالطاعة توجد بدونهما فى النظر المؤدى الي معرفة الله تعالى اذ معرفته ربما تحصل بتمام النظر والقربة توجد بدون العبادة فى القرب التى لا تحتاج الى نية كالعتق والوقف (ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعتـه امرأة ذات جمال ومنصب) بكسر الصاد (فقال) أى بقلبه لنفسه لينزجر عن العصيان ويحتمل أن يكون بلسانه لينزجر طالبه منه ولا مانع أن يأتي بهما نظير ما قاله الفقهاء فيما يسن للصائم اذا خوصم من قوله إنى صائم (انى أخاف الله(١) ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) خشية من الله تعالى (متفق عليه) وقد تقدم مع شرحه فى باب فضل الحب فى الله (وعن عبد الله بن الشخير) بشين وخاء معجمتين مكسورتين والخاء مشددة وآخره راء الصحابي هو عبد الله بن الشخير بن عوف ابن كعب بن وقدان بن الحرش وهو معاوية بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامرى الكعبي الحرشى البصري والد مطرف بن يزيد روى له عن النبي صلي الله عليـه وسلم نحو ستة أحاديث قال ابن الجوزي فى مختصر التنقيح ذكره البرقاني وقال له نحو ستة أحاديث اه انفرد مسلم بالرواية عنه عن البخاري فروى له حديثين وأورد له المزى فى الاطراف تسعة أحاديث وقد ذكرته في رجال

---

(١) لم نجد في جميع النسخ التى بأيدينا جملة ورجل قلبه معلق بالمساجد . ع

رضي الله عنه قالَ أتيتُ رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلّي ولِجَوْفِهِ أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَلِ مِنَ البكاءِ » حديث صحيح رواه أبو داود

الشمائل بأبسط من هذا (رضي الله عنه قال أتيت رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه) أى صدره وداخله وجوف كل شيء داخله والجوف البطن وما انطبقت عليه الكتفان والاضلاع (أزيز) بفتح الالف وكسر الزاى الأولى صوت البكاء أو غليانه فى الجوف وفيه ان الصوت الغير المشتمل على الحروف لا يضر في الصلاة (كأزيز المرجل) بكسر فسكون ففتح ، مذكر والقدور كلها مؤنثة الا المرجل وهو قدر من نحاس أو حجر أو يختص بالنحاس أو كل قدر ورجحه الحافظ ابن حجر قال الزمخشرى سمي بذلك لانه اذا نصب أقيم على رجل (من البكاء) أى من أجله وذلك ناشيء عن عظيم الرهبة والخوف والاجلال لله سبحانه وذلك مما ورثه من أبيه ابراهيم عليه السلام فقد ورد انه كان يسمع من صدره صوت كغليان القدر من مسيرة ميل اه وفيه دليل على كمال خوفه وخشيته وخضوعه لربه قال الحرانى ومن هذا الحديث ونحوه أستن أهل الطريق الوجد والتواجد فى أحوالهم وعرفوا به فى أوقاتهم وهذا الحال انما كان يعرض للمصطفى صلي الله عليه وسلم عند تجلى الصفات الجلالية والجمالية معا يعني الجلال الممزوج بالجمال والا فغير الممزوج بالجمال لا يطيقه أحد من البشر بل ولا واحد من الخلائق وكان اذا تجلى لقلبه الجمال المحض يمتلىء نورا وسرورا وملاطفة وايناسا وتبسطا وكل وارث من أمته له نصيب من هذين التجليين فتجلى الجلال يورث الخوف والقلق والوجل المزعج وتجلى الجمال يورث الأنس والسرور (حديث صحيح) فيه دليل على جواز تصحيح الحديث وتحسينه وتضعيفه لمن تمكن منه وفيه أهلية ذلك خلافا لابن الصلاح فى منع ذلك وقد تقدم ذلك (رواه أبو داود) فى كتاب

والترمذي في الشمائل بإسنادٍ صحيحٍ *وعن أنسٍ رضي الله عنه قال «قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رضي الله عنه إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أمرَني أنْ أقرأَ عليكَ لَمْ يَكُنِ الذينَ كَفَروا قالَ وَسَمَّاني لك قال نَعَمْ فبَكى»

الصلاة من سننه (والترمذي في الشمائل) في باب البكاء (بإسناد صحيح) والنسائي في الصلاة بنحوه * (وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لأبي) بضم الهمزة وفتح الموحدة وتشديد التحتية (ابن كعب) بسكون العين المهملة آخره موحدة وهو الانصارى سيد القراء تقدمت ترجمته (رضي الله عنه) في باب بيان كثرة طرق الخير (أن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا) أي السورة بكمالها (قال) أي أبي للنبي صلي الله عليه وسلم (وسماني لك) الواو عاطفة على مقدر أى أمرك بذلك وسماني وسببه احتمال أن يكون الله تعالي أمر النبي صلي الله عليه وسلم أن يقرأ علي رجل من أمته ولم ينص على خصوص أبي فأراد تحقق ذلك فيؤخذ منه الاستثبات ويوضح ذلك لفظ البخارى «هل نص على باسمي أو قال اقرأ على واحد من أصحابك فاخترتني أنت» (قال نعم) أى سماك لى وعند الطبراني عن أبي بن كعب قال نعم باسمك ونسبك فى الملأ الاعلى (فبكي) إما فرحا وسرورا بذلك أو خشوعاً وخوفا من التقصير فى شكر تلك النعمة أو استحقارا لنفسه وخشية وتعجبا وهذا شأن الصالحين اذا فرحوا بشيء خالطوه بالخشية وقيل الفرح والسرور دمعته باردة ولذلك يقال أقر الله عينه قاله ابن النحوي قال أبو عبيد المراد بالعرض على أبي ليعلم منه القراءة «قلت» ويؤيده أن عند أحمد بن حنبل من حديث علي بن زيد عن عمار بن أبي دحية

متفق عليه * وفي روايةٍ فجعلَ أُبَيٌّ يَبْكِي * وعنه قالَ «قالَ أبو بكرٍ لِعُمَرَ رضي الله عنهما بَعْدَ وَفاةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إنْطَلِقْ بِنَا إلى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كما كانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَزُورُهَا

البدري «لما نزلت لم يكن قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يأمرك أن تقرئها أبيا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أمرني أن أقرئك هذه السورة فبكي وقال يارسول الله وقد ذكرت ثمة قال نعم» ، ويستثبت فيها ليكون عرض القرآن سنة وللتنبيه على فضيلة أبى وتقدمه فى حفظ القرآن وليس المراد أن يتذكر منه صلي الله عليه وسلم شيأ بذلك العرض وحكمة تخصيص هذه السورة لوجازتها وجمعها لقواعد كثيرة من أصول الدين وفروعه ومهاته والاخلاص وتطهير القلوب وكان الوقت يقتضي الاختصار قاله المصنف والقرطبي فى شرحيهما علي مسلم ويؤخذ من الحديث مشروعية التواضع فى أخذ الانسان العلم من أهله وان كان دونه (متفق عليه) أخرجه البخاري فى فضائل أبى وفى التفسير ومسلم فى كتاب فضائل القرآن من كتاب الصلاة من صحيحه (وفى رواية) أى لمسلم فى الكتاب المذكور من صحيحه (فجعل أبي يبكي) وهذه أبلغ من الاولى للاتيان بالجملة المضارعية الدالة علي التجدد والحدوث* (وعنه) أى أنس (قال قال أبوبكر لعمر رضى الله عنهما بعد) ظرف لقال (وفاة رسول لله صلى الله عليه وسلم) أى وانتظام أمر الخلافة (انطلق بنا الى أم أيمن نزورها) جملة مستأنفة لبيان المقصود بالانطلاق اليها وقوله (كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها) فيه إيماء الي الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل أفعاله مما لم يقم الدليل على تخصيصه

فلما انْتَهينا إليها بكتْ فقالا لها ما يُبْكيكِ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم قالت إِنِّي لا أَبكِي أَنِّي لا أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خيرٌ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ولكنْ أَبكي أَنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ من السماءِ

صلى الله عليه وسلم به (فلما انتهينا اليها بكت) لتذكرها برؤيتهما النبي صلى الله عليه وسلم لملازمتهما له وعدم مفارقتهما إياه فى الغالب ونظيره بكاء الصحابة لما سمعوا أذان بلال بالشام مرة بامر عمر رضى الله عنهما حين قدومهما تذكراً لايام المصطفي صلي الله عليه وسلم (فقالا لها مايبكيك) بضم التحتية (أما تعلمين ان ماعند الله) مما تقصر العبارة عن تعريف أدناه فضلا عن أعلاه (خير لرسول الله صلي الله عليه وسلم) يحتمل أن يكون خير بغير الف مصدرا ويحتمل أن يكون افعل تفضيل فيدل علي انه كان له فى الدنيا خير وهو كذلك لما يشرعه من الاحكام ويهدى من الانام ويوصل المنقطعين الى حضرة المولى ويقرب المبعدين الى الفيض الاعلى وعليه فحذف معمول أفعل أى مما فى الدنيا للتعميم وإيماء الى ان ماعند الله لايليق ان تقابل به الدنيا لفنائها وانقطاعها (قالت انى لاأبكي انى لاأعلم ان ماعند الله خير لرسول الله صلي الله عليه وسلم) بتقدير لام التعليل قبل أن أى لا أبكى لعدم علم ذلك وأعادت الجملة بلفظها مع اغناء اسم الاشارة عنها استلذاذا لذكر المحبوب فمن أحب شيئا أكثر ذكره (ولكن) استدراك مما يفهمه كلامها السابق مع ما قبله الموهم انحصار سبب البكاء فى عدم العلم بذلك أى ليس البكاء لذلك ولكن (أبكى أن الوحى قد انقطع من السماء) تقدم في باب المحبة فى الله عن المواهب وغيرها أن المخصوص بالنبي الوحى

فَهَيَّجَتْهُمَا على البكاءِ فجعَلاَ يَبْكِيَانِ مَعَهُا » رواه مسلم وقد سبق فِي بابِ زِيارَةِ أَهْلِ الخيرِ * وعن ابنِ عُمَرَ رضى الله عنهما قال « لما اشتَدَّ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَجَعُهُ قيلَ لهُ فى الصلاةِ فقال مُرُوا أَبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بِالناسِ فقالتْ عائشةُ

بالشريعة أما مطلق الوحي فيكون لغير الانبياء فيحمل قولها علي ذلك (فهيجتهما) أى حملتهما (علي البكاء فجعلا يبكيان معها) ففيه البكاء على فقد الاخيار وأن ذلك لا يعارض التسليم للاقدار (رواه مسلم وقد سبق) مع شرحه (فى باب زيارة أهل الخير * وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما اشتد) بالشين المعجمة أى قوى وعظم (برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه) زاد في رواية لما اشتكي شكوه (١) الذى توفى فيه رواه البخارى كما فى الاطراف وذلك لتضاعف اجره واعلاء أمره كما يدل عليه حديث « أشد الناس بلاء الانبياء » الحديث (قيل له فى الصلاة) أى من يقيمها للقوم ويؤم بهم فيها (فقال مروا) بضم الميم وأصله اؤمروا بهمزتين أولاهما للوصل وثانيتهما فاء الكلمة فحذفت تخفيفا ومثله خذوا (أبا بكر) أى الصديق وسكت عن وصفه بذلك لتبادره اليه وحذف المأمور به أى باقامة الصلاة لدلالة قوله (فليصل بالناس) على ذلك أورده الحافظ المزى بلفظ للناس باللام محل الباء أى ليصل اماما لاجلهم ليعقدوا صلاتهم بصلاته وفى الاتيان بالفاء الدالة على التعقيب ايماء الى كمال مبادرته لامتثال أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم وعدم توانيه واخذ منه أفضلية الصديق على باقى الصحابة الذين هم أفضل من جميع الامة وأنه الخليفة من بعده ولذا قال عمر رضى الله عنه رجل اختاره النبي صلي الله عليه وسلم لديننا ألا نرضاه لدنيانا (فقالت عائشة) لتصرف ذلك عن أبيها خوفا من تطير الناس به ان

---

(١) الشكو المرض كما في القاموس . ع

رضى اللهُ عنها إن أبا بكرٍ رَجل رَقيقُ القَلْبِ إذَا قرأ غَلَبَهُ البكاء قالَ مُرُوهُ فَلْيُصلّ * وفي رواية عنْ عائشةَ قالت قلتُ إنّ أبا بكرٍ إذا قامَ مقَامَكَ لَمْ يُسْمِعِ الناسَ مِنَ البكاءِ متفق عليه * وعن ابراهيمَ ابنِ عَبْدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ

مات صلي الله عليه وسلم ولما تعلمه من كراهتهم للواقف موقفه لما جبلوا عليه من كمال محبته صلى الله عليه وسلم (ان أبا بكر رجل رقيق) أي رقيق قلبه واسناده اليه باعتبار ذلك لما غلب عليه من شهود مظهر الجلال (اذا قرأ) أى القرآن (غلبه البكاء) أى فلا يتمكن من اظهار القراءة المأمور بها الامام وليس مرادها أن ذلك يقع منه بسببه ظهور حرفين لانه مبطل للصلاة ان لم يكن عن غلبة بحيث لا يمكن دفعه ولو كان كذلك لما أمر به ثانيا بقوله (قال مروه فليصل * وفى رواية) أي لهما (عن عائشة) أى من سندها بخلاف ماقبله فهو من سند ابن عمر (قالت) أى للنبي صلي الله عليه وسلم لما أمر ان يؤم الناس أبو بكر (قلت إن أبا بكر اذا قام مقامك) أى اماما بالناس والمقام بفتح الميم اسم مكان من القيام (لم يسمع الناس من البكاء) من فيه تعليلية أى بسببه وايراد المصنف لهذا الحديث فى الباب لان النبي صلى الله عليه وسلم رضى ذلك الامر من الصديق وأبقاه علي تقديمه فهو دليل علي كونه محبوبا قال تعالى «انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم» (متفق عليه) أخرجاه في كتاب الصلاة واللفظ للبخارى ورواه النسائى في عشرة النساء من سننه كما فى الاطراف (وعن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف) الزهرى قال الحافظ فى التقريب قيل له روآية وسماعه من ابن عمر أثبته يعقوب بن شيبة مات سنة خمس وقيل سنة ست وتسعين خرج عنه الشيخان

أن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه

وأبو داود والنسائي وابن ماجه (أن عبد الرحمن بن عوف) بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة القرشى الزهرى أحد العشرة أسلم قديما ومناقبه شهيرة مات سنة اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك * ومن مناقبه التي لا توجد لغيره كما قال المصنف فى التهذيب أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى وراءه فى غزوة تبوك حين أدركه وقد صلى بالناس ركعة . وحديثه فى مسلم وغيره . قال وقولنا لا توجد لغيره من الناس احترازا من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم خلف جبريل حين أعلمه بالمواقيت اه وما أفهمه من أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل خلف غير عبد الرحمن يشكل عليه ما أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح والنسائى عن عائشة قالت صلى النبي صلى الله عليه وسلم خلف أبى بكر فى مرضه الذي مات فيه قاعدا وأخرجه الترمذى وقال حسن صحيح من حديث أنس قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر قاعداً فى ثوب متوشحا به * قال الحافظ السيوطى بعد إيراد ذلك وأحاديث أخر بمعناه وإيراد حديث تأخر أبى بكر واقتدائه بالنبى صلى الله عليه وسلم واقتداء الناس بأبى بكر مالفظه هذه الأحاديث قد جمع بينها ابن حبان والبيهقي وابن حزم وقال ابن حبان لا معارضة بين هذه الأحاديث فانه صلي الله عليه وسلم صلى صلاتين لا صلاة واحدة لان في خبر عن عائشة أنه صلي الله عليه وسلم خرج بين رجلين تريد بأحدهما العباس والآخر عليا وفى خبر آخر عنها أنه صلى الله عليه وسلم خرج بين بريدة وثوبة قال فهذا يدلك علي أنهما صلاتان لا صلاة واحدة . قال البيهقى فى المعرفة والذى نعرفه بالاستدلال بسائر الاخبار أن الصلاة التي صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر هى صلاة صبح يوم الاثنين وهي آخر صلاة صلاها حتى مضى لسبيله هى غير التي صلاها

أُتِيَ بِطَعَامٍ وكانَ صائماً فقالَ قُتِلَ مُصْعَبٌ

أبو بكر خلفه قال ولا يخالف هذا ماثبت عن أنس فى صلاتهم يوم الاثنين فكشف
النبي صلى الله عليه وسلم الحجرة ونظر اليهم وهم صفوف في الصلاة وأمرهم باتمامها
وارخائه الستر فان ذلك إما كان فى الركعة الاولى ثم إنه وجد فى نفسه خفة فخرج
فأدرك معه الركعة الثانية . ثم ذكر مايدل له من كلام موسي بن عقبة . قال البيهقى
فالصلاة التي صلاها رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو مأموم صلاة الظهر وهي التى
خرج فيها رسول الله صلي الله عليه وسلم بين الفضل بن عباس وغلام له . قال
وبذلك جمع بين الاخبار . وقال ابن حزم وهما صلاتان متغايرتان بلاشك إحداهما
التى رواها الاسود عن عائشة وعبيد الله عنها وعن ابن عباس صفتها أنه صلي الله
عليه وسلم صلى الناس خلفه وأبو بكر عن يمينه فى موقف المأموم يسمع الناس تكبيره
والثانية التى رواها مسروق وعبيدالله عن عائشة وحميد عن أنس صفتها أنه صلى الله
عليه وسلم كان خلف أبي بكر فى الصف مع الناس فارتفع الاشكال جملة .قال ومرضه
صلي الله عليه وسلم كان نحو اثني عشر يوما فيه ستون صلاة أو نحو ذلك اه ملخصا
وحينئذ فليست هذه الفضيلة من خصائص ابن عوف بل كما هى له فهي لجدنا
الصديق رضي الله تعالى عنه أيضا روى له عن النبي صلي الله عليه وسلم خمسة
وستون حديثا اتفقا منها على حديثين وانفرد البخاري بخمسة وفضائله شهيرة طوينا
عن نشرها خوف التطويل (أتي) بالفوقية مبنى للمجهول خبر إن أى أنه جيء
اليه (بطعام) لعل تنوينه للتعظيم كما يومىء اليه آخر القصة (وكان صائما) جملة
فى محل الحال وأتى بها لبيان كماله أنه مع توفر الداعي لتناول الطعام تركه لما صرفه
عنه مما يخاف منه أن يكون مؤخرا له عن الدرجات العلا (فقال قتل) بالبناء
للمجهول (مصعب) بضم الميم وسكون الصاد المهملة وفتح العين المهملة وبالباء

بن عُمَيرٍ رضى الله عنه وهوَ خيرٌ مِنِّي فلم يوجد له مايكَفَّنُ فيه إلا بُرْدَةٌ إنْ غُطِّيَ بها رَأْسـهُ بَدَتْ رِجلَاهُ وإنْ غُطِّيَ بها رجلاهُ بَدَا رَأْسهُ ثُم بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيا مَا بُسِطَ أَوْ قالَ أُعْطِينا مِنَ الدُّنْيَا ما أُعْطِينا قد خَشِينا أَنْ تكونَ عُجلَتْ لَناطَيِّباتُنا

الموحدة (ابن عمير) بضم العين المهملة وسكون التحتية ابن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى بن كلاب القرشي العبدرى وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم. ومن السابقين إلى الاسلام وكان قتله يوم أحد قتله عبد الله بن قتيبة وهو يظنه النبي صلى الله عليه وسلم (رضي الله عنه) جملة دعائية (وهو خير منى) هذا من تواضعه وكمال فضله وإلا فأفضل الصحابة العشرة الذين منهم ابن عوف (فلم يوجد له ما يكفن فيه) الفعلان مبنيان للمجهول (إلا بردة) بضم الموحدة وبالرفع بدل من ما ويجوز نصبه علي الاستثناء وهو عربي فصيح وان كان الاول أفصح وقوله (إن غطى) بضم المعجمة وكسر المهملة المشددة أى ستر (بها رأسه بدت رجلاه وان غطي بها رجلاه بدا رأسه) جملة شرطية فى محل الصفة لبردة وأتي بقوله وان غطي بها رجلاه مع دلالة ماقبله عليه واستلزامه اياه لان المقام للاطناب (ثم بسط) بالبناء للمجهول أى وسع (لنا فى الدنيامابسط) الموصول نائب الفاعل والظرفان فى محل الحال منه (أو) شك من الراوى فى أنه قال مابسط أو (قال ماأعطينا) وقوله (قد خشينا أن تكون حسناتنا) أي أعمالنا الصالحة الحسنة (عجلت لنا) أى عجل لنا جزؤها فلا تقدم على ثواب مدخر جملة مستأنفة استئنافا بيانيا وهذا منه من مزيد خوفه من الله تعالى وشدة خشيته له خشى أن يكون ماهو فيه من اليسار من جزاء طاعته التي فعلها مع أن ذلك اليسار من أسباب عمله الصالح ومتجره

ثُم جَعَلَ يَبْكي حتي تَرَكَ الطعام رواه البخارى * وعَنْ أبي أُمَامَةَ صُدَىِّ بنِ عَجْلَانَ الباهِلِى رضِي اللهُ عَنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لَيْسَ شَيْءٌ أحَبَّ الى اللهِ من قَطْرَتَينِ وأَثَرَينِ قَطْرَةِ دُمُوعٍ مِنْ خَشْيَةِ الله وَقَطْرَةِ دَمٍ

الاخروى الرابح كما علم من انفاقه في سبيل الله تعالى وتصدقه على عباد الله ومع ذلك لعدم نظره لعمله واعتداده خشى أن يكون مايدخره سواه من أسباب ابعاده عن مولاه (ثم جعل يبكي) خوفا من ذلك وأن يكون صفر اليدين من صالح الاعمال فى المآل وجعل هذا من أفعال الشروع وقوله (حتى ترك الطعام) غاية لبكائه أى تمادى به الى أن أدى به لذلك (رواه البخاري) في الجنائز وفى المغازى من صحيحه كما فى الاطراف (وعن أبي أمامة) بضم الهمزة (صدى بن عجلان الباهلى رضى الله عنه) صدى بضم المهملة الاولى وفتح الثانية كما تقدم مع ترجمته فى باب التقوي (عن النبى صلي الله عليه وسلم قال ليس شىء أحب) بالنصب خبر ليس وهو من الفعل المبني للمجهول أى ليس شيء أكثر محبوبية (الى الله تعالي) أى ليس شيء أكثر ثوابا عنده وأعظم مكانة من فضله (من قطرتين) بفتح القاف وهي كما فى المصباح النقطة (وأثرين) بفتح الهمزة والثاء المثلثة هى مابقى من الشىء دلالة عليه (قطرة دموع) أى قطراتها وأفردت لاضافتها الى الجمع ثقة بذهن السامع (من) الاقرب أنها سببية ويحتمل كونها ابتدائية أى دمعا مبتدأ من (خشية الله) أى ناشئة منها وهي تكون من المعرفة الناشئة من العلم والعمل به قال تعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء » وقال صلي الله عليه وسلم أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية (وقطرة دم) قال العاقولى افراد الدم يدل على

تُهرَاقُ في سَبِيلِ اللهِ وأما الأَثَرَان فأَثَرٌ فى سَبِيلِ الله تَعالى وَأَثَرٌ فى فَرِيضةٍ من فرائضِ اللهِ تَعَالى» رواه الترمذى وقال حديث حسن ٭وفى الباب أحاديث كثيرَة منها حديث العرباض بن سارِيَة رَضي الله عنه وَعَظَنَا رَسُولُ الله صَلى الله عليه وسلم موعِظَةً

أن اهراقه أفضل من الدموع (تهراق) بضم الفوقية وفتح الهاء وذلك لانه مضارع للرباعى ولا نظر للهاء فيه لانها زائدة وقد استثناه ابن هشام فى الجامع الصغير مما يفتح فيه حرف المضارعة من الخماسى فانه مضموم فيه وان كان الماضى خماسيا لانه رباعى . وانما زيدت فيه الهاء على غير قياس . قال ابن فلاح ويؤيد بقاءه علي حكم الرباعى قطع الهمزة فيه ولو خرج الى الخماسي لغير الى همزة الوصل والجملة الفعلية في محل الصفة لقطرة وقوله (فى سبيل الله) أى في الجهاد للكفار لاعلاء كلمة الله متعلق بالفعل المذكور وقوله قطرة الخ بيان للقطرتين وكان الظاهر أما القطرتان فقطرة دموع الخ كما يدل عليه قوله (وأما الاثران) ولعله مقدر كذلك بشهادة العطف (فأثر فى سبيل الله تعالى) أى مايبقي بعد الاندمال من ضربة سيف أو طعنة رمح (وأثر فى فريضة الله تعالى) وذلك لبالل في أعضاء الوضوء وأثر السجود (رواه الترمذى) في كتاب الجهاد من جامعه (وقال حديث حسن) زاد فيه بعد قوله حسن قوله غريب وكأن المصنف سكت عنه لعدم ضرره فى حسن الحديث لانها غرابة نسبية لاغرابة مطلقة ٭(وفى الباب) أى باب البكاء من خشية الله (أحاديث كثيرة) وصف توكيدي والا فصيغة لاحاديث من جموع الكثرة الدالة عليها (منها حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة) يحتمل أن تكون منصوبة على المصدر أي وعظنا وعظا

ذَرِفَتْ منها العُيُونُ وقَدْ سَبَقَ فى باب البدع

باب

فَضلِ الزُّهْدِ فى الدُّنيا والحث على التقلُّلِ منها وفضل الفقر

قال الله تعالى «انما مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيا كَمَاءٍ أنْزَلْنَاهُ مِنَ السماء فاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الارض

بليغا كما يدل عليه العدول عن وعظا اليها . ويحتمل أن تكون منصوبة بحذف الخافض (ذرفت) بوزن علم أى دمعت (منها العيون وقد سبق فى باب البدع) وتقدم ثمة شرحه

﴿ باب فضل الزهد فى الدنيا ﴾

الظرف لغو متعلق بالزهد . قال السيد الشريف فى التعريفات الزهد فى اللغة ترك الميل الى الشيء وفى الاصطلاح هو بغض الدنيا والاعراض عنها . وقيل هو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة وقيل هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك اه وتقدم المراد من الدنيا فى حديث انما الاعمال بالنيات (والحث) بالمثلثة المشددة أى التحريض (على التقال منها) عبر بباب التفعل المؤذن بالتكلف لما أن ذلك خلاف داعي الطبع البشري قال تعالى « بل تؤثرون الحياة الدنيا » وقال تعالى « وتحبون المال حبا جما » أى فيتكلف الاستقلال منها وإن كان ذلك خلاف طبعه ليسلم من تبعات ذلك (وفضل الفقر) أى غير المذموم وهو الفقر مما زاد على الكفاية والحاجة «(قال الله تعالى انما مثل الحياة الدنيا) أى صفتها العجيبة الشأن فى سرعة نقصها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها (كماء) أي كمطر (أنزلناه من السماء فاختلط به) أى بسببه (نبات الارض) واشتبك بعضه

مِمَّا يأْكُلُ الناسُ والانْعَامُ حَتّى إذا أخَذَتِ الارْض زُخْرُفَهَا وَازّيّنَتْ وظَنّ أهْلُهَا أنّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أتاها أمْرُنَا لَيْلاً أوْ نَهاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كأَن لَمْ تَغْنَ بالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ» *وقال تعالي وَاضْرِبْ لهم مثل الحياةِ الدنيا كَمَاءٍ أنزَلْنَاه مِنَ السَّماءِ فاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الارْضِ

يعض (مما يأ كل الناس) من البر والشعير وغيرهما (والانعام) من الكلأ (حتى إذا أخذت الارض زخرفها) بهجتها من النبات (وازينت) بالزهر وأصله تزينت أبدلت التاء زايا وأدغمت (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) متمكنون من تحصيل ثمارها (أتاها أمرنا)عذابنا (ليلا أو نهاراً فجعلناها) أى زرعها (حصيداً) كالمحصود بالمناجل (كأن) مخففة أي كانها (لم تغن) لم تكن (بالامس كذلك نفصل) نبين (الآيات لقوم يتفكرون) فانهم المنتفعون بها قال البيصاوى الممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه أهله وظنوا أنه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب اه (وقال تعالى) علوا معنويا أي تنزه عما لايليق به (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) أى اذكر لقومك ماتشبه الحياة فى زهرتها وسرعة زوالها أو صفتها الغريبة وقوله (كماء) خبر محذوف أى هو كماء ويجوز أن يكون مفعولا ثانيا لاضرب على أنه بمعنى صير وعليه اقتصر المحلي فى تفسيره والمفعول الاول مثل (أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه أو تجمع في النبات حتي روى ورقه . وعلي هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين

فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا . المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا * وقال تعالى إِعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ

موصوفا بصفة صاحبه عكس المبالغة في كثرته (فاصبح) أى صار النبات (هشيما) مهشوما مكسورا (تذروه الرياح) تفرقه والمشبه به كما فى الذى قبله الحالة المتفرقة فى الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر براقا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن (وكان الله على كل شىء) من الاشياء (مقتدرا) قادرا (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) أى يتزين بها الانسان فى الدنيا وتفنى عنه عما قريب (والباقيات الصالحات) هى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر. زاد بعضهم ولا حول ولا قوة الا بالله كما ورد تفسيرها بذلك فى الاخبار . وقال البيضاوى هى أعمال الخيرات التى تبقى له ثمرتها أبد الآباد . ويندرج فيه ما فسرت به من الصلوات الخمس وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر والكلام الطيب (خير عند ربك) من المال والبنين عندية مكانة وشرف (ثوابا) عائدا (وخير أملا) أى ما يأمله الانسان ويرجوه عند الله تعالى لأن صاحبها ينال بها فى الآخرة ما كان يأمل بها فى الدنيا (وقال تعالى اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد) قال بعضهم اللعب فعل يدعو اليه الجهل يروق أوله ولا ثبات له واللهو صرف الهم عن النفس بفعل مالا يجوز اه وقال البيضاوي بين سبحانه وتعالى أن الدنيا أمور خالية قليلة النفع سريعة الزوال لأنها لعب يتعب الناس فيه أنفسهم جدا اتعاب الصبى فى الملاعب من غير

كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وفى الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ومَغْفِرَةٌ من اللهِ ورضْوَانٌ وما

فائدةولهو يلهون به أنفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد وهذا كما قال المخلي فى الاشتغال بالدنيا أما الطاعات وما يعين عليها فليست منها ثم قرر حال الدنيا وشأنها بقوله (كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما) وهو تمثيل للدنيا في سرعة تقصها وقلة جدواها بحال نبات أنبته الغيث فاستوى وأعجب منه الحراث والكافرون بالله لانهم أشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الي قدرة صانعه فأعجب بها والكافر لايتخطى فكره عما أحس به فيستغرق فيه إعجابا ثم هاج أى يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما فتاتا يضمحل بالرياح . قال الحافظ عماد الدين بن كثير فى تفسيره فان الحياة الدنيا تكون أولا شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزا شوهاء وكذا الانسان يكون فى أول عمره شابا غضا طريا لين الاعضاء بهي المنظر ثم يكتهل فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه ثم يكبر فيصير شيخا كبيراً ضعيف القوى قليل الحركة يعجزه السير كما قال الله تعالى « الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة » ولما كان هذا المثل دالا علي زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لامحالة وأن الآخرة كائنة لامحالة حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير فقال (وفى الآخرة عذاب شديد) أى لمن انهمك فى الدنيا ينفر عن الانهماك في الدنيا وحثا علي مايوجب الكرامة فى العقبي ثم أكده بقوله (ومغفرة من الله ورضوان) لمن لم لاينهمك فى الدنيا أي ليس في الآخرة الآتية القريبة إلا أحد هذين (وما

الحياةُ الدُّنيا إلاّ متاعُ الغُرُورِ * وقالَ تعالى زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ

الحياة الدنيا الا متاع الغرور) أي لمن أقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها قال ابن كثير هي متاع فان عاد لمن ركن اليها فانه يغتر بها وتعجبه حتي يعتقد أن لا دار سواها ولا معاد وراها وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة عن أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم «موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرءوا وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» وهذا الحديث ثابت في الصحيح بدون هذه الزيادة اه قاله المحلي (وقال تعالى زين للناس حب الشهوات) أي ماتشتهيه النفس وتدعو اليه من لعب ولهو وزينة وتكاثر زينها الله ابتلاء أو الشيطان (من النساء والبنين والقناطير) أي الأموال الكثيرة (المقنطرة) المجتمعة والقناطير جمع قنطار أو جمع قنطرة واختلف في قنطار هل هو فعلال أو فنعل والقنطار المال الكثير بعضه على بعض قاله الربيع بن أنس . وقيل مائة الف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم قاله سعيد بن جبير وعكرمة وقيل ملء مسك ثور ذهبا أو فضة قاله أبو نضرة وسمى قنطارا من الاحكام يقال قنطرت الشيء إذا أحكمته ومنه القنطرة . وقيل مابين السماء والأرض من مال قاله صاحب الحكم والمقنطرة قيل إنها مأخوذة من القنطار للتأكيد كبدرة مبدرة وقيل لغيره فقال الضحاك أي المحصنة وقال قتادة أي الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض وقال يمان هي المدقوقة وقال الفراء المضعفة فالقناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة (من الذهب والفضة) قال في لباب التفاسير سمى الذهب ذهبا لسرعة ذهابه في الانفاق والزكاة والفضة فضة لأنها تفرق بضرب الدراهم وتفرق بالانفاق والفض التفريق اه والظرف في محل الحال بيان للقناطير (والخيل المسومة) المعلمة من السومة وهي العلامة أو المرعية من

والانْعَامِ وَالحرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحياةِ الدُّنيا واللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المآبِ» وقال تعالى « يا أيها الناسُ إنَّ وَعْدَ اللهِ حقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمْ الحياةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنكم باللهِ الغَرُورُ » وَقَالَ تعالى « أَلهَاكُمُ التكاثرُ حَتى زُرْتمُ المقابِرَ

أسام الدابة وسومها أو المطهمة أي المجلة (والانعام) جمع نعم بفتح أوليه وهى الابل والبقر والغنم سميت به لعظم الانتفاع بها (والحرث) أى الزرع (ذلك) أي ماذكر (متاع الحياة الدنيا) أى مايتمتع به فيها وهو فاز مضمحل لايقابل ماادخره فى الآخرة وقد عم ذلك بقوله (والله عنده حسن المآب) أى المرجع وهو تحريض. علي استبدال ماعند الله تعالى من اللذات الحقيقية الأبدية بالشهوات المخدجة الفانية (وقال تعالى يا أيها الناس ان وعد الله حق) لا خلف فيه قال أبو حيان فى النهر شامل لجميع ما وعد به من ثواب وعقاب وغير ذلك «قلت» وكأن اقتصار البيضاوى على قوله بالحشر والجزاء لأنهما الاهم بل اقتصر الحافظ ابن كثير علي الاول وهو مستلزم للجزاء لان ذاك لذلك (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعى لها (ولا يغرنكم بالله الغرور) قال مالك عن زيد بن أرقم هو الشيطان أى بأن يمنيكم المغفرة مع الاصرار علي المعصية فانها وان أمكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا علي دفع الطبيعة . وقد عقب تعالى هذه الآية بما يدل على عداوة الشيطان لنا بقوله «ان الشيطان لكم عدو الآية» وقريء بالضم وهو مصدر أو جمع كقعود (وقال تعالى ألهاكم) أى أشغلكم وأصله الصرف الي اللهو منقول من لها اذا غفل (التكاثر) بالاموال والاقوال (حتي زرتم المقابر) الى ان متم وقبرتم مضيعين أعماركم فى طلب الدنيا عما هو أهم لكم وهو السعى

كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ » وقالَ تعالى « وما هذهِ الحياةُ الدُّنْيا إلاَّ لَهْوٌ ولَعِبٌ وإنَّ الدارَ الآخرَةَ لَهِيَ الحيوانُ

لاخرا كم فزيارة المقابر عبارة عن الموت (كلا) ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغي له أن لا يكون جميع همته ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة (سوف تعلمون) خطأ رأيكم إذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا وينتهوا عن غفلتهم (ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتوكيد وفي ثم دلالة على أن الثاني أبلغ من الاول أو الاول عند الموت أو في القبر والثاني عند النشور (كلا لو تعلمون علم اليقين) أي لو تعلمون ما بين أيديكم علم الامر اليقين أي كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره أو لفعلتم مالا يوصف ولا يكيف فحذف الجواب ولذا اقتصر المصنف على ذلك قال البيضاوي ولا يجوز أن يكون قوله « لترون الجحيم » جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف أكد به الوعيد وأوضح به ما أنذرهم منه بعد ابهامه تفخيما اه (وقال تعالي وماهذه الحياة الدنيا) قال في النهر لاشارة بهذه ازدراء للدنيا وتصغير لامرها (الا لهو ولعب) أي كما يلهى ويلعب به الصبيان ويجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين (وان الدار الآخرة لهي الحيوان) أي لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها أو جعلت هي في ذاتها حياة مبالغة والحيوان مصدر حي سمي به ذو الحياة مبالغة وأصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو أبلغ من الحياة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليها هنا . وفي فتح الرحمن بكشف ما تلبس في القرآن للشيخ زكريا قدم اللعب في الانعام والقتال والحديد وعكس في الاعراف والعنكبوت لان اللعب زمن الصبا واللهو زمن الشباب وزمن الصبا مقدم على زمن الشباب فناسب اعطاء المقدم للاكثر

لوْ كانوا يَعْلَمونَ » والآياتُ في البابِ كثيرة جداً مَشْهورَة ، وأما الأَحاديثُ فأكثَرُ منْ أنْ تحْصَرَ فَنُنَبّهُ بِطَرفٍ منها على ما سواهُ *

عَنْ عَمْرِو بنِ عوْفِ الأَنْصارِيّ

والمؤخر للأقل اه (لو كانوا يعلمون) لم يؤثروا عليها الدنيا التي أصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال (والآيات فى الباب كثيرة مشهورة) لامنافاة بين مادل عليه جمع السلامة من القلة وقوله كثيرة لأن تلك بالنظر الي الاحاديث فيه وان كانت الآيات فيه فى نفسها كثيرة . ويحتمل أن يكون أشار بذلك الى أن محل كون جمع السلامة من جموع القلة كما عده النحاة حيث لم يكن معرفا والا فلا بل هو من ألفاظ العموم كما قاله الاصوليون (وأما الأحاديث) فى الباب (فأكثر من أن تحصر) لكمال كثرتها وفى ذلك منه إيماء إلي الاعتناء بما عقد له الباب لاعتناء النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كما يدل عليه كثرة الاخبار فيه (فنبه) النون فيه للعظمة تحدثا بنعمة الله تعالى عليه بالعلم والتأهيل له (بطرف) بفتح أوليه المهملين أي بقطعة وجانب (منها) ويجوز أن يقرأ بضم أوله وفتح ثانيه علي أنه جمع طرفة بالضم قال في المصباح الطرفة أي بالضم والسكون مايستطرف جمعه طرف كغرفة وغرف اه والأول أنسب بقوله (علي ماسواها) وهو والظرف قبله متعلقان بالمضارع (عن عمرو) ويقال فيه عمير بالتصغير كما نبه عليه فى الفتح (ابن عوف الانصارى) زاد المزى فى وصفه قوله « البدرى حليف بنى عامر بن لؤى » وخرج بقوله الانصارى عمرو بن عوف المزني راوي حديث تكبيره صلي الله عليه وسلم خمسا فى الجنازة وأحاديث أخر غير ذلك . قال الحافظ فى الفتح بعد قول البخارى الأنصارى المعروف عند أهل المغازي أنه من المهاجرين وهو موافق لقوله هنا وهو حليف لبنى عامر بن لؤى لأنه يشعر بكونه من أهل مكة . ويحتمل أن يكون وصفه بالانصار

رضي الله عنه أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعَثَ أبا عُبَيْدَةَ بنَ الجرّاحِ رضي الله عنه إلى البَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا فَقَدِمَ بِمَالٍ من البحْرَيْنِ

بالمعنى الاعم ولا مانع أن يكون أصله من الاوس أو الخزرج فنزل مكة وحالف بعض أهلها فبهذا الاعتبار هو أنصارى مهاجرى ثم ظهر كأن لفظة الانصارى وهم تفرد بها شعيب عن الزهرى ورواه أصحاب الزهري كلهم عنه بدونها في الصحيحين وغيرهما وهو معدود من أهل بدر اتفاقا وقول المزى البدري لانه (رضى الله عنه) شهد بدرا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم . أخرج ابن الاثير في أسد الغابة عن ابن اسحق قال ممن شهد بدرا عمرو بن عوف مولى سهيل بن عمرو وقال هكذا جعله ابن اسحق مولى وجعله غيره حليفا قيل لانه سكن المدينة ولا عقب له وليس له في الكتب الستة سوي هذا الحديث (أن رسول الله صلي الله عليه وسلم بعث أبا عَبيدة) قيل اسمه عامر بن عبد الله وقيل عبد الله بن عامر (بن الجراح) والاول أصح أحد العشرة المبشرة بالجنة (رضي الله عنه) وعنهم . والجراح بفتح الجيم وتشديد الراء آخره حاء مهملة (الى البحرين) أى البلد المشهورة بالعراق وهى بين البصرة وهجر . وفى كتاب أسامى البلدان قال الزهرى انما ثنوا البحرين لان فى ناحية قراها بحيرة علي باب الاحساوقرى هجر بينها وبين البحر الاخضر عشرة فراسخ وهذه البحيرة ثلاثة أميال فى مثلها ولا يفيض ماؤها وماؤها راكد زعاف اه (يأتي بجزيتها) أى بجزية أهلها وكان غالب أهلها إذ ذاك مجوسا . وذكر ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد قسمة الغنائم بالجعرانة أرسل العلاء إلي المنذر بن ساوى عامل الفرس على البحرين يدعوه الى الاسلام فاسلم وصالح مجوس تلك البلاد علي الجزية من المجوس (فقدم بمال من البحرين) قال فى كتاب الصلاة من التوشيح نقلا

فَسَمِعَتْ الأنصارُ بِقدومِ أبي عُبَيْدَةَ فوافَوْا صلاةَ الفجرِ مَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فلما صلَّى رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم انْصَرَفَ فتعرَّضوا لهُ فتبَسَّمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حينَ رآهمْ ثم قالَ أظُنُّكم سَمِعتمْ أنَّ أبا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيءٍ مِنَ البَحرَينِ قالوا أجَلْ يارسولَ اللهِ

عن مصنف بن أبي شيبة كان قدر المال مائة ألف وأنه أول خراج حمل الى النبي صلى الله عليه وسلم اه (فسمعت الانصار بقدوم أبي عبيدة) أى بالمال (فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال الحافظ يؤخذ منه أنهم كانوا لايجتمعون الجميع فى كل الصلوات الا لامر يطرأ وكانوا يصلون فى مساجدهم إذ كان لكل قبيلة مسجد يجتمعون فيه فلاجل ذلك عرف صلي الله عليه وسلم أنهم اجتمعوا لأمر ودلت القرينة على تعيين ذلك الامر وهو احتياجهم للمال للتوسعة عليهم . ويحتمل أن يكون وعدهم بأن يعطيهم منه اذا حضروا وقد وعد جابرا بعد هذا أن يعطيه من مال البحرين فوفي له أبو بكر (فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف) أى ذاهبا الى مقصده (فتعرضوا له) أى قصدوا له قال فى الصحاح تعرضت أسألهم اه (فتبسم صلي الله عليه وسلم حين رآهم) يحتمل ان يكون تبسمه لما ظهر من مقتضى الطبع من طلب الدنيا مع أن قضية حالهم وشرفهم وكون المصطفى صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم مع كمال اعراضه عنها ترك ذلك (ثم قال أظنكم سمعتم أن أباعبيدة قدم بشيء) يحتمل أن يكون تنوينه للتعظيم باعتبار كثرة كميته . ويحتمل أن يكون للتحقير لحقارة الدنيافي جانب ما أعد الله للمؤمنين في الدار الآخرة (من البحرين) يحتمل أن يكون مستقرا صفة لشيء ويحتمل أن يكون لغوا متعلقا بالفعل (فقالوا أجل) هو فى المعنى مثل نعم لكن نعم يحسن أن تقال جواب الاستفهام وأجل أحسن من نعم فى التصديق (يارسول الله)

فقالَ ابْشِروا وأمِّلوا ما يَسُرُّكُمْ فوالله ما الفقرَ أَخْشَى عليكم ولكِنِّي أَخشى أَنْ تبْسَطَ الدنْيا عليْكم كما بُسِطَتْ على مَنْ كانَ قبلكم

وأتوا به تلذذا بالخطاب والا فقد حصل بقولهم أجل الجواب (فقال أبشروا) أمر معناه الاخبار بحصول المقصود (وأملوا) قال فى تحفة القارى بفتح الهمزة وتشديد الميم (فوالله ما الفقر) بالنصب مفعول مقدم لقوله (أخشي عليكم) وتقدم المفعول اهتماما بنفي خشية الفقر عليهم عكس الآباء مع أولادهم فان الوالد الشفيق يخشى على ولده الضيعة بعده والنبى صلى الله عليه وسلم لهم مثل الوالد لم يخش عليهم الفقر قال الطيبي لأن الاب الدنيوى يخشى علي ولده الفقر الدنيوي والأب الدينى يخشي علي ولده الفقر الدينى ،قال الحافظ فى الفتح يجوز رفع الفقر بتقدير ضمير أي ما الفقر أخشاه عليكم والاول هو الراجح وخص بعضهم جواز ذلك بالشعر اه وأصله للزركشي وتعقبه فيه الدماميني بأن ضعف ذلك مذهب كوفى قال في التسهيل ولا يختص بالشعر خلافا للكوفيين «فان قلت» تقديم المفعول هذا يؤذن بأن الكلام فى المفعول لا في الفعل كقولك ما زيداً ضربت فلا يصح أن يعقب المنفى باثبات ضده فيقول ولكن أكرمته لأن المقام فى المفعول هل هو زيد أو عمرو مثلا لا فى الفعل هل هو إكرام أو إهانة: والحديث قد وقع فيه استدراك باثبات ضد الفعل المنفى فقال ولكن أخشى الخ فكيف يأتي هذا «قلت» المنظور اليه في الاستدراك هو المنافسة فى الدنيا عند بسطها عليهم فكانه قال ما الفقر أخشى عليهم ولكن المنافسة فى الدنيا فلم يقع الاستدراك الا في المفعول كقولك ما ضربت زيدا ولكن عمرا ضربت ثم لا يضر لانه فى الحقيقة استدراك بالنسبة الى المفعول لا الى الفعل اه (ولكن أخشى أن تبسط) أى توسع (الدنيا عليكم) هو ما فتحه الله عليهم من الدنيا بعده حتى ان أحدهم لا يجد للمال موضعا يحطه فيه (كما بسطت علي من كان قبلكم) ما موصول اسمي أو

فتَنافسوها كما تَنافسوها فتُهلِكَكم كما أهلَكَتهُم » متفق عليه

نكرة موصوفة أى دنيا بعود الضمير النائب عن الفعل المستتر فى بسطت عليه علي من كان قبلكم أى من الامم وسقطت كان من بعض نسخ البخارى (فتنافسوها كما تنافسوها) الاول مضارع حذفت احدى تائيه تخفيفا والاصل فتتنافسوها وفى بعض نسخ البخارى حذف الضمير المنصوب من الفعل الثاني ، قال المصنف والتنافس المسابقة الي الشيء وكراهة أخذ الغير له وهو أول درجات الحسد اه وبمعناه ما فى تحفة القارىء من انه الرغبة فى الشيء والانفراد به (فتهلككم) أى فى الدين (كما أهلكتهم) في ذلك واسناد الاهلاك اليها مجاز عقلى من باب الاسناد الى السبب اذ التنافس فيها سبب قد يجر لفساد الدين وهلاكه قال الحافظ في الفتح لان المال مرغوب فيه فترتاح النفس لطلبه فتمتنع منه فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية الى الهلاك اه وقد وقع عند مسلم من حديث عبدالله بن عمرو مرفوعا « تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون » أو نحو ذلك قال في الفتح وفى الحديث اشارة إلى أن كل خصلة من المذكورات مسببة عما قبلها وفى الحديث « واتقوا الشح فانه أهلك من قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » قال ابن بطال فيه ان زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنتها عنه وفى تفسير البيضاوى والخازن أى زينتها وبهجتها أى فلا يطمئن الى زخرفها ولا ينافس بها أيضا اه (متفق عليه) رواه البخارى واللفظ له فى الجزية وفى المغازى من صحيحه ورواه مسلم في آخر صحيحه فى باب تحريم الظلم السابق ورواه الترمذى والنسائي وابن ماجه أيضا فرواه الاول فى باب الزهد والثالث فى الفتن ومدار الحديث عندهم علي الزهري

* وعنْ أبي سعيدٍ الخُدْرِي رضى اللهعنه قالَ جلَسَ رَسولُ الله صلَى الله عَلَيه وسلم على المِنْبرِ وجَلَسنا حَوْلهُ فَقالَ إنَّ مِما أخافُ عليكم بَعْدِي ما يُفْتَحُ عليكم منْ زَهْرَةِ الدُّنيا وزِينَتِها » متفق عليه *

---

* (وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم علي المنبر) بكسر الميم وسكون النون وفتح الباء الموحدة قال فى الصحاح نبرت الشيء أنبره نبرا رفعته ومنه سمي المنبر (وجلسنا حوله) لسماع أقواله وتلقى مواعظه وحول منصوب علي الظرفية قال فى الصحاح يقال قعدوا حوله وحواله وحواليه ولا يقل حواليه بكسر اللام وقعد حياله وبحياله بالكسر أى بازائه وأصله الواو اه (فقال ان مما أخاف عليكم بعدي) أى بعد موتي وقدمه اهتماما بأمره علي الاسم وهو قوله (ما يفتح) بالبناء للمفعول (عليكم من زهرة الدنيا) قال فى المصباح زهرة بوزن تمرة لا غير أى لا يجوز فتحها بخلاف واحدة الزهر ففيها ذلك أيضا ويرده ما فى تفسير البيضاوى من قوله وقرأ يعقوب زهرة بالفتح وهي لغة في الزهرة اه ومثله فى تفسير النهر الا انه لم يعين اسم القارىء وعبارته «وقرىء زهرة بفتح الهاء وسكونها نحو زهر ونهر» « قلت » ان ثبت ما فى المصباح من منع الفتح في لغة فيحمل علي أنه جمع زاهر كما جوزه البيضاوى فيها أيضا قال وهي متاعها وزينتها وفي تفسير البيضاوى والخازن أى زينتها وبهجتها فلا يطمئن الى زخرفها ولا يتأنس بها اه « قلت » وعليه فعطف قوله (وزينتها) علي الزهرة من عطف الخاص على العام وخشيته صلي الله عليه وسلم من ذلك لئلا يتعلق حبه بالقلب ويأخذ بهجته بالبصر فيوقع فى الأسباب المؤدية الى فساد الدين مما تقدم في الحديث قبله (متفق عليه) ورواه البخارى فى الصلاة وفى الجهاد وفى الزكاة وغيرها ومسلم فى باب(١)

---

(١) بياض في جميع النسخ .ع

وعنهُ أنّ رسولَ اللّٰه صلى اللّٰهُ عليهِ وسلمَ قالَ «الدُّنيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وإنّ اللّٰه تعالى مُسْتَخْلِفُكُم فيها فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلونَ فاتَّقُوا الدنيا واتَّقُوا النِّساءَ» رواه مسلم * وعَنْ أَنَسٍ رضيَ اللّٰه عنه أن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قالَ «اللّهُمَّ لاَ عَيْشَ إلاَّ عيشُ الآخِرَةِ»

ورواه النسائي في الجهاد * (وعنه) أي أبي سعيد الخدري (أن رسول اللّٰه صلي اللّٰه عليه وسلم قال ان الدنيا خضرة) بفتح المعجمة الاولى وكسر الثانية (حلوة) أى جامعة بين الوصفين المحبوبين للبصر والذوق فهي كالفاكهة التي راق منظرها وحلا مذاقها (وان اللّٰه مستخلفكم فيها) بكسر اللام أي بمنزلة الخلفاء عنه في التصرف فيها أى فلا تتصرفوا بما لم يأذن لكم به (فينظر كيف تعملون) فيجازيكم علي ما يبدو منكم من حسن وضده فى عالم الشهادة الذى ظهر كما سبق في علم الغيب الازلى (فاتقوا اللّٰه) أى من ميلكم الى زهرتها وحلاوتها وخضرتها عما يطلب منكم من الوقوف عند ما أبيح لكم دون ما حظر عليكم والفاء فيه فصيحة أي اذا علمتم ان ما تعملون فيه بمرأى من اللّٰه تعالى فاتقوه في ذلك (واتقوا النساء) أي احذروهن ان يحملكم الافتتان بهن على ترك ما طلب منكم من التكاليف أو ان يخدعنكم بكيدهن فتقعوا فى شيء من أغراضهن الممنوع منها شرعا (رواه مسلم) فى آخر الدعوات ورواه النسائي أيضا فى عشرة النساء والحديث قدمه المصنف فى باب التقوى وتقدم شرحه ثمة بأبسط مما هنا * (وعن أنس رضي اللّٰه عنه أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال) في أشد أحواله لما رأى تعب أصحابه لحفر الخندق (اللهم) أى يا أللّٰه (ان العيش) الحياة الدائمة (عيش الآخرة) فلا يحزن الانسان لما يصيبه فى هذه الدار فانه منقض وأجره باق دائم وقاله في أسر الاحوال أيضا لما رأى كثرة المؤمنين في يوم عرفة فى حجة الوداع

متفق عليه * وعنه عَنْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاثٌ أَهْلُهُ وَمالُهُ وعَمَلُهُ فيَرْجِعُ اثنانِ ويَبْقَى واحِدٌ يَرْجِعُ أَهْلُهُ ومالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ » متفق عليه * وعنه قال قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه

لبيك ان العيش عيش الآخرة أى شأن العاقل أن لا يفرح بما يسره من الدنيا لانقضائها وأن يكون اهتمامه بما يفرح به فى آخرته لان حياتها الدائمة الأبدية (متفق عليه) وقد تقدم هذا الحديث مع شرحه * (وعنه) أى عن أنس (عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال يتبع الميت) من منزله الي مدفنه فى الغالب (ثلاث) من الاشياء وحذف التاء منه لحذف المعدود وأبدل من ثلاث بدل مفصل من مجمل قوله (أهله وماله) أى الذى كان ما له قبل موته أي بعضه كعبيده وما يصحب مع أهله للنفقة على مؤن دفنه (وعمله) أى جميع اعماله فى الدنيا كما يومئ اليه اضافة المفرد ويحتمل أن يراد ماعمله مما يتعلق به جزاء دون ما كفر لنحو توبة أو عمل صالح أو فضل إلهى فيكون عاماً أريد به خاص (فيرجع اثنان ويبقي واحد) ذكره مجملا ثم مفصلا ليكون أوقع في النفس وأقر فيها فقال (يرجع أهله) بعد دفنه (وماله) كذلك أو ما يبقي مما هيء لمؤن الدفن بعد تمامه (ويبقي عمله) معه مرتهنا هو به . قال تعالى « كل نفس بما كسبت رهينة » اللهم وفقنا لمرضاتك بمنك وكرمك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (متفق عليه) أخرجه البخارى فى الرقاق ومسلم فى الزهد وكذا رواه الترمذى فى الزهد من جامعه وقال حسن صحيح والنسائى فى ذلك من سننه ومداره عند الجميع على سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصارى عن أنس كذا يؤخذ من الاطراف * (وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم يُؤْتى بِأنعَمِ أهلِ الدنيا مِنْ أهلِ النارِ يومَ القيامةِ فَيُصْبَغُ فِي النارِ صبغَةً ثم يقالُ يا ابنَ آدمَ هلْ رأيتَ خيراً قطُّ هل مرّ بِكَ نعيمٌ قطُّ فيقولُ لا واللهِ يارَبِّ

وسلم يؤتي) بالبناء للمفعول ونائب الفاعل الظرف بعده والفاعل إما الله تعالى لانه الموجد للجميع وإما الملائكة لأنهم المتصبون فى ذلك بامره (بانعم أهل الدنيا) أى باكثرهم نعمة فيها من لذات الدنيا وزهراتها (من أهل النار) فى محل الحال نائب الفاعل وفيه ايماء الى أن من أنعم الله عليه فى الدنيا بالنعم فى ظاهره من أهل الايمان وصالح الاعمال ليسوا كذلك (يوم القيامة) ظرف للفعل أى بعد فصل القضاء والحكم بين العباد (فيصبغ) أى يغمس (فى النار صبغة) بفتح الصاد أى غمسة ولعل التنوين فيه للتقليل فيكون أبلغ فالتعقيب بالنسبة للاتيان كذلك هنا وفي قرينه (ثم) لعل الاتيان بها إيماء الى انه يهان باهماله كذلك مدة و (يقال) له بعدها تبكيتا والقائل ان كان خزنة جهنم فالامر ظاهر وان كان الحق سبحانه بلاواسطة فلا دلالة فيه على شرف لهم لان خطابه تعالى لهم على سبيل الاهانة والاذلال ثم رأيت حديث النسائى مصرح بالشق الثاني (هل مر بك نعيم قط) بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة ظرف للزمان الماضى (فيقول) عقب السؤال بلاتراخ كما تؤذن به الفاء (لا والله) الجواب مقدم بعد لا، اغني عن التصريح به دلالة ماقبله عليه والقسم بعد لتأكيد نفي ذلك وكأن ذلك منه لغلبة العذاب عليه حتى يذهل عما مضى له فى الدنيا من النعيم فيقول ذلك والا فالآخرة لايقع فيها الكذب من أحد ويحتمل أنهم عدوا جميع ماذاقوه من النعيم فى جنب ما أصابهم من أقل العذاب كالعدم فصيروه في حكم المعدوم فقالوا ذلك وقوله (يارب) بحذف الياء اكتفاء بدلالة الكسرة

وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْساً فِي الدُّنْيا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُقَالُ يا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ فَيَقُولُ لاَ وَاللّٰهِ ما مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ »

عليها أتى به للتعطف والترحم (ويؤتى باشد الناس بؤسا) بالهمز أى شدة قوله للمصنف قال فى المصباح ويجوز التخفيف أي لغة (فى الدنيا) يحتمل أن يكون ظرفا مستقرا صفة لبؤس وان يكون لغوا متعلقا به وقوله (من أهل الجنة) في محل النصب بيان لاشد وهو المؤمن ولو عاصيا (فيصبغ) أى يغمس (صبغة فى الجنة) وسمى ماذكر صبغة لظهور أثره عليهم ظهور أثر المصبوغ قال تعالى« وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة» ثم قوله فيصبغ الخ ثابت فى صحيح مسلم ساقط فيما وقفت عليه من نسخ الرياض ولعله من قلم الناسخ سهوا ولعل حكمة تقديم شأن أهل النار لكونه من باب الانذار وهو كالتخلية على مايتعلق باهل الجنة الذى هو من باب البشارة لكونه كالتحلية بالمهملة والظاهر ان تقديم المفعول المطلق هنا على نائب الفاعل وتأخيره ثمة للتفنن فى التعبير (فيقال له) أي عقب اذاقته لاول مايلقاه من النعيم الذى هو جزء يسير مما أعده من النعيم كما تؤذن الفاء والمبادرة بذلك للتشريف (هل رأيت) أى وجدت (بؤسا) أى شدة (قط هل مر بك بؤس قط) يحتمل أن يكون بمعني ما قبله وكرر تأكيدا وإطنابا لزيادة التذكير بالنعمة التى آل اليه أمرها حتي هان عليه مالاقاه فى الدنيا فى جانبها قال مايأتى ويحتمل أن لايكون كذلك بأن المسؤل عنه أولا ما وجد مشقته وشدته وثانيا ما نزل به مما لم يكن كذلك لما عارضه من خفى لطف الهى (فيقول لا والله) وصرح بالمحذوف بعد لا النافية الدال عليه سياق الكلام بقوله (مامر بي بؤس) اى شدة (قط ولا رأيت شدة قط) لان

رواه مسلم * وَعَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بنِ شَدَّادٍ رضى الله عنه

المقام للاطناب شكرا لما أبيح من تلك المنة التى يقصر عن بيان أدناها البيان (رواه مسلم) فى التوبة من صحيحه وكذا رواه النسائي فى الجهاد من سننه كذا قال الحافظ المزى فى الاطراف وتعقبه الحافظ ابن حجر فى النكت الظراف عليه بأنهما حديثان وكان عليهما افرادهما وذلك بين من سياقهما ولفظ حديث مسلم عن يزيد عن حماد ابن سلمة عن ثابت عن أنس ما ذكر ولفظ حديث النسائى عن بهز عن حماد «يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله عز وجل يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول ربي خير منزل فيقول عز وجل سل وتمن فيقول أسألك أن تردنى الى الدنيا فاقتل في سبيلك عشر مرات لما رأى من فضل الشهادة ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول تبارك وتعالى يا ابن آدم كيف منزلك الحديث» فهذان حديثان مختلفان فى السياق والمعنى وان اتحد أسنادهما وقد أخرج الثانى الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم انتهى (وعن المستورد) هو بضم الميم وسكون السين المهملة وفتح الفوقية وكسر الراء آخره دال مهملة (ابن شداد) بفتح المعجمة وتشديد المهملة الاولى ابن عمرو بن حنبل بن الاحب بن حبيب بن عمرو بن شبان بن محارب بن فهر القرشي الفهرى (رضى الله عنه) وأمه دعد بنت جابر بن حنبل بن الاحب اخت كرز بن جابر، ولما قبض النبى صلي الله عليه وسلم كان غلاما قاله الواقدى وقال غيره إنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم سماعا وأتقنه، سكن الكوفة ثم مصر، روي عنه أهل الكوفة وأهل مصر كذا فى أسد الغابة، قال ابن الجوزى روى له عن النبي صلي الله عليه وسلم سبعة أحاديث قال البرقى فى هذه السبعة التى جاءت عنه منها أربعة لاهل مصر وحديثان لاهل الكوفة وحديث لاهل الشام اه روي عنه مسلم هذا الحديث وأخرج عنه

قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ما الدُّنْيا فى الآخِرَةِ إلاّ مثلُ مايجْعلُ أَحَدُكم اصْبَعَهُ فِى اليَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ » رواه مسلم * وَعنْ جابِرٍ رضى الله عنه أنَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ بالسُّوقِ

حديثا آخر ولم يروله البخارى (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا) أى ما مثلها أو نعيمها أو زمانها (فى الآخرة) أي فى جانبها أو بالنظر اليها (الامثل ما يجعل أحدكم أصبعه) قال فى المصباح فيه عشر لغات تثليث الهمزة مع تثليث الموحدة والعاشرة أصبوع كعصفور والمشهور من لغاتها كسر الهمزة وفتح الباء وهي التى ارتضاها الفصحاء وقد نظمتها بقولى ·

وفى أصبع عشر بتثليث همزة * وباء له والعاشر اصبوع فاعلم

(فى اليم) بفتح التحتية وتشديد الميم البحر (فلينظر) أى أحدكم (بم) أصله بما حذفت الالف أى بأى شىء (يرجع) بالتحتية والضمير راجع لاحد أى بما يرجع أحدكم أصبعه لا الأصبع لانها مؤنثة كما فى المصباح ثم قال وفي كلام ابن فارس مايدل على تذكير الاصبع وقال الصغاني يذكر ويؤنث والغالب التأنيث قال فى المفاتيح يجوز فى مثل أن يقرأ بالرفع والفتح على أنه مبنى لان ما فى ما يجعل مصدرية يعني نسبة ما ذكر من نعيم الدنيا وزمانها الى نعيم الآخرة ليس الا مثل نسبة الماء اللاصق باصبع أحدكم اذا غمسها في اليم أى البحر (رواه مسلم) فى صفة الدنيا والآخرة من صحيحه ورواه الترمذى في الزهد وقال حسن صحيح ورواه النسائي في الزهد * (وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم مر بالسوق) داخلا من بعض طرق العالية كما فى صحيح مسلم وحذفه المصنف اختصاراً لعدم تعلق غرضه قال فى المصباح يذكر ويؤنث وقال أبو اسحاق مؤنثة وهى أفصح وأوضح وتصغيرها سويقة والتذكير خطأ لانه قيل بسوق نافقة ولم يقل نافق بغيرهاء اه سميت بذلك

وَالناسُ كَنَفَيْهِ فمرَّ بِجَدْيٍ أَسكَّ ميِّتٍ فتناولهُ فأَخَذَ بِأُذُنِهِ فقالَ أَيُّكُمْ يُحِبُّ اَنْ يأْخُذَهذا لهُ بِدِرْهَمٍ فقالوا مانُحِبُّ أَنهُ لَنا بِشَيْءٍ وَمانصْنَعُ بهِ

لسوق الناس بضائعهم اليها أو لانهم يقومون فيها على سوقهم أو لتصاكك السوق فيها من الازدحام (والناس كنفيه) جملة فى محل الحال من ضمير مر وفي شرح مسلم للمصنف قوله والناس كنفيه وفى بعض النسخ كنفتيه معني الاول جانبيه والثانى جانبيه اه ولم يظهر وجه تفسير ماحذفت الياء(١)منه بالمفرد وماأثبت فيه ياء المثنى وفى النهاية أنهما كذلك بمعنى والله أعلم وفي المصباح الكنف بفتحتين الجانب وجمعه اكناف كسبب وأسباب (فمر بجدى) هو ولد المعز كذا فى المفاتيح وفى المصباح قال ابن الانبارى هو الذكر من أولاد المعز والانثى عناق وقيده بعضهم فى السنة الاولي والجمع أجد وأجداء كدلو وادلاء والجدى بالكسر لغة رديئة اه (اسك) أى صغير الاذن من السكك بفتحتين وهو صغيرها كذا في المفاتيح ويأتي مثله فى الاصل وقال العاقولى الاسك مصطلم الاذنين مقطوعهما (ميت فتناوله) فيه دليل على أن لمس النجس اذا لم تكن رطوبة من أحد الجانبين لا ينجس (فاخذ باذنه) كان لاخذ بها لمزيد الحقارة والاذن بضمتين ويجوز تخفيفها بتسكين الثانية (ثم قال) كان الاتيان بثم لبيان أنه عرض بين الاخذ والتكلم ماتأخر بسببه التكلم ويحتمل أن تكون استعيرت في موضع الفاء وعدل اليها تفننا ودفعا لثقل التكرار فى الجملة (أيكم يحب أن هذه له بدرهم) أحد الظرفين فى محل الخبر والآخر فى محل الحال والاولي اعراب الاول خبرا والثاني حالا كما يومي اليه ما بعده قال العاقولى هو استفهام ارشاد وتنبيه ليلقوا السمع لما يوجهه اليهم من الخطاب الخطير فى ضمن التمثيل بهذا المثنى الحقير (فقالوا مانحب انه لنا بشيء) أي من الاشياء التي هي أقل من الدرهم فضلا عنه (وما نصنع به) وهو نجس لموته قد انقطعت الاطماع بذلك

---

(١) هكذا بالنسخ التي بايدينا ولعل الصواب التاء بدل الياء وبالمثنى بدل المثني

قالَ أَتُحِبُّونَ أَنهُ لَكم قالوا واللهِ لَوْ كانَ حَيًّا لَكانَ عَيْباً إنهُ أَسَكُ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ فقال واللهِ للدُّنيا أَهْوَنُ عَلى اللهِ مِنْ هـذا عليكم» رواه مسلم (كنفيه) اى عَنْ جنبيه ، والأَسَكُّ الصغيرُ الأُذُنِ

عن الانتفاع به (قال) تأكيدا للمقام (تحبون) أى أتحبون (أنه لكم) أي من غير شيء (قالوا والله لو كان حيا كان عيبا) أى معيباً أو ذا عيب ويجوز ابقاؤه على ظاهره من غير تأويل ولا تقدير ويكون في الحمل مبالغة أنه لكمال قيام العيب به ولصوقه صار كانه عيب وحذفت اللام من جملة لو حملا على جواب ان كما أثبتت اللام فى جواب ان حملا على جواب لو فى قولهم والا لكان كذا أي لو كان حيا اتركه مع رجاء الانتفاع به لكونه معيبا وقوله (إنه أسك) تفسير العيب (فكيف وهو ميت) لا ينتفع به (فقال والله للدنيا) بفتح اللام صدر بها جملة جواب القسم المركبة من مبتدإ هو الدنيا وخبر هو قوله (أهون علي الله من هذا عليكم) وأهون أفعل من الهون بضم الهاء وسكون الواو قال في المصباح هان يهون هونا بالضم وهوانا ذل وحقر وفى التنزيل «أيمسكه علي هون» قال أبو زيد والكلابيون يقولون علي هوان ولم يعرفوا الهون وفيه مهانة أي ذل وضعف والمعنى أن الدنيا عند الله أذل وأحقر من هـذا عندكم فعلي بمعنى عند قال فى المصباح تأتي علي بمعني عند قال الشاعر * غدت من عليه بعد ماتم ظؤها * قال الاصمعى معناه من عنده ثم قال العلماء الانبياء والاصفياء والكتب الالهية والعبادات فى الدنيا وليست منها فلاتدخل فى الهوان (رواه مسلم) فى الزهد من صحيحه ورواه أبو داود فى الطهارة من سننه (قوله كنفيه أى عن جانبيه) تقدم فى المصباح الكنف الجانب وكأن التأنيث باعتبار معني الجهة (والأسك الصغير الاذن) قال في المصباح السكك أى بفتحتين مصدر من باب

* وعنْ أبي ذرٍّ رضي الله عنه قالَ كنتُ أمْشِي مع النبي صلى الله عليـه وسلم فِي حَرَّةٍ بالمدينةِ فاستَقْبلَنا أُحُدٌ فقالَ يا أبا ذرٍّ قلتُ لبَّيْكَ يا رسولَ اللهِ قالَ مايُسرُّنِي أنْ يكونَ عِنْدِي مِثْلُ أُحُدٍ هذا ذهَبًا

تعب وهو صغر الاذنين و به يتأيد ما تقدم عن المفاتيح ويحمل قوله «مصطلمهما» ان ذلك خلقي لا أن ذلك طارئ بقطعهما كما يعطيه لفظ الاصطلام اذ معناه كما فى الصحاح أيضا القطع ثم رأيت الصحاح قال السكك بالتحريك صغر الاذن يقال كل سكاء تبيض وكل شرقاء تلد فالسكاء التي لا اذن لها والشرقاء التي لها اذن وان كانت مشقوقة و يقال سكه يسكه اذا اصطلم أذنيه اهـ ومنه يعلم أن العاقولى اشتبهت عليه مادة بمادة فحمل الاسك علي انه من باب المضاعف المضموم العين المفسر بالاصطلام وانما هو من باب علم كما تقدم فى المصباح وغيره فهو الصغير الاذن كما قاله المصنف وغيره *(وعن أبي ذر) بفتح المعجمة وتشديد الراء كنية جندب بن جنادة (رضي الله عنه قال كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم) فيه كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه وعدم ترفعه علي أحد منهم (فى حرة) بفتح الحاء المهملة وتشديد الراء هي أرض ذات حجارة سود والجمع حرار بكسر أوله (بالمدينة) علم بالغلبة علي دار هجرته صلي الله عليه وسلم (فاستقبلنا أحدا) بضمتين الجبل المعروف بالمدينة (فقال يا أبا ذر) فيه تكنية العالم تلميذه وتابعه تأنيسا وتكريما وهو من كمال فضله وحسن خلقه صلى الله عليه وسلم (قلت) فى نسخ البخارى المصححة فقلت بالفاء أوله (لبيك يارسول الله) فيه الجواب بذلك زيادة فى الادب (قال مايسرنى أن عندى مثل أحد هذا) والاتيان به للتعظيم كقوله تعالى «ذلك الكتاب» وقوله (ذهبا) تمييز لمثل وجاء فى رواية البخارى فى باب الاستئذان من صحيحه «فلما أبصر أحدا قال ما أحب أن يحول لي ذهبا» قال الحافظ بعد ذكر اختلاف الفاظ رواياته وقد

يمضي عليَّ ثلاثة وعِنْدي منه دينارٌ إلاّ شيءٌ أُرْصِدُهُ لِدَينٍ إلاّ أنْ أقولَ به في عِبادِ اللهِ هكذا وهكذا وهكذا عَنْ يمينِهِ وَعَنْ شِمالِهِ ومن خَلفِهِ

اختلفت الفاظ هذا الحديث ومخرجه متحد فهو من تصرف الرواة ويمكن الجمع بين قوله مثل أحد وبين قوله يحول أحد بحمل المثلية علي شيء يكون وزنه من الذهب وزن أحد والتحويل علي أنه إن انقلب ذهبا كان على قدر وزنه أيضا وذهبا علي تلك الرواية الثانية جعله ابن مالك مفعولا ثانيا لحول ومفعوله الاول ضمير أحد واستدل به علي مجيء حول بمعني صير وعمله عملها وهو استعمال كثير يخفى على أكثر النحاة ورده الحافظ بقوله بعد أن ذكر أن اختلاف الفاظه من تصرف الرواة ما الفظه فلا يكون حجة في اللغة (تمضي علي ثالثة) أي ليلة ثالثة وانما قيد بالثلاث لانه لا يتهيأ تفريق قدر أحد من الذهب في أقل منها غالبا لكن يعكر عليه رواية يوم وليلة فالاولى أن يقال الثلاث أقصى ما يحتاج اليه في تفريق مثل ذلك والليلة الواحدة أقله (وعندى منه دينار) جملة حالية (الا شيء) كذا هو فيما وقفت عليه من نسخ الرياض بالرفع وقد ذكر الحافظ في الفتح أن فيه روايتين الرفع والنصب قال وهما جائزان لان المستثنى منه مطلق عام والمستثني مقيد خاص فاتجه النصب وتوجيه الرفع أن المستثني منه في سياق النفي والشيء فسر في رواية بالدينار ووقع في رواية غير أبي ذر «وعندي منه دينار أو نصف دينار» وفي رواية أخري «وأدع منه قيراطا قال قلت قنطارا قال قيراطا» وفيه «ثم قال يا أبا ذر انما أقول الذي هو أقل» (أرصده لدين) قال الدماميني بفتح الهمزة والصاد مضمومة أو مكسورة (١) أي أعده وأحفظه وهذا الارصاد أعم من ان يكون لصاحب دين غائب حتي يحضر أو لاجل وفاء دين مؤجل حتي يحل فيوفي (الا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه)

---

(١) الذى فى القاموس وغيره أن الذى بمعنى أعد هو أرصد الرباعى فيكون قوله ارصده بضم الهمزة وكسر الصاد . ع

ثم سارَ فقالَ إنَّ الأكثرينَ هم الأقلّونَ يومَ القيامةِ إلاَّ من قالَ هكذَا وهكذَا وهكذا عنْ يمينِهِ وعنْ

هو استثناء بعد استثناء فيفيد الاثبات فيؤخذ منه أن نفي محبة المال مقيدة بعدم الانفاق فيلزم محبة وجوده مع الانفاق فما دام الانفاق في سبيل الله موجودا لايكره وجود المال واذا انتفي الانفاق ثبتت كراهية وجود المال ولايلزم من ذلك كراهية حصول شئ آخر ولو قدر أحد او أكبر مع استمرار الانفاق وقوله عن يمينه الخ هكذا اقتصر على ثلاث وحمل علي المبالغة لان المطية لمن بين يديه هي الاصل قال في الفتح والذى يظهر لى أن ذلك من تصرف الرواة وان أصل الحديث مشتمل على الجهات الاربع ثم ذكر أنه وجده كذلك في رواية باثبات الاربع قال وقد أخرجه في الاستئذان فاقتصر على ثنتين وعدى الى الاولين بحرف المجاوزة لان المنفق منهما كالمنحرف عن المنفق المار على عرضه ونظيره جلست عن يمينه وعدى الثالث بحرف الابتداء ايماء الى كمال المبالغة في الكرم حتى كأنه ابتدأ به من جهة الخلف بعد أن أتمه من جهة الامام وجاوز به من عن جانبيه وقال الحافظ قوله من خلفه بيان للاشارة وخص عن باليمين والشمال لأن الغالب في الاعطاء صدوره باليدين اه وما قلناه أظهر فتدبر (ثم سار فقال) في رواية للبخارى ثم قال وبها يتبين أن أحد العاطفين استعير في محل الثاني (ألا) أداة إستفتاح يؤتي بها لتنبيه السامع لما بعدها اهتماما به (إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة) هكذا عند البخاري الأقلون بالهمزة في الاستقراض والاستئذان من صحيحه ووقع عنده في الرقاق منه المقلون بالميم محل الهمز قال الحافظ والمراد الاكثار من المال والاقلال من ثواب الآخرة وهذا في حق من لم يتصف بما دل عليه الاستثناء بعد من الانفاق بقوله (الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وعن

شِمالِهِ وعَنْ خَلْفِهِ وَقَلِيلٌ ماهم ثُم قالَ لِي مكانَكَ لا تَبْرَحْ حتى آتيكَ ثُم انْطَلَقَ فِي سَوادِ اللَّيلِ حَتى توارَى فَسَمِعْتُ صَوْتًا قَدِ ارْتفع فتَخَوَّفْتُ

شماله ومن خلفه) فى رواية عند أحمد الا من قال هكذا وهكذا وهكذا فحثى عن يمينه ومن بين يديه وعن يساره فاشتملت الروايتان علي الجهات الأربع وان كان كل اقتصر على ثلاث منها وقد جمعها عبد العزيز بن رفيع فى روايته ولفظه الا من أعطاه الله خيرا أى مالا فنفح بنون وفاء ومهملة أي أعطى كثيرا بلا تكلف يمينا وشمالا وبين يديه ووراءه و بقي من الجهات فوق وأسفل والاعطاء من قبل كل منهما ممكن لكن حذف لندوره وقد فسر بعضهم الانفاق من وراء بالوصية وليس قيدا فيه بل قد يقصد الصحيح الاخفاء فيدفع لمن وراءه مالم يدر به من أمامه وقوله هكذا صفة لمصدر محذوف أى لمن أشار إشارة مثل هذه الاشارة (وَقليل ماهم) ماصلة مزيدة لتأكيد القلة ويحتمل أن تكون موصوفة ولفظ قليل هو الخبر وهم المبتدأ والتقدير وهم قليل وقدم الخبر اهتماما بمضمونه كما يؤذن به تأكيده ففيه التحريض على الانفاق لاصحاب الأموال ليندرج فى القليل الذي هو الجليل والله الموفق (ثم قال لى مكانك) بالنصب أى الزمه وقوله (لاتبرح)تأكيد له ودفع لتوهم أن الامر بلزوم المكان ليس عاما فى الازمنة (حتى آتيك) غاية للزوم المكان المذكور (ثم انطلق فى سواد الليل حتي توارى) فيه اشعار بأن القمر كان قد غاب حتى توارى أي غاب شخصه «قلت» ويحتمل أن يكون التوارى بسبب زيادة البعد حتي خفي عن البصر سيما ونور القمر يغيب فيه الشخص عن العين في بعد لايتوارى عنها في مثله في الشمس لضعف ضوئه (فسمعت صوتا قد ارتفع) في رواية لغطا وهو اختلاط الاصوات (فتخوفت

أَنْ يكونَ أَحَدٌ قَدْ عَرَضَ للنبي صلى الله عليه وسلم فأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لا تَبْرَحْ حَتى آتِيكَ فلم أَبْرَحْ حَتى أَتانى فقلتُ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتاً تَخَوَّفْتُ مِنه فَذَكرتُ لهُ فقالَ وهلْ سَمِعْتَهُ قُلتُ نَعَمْ قالَ ذاكَ جبريلُ أَتانى فقالَ مَنْ ماتَ مِنْ أُمَّتِكَ لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئاً دخلَ الجَنَّةِ

أن يكون) أي من أن يكون (أحد قد عرض) أى تعرض بسوء (للنبي صلى الله عليه وسلم فاردت أن آتيه) أى أتوجه اليه كما جاء في رواية أن أذهب أى اليه ولم يرد أن يتوجه لحال سبيله بدليل رواية الباب (فذكرت قوله لا تبرح فلم أبرح حتى أتانى) فى رواية فانتظرته حتى جاء وفى الحديث الوقوف عند أمره صلى الله عليه وسلم ولزوم طاعته قل فى الفتح ففيه أن امتثال أمر الكبير والوقوف عنده أولى من ارتكاب مايخالفه بالرأى ولو كان فيما يقتضيه الرأى توهم دفع مفسدة حتي يتحقق ذلك فيكون دفعها أولى اه (فقلت) جاء فى رواية للبخارى زيادة يارسول الله (لقد سمعت صوتا تخوفت منه) اللام هي المؤذنة بالقسم المقدر الداعي اليه تأكيد مقام الاخبار (فذ كرت له) المفعول محذوف أى ماسمعت وقد جاء مصرحا به فى بعض رواياته بلفظ فذ كرت له الذي سمعت (فقال وهل سمعته)المعطوف عليه محذوف أى أتذ كر ذلك وهل سمعته ومفعول سمع محذوف لدلالة ماقبله أى وهل سمعت صوتا وظاهر أن الاستفهام للتثبت والتقرير لتقدم إخباره بالسماع فجوز أن يكون التبس عليه صوت نحو ريح حينئذ بصوت متكلم فقال ذلك لذلك (قلت نعم) أى من غير تردد (قال ذلك) أى الذي كنت أخاطبه (جبريل) أو ذلك الصوت الذى سمعته صوت جبريل ففيه على الثانى مضاف مقدر (أتاني فقال من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا) أى من الشرك الجلي أما الخفى وهو نحو الرياء فغير مانع من دخول الجنة (دخل الجنة)

قُلتُ وإنْ زَنَى وإنْ سرقَ قالَ وإنْ زنَى وإنْ سرَقَ * متفق عليه وهذا لفظُ البخارى * وعنْ أبى هريرةَ رضي الله عنه عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قالَ لو كانَ

فقيل المراد اما ابتداء أو بعد المجازاة على المعصية وقيل المراد دخلها ابتداء وقد حمله كذلك البخارى على من تاب عند الموت وهذا ما فهمه أبو ذر والاول أولى للجمع بين الادلة، جواب الشرط، رتب دخول الجنة على الموت بغير اشراك بالله فقد ثبت الوعيد بدخول النار لمن عمل بعض الكبائر وبعدم دخول الجنة لمن عملها ولذا وقع الاستفهام بقول أبي ذر (قلت وان زنى وإن سرق) بتقدير همزة الاستفهام قبله قال ابن مالك حرف الاستفهام مقدر أول هذا الكلام ولا بد من تقديره (قال وان زني وان سرق) أى يدخلها وان زنى وان سرق ان وصلية والواو الداخلة عليها قيل عاطفة علي مقدر وقيل حالية واقتصر علي ذكر هذين لان أحدهما متعلق بحق الله سبحانه والآخر بحق العباد فكأنه يقول ان من مات علي التوحيد دخلها وان تلبس بمعصية متعلقة بحق الله تعالى أو بحق عباده وزيادة شرب الخمر في رواية للاشارة الى فحش تلك الكبيرة لانها تؤدي الى خلل فى العقل الذى به شرف الانسان علي البهائم وبوقوع الخلل فيه قد يزول التوقى الذى يحجز عن ارتكاب بقية الكبائر وأسقط المصنف تكرار استفهام أبى ذر لذلك وجوابه صلى الله عليه وسلم عن ذلك مرتين أخريين زاد فى الثالثة «وان رغم أنف أبى ذر» لعدم تعلق غرض الترجمة به (متفق عليه وهذا لفظ البخارى) فى الرقاق من صحيحه وقد أخرجه في مواضع أخرى منه وأخرجه مسلم فى الزكاة ورواه الترمذي في الايمان من جامعه وأخرجه ابن السني فى عمل اليوم والليلة ومداره عندهم على زيد بن وهب عن أبي ذر كذا يؤخذ من الاطراف للمزى (وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كان

لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَباً لَسَرَّنِي أَلاَّ تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاَثُ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلاَّ شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ » متفق عليه * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ

لى) أى وجد فهى تامة فاعلها (مثل أحد) والظرف حال منه ويجوز أن تكون ناقصة والظرف خبرا مقدما (ذهبا) تمييز مثل (اسرنى ألا تمر علي ثلاث ليال وعندى منه شيء الاشيء) بالرفع مستثنى من شيء ورفع لكونه مستثنى من كلام منزل منزلة المنفي وهو أنه فى حيز جواب لو اذ هو فى تقدير النفي كما أشار اليه الحافظ فى الفتح (أرصده) فى محل الصفة للمستثنى أى أعده (لدين) أي لادائه عند مجيء الدائن أو عند حلول أجل الدين كما تقدمت الاشارة لذلك وفى الحديث الحث على الانفاق فى وجوه الخير والحض علي ذلك فى الحياة وفى الصحة وترجيحه على انفاقه عند الموت وقد تقدم منه حديث « أن تصدق وأنت صحيح شحيح » وأنه صلى الله عليه وسلم كان فى أعلي درجات الزهد في الدنيا بحيث أنه لا يحب ان يبقى بيده شيء منها لانفاقه فيمن يستحقه أو( ) لارصاده لمن له حق وإما لتعذر من يقبل ذلك منه لتقييده فى رواية عند البخارى بقوله أجد من يقبله وفيه تقديم وفاء الدين على صدقة التطوع وفيه الحث على وفاء الدين واداء الامانة وجواز استعمال او عند تمني الخير وتخصيص الحديث الوارد بالنهى عن استعمال ما يكون فى أمر غير محمود شرعا وفيه غير ذلك (متفق عليه) أخرجه البخاري مع الحديث قبله فى باب واحد (وعنه) أى أبي هريرة رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من) الاقرب أنه موصول ويجوز أن تكون نكرة موصوفة (أسفل) بالنصب علي أنه ظرف مستقر صلة الموصول أو صفة له واعرابه خبرا لضمير محذوف هو

---

١ (قوله أو لارصاده الخ) كذا ، ولعله « الا لارصاده لمن له حق أو لتعذر الخ » . ع

مِنْكُم ولاَ تَنظُروا إِلي مَنْ هُوَ فَوْقَكم فَهُوَ أجْدَرُ أَلاَّ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عليكم»

العائد لمن يأباه ان شرط حذف العائد ألا يصلح مابقي لـكونه صلة وماهنا صالح له وان شرطه أن يكون مبتدأ مخبرا عنه بمفرد وذلك خاص بصلة أى لاستطالتها بالاضافة وقراءة على الذى أحسن برفع أحسن علي أن التقدير الذي هو أحسن شاذ وفى بعض نسخ مسلم اثبات هو وقيل أسفل هو العائد وهو مبتدأ والظرف مستقر فى محل الخبر والجملة صلة والمراد أسفل فى أمور الدنيا كما يبينه الحديث بعده و يدل عليه فهو أجدر الخ اما فى أمور الدين فينظر الانسان لمن هو أعلى منه فيها جدا أو استقامة ليدأب كذلك وفى الحديث رحم الله عبدا نظر في دنياه لمن هو دونه فحمد الله وشكره وفى دينه لمن هو فوقه فحمد(١) واجتهد قال فى الفتح وقد وقع في نسخة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا من نظر فى دنياه الي من هو دونه فحمد الله على مافضله به ومن نظر فى دينه الى من هو فوقه فاقتدى به وأما من نظر فى دنياه الى من هو فوقه وأسف علي مافاته فانه لايكتب شاكرا ولا صابرا اه (ولا تنظروا الى من) أى الذي أو شخص (هو فوقكم) أى فى ذلك علي سبيل استعظام ما ناله واستكثاره (فهو) أى قصر النظر عمن فوقه أو هو مع ماقبله (أجدر) أى أحق (ألا تزدروا) أى بألا تحقروا وتستصغروا افتعال من الازدراء قلبت فاؤه(٢) دالا لتجانس الزاى فى الجهر (نعمة الله عليكم) ثم ماأذن به أفعل من التفضيل المؤذن بثبوت أصله عند النظر المذكور باعتبار ما ركز فى الطباع السالمة من الآفة من شكر نعم الله وان قلت وعدم احتقارها قال ابن جرير وغيره هذا الحديث جامع لانواع الخير وذلك لان الانسان اذا رأى من فضل عليه فى الدنيا طلبت نفسه من ذلك واستصغر ماعنده من نعمة الله وحرص علي

---

(١) لعله فجد (٢) الصواب تاؤه بدل فاؤه . ع

الازدياد ليلحق من فضل عليه فيها أويقاربه هذا هو الموجود فى غالب الناس قال بعض السلف صاحبت الاغنياء فكنت لاأزال فى حزن أرى دارا واسعة ودابة فارهة ولا عندى شيء من ذلك فصحبت الفقراء فاسترحت وفي معناه ماأخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن الشخير رفعه أقلوا الدخول على الاغنياء فانه أحرى أن لاتزدروا نعمة الله أورده فى الفتح وأما اذا نظر فى الدنيا الى من هو دونه ظهر له نعمة الله عليه فشكرها وتواضع وفعل مافيه الخير وكذا اذا نظر الى من هو فوقه فى الدين ظهر له تقصيره فيما أتى به فحمله ذلك على الخضوع لمولاه وألا ينظر لعمله ولا يعجب به ويزداد فى الجهد فى العمل والدأب فيه والله الموفق وسيأتى له مزيد ان شاء الله تعالى (متفق عليه) أي فى الجملة والا فالحديث المذكور رواه مسلم فى الزهد من صحيحه من طريق الاعمش عن أبى صالح عن أبي هريرة وكذا رواه الترمذى وابن ماجه فى الزهد من جامعه وقال الترمذى صحيح وحديث البخارى باللفظ الآتى بعده هو الذى اتفقا عليه فرواه مسلم عقب هذا الحديث عن يحيى بن يحيى وقتيبة قال حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة والبخاري فى أواخر الرقاق من صحيحه عن اسماعيل عن مالك عن أبى الزناد به فالحديث الآتي هو المتفق عليه أما الاول فانفرد به مسلم عن البخارى وقد صنع كذلك المزى فى الاطراف فرمز علي حديث الباب برمز مسلم دون رمز البخاري ورمز على الحديث الثانى برمز البخارى دون مسلم وكأن المصنف اعتمد آخر كلامه فقال (وهذا لفظ مسلم وفى رواية البخارى) الظاهر فى اختصاص البخارى باللفظ الثاني بل أنه عند مسلم أيضا عقب الحديث الذى قبله من غير فاصل ولكن سبحان من لا يسهو وقد حرر السيوطي فى الجامع

إِذا نَظَرَ أَحدُكم إِلى مَنْ فُضِّلَ عَليهِ فى المالِ والخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلى مَنْ هُوَ أَسفَلَ منه * وعنه عنِ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال تَعِسَ عَبْدُ الدّينارِ والدِّرْهَمِ والقَطيفةِ

الصغير ذلك فرمز فى الحديث الاول لمسلم فقط وفى الثانى للمتفق عليه (اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه) بضم الفاء وبالمعجمة مبنى المجهول (في المال والخلق) بفتح الخاء المعجمة أي الصورة المدركة بحاسة البصر قال في الفتح ويحتمل أن يدخل فى ذلك الاولاد والاتباع وكل مايتعلق بزينة الحياة الدنيا قال ورأيته في نسخة معتمدة من الغرائب للدارقطني بضم الخاء واللام « قلت » ان ثبتت تلك الرواية فتحمل على ان المراد الاخلاق الدنيوية لأنها المأمور فيها بما يأتى (فلينظر الى من هو أسفل منه) أى فى ذلك قال ابن بطال هذا الحديث جامع لمعاني الخير لان المرء لايكون بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهدا فيها الاوجد من هو فوقه فاذا طلبت نفسه اللحاق به فيكون أبدا في زيادة تقربه من ربه ولا يكون على حال خسيسة من الدنيا إلا وجد من أهلها من هو أخس حالا منه فاذا تفكر فى ذلك علم أن نعمة الله وصلت اليه دون من فضل هو عليه بذلك من غير أمر أوجبه فيلزم نفسه الشكر فيعظم اغتباطه بذلك فى معاده وقال غيره فى هذا الحديث دواء كل داء لان الشخص اذا نظر الى من هو فوقه لم يأمن من أن يؤثر فيه الحسد ودواؤه أن ينظر الى من هو أسفل منه ليكون ذلك باعثا له على الشكر (وعنه) أى عن أبي هريرة (رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعس) بكسر العين المهملة ويجوز الفتح أى خر لوجهه والمراد هنا هلك قال ابن الانبارى التعس الشر وقيل البعد (عبد الدينار والدرهم والقطيفة) بالقاف والطاء المهملة والتحتية والفاء بوزن صحيفة

والخَمِيصَةِ إنْ أُعْطِيَ مِنها رَضِيَ وإنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ» رواه البخاري

* وعنهُ لَقَدْ رَأَيتُ سَبْعِينَ مِنْ أهْلِ الصفَّةِ مَامنهم رَجُلٌ عَلَيهِ رِداءٌ إمَّا إزارٌ وإمَّا كِساءٌ قَدْ رَبَطوها فِي أعْناقِهِمْ

هى الثوب الذي له خمل (والخميصة) بالخاء المعجمة وبالميم والصاد المهملة بالوزن المذكور هى الكساء المربع أى عبد كل مما ذكر وقد جاء التصريح بالمضاف مع كل فى رواية للبخارى بلفظ تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة رواه كذلك فى كتاب الجهاد أى طالب ماذكر الحريص على جمعه القائم على حفظه فكأنه لذلك خادمه وعبده قال خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه فى محبة الدنيا كالأسير الذي لايجد مخلصا ولم يقل مالك ولا جامع الدنيا لان المذموم من الملك والجمع الزيادة على الحاجة وقال غيره جعله عبدا لها لشغفه وحرصه فمن كان عبدا لهواه لم يصدق فى حقه إياك نعبد وإياك نستعين فلا يكون من اتصف بذلك صديقا قاله فى الفتح (أن أعطي) بالبناء للمفعول مما ذكر (رضي وان لم يعط لم يرض) هذان الشرطان وجوابهما مسوقان لبيان سبب شدة حرصه على ذلك (رواه البخارى) فى الرقاق من صحيحه (وعنه لقد رأيت) أى أبصرت (سبعين من أهل الصفة) يشعر بانهم كانوا أكثر من سبعين وهؤلاء الذين رآهم غير السبعين الذين استشهدوا ببئر معونة وكانوا من أهل الصفة أيضا لكنهم استشهدوا قبل اسلامه (مامنهم رجل) جاز الابتداء به مع نكارته لتقدم الخبر الظرفى عليه أو لكونه فى سياق النفي أو لوصفه بجملة (عليه رداء) ولا مانع من تعدد المسوغات لانها معرفات لا مؤثرات والرداء ما يستر أعالى البدن فقط وقوله (إما أزار وإما كساء) أى إما إزار وهو مايستر أسافل البدن فقط وإما كساء وهو بالمد معروف وقوله (قد ربطوا فى أعناقهم) جملة

فَمِنها ما يَبلُغُ نِصفَ السَّاقَيْنِ ومِنها ما يَبلُغُ الكَعْبَينِ فَيَجْمَعهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتهُ »رواه البخاري * وعنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « الدُّنيا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكافِرِ »

في محل الصفة لكساء (فمنها) أي الاكسية المدلول عليها بقوله وإما كساء (ما يبلغ نصف الساقين) لقصره (ومنها ما يبلغ الكعبين) لطوله والكعب العظم الناتىء عند مفصل الساق والقدم سمى به لتنوئه (فيجمعه) أى ما ذكر من الكساء بقسميه (بيده) ليستر العورة (كراهية) مفعول له (أن تبدو) بالواو أى تظهر (عورته) من صغر الكساء وقصره واقتصارهم على ذلك زهدا في زهرات الدنيا واقبالا على العبادة وعمارة الدار الآخرة (رواه البخاري) فى المساجد من صحيحه قال السخاوى فى مؤلفه فى أهل الصفة وفى لفظ أبي نعيم عنه رأيت سبعين منهم يصلون في ثوب فمنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من هو أسفل من ذلك فاذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته وبعضه عند الحاكم عنه ولفظه لقد كان أصحاب الصفة سبعين رجلا الهم أردية وقال صحيح على شرطهما والمراد أن ذلك قدر ما رآه كما تقدم قال أبو نعيم الظاهر من أحوالهم والشاهد من أخبارهم غلبة الفقر عليهم وايثارهم القلة واختيارهم لها فلم يجتمع لهم ثوبان ولا حضرهم من الطعام لونان اه وقد الف فى أهل الصفة الحافظ أبو نعيم كما نقله الحافظ فى الفتح في أبواب المساجد والسخاوى وغيرهما (وعنه) أى أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن) أى بالنسبة لما أعده له من النعيم (وجنة الكافر) أى بالنسبة لما أعد له من العذاب أو يقال المؤمن ممنوع من شهواتها المحرمة فكانه في السجن والكافر عكسه فهي كالجنة

رواه مسلم

لهقاله الشيخ أكمل الدين وأشار الى أنه من التشبيه البليغ أى حذفت أداته وحمل المشبه على المشبه به مبالغة وادعاء أنه من افراده لااستعارة لان شرطها طي ذكر المشبه أوالمشبه به وأشار بعضهم الى أنه علي حقيقته وأن المؤمن لما عليه في الدنيا من التكاليف وتوالى المحن والمكابدات للهموم والغموم والاسقام وغير ذلك فى سجن وأى سجن أعظم من ذلك ثم هو فى السجن لايدري بماذا يختم له من عمل كيف وهو يتوقع أمرا لاشيء أعظم منه ويخاف هلاكا كالاهلاك فوقه فلولا أنه يرتجي الخلاص من هذا السجن لهلك حالا ولكن لطف الله به بما وعده علي صبره وبما كشف له من حميد عاقبة أمره والكافر منفك عن تلك التكاليف آمن من تلك المخاوف مقبل على لذته منهمك في شهوته فهو كالانعام وعن قريب يستيقظ من هذه الاحلام ويحصل في السجن الذي لايرام نسأل الله العافية اه وفي الحديث تحريض للمؤمن على الاعراض عنها وعدم النظر لها نظر محبة لان ذلك شأن السجن (رواه مسلم) فى أواخر صحيحه قال السيوطى فى الجامع الصغير رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة والطبراني والحاكم في المستدرك(١) عن ابن عمر وأخرجه أحمد والطبراني وأبو نعيم فى الحلية والحاكم فى المستدرك عن ابن عمر(٢) بلفظ الدنيا سجن المؤمن وسنته فاذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة اه « لطيفة » حكي القرطبي في كتاب جمع الحرص بالقناعة عن سهل (٣) الصعلوكي الفقيه الخراسانى وكان ممن جمع رياسة الدين والدنيا أنه كان فى بعض مواكبه ذات يوم اذ خرج عليه يهودى من ايوان حمام وهو بثياب دنسة وصفة نجسة فقال ألستم تزعمون أن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وأنا عبد كافر وترى حالى

---

(١) هنا سقط يعلم بمراجعة الجامع الصغير والاصل هكذا « في المستدرك عن سلمان والبزار عن ابن عمر » . ع (٢) صوابه عن ابن عمرو كما فى الجامع الصغير . ع (٣) لعله ابى سهل . ع

* وعن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قالَ أَخَذَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بِمَنْكِبَيَّ فقال كُنْ فِي الدنيا كأنكَ غريبٌ أَوْ عابرُ سَبيلٍ وكانَ ابنُ عُمَرَ يَقولُ إِذَا أَمْسَيتَ فَلا تَنْتظِرِ الصَّباحَ وإِذا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَساءَ

وأنت مؤمن وترى حالك فقال له علي الفور اذا صرت غدا الى عذاب الله كانت هذه الجنة لك واذا صرت أنا الي النعيم ورضوان الله صار هذا سجني فعجب الخلق من فهمه وسرعة جوابه اه (وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي) بتشديد التحتية احداها ياء التثنية ويروى بتخفيف الياء على الافراد والمنكب بوزن مسجد مجتمع رأس العضد والكتف لانه يعتمد عليه كذا في المصباح وأخذه صلى الله عليه وسلم بمنكبيه ليقبل بقلبه على ما يلقيه اليه ويستيقظ ان كان في غفلة لذلك عما هو فيه مع ما فيه من التأنيس والتنبيه والتذكير اذ محال عادة أن ينسى من فعل معه هذا ما يقال له وهذا لا يفعل غالبا الا مع من يميل اليه الفاعل دليل علي محبته صلى الله عليه وسلم ونظير هذا قول ابن مسعود علمني رسول الله صلي الله عليه وسلم وكفي بين كفيه (فقال كن في الدنيا كانك غريب أو عابر سبيل) زاد الترمذي «وعد نفسك من أهل القبور» ورواه أحمد والنسائي أوله «اعبد الله كانك تراه وكن في الدنيا» الخ (وكان ابن عمر) راوي الخبر (يقول) أي عقب روايته له كما يؤذن به سياق المصنف وهو كالرديف لما قبله قال الاعمش راويه عن مجاهد عن ابن عمر وقال قال لي ابن عمر وفي لفظ آخر عنه قال مجاهد ثم قال لى ابن عمر وكذا جاء في رواية غير الاعمش (اذا أمسيت) أى دخلت في المساء وهو لغة من الزوال الى نصف الليل (فلا تنتظر) أي باعمال المساء (الصباح واذا أصبحت) أى دخلت في الصباح فالفعلان تامان والصباح من نصف الليل الى الزوال كما ذكره السيوطي (فلا تنتظر) أى باعمال النهار (المساء) وذلك ان

وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ »

لكل منهما عملا يخصه فاذا أخر عنه فات ولم يستدرك كماله وان شرع قضاؤه فطلبت المبادرة بعمل كل وقت في وقته أو المراد اذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالبقاء الى الصباح وكذا عكسه بل انتظر الموت كل وقت واجعله نصب عينيك وعقب به المصنف ما قبله لان الحديث للحض علي ترك الدنيا والزهد فيها كما سيأتي بيانه فى الاصل وهذا الحض علي تقصير الامل فذاك متوقف علي هذا لانه المصلح للعمل والمنجى من آفات التراخي والكسل فان من طال أمله ساء عمله فعلم أن هذا سبب للزهد فى الدنيا وقولهم انه هو مرادهم أن بينهما تلازما صيرهما كالشيء الواحد فهو مجاز والا فالحقيقة ما قلنا فمن قصر أمله زهد ومن طال أمله رغب وترك الطاعة وتكاسل عن التوبة وقسا قلبه لنسيان الآخرة ومقدماتها من الموت وما بعده من الاهوال (وخذ من صحتك) أى أعمالا صالحة تستعين في تحصيلها بها مبتدأة منها منتهية أو مدخرة (لمرضك) أي لمدته التى تشتغل عنها فى المرض أى فلا تغفل عنها فى زمن تمكنت فيه منها وهو زمن الصحة لئلا تغبن فى صفقتك (و) خذ (من حياتك لموتك) يحتمل أن يكون أعم مما قبله بان يراد الاكثار منها ولو فى زمن المرض المتمكن فيه منها فيكون فيه ترق وزيادة فى التحريض علي اغتنام الطاعة وعدم التواني فيها مع امكانها ولو شقت وصعبت على النفوس لمرض أو غيره و يحتمل أن يكون بمعنى ما قبله أى من زمن صحتك مدة حياتك فيكون تأكيدا لما قبله واهتماما به وزيادة تحريض عليه وبالجملة فرأس مال المؤمن صحته وحياته وأيام حياته زمن تجارته فلا ينبغي له أن يفرط فيها مع التمكن منها ليحصل له من ربح التجارة ونفعها ما يدوم نفعه عليه عند حاجته اليه لنحو مرض وفي الحديث اذا مرض العبد أو سافر يقول الله للملائكته اكتبوا ما كان يعمله صحيحا مقيما وهذا فيه توسل لدوام فضل المولي

رواه البخاري* قالوا في شرح هذا الحديث (معناه) لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطنا

سبحانه بحسن العمل وفي الحديث تعرف الي الله في الرخاء يعرفك في الشدة وقلت في هذا المعنى .

أيها السالك المريد تنبه * من منامك وغفلة قبل فوتك

خذ لسقم من الشباب وبادر * ومن الوقت قبل فوت لموتك

(رواه البخاري) في الرقاق من صحيحه ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحكيم الترمذي في نوادر الاصول وابن حبان في صحيحه وقد صرح الاعمش فيه بتحديث مجاهد له في الصحيح بخلاف رواية ابن حبان ولذا قال مكثت مدة أتوهم أن الاعمش سمع هذا الحديث من ليث ودلسه حتي رأيت ابن المديني رواه عن الطفاوي فصرح بقول الاعمش سمعت مجاهدا ذكره السخاوي في تخريج الاربعين الحديث التي جمعها المصنف ثم نقل انه أنكر الاتصال وقال انما رواه الاعمش بالعنعنة وكذا رواه عنه أصحابه وكذا أصحاب الطفاوي عنه وتفرد ابن المديني بالتصريح قال ولم يسمعه الاعمش عن مجاهد وانما سمعه من ليث عنه فدلسه يعني فرجع الحديث الي ليث وسكت عن رده وكأنه لوضوحه بأن الصحيح ما في الصحيح فلا عبرة بما يخالفه (قالوا) أي شراح الحديث المدلول عليهم بالسياق (معناه) أي معنى الحديث من حيث الجملة (لا تركن) بفتح الكاف وبضمها لانه جاء من بابي علم ونصر كما في مفردات الراغب زاد في الصحاح ان الذي حكام من باب علم أبو زيد قال وما حكي أبو عمرو ركن يركن بالفتح فيهما فانما هو علي الجمع بين اللغتين اه أي لا تمل وتسكن (الى الدنيا) وتطمئن بها (ولا تتخذها وطنا) يحتمل أن يكون من عطف الجزء على الكل اهتماما وذلك

وَلاَ تُحَدِّثْ نفسكَ بِطولِ البقاء فيها ولاَ بِالاِعْتِناءِ بها ولاَ تَتَعَلَّقْ منها بما لاَ يتعلقُ بهِ الغَرِيبُ فِي غَيرِ وَطَنِهِ ولاَ تَشْتَغِلْ فيها بما لا يَشْتَغِلُ بهِ الغَرِيبُ الذي يُرِيدُ الذهَابَ إلى أهْلِهِ وَبِاللهِ التوفيقُ

لان السكون اليها والطمأنينة بها انما يكون مع توطنها ويحتمل أن يكون من عطف المغاير فالاولى للنهى عن النظر لزهراتها على وجه الاعجاب بها والميل اليها والثانية للنهي عن استيطانها والاقامة بها وذلك لان من توطن مكانا سعى فى عمارته، وعمارتها خلاف شأن الحازم لانه مفارق لها الى دار لا يفارقها الأبد فحقه الاحتفال بتلك لا بهذه وهذا راجع لقوله «كن فى الدنيا كأنك غريب» لان شأن الغريب عدم الركون لغير وطنه وترك التوطن بسواه وقوله (ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها) راجع لقوله أو عابر سبيل لان شأن من دخل بلداً فى أثناء سفره ألا يحدث نفسه بالمقام بها لانه ينقطع بذلك عن الرفق (١) فتلحقه المشاق ولا بالاعتناء بتلك البلد لان المرء لا يعتني بحسب طبعه الا بما يعود نفعه عليه من وطنه وقوله (ولا تتعلق منها) ظرف مستقر صفة لمحذوف أى بشيء منها أو بمعنى(٢) متعلق بالفعل أى تعلقاً مبتدأ منها فمن للتبعيض أو للابتداء (بما) أى بالذى (لا يتعلق به الغريب في غير وطنه) مما لا تدعو اليه ضرورته من زاد ومركوب فكذا شأن الحازم ألا يتعلق فى سفره الى مولاه بشيء من الدنيا الا براحلته التي يتوصل بها الى مرضاة ربه وهى نفسه فيشتغل بما يتوصل به الى أن يؤديها حقها ويكفها عن الغير وكذا يكتسب ما يقوم به من تجب عليه مؤنتهم وبزاده(٣) الذى هو امتثال الاوامر واجتناب النواهى ويعرض عما عداه (ولا يشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذى يريد الذهاب) أى العود (الى أهله) فان شأنه

---

(١) بضم ففتح جمع رفقة . ع (٢) (قوله أو بمعنى متعلق الخ) كذا، ولعل الصواب (أو لغو متعلق الخ) . ع (٣) معطوف على قوله (براحلته) . ع

* وَعَنْ أَبي العَبَّاسِ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ الساعِدِيِّ رَضي الله عنه قال جاءَ رَجُلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارَسولَ اللهِ دُلَّني على عملٍ إذا عَمِلْتُهُ أَحَبَّني اللهُ وَأَحَبَّنِي الناسُ فقالَ ازْهَدْ في الدنْيا يُحِبكَ اللهُ

ألا يستكثر من المتاع لأن ذلك يتعبه فى مقصده ويثقله عن مطالبه بخلاف من أضرب عن العود فذلك لا يحتفل بأمر السفر فالحازم لا يتخذ من الدنيا مايثقله فى سفره الى مولاه والغافل عن ذلك معرض عن آخرته متـ ـل على زهرة دنياه وهذا راجع لمجموع الحديث وذلك لانه اذا كان المسافر المذ كور ،وان كان يقيم بتلك البلاد، شأنه الاعراض عما يثقله فى سفره ، فالعابر بها من غير اقامة أولي بذلك والله أعلم * (وعن أبى العباس) بتشديد الموحدة وبعد الالف مهملة (سهل بن سعد الساعدى) تقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب الدلالة على الخير (قال جاء رجل) لم أقف علي تسميته (الى النبي صلى الله عليـه وسلم) أى جاء ساعياً اليه (فقال يا رسول الله دلنى) سؤال من الدلالة أى نبهنى (على عمل) التنوين فيه للتعظيم وعظمه انما هو بحسب ثمرته كما يومئ اليه قوله (اذا عملته) أى مريداً به وجه الله (أحبني الله) بأرادة الثواب (وأحبني الناس) أى مالوا الى ميلا طبيعياً لا يدخل تحت الاختيار والجملة الشرطية صفة عمل (فقال ازهد فى الدنيا) أى أعرض عما لا تدعو اليـه الضرورة منها زاد عنها من المباح احتقاراً له وارباء بنفسـك عنها بغضاً له فحب الدنيا رأس كل خطيئـة والزهد عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لاجل الآخرة خوفا من النار وطمعا فى الجنـة أو ترفعاً عن الالتفات الي ما سوى الله تعالى ولا يكون ذلك الا بعـد انشراح الصدر بنور اليقين (يحبـك الله) جواب الشرط المقـدر لوقوعه جواب الامر كما هو الرواية

وازْهَدْ فيما عِنْدَ الناسِ يُحِبكَ الناسُ » حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بِأَسانيدَ حَسَنَةٍ

ويجوز من حيث الصناعة أن يكون مستأنفا وفيه ايماء الى شرف الزهد لعظم ثمرته التي هي محبة المولى ثم المراد من كون حبها مذموما حبها كذلك ايثارا لشهوة نفس ونحوها لانه يشتغل عن الحق سبحانه اما حبها لفعل الخير واعانة محتاج واغاثة ملهوف واطعام بائس فعبادة بشهادة قوله صلي الله عليه وسلم « نعم المال الصالح مع الرجل الصالح يصل به رحما ويصنع به معروفا » (وازهد فيما عند الناس) من نحو مال وجاه باعراضك عنه ورفضك اياه (يحبك الناس) أي بسبب ذلك ومتى نازعتهم في ذلك بغضوك (١) ونازعوك اياه فانهم بطباعهم يتهافتون عليه تهافت الذباب علي النتن والكلاب على الجيف ومن ثم شبه الشافعي رضي الله عنه الدنيا بها والناس بالكلاب بقوله

وما هي الا جيفة مستحيلة * عليها كلاب همهن اجتذابها

فان تجتنبها كنت سلما لاهلها * وان تجتذبها نازعتك كلابها

(حديث حسن) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في تخريج الاربعين التي جمعها المصنف بعد كلام ذكره في اسناد الحديث ما لفظه فالظاهر ان الحديث الذى أوردناه آنفا لا يصح ولا يطلق علي اسناده انه حسن اه قال السخاوى كأنه أشار بهذا الكلام الى شيخه أى الحافظ الزين العراقي فانه حسنه في أماليه وسبقه اليه الشيخ يعني النووى (رواه ابن ماجه) فى سننه (وغيره) قال السخاوي فى تخريج الأربعين المذكورة وأخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير وابن حبان فى روضة العقلاء له والحاكم فى الرقائق من مستدركه وقال انه صحيح الاسناد وليس كذلك (باسانيد حسنة) فرواه ابن ماجه عن أبي عبيدة بن السفر

---

(١) الافصح تعديته بالهمز فيقال أبغضه يبغضه . ع

عن شهاب بن عباد ورواه ابن حبان عن محمد بن أحمد بن المسيب عن يوسف بن سعيد بن مسلم ورواه الحاكم عن أبي بكر محمد بن جعفر الآدمي عن أحمد بن عبيد بن ناصح ورواه الطبراني عن علي بن عبد العزيز البغوى عن أبي عبيد القاسم ابن سلام أربعتهم عن خالد بن عمرو القرشي وأخرجه الحافظ السخاوى من طريق محمد بن كثير المصيصى قالا وتقاربا فى اللفظ ثنا سفيان الثورى عن أبي حازم المدني عن سهل وكذا أخرجه العقيلي والبيهقي والقضاعى في مسند الشهاب من طريق البغوى وقال الحاكم انه صحيح الاسناد وليس كذلك فخالد مجمع علي تركه ضعفه أحمد وابن معين والبخارى فى آخرين ونسبه أحمد وابن معين وآخرون الي وضع الحديث وابن كثير أيضا ليس عمدة ضعفه أحمد جدا وقال مرة حدث بمنا كير لا أصل لها وقال مرة لم يكن عندى بثقة وضعفه النسائي ولينه البخاري قال السخاوى بعد نقل كلام الحافظ السابق فى منع تحسين الحديث مالفظه ويساعد شيخنا قول أبي جعفر العقيلي ليس له من حديث الثوري أصل ولعل ابن كثير أخذه عن خالد ودلسه لان المشهور به خالد كذا قال وخالفه الخطيب فذكر الحديث عن الثورى وقال أشهر طرقه عن الثورى ابن كثير لكن وافقه ابن عدى علي أنه منكر من حديث الثوري اه وبه يعلم أن الحديث له عند من ذكر سند واحد وهو الثوري الى منتهاه لا أسانيد واملا باعتبار الطرق الموصلة اليه وان سند الحديث ليس بحسن لما علمت والله أعلم (وعن النعمان) بضم النون وسكون المهملة (ابن بشير) بفتح الموحدة وكسر المعجمة وسكون التحتية ابن سعد بن ثعلبة الانصاري الخزرجى (رضى الله عنهما) له ولابويه صحبة وتقدمت ترجمته فى باب الامر بالمحافظة علي

قالَ «ذَكَرَ عُمَرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه ماأَصَابَ الناسُ مِنَ الدنْيا فقالَ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَظَلُّ اليومَ يلْتَوِى ما يَجِدُ دَقَلاً يَملأُ بهِ بَطْنَهُ» رواه مسلم (الدقَلُ) بفتح الدال المهملة والقاف رَدِيءُ التمر * وعن عائشة رضي الله عنها قالَتْ« تُوُفِّيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وما فى بيتى شيءٌ يأْكُلُهُ ذو كَبِدٍ إلاَّ شَطْرُ شَعيرٍ

السنة (قال ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصاب الناس) أى حازوه وحصلوه (من الدنيا) أى المال والخول والجاه وغير ذلك من الاعراض المخدجة فما موصولة عائدها محذوف ومن بيانية (فقال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل) مضارع ظل التي هي لاتصاف اسمها بخبرها نهارا (اليوم) ظرف لقوله (يلتوى) وقوله (ما يجد دقلا يملأ به بطنه) جملة مستأنفة استئنافا بيانيا لسبب التوائه طول يومه (رواه مسلم) فى آخر صحيحه وابن ماجه فى الزهد من سننه ورواه مسلم أيضا فيه ورواه الترمذى فى الزهد من سننه فى شمائله(١) لكن من حديث النعمان نفسه أنه قال «ألستم فى طعام وشراب ماشئتم لقد رأيت نبيكم ما يجد من الدقل مايملأ بطنه» وقال الترمذى صحيح ورواه أبو عوانة (الدقل بفتح الدال المهملة والقاف) آخره لام (ردىء) بالهمز فعيل من الرداءة (التمر) قال فى الصحاح أردأ التمر وما ذكره الشيخ هو مافى النهاية وعبارتها ، الدقل هو رديء التمر ويابسه وما ليس له اسم خاص فتراه ليبسه ورداءته لايجتمع ويكون منثورا اه (وعن عائشة رضي الله عنها قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فى بيتي شيء يأكله ذو كبد) بفتح الكاف وكسر الموحدة فى الافصح أى حيوان وعبرت به لانه من الاجزاء الرئيسة في البدن (الا شطر شعير) لا يخفي ما اشتمل عليه هذا الخبر من مزيد اعراضه

---

(١) (قوله من سننه فى شمائله) كذا بالاصول . ع

فِي رَفٍّ لِي فَأَكَلْتُ مِنهُ حتى طالَ عليَّ فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ »

صلي الله عليه وسلم عن الدنيا بالمرة وعدم النظر اليها لانه اذا كان هذا حالها وهي أحب أمهات المؤمنين اليه صلي الله عليه وسلم وقد دانت له الارض شرقا وغربا وجيء بثمراتها فضة وذهبا ولم يوجد عندها الاماذكر ففيه أعظم دليل علي مزيد اعراضه صلي الله عليه وسلم عنها (فى رف) بفتح الراء وتشديد الفاء قال في النهاية هو خشب يرفع عن الارض الى جنب الدار يوقي به ما يوضع عليه وجمعه رفوف أورفاف وفى الفتح للحافظ قال الجوهرى الرف شبه الطاق في الحائط وقال عياض الرف خشب يرفع عن الارض يوضع فيه مايراد حفظه «قلت» والاول أقرب للمراد اه وقولها (لى) فى محل الصفة لرف (فأكلت منه) من ابتدائية أو تبعيضية وقولها (حتي طال علي) غاية لمحذوف أي وداومت على الاكل منه حتي طال علي (فكلته) بكسر الكاف (ففنى) أى ففرغ وقد وقع نظير ذلك فى قصة أخرى رواه مسلم أيضا أنه صلى الله عليه وسلم أطعم رجلا وسقا من شعير فا كلوا منه مدة حتى كالوه ففنى فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لولم يكل لا كلتم منه ولكفا كم قال المصنف انما فنى عند كيله عقوبة لان كيله مضاد للتسليم ومتضمن للتدبير وتكلف للاحاطة باسرار الله تعالى قال التلمساني فى شرح الشفاء ولا يخالف هذا حديث «كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه» لان ما أمر به صلي الله عليه وسلم عند ارادة المناولة فيكون استعمال آلة النبي صلى الله عليه وسلم وشريعته وما أمر به مطردة للشيطان، وأى مطردة له أكثر من تناوله صلي الله عليه وسلم بيده المباركة وأيضا فان تكثير الطعام القليل من أسرار الله تعالى الخفية وشرط السر اخفاؤه، وقال الحافظ في الفتح أجيب بأن الكيل عند المبايعة محبوب من أجل تعلق حق المتبايعين ولذا يندب وأما الكيل عند الانفاق فالباعث عليه الشح فلذا كره وقال القرطبي سبب رفع النماء عند الكيل والله أعلم

متفق عليه (قولها) بشطر شعير أي شيء من شعير كذا فسره الترمذي

*وعَنْ عَمْرِو بنِ الحارِثِ أخِي جُوَيْرِيَةَ

الالتفات بعين الحرص مع معاينة ادرار نعم الله تعالى ومواهب كراماته وكثرة بركاته والغفلة عن الشكر عليها والثقة بالذى وهبها والميل الي الاسباب المعتادة عند مشاهدة خرق العادات ويستفاد منه ان من رزق شيئا أو أكرم بكرامة أو لطف به فى أمر فالمتعين عليه موالاة الشكر وتنزيه المنة لله تعالى ولا يحدث فى تلك الحالة تغييرا اه (متفق عليه) رواه البخارى فى الخمس وفى الرقاق من صحيحه ورواه مسلم في آخر صحيحه ورواه ابن ماجه فى الاطعمة (وقولها شطر شعير أى شيء) قليل كما يومئ اليه السياق (من شعير كذا فسره الترمذي) وكأنه مستند الحافظ فى قوله فى الفتح المراد بالشطر هنا البعض والشطر يطلق على النصف وعلى مايقاربه وعلي الجهة وليست مرادة هنا ويقال أرادت نصف وسق قال الحافظ الذى يظهر انه صلى الله عليه وسلم كان يؤثر بما عنده ففي الصحيحين «انه صلى الله عليه وسلم كان اذا جاءه ما فتح الله عليه من خيبر أو غيرها من تمر وغيره يدخر قوت أهله سنة ثم يجعل ما بقى فى سبيل الله ثم كان مع ذلك اذا طرأ عليه طارئ ونزل به ضيف يشير على أهله بايثارهم فربما أدى ذلك الى نفاد ما عنده أو معظمه» وقد روى البيهقي عن عائشة قالت «ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية ولو شئنا لشبعنا ولكنه كان يؤثر علي نفسه» اه * (وعن عمرو) بفتح المهملة (ابن الحارث) بن أبى ضرار بكسر المعجمة وتخفيف الراء الاولى الخزاعى المصطلقى (أخي) بالجر عطف بيان لعمرو. وفى بعض نسخ البخارى أخوه بالرفع خبر مبتدأ هو هو (جويرية) بضم الجيم وتخفيف الواو وسكون التحتية الاولى

بِنْتِ الحارِثِ أُمِّ المُؤْمنِين رضي الله عنهما قال ما تَرَكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عِنْدَ مَوْتهِ دِرْهَمًا ولا دينارًا ولا عَبْدًا ولا أمَةً ولا شَيْئًا إلاَّ بَغْلَتَهُ البَيْضاءَ التى كانَ يَرْكَبُها وسِلاحَهُ وأرْضًا كانَ جَعَلَها لِابْنِ السَّبِيلِ صدَقَةً

وكسر الراء وتخفيف التحتية بعدها هاء (بنت الحارث أم المؤمنين) فى الاحترام ووجوب الاكرام (رضى الله عنهما) قال الحافظ في التقريب هو صحابى قليل الحديث بقي الى بعد الخمسين أخرج البخارى عنه هذا الحديث الواحد وانفرد به عن مسلم (قال ما ترك رسول الله صلي الله عليه وسلم عند موته درهمًا ولا دينارًا ولا عبدًا ولا أمة) أى باقيين على الرق قال الحافظ فى الفتح وفيه دلالة على ان من ذكر من أرقاء النبى صلي الله عليه وسلم في جميع الاخبار كان إما مات وإما أعتقه (ولا شيأ) فى رواية الكشميهني ولا شاة والاول أصح وهي رواية الاسماعيلى نعم روى مسلم وأبو داود والنسائى وغيرهم عن عائشة ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارًا ولا درهمًا ولا شاة ولا بعيرًا ولا أوصى بشيء (إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها) قال السهيلى في الاعلام أهداها له رفاعة الضبيبي من لخم اه وسيأتي فى الملح والمنثورات ان الذى أهداها له فرقة بن نفاثة بالنون والفاء والمثلثة على الاشهر الجذامى وانما اسمها الدلدل وليس له بغلة غيرها (وسلاحه) وبيان ما خلفه صلى الله عليه وسلم من السلاح والكراع مذكور فى كتب السير (وأرضا) هى نصف أرض فدك وثلث أرض وادي القرى وسهم من خمس خيبر وضيعة من أرض بنى النضير (جعلها) أى الثلاث المذكورة كما فى تحفة القارى (لابن السبيل صدقة) أى لم يترك مالا غير ما ذكر مما جعله صدقة على المسلمين

رواه البخاري * وعن خَبَّابِ بنِ الأَرَتّ رضي الله عنه قال «هاجرنا مَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم نلتَمِسُ وَجْهَ اللهِ تعالى فَوَقعَ أجْرُنا على الله تعالى فَمِنَّا مَنْ ماتَ لَمْ يأْكُلْ مِنْ أجْرِهِ شيئًا

(رواه البخاري) في مواضع من صحيحه منها في الوصايا وفي فرض الخمس وفي المغازي ورواه الترمذي في الشمائل والنسائي (وعن خباب) بفتح المعجمة وتشديد الموحدة الاولى (ابن الارت) بفتح الهمزة والراء وتشديد المثناة الفوقية وتقدمت ترجمته (رضي الله عنه) ونسبه في باب الصبر (قال هاجرنا) أي فارقنا أوطاننا لنصرة الدين الحنيفي (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) وكان ذلك منهم من مكة الى المدينة وكونهم معه ليس المراد مصاحبتهم له في السفر لانه لم يصحبه صلي الله عليه وسلم في الهجرة الا الصديق وعامر بن فهيرة بل المراد المعية في مفارقة الوطن الى وطن آخر لنصرة الدين وقوله (نلتمس) أي نطلب بهجرتنا (وجه) أي ذات (الله تعالى) جملة مستأنفة استئنافا بيانيا للحامل على الهجرة وفي الصحاح الالتماس الطلب وفي الجملة بيان نعم الله تعالى عليهم ان أهلهم للهجرة وحركهم لها ومن عليهم بالاخلاص فيها ليجنوا ثمرة الاجتهاد ويحبوا بالمراد (فوقع) أي كتب(١) وجاء في رواية للبخاري في المغازي فوجب وذلك لايجاب الله تعالى ذلك على ذاته وبوعده(٢) الصادق والافلا يجب على الله شيء (أجرنا) أي اثابتنا وجزاؤنا (علي الله) ويصح أن يراد منه ثمرة العلم ولو دنيوية علي الله (فمنا) أي فبعض المهاجرين (من مات) حال كونه (لم يأكل) أي لم يصب وعبر عنها بالاكل لانه المقصود من اصابة المال (من أجره شيئا) قال في الفتح وهذا كناية عن الغنائم التي تناولها من أدرك زمن الفتوح ولما كان المراد بالاجر عرقه فليس مقصورا على أجر الآخرة

---

(١) في نسخة «ثبت» . ش (٢) قوله (وبوعده) لعل الواو من زيادة النساخ . ع

مِنهمْ مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ رضي الله عنه قُتِلَ يوم أُحُدٍ وتَرَكَ نَمِرَةً فَكُنَّا إذا غَطَّيْنا بها رَأْسَهُ بَدَتْ رِجلاهُ وإذا غَطَّيْنا رِجلَيه بَدَا رَأْسُهُ فأَمَرَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ نُغَطِّي رَأْسَهُ وَنَجْعَلَ على رِجلَيهِ شَيْئاً مِنَ الإِذْخِرِ وَمِنا مَنْ أَينعت له ثمرته فهو يهدِبُها» متفق عليه

(منهم مصعب) بضم الميم بصيغة المفعول (ابن عمير) بصيغة التصغير العبدري يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في قصي يكنى أبا عبد الله من السابقين الى الاسلام والى الهجرة قال البراء أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرءان القرآن أخرجه البخاري وذكر ابن اسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسله مع أهل العقبة الاولى يقرئهم ويعلمهم (رضي الله عنه قتل يوم أحد) بضم أوليه وقعة مشهورة كانت سنة أربع من الهجرة على الصحيح وكان قتل مصعب بها شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلي الله عليه وسلم يومئذ (وترك نمرة) بفتح النون وكسر الميم ثم راء وهي إزار من صوف مخطط أو بردة (فكنا اذا غطينا بها رأسه بدت) أى ظهرت (رجلاه واذا غطينا رجليه) أى بالنمرة المذكورة (بدا رأسه) هذه الجملة مسوقة لبيان مزيد صغرها ففيه مزيد تقلله من الدنيا (فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغطي) بالتحتية مبنى للمفعول(١) مرفوعه قوله (رأسه) وذلك لشرفه على باقى الأعضاء (ويجعل علي رجليه شيء من الاذخر) هو نبت معروف طيب الرائحة (ومنا) أى وبعضهم (من أينعت) بفتح الهمزة والنون وسكون التحتية بينهما ويأتي معناها فى الاصل (له ثمرته) والفاء فى قوله (فهو يهدبها) تفريعية ومدخولها معطوف علي جملة الصلة (متفق عليه) رواه البخارى فى الجنائز والهجرة من صحيحه ومسلم فى الجنائز

---

(١) في النسخ المجردة نغطي ونجعل بالنون والبناء للفاعل . ع

النمرةُ كِساءٌ ملوَّنٌ مِنْ صوفٍ ، وقوله أينعت أى نضجت وأدركت وقوله يهدبها هو بفتح الياء وضم الدال وكسرها لغتان أى يقطفها ويجتنيها وهـذه استعارة لما فتح الله تعالى عليهم من الدنيا وتمكنوا فيها

ورواه أبو داود فى الوصايا والترمذى فى المناقب وقال حسن صحيح والنسائى في الجنائز (النمرة) تقـدم ضبطها على الافصح ويجوز كسر النون وفتحها مع سكون الميم فيهـما (كساء) قال فى الصحاح هو واحد الاكسية (ملون) أى ذو ألوان وخطوط (من صوف) زاد فى الفتح أو بردة (وقوله أينعت) قال فى فتح البارى وفى بعض ينعت بغير ألف وهي لغـة قال الفراء وأينعت أكثر (أى نضجت) بفتح النون والمعجـمة والجيم من النضج وهو الاسـتواء (وأدركت) أى زمن القطف (وقوله يهدبها بفتح الياء) التحتيـة وسكون الهاء (وضم الدال) المهملة (وكسرها لغتان) ضبطه فى الفتح بكسر المهملة وقال ان النووى ضبطها بالضم وحكي ابن التين تثليثها « قلت » وعليـه اقتصر السيوطى فى التوشيح ولم ينسبه اليه (أى يقطفها) بكسر المهملة من باب ضرب كما أشار اليـه في الصحاح بقوله قطف العنب قطفا ثم رأيته فى المصباح من ضرب وقيل معناه قطع (ويجنيها) عطف تفسير في الصحاح جنيت الثمرة أجنيها واجتنيتها بمعني (وهذه استعارة لما فتح الله عليهم من الدنيا وتمكنوا فيها) أي جمـلة قوله أينعت الخ استعارة تمثيلية شـبه حالهـم فى تمكنهم من الدنيا التي فتح عليهم بها وتمكنوا منها بتمكن ذي الثمرة النضيجة من قطفها واجتنائها ويحتمل أن يكون اسـتعير يهدبها لمعنى التمكن منها فتكون استعارة تبعية شبه التمكن من الدنيا بالهدب وهو القطف للثمرة بجامع سهولة الوصول في كل فأطلق اسم المشـبه على المشبه به استعارة مصرحة مرشحة بقوله

*وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ الساعدى رضى الله عنه قال قال رَسُولُ اللّٰهِ صلّى اللّٰهُ عليهِ وسلم «لوْ كَانتِ الدُّنْيا تعْدِلُ عندَ اللّٰهِ جَناحَ بَعوضةٍ ماسَقى كَافراً منْها شَرْبَةَ ماءٍ» رَوَاهُ الترْمذِيُّ وقالَ حديثٌ صَحيحٌ

أينعت ثم سرت الاستعارة منـه الى الفعل والله أعلم * (وعن سهل بن سعد) الانصارى (الساعدى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح) بفتح الجيم (بعوضة) فعول من البعض وهو القطع غلب على هذا النوع من الحيوان المضروب به المثل فى الحقارة وجناحها فى غايتها ومنتهاها قال النيسابورى فى تفسيره ومن عجائب البعوض ان خرطومه مع كونه فى غاية الصغر مجوف ومع كونه كذلك يغوص في جلد الجاموس كما يغوص الاصبع في الخبيص وذلك لما ركب الله في رأس خرطومه من السم اهـ (ما سقى كافراً منها شربة ماء) لهوانه عليه وسقوطه قال العاقولى أي لو كان لها عنده تعالى أدنى قدر ما تمتع فيها كافر أدني تمتع وفى الديباجـة هو ان الله تعالى لم يجعلها مقصودة لنفسها بل جعلها طريقاً موصلة الى ماهو المقصود لنفسه وان لم يجعلها دار اقامة ولا جزاء وانما جعلها دار انتقال وارتحال وانه تعالى ملكها فى الغالب للكفار والفساق وحمى منها الانبياء وورائهم ويكفيك حديث الباب فى هوانها عند الله وصغرها وحقرها وذمها وبغضها و بغض أهلها والمحبـين لها وليس من الدنيا ما يوجد فيها من الانبياء والصديقين والعلماء العاملين والطاعة الموصلة لمرضاة رب العالمين ويدل له الاستثناء فى الحديث الآتى لانه من قوله فيه «وما فيها» ومع كون الدنيا بهذا المقام عند الله سبحانه فهو يوم القيامة يستوفي لذى الظلامة منها ظلامته من ظالمه ولو كان كافراً من مؤمن اظهارا لمزيد العدل (رواه الترمذى) في الزهد وانفرد به عن باقى الكتب الستة (وقال حديث صحيح) غريب من هذا الوجه وكأن

* وَعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضي الله عنه قالَ سمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقُول «أَلاَ إِنَّ الدُّنيا مَلْعونةٌ مَلعونٌ مافيها إِلاّ ذِكْرَ اللهِ وماوَالاه وعالِمًا ومتَعلِّمًا» روَاه الترمِذيُّ وقال حديثٌ حسنٌ

سكوت المصنف عن هذا لكون الغرابة نسبية فلا تنافى التصحيح * (وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ألا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح يؤتي به لتأكيد مابعده وليتوجه السامع له (إن الدنيا ملعونة) أى مبغوضة ساقطة فعبر عنه بذلك لان من لازم المبغوض الساقط الابعاد (ملعون ما فيها) أى من الاموال الدنيوية المخدجة الفانية من شهوات وغيرها أي الاشتغال بذلك مبعد عن حضرة الحق فقد جاء حب الدنيا رأس كل خطيئة (إلا ذكر الله وما والاه) أى وما أدناه(١) مما أحبه الله تعالى والولى القرب والدنو والمعني الدنيا ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما قاربه من الطاعة الموصلة لمرضاته (وعالما ومتعلما) كذا هو فيما وقفت عليه من نسخ الرياض بالالف فيهما وهو ظاهر لانهما معطوفان على المستثني المنصوب وجوبا لكونه من كلام تام موجب لكنهما فى نسخ الترمذى من غير ألف قال الحافظ السيوطى فى حواشيه عليه منصوبان لان الاستثناء عن كلام تام موجب وكتبا بلا ألف علي طريق كثير من المحدثين (رواه الترمذى) فى الزهد من جامعه . ورواه ابن ماجه في المشكاة (وقال) أى الترمذى (حديث حسن) قال القرطبي لا يفهم من هذا الحديث سب الدنيا مطلقا ولعنها فقد جاء من حديث أبي موسى الاشعرى مرفوعا لا تسبوا الدنيا فنعم مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر واذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه أخرجه الشريف أبو القاسم

---

(١) كذا ، والصواب « وما داناه » . ع

* وعن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه قالَ «قالَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم لا تتّخِذُوا الضَّيْعَةَ فترْغَبوا في الدُّنيا» رواهُ التِّرمِذِيُّ وَقالَ حديثٌ حسنٌ * وَعنْ عبدِ اللهِ بنِ عمْرِو بنِ العاصِ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ «مرَّ علَيْنا رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلم وَنحْنُ نُعالِجُ خُصّاً لنا.

زيد بن عبد الله الهاشمي والجمع بين ذلك بحمل الاحاديث الواردة في أباحة لعن الدنيا على ما يبعد منها عن الله تعالى ويشغل عنه وحمل الوارد بالمنع على ما قرب الى الله تعالي أو أعان على عبادته سبحانه كما يومئ اليه الاستثناء في حديث الباب بقوله إلا ذكر الله وما والاه الخ * (وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة) بالضاد المعجمة العقار والجمع ضيع وضياع بكسر ففتح قاله في الصحاح وفى النهاية ضيعة الرجل ما يكون منه معاشه كالصنعة والتجارة والزراعة وغير ذلك والمراد لا تتوغلوا في اتخاذ الضيعة فترغبوا عن صلاح آخرتكم كما قال (فترغبوا فى الدنيا) أي في صلاحها وتشتغلوا به عن صلاح دار القرار قال صاحب المفاتيح وذلك لان بأخذها تحصل الرغبة فى طلب الدنيا فلا تشبعون حينئذ منها (رواه الترمذى وقال حديث حسن) ورواه أحمد والحاكم فى المستدرك * (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال مر علينا) لعل الاتيان بعلى لعلو محل مروره صلى الله عليه وسلم على محل الخص أو كان راكبا والا فمر يعدي بالباء (رسول الله صلي الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا لنا) بضم الخاء المعجمة وتشديد الصاد المهملة ، قال في النهاية هو بيت يعمل من خشب وقصب وجمعه خصاص واخصاص سمي به لما فيه من الخصاص وهي الفرج والانقاب وفى الصحاح الخص البيت من القصب اه

فقالَ ماهذَا فقُلنا قدْ وَهى فنَحنُ نصلحهُ فقالَ ما أرَى الأمْرَ الاّ أعْجلَ مِنْ ذلكَ « رواه أبو داود والترْمِذِيُّ بأسناد البخاري ومسلم وقالَ الترْمِذيُّ حديثٌ حسنٌ صَحيحٌ * وعَنْ كعب بْنِ عِياض رَضيَ اللهُ عَنه قالَ « سمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم « يقول انَّ لِكلِّ أُمَّة فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أمَّتى

وهو محتمل لتخصيص القصب بذلك فيخالف كلام النهاية ويحتمل أن يراد من ذلك وغيره مثلا فيوافقه والله أعلم (فقال ما هذا) أى المعالج (فقلناقد وهي) بفتحتين أي ضعف وهم بالسقوط كما فى الصحاح (فنحن نصلحه) بادعامه بما يذهب به و يدوم به قوامه (فقال ما أرى) يحتمل أن يكون بضم الهمزة بمعني أظن وأن يكون بفتحها بمعني اعلم (الامر) أى الاجل (الا أعجل) أي أسرع (من ذلك) أى الاصلاح المذكور وعبر به مع ان المقام لهذا الموضوع للقريب إيماء بأن الاشتغال بالبناء بعيد من شأنهم مع توقع الاجل ساعة فساعة ولحظة فلحظة (رواه أبو داود والترمذى باسناد البخارى ومسلم) أى برجال رويا عنهم فهو علي شرطهما (وقال الترمذى حسن صحيح * وعن كعب) بفتح الكاف وسكون العين المهملة بعدها موحدة (ابن عياض) بكسر المهملة وتخفيف التحتية آخره ضاد معجمة الاشعرى معدود فى الشاميين روى عنه جابر بن عبد الله وقيل روت عنه أم الدرداء (رضى الله عنه) خرج عنه الترمذى والنسائي (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل أمة فتنة) بكسر الفاء اى مايمتحنون ويختبرون أى يعاملون به معاملة المختبر للجاهل بحاله قال الراغب في مفرداته جعلت الفتنة كالبلاء يستعمل فى الخير والشر وهما في الشدة أظهر معني وأكثر استعمالا قال تعالى «ونبلوكم بالشر والخير فتنة» اه (وفتنة أمتى) ماتمتحن به فى دنياها

المالُ» رَواه الترْمذِيُّ وقالَ حَديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ * وَعنْ أبى عمْرٍو وَيُقالُ أبو عبدِ اللهِ وَيقال أبو لَيْلَى عثمانَ بْنِ عفّانَ رَضِيَ اللهُ عنه

(المال) كما قال صلى الله عليه وسلم «ان هذا المال حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون» (رواه الترمذى) في الزهد من جامعه ورواه النسائي في الرقاق من سننه ورواه ابن عبد البر وابن منده وأبو نعيم فى كتاب معرفة الصحابة كما فى أسد الغابة (وقال) أى الترمذى (حديث حسن صحيح * وعن أبى عمرو) بفتح العين كنى باسم أحد أولاده (ويقال) بالبناء للمجهول أى ويقال في كنيته (أبو عبد الله) قال فى أسد الغابة يكنى أبا عبد الله ويقال أبو عمرو وقيل كان يكني أولا بابنه عبد الله وأمه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كنى بابنه عمرو اه (ويقال أبو ليلى) بفتح اللامين بينهما تحتية ساكنة (عثمان بن عفان) بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى المكى ثم المدنى أمير المؤمنين (رضي الله عنه) أمه أروى بنت كريز بضم الكاف وفتح الراء ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلي الله عليه وسلم ، أسلم عثمان قديما دعاه أبو بكر الى الاسلام فأسلم وهاجر الهجرتين الى الحبشة ثم الى المدينة فهاجر بزوجته رقية بنت النبي صلي الله عليه وسلم الى الحبشة الهجرتين الأولى والثانية ويقال لعثمان ذو النورين لأنه تزوج بنتي رسول الله صلي الله عليه وسلم إحداها بعد الأخرى قالوا ولا يعرف أحد تزوج بنتى نبي غيره روى لعثمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث وستة وأربعون حديثا اتفق الشيخان منها على ثلاثة وانفرد البخارى بثمانية ومسلم بخمسة ، روي عنه جمع من الصحابة منهم زيد بن خالد الجهني وابن الزبير وغيرهم وخلق من التابعين، ولد فى السنة السادسة بعد الفيل وقتل شهيدا يوم الجمعة لثمان عشرة خلون من ذى الحجة

سنة خمس وثلاثين وهو ابن تسعين سنة وقيل ثمان وقيل ثنتين وثمانين سنة وقيل غير ذلك وهو رضى الله عنه أحد السابقين الي الاسلام كما تقدم وأحد العشرة المبشرة بالجنة الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأحد الستة أصحاب الشورى بويع بالخلافة غرة محرم سنة أربع وعشرين وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة الا ليال وقال ابن عبد البر بويع بعد دفن عمر بثلاث ليال وحج بالناس فى خلافته عشر سنين متوالية وصلى عليه جبير بن مطعم وقيل غيره ودفن بالبقيع ليلا وأخفي قبره ذلك الوقت ثم أظهر وقيل دفن بحش كوكب قال ابن قتيبة وهي أرض اشتراها عثمان وزادها فى البقيع والحش البستان وكوكب اسم رجل من الانصار والاحاديث الواردة فى فضله وعلو مقامه كثيرة شهيرة رضى الله عنه (أن النبى صلي الله عليه وسلم قال ليس لابن آدم حق) قال العاقولى أراد بالحق ما يستحقه الانسان لاحتياجه اليه في كنه من الحر والبرد وستر بدنه وسد جوعته وهذا هو المراد الحقيقى من المال وقيل أراد ما لم يكن معه حساب اذا كان مكتسبا من وجه حلال طيب ويؤيد القول الثانى ما قال ابن كثير أخرج الامام أحمد بسنده الى أبى عسيب مولى النبى صلي الله عليه وسلم قال «خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليلا فمر بي فدعانى فخرجت اليه ثم مر بأبى بكر فدعاه فخرج اليه ثم مر بعمر فدعاه فخرج اليه فانطلق حتى أتي حائطا لبعض الانصار فقال لصاحب الحائط أطعمنا »الحديث وفى آخره فأخذ عمر العذق الذى جاء به الانصارى فضرب به الارض حتى تناثر البسر قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا رسول الله انا لمسئولون عن هذا يوم القيامة قال نعم الا من ثلاثة خرقة كفى بها الرجل عورته أو كسرة سد بها جوعته أو جحر يدخل فيه من الحر والبرد وقال ابن كثير

فى سِوًى هذه الخِصَالِ بيتٌ يَسكنه وثوبٌ يوارِى عورَتَه وجِلْف

تفرد به احمد (فى سوى هذه الخصال) ظاهره استعمال سوى غير ظرف فيكون متصرفا بوجوه الاعراب كغير وهذا ما ذهب اليه ابن مالك وصححه فى أكثر كتبه وبالغ فى نصرته فى شرح التسهيل لكن قال أبو حيان لا سلف له فى ذلك الا الزجاجى واستدل ابن مالك بشواهد من الحديث وغيره شعراً ونثراً ونازعه أبو حيان بأنه لا حجة له فى ذلك ومذهب سيبويه والبصريين أنها لا تخرج عن الظرفية المكانية الا فى الشعر وصححه ابن الحاجب في سبك المظوم وجرى عليه العاقولي هنا فقال موصوف سوى محذوف أى شيء سوى هذه الخصال (١) والمراد هنا ما يحصل للرجل ويسعى فى تحصيله (بيت) رأيته مضبوطا بالقلم فى أصل مصحح بالرفع علي القطع باضمار مبتدأ أى هى ويجوز إن لم تصدمنه الرواية نصبه باضمار اعنى ويجوز جره على الاتباع وهذه الاوجه جارية فى بدل المفصل من المجمل إذا استوفي العدة وجملة (يسكنه) في محل الصفة احترازا عن بيت يعده للكراء فان ذلك من اتخاذ الضيعة المنهى عنه عما تقدم فى حديث ابن مسعود (وثوب يوارى) أى يستر (عورته) يجوز أن يراد من العورة ما يجب ستره فى نحو الصلاة فلا يدخل فيه ستر ما عدا ما بين السرة والركبة من الرجل والأمة وأن يراد به ما يجب ستره فى الرجال عن النساء الاجانب فيشمل ذلك ولعل الثاني أقرب سيما ان كان تركه مخلا بالمروءة فلا يكون لبسه من حظوظ النفس بل من حقوقها ويؤيده انهم أوجبوا على المعتمد في كفن الميت ساتر جميع بدنه لا العورة فقط وأصل العورة الخالى ومنه أعور المكان ورجل أعور (وجلف) بكسر الجيم وسكون اللام قال فى النهاية ويروى بفتح اللام جمع

---

(١) في الجامع الصغير « فيما سوى الخ » (.) ع

الخبْزِ والمَاءِ» رَواه الترمذِيُّ وَقالَ حديثٌ صحيحٌ قالَ التِّرمذِيُّ سَمِعْتُ أَبا دَاودَ سليْمانَ ابْنَ أَسلَمَ البَلْخيَّ يقول سَمِعت النّضْر بْن شُمَيْلٍ يقول الجِلْف الخبْز ليسَ معَه إِدامٌ وقالَ غيرُه هوَ غَلِيظ الخبْزِ وقال الهَرَوِى

جلف(١) وهي الكسرة من الخبز «قاث» وعليه فيكون كحاق بكسر ففتح في جمع حلقة بفتح فسكون (الخبز والماء رواه الترمذى وقال حديث صحيح) قال فى الجامع الصغير ورواه الحاكم فى مستدركه وفى النهاية حديث عثمان «كل شيء سوى جلف الطعام وظل وثوب وبيت يستر فضل» (قال الترمذي وسمعت أبا داود سليمان) بصيغة التصغير (ابن أسلم) بفتح الهمزة فسكون المهملة (البلخي) بفتح الموحدة فسكون اللام بعدها معجمة نسبة الى بلخ بلد معروف ويقال له المصاحفي نسبة الى عمل المصاحف والترمذي تارة يصفه بتلك وتارة بهذه كما بينته فى باب الكنى من حرف الدال من كتابى فى أسماء رجال الشمائل يقول (سمعت النضر) باعجام الضاد فى مقدمة فتح البارى ما كان بهذه الصورة معرفا بالاعجام ومنكرا بالاهمال (ابن شميل) بضم المعجمة وفتح الميم وسكون التحتية والنضر هو الامام الكبير الشان فى علوم العربية وقد ذكرت ترجمته فى كتابي المذكور آنفا (يقول الجلف) أى بكسر فسكون اسم مفرد (الخبز ليس معه ادام وقال غيره هو غليظ الخبز) أي وان كان معه ادام وهذا الغير هو الليث كما فى تكملة الصحاح للصغانى وعبارته قال قال الليث الجلف نخال النخل والجلف أيضا من الخبز الغليظ اليابس اه ويحتمل أن يكون غيره لان المحكي هنا أعم مما حكي عنه لانه اعتبر فيه أمرين الغلظ واليبس والمحكى عن الغير هو الاول فقط (وقال الهروى)

(١) لعلها «جلفة» . ع

المُرَادُ بِهِ هُنَا وِعَاءُ الخُبْزِ كَالجُوَالِقِ وَالخُرْجِ واللهُ أعلم * وَعَنْ
عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ بِكَسْرِ الشِّينِ وَالْخَاءِ الْمُشَدَّدَةِ الْمُعْجَمَتَيْنِ

صاحب كتاب الغريبين (المراد به هنا وعاء الخبز كالجوالق) بضم الجيم قال فى
الصحاح الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب الا ان تكون
معربة أو حكاية صوت نحو الجردقه وهي الرغيف وذكر ألفاظا الى أن قال
والجوالق بضم الجيم وعاء والجمع الجوالق بالفتح والجواليق بالياء أيضا اه (والخرج)
بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وبالجيم قال فى المصباح وعاء معروف عربى صحيح
والجمع خرجة نحو عنبة اه وفيه أيضا قبل الجاف كل ظرف ووعاء وهذا القول
الذى حكاه المصنف أعرض عن ذكره العاقولى فى شرح المصابيح والحافظ
السيوطي فى حاشية الترمذى والعلقمى فى حاشية الجامع الصغير وكأنه لبعده عن
مقام الحديث لان المراد به التحريض علي الزهد وأخذ الوعاء لنحو الخبز انما
يكون عادة عند نحو ادخار واهتمام به وذلك خلاف المقصود والله أعلم * وكأن من
حمل الحديث عليه يمنع كون ذلك عادة عند الادخار بل يكون لنحو ما يحفظ
لوقت آخر من اليوم مثلا والله أعلم * (وعن عبد الله بن الشخير بالشين والخاء
المشددة المعجمتين) كأن وجه افراد المشددة وتثنية ما بعده مع أن الوصفين
سيان الاكتفاء بكون الشين لا ينطق بها الا كذلك لان اللام تبدل منها وتدغم
فيها وليس فى الخاء ما يدل على وجوب ذلك فيها فنبه على ما يحتاج الى التنبيه
وأيضا فتشديد الشين عارض عند دخول أل فيه بخلاف تشديد الخاء وعبارة
تبصير المنتبه فى تحرير المشتبه للحافظ ابن حجر شخير بالكسر وتشديد الخاء
المعجمة بعدها ياء ثم راء عبد الله بن الشخير له صحبة وأولاده اه والظاهر أن

رضيَ اللهُ عَنْهُ أنهُ قالَ « أتيتُ النبيَّ صلى الله عليهِ وسلم وَهُوَ يقرأُ أَلهاكُمُ التَّكاثُرُ قالَ يقولُ ابنُ آدمَ مالي مالي وهَلْ لكَ يا بْنَ آدمَ مِنْ مالِكَ إلاَّ ما أكلْتَ فأفنيْتَ أوْ لبِسْتَ فأبْليْتَ أوْ تصدَّقْتَ فأمْضيْتَ »

أل فيه مقارنة للنقل فتكون لازمة والله أعلم ، وعبد الله (رضى الله عنه) تقدمت ترجمته فى باب فضل البكاء من خشية الله تعالى (انه قال) بفتح الهمزة مبتدأ خبره الظرف قبله أي وعنه قوله (أتيت النبي صلي الله عليه وسلم وهو يقرأ) جملة فى محل الحال من المفعول (ألهاكم التكاثر) أى السورة المسماة بما ذكر لكونه صدرها (قال) أى النبي صلي الله عليه وسلم بعد اتمامها كما عند النسائي حتي ختمها (يقول ابن آدم) أتي بصيغة المضارع إيماء الي أن هذا القول ديدنه ودأبه بحسب طبعه (مالى مالى) أى مالى هو الذى أعتنى به وأهتم فالتكرار لفظا للتعظيم والاهتمام قال الحافظ فى الفتح لان المبتدأ والخبر اذا كانا متحدين فالمراد به بعض اللوازم (وهل لك) المعطوف عليه مخاطب مقدر أى أتقول ذلك (يا بن آدم) وتهتم بأمره وهل لك (من دنياك) التي اهتممت بأمرها واحتفلت بشأنها والاستفهام فيه للانكار أى مالك منها على الحقيقة (إلا ما أكلت فأفنيت) فوصل نفع ذلك الى أجزاء البدن واستقام به أمرها (أو لبست) بكسر الموحدة (فأبليت) من الابلاء اخلاق الجديد (أو تصدقت) على محتاج قاصدا وجه الله تعالى (فأمضيت) قال فى المصباح أمضيت الأمر أنفذته اهـ والمراد أمضيت التصدق ونجزته فأبقيت ثوابه مدخرا لك عند المولي وملخصه مالك من دنياك إلا ما انتفعت به فى دنيك بأن أكلت أو لبست أوأخرته بان تصدقت وما عدا ذلك من باقى المال فانما أنت فيه بمنزلة الخادم الخازن لغيره كما تقدم في حديث « أيكم مال وارثه أحب اليه من

رواه مسلم * وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مُغَفَّلٍ رضى الله عنه قال « قَالَ رَجُلٌ

ماله » ففيه تحريض على الزهد من جمع الدنيا والعروض (١) عنها وتحريض على الاقتصار على ما تدعو اليه ضرورة الحية وادخار ما عداه عند الله وما أحسن قول بعضهم : اجعل ما عندك ذخيرة لك عند الله واجعل الله ذخيرة لاولادك ، (رواه مسلم) فى أواخر صحيحه ورواه الترمذى فى الزهد وقال حسن صحيح والنسائي في الوصايا وفى التفسير * (وعن عبد الله بن مغفل) بصيغة اسم المفعول من التغفيل بالغين المعجمة والفاء قال المصنف فى التهذيب هو أبو سعيد وقيل أبو عبد الرحمن وأبو زياد عبد الله بن مغفل بن عبد غنم وقيل ابن عبد نهم بن عفيف بن أسحم بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار المزني البصرى (رضى الله عنه) ومزينة امرأة عثمان بن عمرو نسبوا اليها وهى مزينة بنت وهب بن وبرة، فولد عثمان يقال لهم مزنيون وكان عبد الله من أهل بيعة الرضوان قال انى لمن رفع أغصان الشجرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سكن المدينة ثم تحول الى البصرة وابتنى بها داراً قرب الجامع قال الحسن ما نزل البصرة أشرف منه وقد تقدمت ترجمته وذكر بعض مناقبه وعدة ماله من لاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى باب المحفظة على السنة وقد ذكرت زيادة على ذلك فى ترجمته في كتابي فى رجال الشمائل (قال قال رجل) قال ابن أقبرس فى شرح الشفاء هذا الرجل من المجاهيل « قلت » ويجوز أن يكون أبا سعيد الخدرى ففي الشفاء وقد قال صلى الله عليه وسلم لابي سعيد «إن الفقر الي من يحبني منكم أسرع من السيل من أعلى الوادي أو الجبل الى أسفله» ثم أورد حديث ابن مغفل المذكور وقال بعد ذكره الى قوله تجفافاً ثم ذكر(٢) نحو حديث أبى سعيد بمعناه ثم رأيت الحافظ السيوطي فى تخريج أحاديث الشفاء جزم بأن حديث أبى سعيد بعض

(١) قوله (العروض) لعله (الاعراض). ع (٢) قوله (ثم ذكر) لعلها (فذكر). ع

لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يارسولَ اللهِ واللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ قالَ انْظُرْ ماذَا تَقولُ قالَ وَاللهِ إِني لَأُحِبك ثلاثَ مَرَّاتٍ قالَ إِنْ كُنتَ تُحِبُّنِي فأَعِدَّ لِلفقْرِ تِجْفافاً

حديث ابن مغفل فهو يقوي ما فهمته من تفسير المبهم بأبي سعيد والله أعلم * (للنبي صلى الله عليه وسلم) اللام فيه لتبليغ (يا رسول الله والله اني لاحبك) لعل ذكر المؤكدات لزيادة تثبيت مضمون الخبر عنده صلى الله عليه وسلم خصوصا ان قلنا إنه أبو سعيد أو غيره من خلص المؤمنين وان كان من المنافقين ثم صدق في ايمانه فلاذهاب ماتوهم من حاله السابق (فقال انظر ماذا تقول) يريد منه الاستكشاف عن حقيقة قوله ولذا علقه بالشرط الآتي وفي الاصطفاء انظر ماذا تقول أي تأمله وتذكر فيه فانك رمت خطة عظيمة ومشقة وخيمة تورثك خطرا يجعلك هدفا للبلايا نظيعة ورزايا وجيعة فامره بالنظر ليوطن نفسه على ما يرهقه عسرا أو يكلفه أمرا إصرا اه ولا يخفي ما فيه (قال والله اني لأحبك) وقال الدلجي مؤكدا بالقسم والتكرير (ثلاث مرات) وهو ظرف لقال (فقال ان كنت تحبني) أتى بان الدالة على عدم الجزم مع تأكيد المتكلم بالمؤكدات السابقة اما لعدم علمه صلى الله عليه وسلم بحال القائل عند معرفته بثمرة المحبة بعد ذكرها له فلعله يرجع عن ذلك لعدم ثباته كما قال تعالى «ومن الناس من يعبد الله على حرف» الآية أو تحريضا على الصبر على نتائج دعواه كقول الوالد لابنه ان كنت ولدي فاطعني (فاعد) بتشديد الدال أمر من الاعداد أي فهيء (للفقر تجفافا) قال ابن اقبرس المعنى ان يرفض الدنيا و يزهد فيها ويستتر عن استنمائها بمثل التجفاف كما يستتر بالترس في الحرب من آثار السلاح التي هي آلة الجراح اه ففيه استعارة كما

فَإِنَّ الفقْرَ أَسْرَعُ إِلى مَنْ يُحِبُّنِى مِنَ السَّيْلِ إِلى مُنْتَهاهُ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقالَ حدِيثٌ حسنٌ * (التَّجْفَافُ) بِكَسْرِ التَّاءِ الْمُثَنَّاةِ فَوْقُ وَإِسْكَانِ الجِيمِ وبالفاءِ الْمُكَرَّرَةِ وهِيَ

يأتي وعال صلى الله لميه وسلم ماذكره بقوله علي سبيل الاستئناف البياني (فان الفقر) أتى به ظاهرا والمقام للضمير زيادة لتمكينه عندسامعه (أسرع الي من يحبنى) زاد فى حديث أبى سعيد المذكور آنفاقوله منكم فيحتمل أن يكون له مفهوم ويحتمل أن لا لأن خطابه لما كان معهم ذكره لا لتخصيصهم بذلك والثانى أقرب (من السيل الي منتهاه) أى من مكان وصول السيل من الجبل أو أعلي الوادى الى منتهاه من أسفل الجبل أو آخر الوادى. وانما كان كذلك لان الناس علي دين ملوكهم ولما كان صلي الله عليه وسلم أزهد الناس فى الدنيا بشهادة حديث ملك الجبال «ان شئت جعل الله لك الا خشبين ذهبا فأبى» وحديث «عرض عليه ربه ان يجعل له بطحاء مكة ذهبا فقال لا يارب ولكنى أجوع يوما وأشبع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك» كان المحب التابع له أسرع الي اتصافه بماهو متصف به من السيل كما قال لقوة الرغبة وصدق المحبة ولان المحب يجب أن يتصف بصفات المحبوب فالمرء مع من أحب ومولى القوم منهم فى الخير والشر فمن أحب أن يكون معهم فى نعيم الآخرة فليصبر كما صبروا في الدنيا عن شهواتها لكن هذا مقام عال شريف لايقدر عليه الا الافراد فلذا قال له انظر ماذاتقول أى انك قد ادعيت أمرا عظيما يستدعى الصبر على أمر عظيم قال تعالى «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين» (رواه الترمذي وقال حديث حسن) وفيه بعد قوله حسن غريب وأسقطه المصنف لان الغرابة النسبية لا تضر فى الحكم بالحسن (التجفاف بكسر التاء المثناة فوق واسكان الجيم وبالفاء المكررة وهي) انث الضمير

شَيْءٌ يُلْبَسُهُ الْفَرَسُ لِيُتَّقَى بِهِ الأَذى وقَدْ يَلْبَسُهُ الإِنْسانُ * وعَنْ كَعْبِ بنِ مالِكٍ رَضي الله عنه قال « قالَ رَسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم ما

باعتبار المعنى فانها في معنى السترة (شيء يلبسه) بالبناء للمجهول من ألبس ومفعوله الثاني الضمير قدم لكونه ضميرا متصلا على مفعوله الاول الذى أقيم مقام الفاعل (وهو الفرس ويجوز أن يقرأ بفتح التحتية و بالموحدة مبنيا للفاعل من لبس بكسر الموحدة (ليتقي به لاذى) أى ان يصيبه من السلاح شيء من الجراح وقد يلبسه الانسان ظاهره ان التجفاف معد لثوب يلبسه الفرس (وقد يلبسه الانسان) وعلي ذلك جرى العاقولي فقال وقد يلبسه الانسان أيضا ولعله تبع فيه المصنف والذى في المصباح التجفاف تفعال بالكسر شيء يلبسه الفرس عند الحرب كانه درع والجمع تجافيف قيل سمي به لما فيه من الصلابة واليبوسة وقال ابن الجواليقى التجفاف معرب ومعناه ثوب البدن وهو الذي يسمي في عصرنا بركصطوان اه وفى شرح الشفاء لابن اقبرس قال أبو علي التاء زائدة واشار العاقولي الى ان فى الحديث استعارة مكنية تتبعها استعارة تخييلية بقوله شبه الفقر بالسهم الصائب والسيف القاطع والرمح النافذ وشبه صبره عليه بالتجفاف الذي يلبسه الانسان أو يلبسه فرسه ليقيه ذلك أى فالتشبيه المضمر فى النفس استعارة مكنية واثبات التجفاف استعارة تخييلية * (وعن كعب بن مالك) الانصاري أحد الثلاثة الذين خلفوا فنزلت توبتهم فى آية آخر سورة التوبة وتقدمت ترجمته (رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما) نافية حجازية كما اقتصر عليه الطيبي ويجوز كونها تميمية لان الباء تزاد فى خبر كل منهما خلافا لابى علي والزمخشرى زعما إختصاص الباء بلغة الحجاز قال ابن هشام فى المغني أوجب الفارسي والزمخشرى فى نحو ما الله بغافل كون ما حجازية ظنا أن

ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ » رواه التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ * وَعَنْ عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه قالَ « نامَ رَسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلم علَى حصيرٍ فقامَ وقدْ أثَّرَ في جنْبِهِ

أنقتضى لزيادة الباء نصب الخبر وانما المقتضى نفيه لامتناعها فى نحو كان زيد قائما وجوازها فى . لم أكن باعجلهم. وفي ما ان زيدا بقائم اه (ذئبان جائعان أرسلا) بالبناء المجهول (في غنم) متعلق به وهذان وصفان للذئبان مفرد وجملة فهو كقوله تعالى « وهذا كتاب مبارك أنزلناه » (بافسد لها) أى بأكثر فسادا للغنم وأنث ضميرها لاعتبار الجنسية فيها (من) فساد (حرص المرء علي المال) متعلق بحرص ومن فساد هو المفضل عليه (والشرف) أى الجاه معطوف علي المال واللام فى قوله (لدينه) لام البيان كهى فى قوله « تعالى ان أراد ان يتم الرضاعة » كانه قيل لمن ؟ قال لمن أراد . وكذا هنا كأنه قيل بأفسد لأى شيء ؟ فقيل لدينه ولا يصح جعلها متعلقة بافسد لانه لايجوز تعلق حرفى جر بلفظ واحد ومعنى واحد بعامل واحد الا علي سبيل البدل (رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح) قال فى الجامع الصغير ورواه أحمد من حديث كعب أيضا * (وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير) قال فى المصباح هو البارية وجمعه حصر مثل بريد وبرد وتأنيثه بالتاء عامى اه وفى الشفاء من حديث عن حفصة وكان ينام أحيانا علي سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه قال السيوطي فى تخريجه رواه الشيخان من حديث طويل عن عمر والترمذى وابن ماجه (فقام) أى استيقظ واستوى جالسا (وقد أثر) أي الحصير (فى جنبه) فان بدنه الشريف كان ألين

فقُلْنَا يا رَسولَ اللهِ لو اتَّخَذْنا لكَ وِطَاءً فقالَ مالِي ولِلدُّنيا ما أنا في الدُّنيا إلاَّ كراكِبٍ استَظَلَّ تحتَ شجرَةٍ ثمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا »

من الحرير وفى الحديث عن أنس « ولا مسست خزا ولا حريرا ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم » واذا كان هـذا شأن كفه وهو يزاول الاعمال فكيف بباقى بدنه الشريف صلى الله عليه وسلم والجملة فى محل الحال من فاعل قام (فقلنا) أى الحاضرون الذين منهم ابن مسعود ويبعد أن يريد نفسه فقط ولا يشهد له ما سيأتى عن ابن ماجه من قول ابن مسعود فقلت كما هو ظاهر (لو اتخذنا لك وطاء) بكسر الواو وبالمد بوزن كتاب قال فى المصباح هو الوطيء وقد وطؤ الفرش بالضم فهو وطيء كقرب فهو قريب وجواب لو محذوف أى لا استراح بذلك أو نحو ذلك وعند ابن ماجه «فقلت يارسول الله لوكنت أذنتنا ففرشنا لك شيئاً يقيك » (فقال مالى وللدنيا) قال الانطاكي فى حواشى الشفاء قيل يجوز أن تكون ما نافية أى ليس لي ألفة ومحبـة لى وللدنيا حتى أرغب فيها ويجوز أن يكون التقدير أى شيء حلى مع الميل للدنيا اه أى فتكون ما استفهامية والمعني أى شيء لى ولها أى جامع فاشتغل بها وقال الدلجى هو استفهام بمعني النفى أى لا أرب فيها (ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) وذلك لان الدنيا ليست دار قرار ولا منزل استقرار انما هى دار عبور يقطعها السائر الى ميادين الآخرة فالانسان فيها بمثابة المسافر النازل فى أثناء سفره تحت شجرة يطلب ظلالها من حر الشمس ثم اذا ذهبت الشمس اذا جلس تحت الشجرة منها راح عن الشجرة أى سار بعد الزوال وتركها ففيه أتم ارشاد الى ترك الاهتمام بعمارة الدنيا والاشتغال بتحصيلها وحث وحض على الاعتناء بعمارة منزل

رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ * وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه قالَ « قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَدْخُلُ الفُقَرَاءُ الجَنَّةَ قبلَ الأَغنِياءِ بِخَمسمائةِ عامٍ »

العبد من الدار الآخرة وتحصينه وبالله التوفيق (رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح) قال في الجامع الصغير بعد ايراد الحديث المرفوع رواه أحمد وابن ماجه والحاكم والضياء كلهم عن ابن مسعود *(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام) لحبس الاغنياء تلك المدة في الموقف حتي يحاسبوا عما خولوه من الغني من أين اكتسبوه وفيم أذهبوه كما سيأتي فى حديث أسامة قال العاقولى وجه الجمع بين هذا الحديث وقوله فى حديث عائشة « انهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا » ان الاربعين أريد بها تقدم الفقير الحريص، علي الغني الحريص وأريد بالخمسمائة تقدم الفقير الزاهد على الغنى الراغب فكان الفقير الحريص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد وهذه نسبة الاربعين الى الخمسمائة لان الخمسمائة عشرون مضاعفة خمسا وعشرين مرة والاربعون عشرون مضاعفة مرة فالاربعون خمسا خمس الخمسمائة التي هى نصف يوم فيكون الاربعون خمس خمس اليوم الذى هو ألف سنة * وحاصله ان الفقير الحريص يسبق الغنى الراغب بخمس خمس يوم والفقير الزاهد يسبقه بنصف يوم اه وفى حاشية الترمذى للسيوطى وروى محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن الخلال فى كتابه فضل الفقير على الغنى حديث أنس بن مالك قال « بعث الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم» الحديث وفيه يدخل الفقير الجنة قبل الغنى بنصف يوم وهو خمسمائة عام قال

رَواه التِّرْمِذِي وقالَ حديثٌ حسن صحيح * وعنْ ابنِ عبّاسٍ وعِمْرانَ ابْنِ الحُصَيْنِ رضي الله عنهمْ عنِ النَّبيِّ صلى الله عليهِ وَسلم قالَ « اطَّلعتُ في الجَنَّةِ

الحارث قال سفيان يفسره « ان للجنة ثمانية أبواب ما بين الباب الى الباب خمسمائة عام لكل باب أهل فينسى الغنى فيجىء الى باب غيره فيقول البواب ارجع الى بابك فيرجع الى بابه وهو مسيرة خمسمائة عام » اه (رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح) هذا وقد ذكر ابن كثير فى تفسيره أثراً عن ابن عباس قال انما هي ضحوة فتقبل أولياء الله على الاسرة مع الحور العين وتقبل أعداء الله مع الشياطين مقرنين وقال سعيد بن جبير « يفرغ الله من الحساب نصف النهار فيقيل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا » ثم نقل نحوه عن عكرمة وان ذلك للفريقين فى الساعة التي تكون في الدنيا عند ارتفاع الضحى الاكبر اذا انقلب الناس الي أهليهم للقيلولة ثم روى عن ابن مسعود « لا ينتصف النهار حتى يقيل هؤلاء وهؤلاء ثم قرأ أصحاب الجنة الخ وقوله تعالى ثم أن مرجعهم لالى الجحيم » وروى آثاراً أخر « قات » وهذا كله لا يخالف حديث الباب فان الله تعالى يطول ذلك الزمان حتى يكون على الكافر قدر خمسين ألف عام ويرى الغني انه تأخر فى الموقف عن الفقير بعد دخوله خمسمائة عام والله على كل شيء قدير (وعن ابن عباس وعمران) بكسر العين المهملة (ابن حصين) بضم المهملة وفتح الثانية وسكون التحتية آخره نون وسبقت ترجمتهما وقوله (رضي الله عنهم) لانهما صحابيان ابنا صحابيين (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اطلعت) بتشديد الطاء المهملة أي أشرفت وقال الماقولي ضمن معنى تأملت (فى الجنة) يحتمل أن يكون ذلك فيه وفيما بعده ليلة الاسراء ويحتمل أن

فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِى النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ »

يكون لما كشف له فى صلاته فى الكسوف والله أعلم (فرأيت) أي علمت فلذا تعدي لمفعولين (أكثر أهلها الفقراء) قال ابن بطال لا يوجب فضل الفقير على الغنى وانما معناه الفقراء فى الجنة أكثر من الاغنياء فأخبر عن ذلك وليس الفقر أدخلهم الجنة انما دخلوا بصلاحهم معه فالفقير اذا لم يكن صالحاً لا يفضل، حكاه عنه الحافظ في الفتح قال العلقمى ظاهر الحديث التحريض على ترك التوسع فى الدنيا « قلت » وهو الذى فهمه المصنف ولذا أورد الخبر في باب فضل الزهد فى الدنيا (واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء) فيه التحريض لهن على المحافظة على أمر الدين ليسلمن من النار قال الحافظ وفى حديث أبي سعيد عند مسلم فى صفة أدني أهل الجنة ثم يدخل عليه زوجتاه ولابي يعلى عن أبي هريرة فيدخل الرجل علي ثنتين وسبعين زوجة مما ينشىء الله زوجتين من ولد آدم واستدل أبو هريرة بهذا الحديث على أن النساء فى الجنة أكثر من الرجال كما أخرجه عنه مسلم فى صحيحه وهو واضح لكن يعارضه قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الكسوف « أكثر أهل النار » « ويجاب » بأنه لا يلزم من أكثرهن في النار نفي أكثرهن فى الجنة لكن يشكل عليه حديث اطلعت الخ ويحتمل أن الراوى رواه بالمعنى الذى فهمه من أن كونهن أكثر ساكني النار يلزم منه كونهن أقل ساكني الجنة وليس ذلك بلازم لما قدمته ويحتمل أن يكون ذلك فى أول الامر قبل خروج العصاة من النار بالشفاعة والله أعلم * قال شيخ الاسلام زكريا ويجاب أيضاً بأن المراد بكونهن أكثر أهل النار نساء الدنيا

مُتّفقٌ عليهِ من رِوايةِ ابنِ عبّاسٍ رضي اللّه عنهما ورَواه البخاريّ أيْضاً مِنْ رواية عِمْرَان بْنِ الحُصَيْنِ * وعَنْ أسامَةَ بْنِ زيْدٍ رَضِيَ اللّه عنْهُما عَنِ النبيِّ صلى الله عليه وَسلم قال « قُمْتُ على بابِ الجنّةِ فَكانَ عامَّةُ

وبكونهن أكثر أهل الجنة نساء الآخرة فلا تنافى اه (متفق عليه من رواية ابن عباس) قال الحافظ المزى فى الاطراف رواه البخارى فى النكاح تعليقا « قلت » قال الحافظ في نكته عليه هذا التعليق في كتاب الرقاق لا في كتاب النكاح وقال في النكاح تابعه أيوب ومسلم بن زيد كذا هو في الاصول قال ورواه مسلم في الدعوات من صحيحه ورواه الترمذى فى صفة جهنم وقال حسن صحيح ورواه النسائي في عشرة النساء من سننه اه ملخصاً وفى الجامع الصغير حذف رمز البخاري من رواته وكأنه سهو وزاد فيه ورواه احمد (ورواه البخارى) فى صفة الجنة وفي النكاح وفى الرقاق (أيضاً) أى دون مسلم (من رواية عمران ابن حصين) والراوى للحديث عنهما هو أبو رجاء عمران بن تيم وقد رواه من حديث عمران أيضاً الترمذي فى صفة جهنم والنسائي فى عشرة النساء والرقاق قال المزى بعد أن ذكر اختلاف الرواة عن عوف فقال بعضهم عن أبى رجاء عن عمران وقال أيوب عن أبى رجاء عن ابن عباس وكلا الاسنادين ليس فيه مقال ويحتمل أن يكون أبو رجاء سمعه منهما والله أعلم ه (وعن أسامة) بضم الهمزة (ابن زيد) بن حارثة الحب بن الحب تقدمت ترجمته فى باب الصبر فى أوائل الكتاب (رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة) أى لانظر أهلها أو لأمر آخر اقتضى القيام ثمة (فكان عامة) قال فى المصباح هم خلاف الخاصة والجمع عوام كدابة ودواب والهاء فى عامة للتأكيد اه وفى كتاب

مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينَ وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ» متفقٌ عليه

تنقيح الفهوم فى تنقيح صيغ العموم للحافظ العلائى وأما عامة مثل فعلة عامة الناس فلا ريب أنه من صيغ العموم كيف وهو من مادته و بنيته والعموم معناه الشمول والاحاطة وهو خلاف الخصوص وهذا ظاهر لاحاجة الى الاستشهاد اليه اه وعليه فالمعنى فاذا عموم (من دخلها المساكين) جمع مسكين والمراد به ما يشمل الفقير أى المحتاج ويجوز من حيث صنعة الاعراب رفع المساكين على أنه اسم كان مؤخر ونصب عامة على أنه خبرها مقدماً ويجوز العكس (وأصحاب الجد محبوسون) أى فى الموقف عن دخول الجنة ليحاسبوا عما كانوا فيه من الغني تحصيلا وتضييعا والفقراء سالمون من ذلك (غير) بالنصب على الاستثناء (ان أصحاب النار) أى منهم قد أمر بهم الى النار والمعني لكن أصحاب النار منهم غير محبوسين وفى المفاتيح أصحاب النار هم الكفار (قد أمر بهم الى النار) أى لا يوقفون فى العرصات بل يؤمرون بدخول النار فالاستثناء منقطع وكذا قال العاقولى غير بمعني لكن والمغايرة بحسب التفريق فان القسم الاول أى والمراد به المؤمنون من غني وفقير بعضهم محبوس وهو ذو الجد وبعضهم غير محبوس وهو الفقير والقسم الثاني غير محبوسين ويدل على أن القسم الاول بعضه محبوس قوله فى الحديث عن صعاليك المهاجرين أنهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم فلولا ذلك الحبس للاغنياء لدخلوا جميعا (متفق عليه) قال المزى فى الاطراف رواه البخارى فى النكاح «قلت» زاد الحافظ في نكتة عليه وفي الرقاق قال المزى ورواه مسلم آخر كتاب الدعوات ورواه النسائى فى عشرة النساء من سننه وفي المواعظ والرقائق منها وهما ليسا من سنن النسائي في الرواية اه ملخصا وقال السيوطي في الجامع الصغير ورواه احمد

(الجَدُّ) الحَظُّ والغِنى وَقدْ سَبق بَيانُ هذا الحديثِ في بابِ فَضْلِ الضَّعفَةِ

* وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْه عَنِ النَّبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَ «أصْدَقُ كَلِمَةٍ قالَها شاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ

في مسنده (الجد) بفتح الجيم وتشديد اللام المهملة (الحظ والغنى وقد سبق بيان هذا الحديث) بزيادة في آخره «وقمت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء» (في باب فضل الضعفة) وتقدم شرح الحديث ثمة أيضا بما بينه وبين ما هنا عموم وخصوص (وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اصدق كلمة) أي أكثر جملة مفيدة مطابقة للواقع وجملة (قالها شاعر) في محل الصفة لكلمة احترز بها عن قول الله سبحانه وأقوال أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فتلك أصدق والمراد بالتفضيل ما عدا ذلك واطلاق الكلمة علي الجمل المفيدة هو في اللغة وتخصيصها بالقول المفرد عرف طارىء وليس للشارع اصطلاح خاص في اطلاق الكلمة فتحمل علي معناها اللغوى لكن مقتضى كلام النحاة ان اطلاق الكلمة على الجمل المفيدة مجاز مرسل من اطلاق اسم الجزء على الكل وجوز بعضهم كونه استعارة مصرحة بان شبهت الجملة في توقف الافادة علي جميع اجزائها بتوقف فهم معني الكلمة علي جميع حروفها فاطلق اسم المشبه علي المشبه به حينئذ فتكون القرينة في الحديث على ارادة المجاز منها ما فسر به الخبر من شطر البيت (كلمة) بفتح الكاف وكسر اللام لغة أهل الحجاز وهي أفصح من فتح الكاف وكسرها مع سكون اللام فيهما وهما لغة تميم ويكفي في تغاير المبتدأ والخبر التغاير بحسب الاضافة (لبيد) بفتح اللام وكسر الموحدة وسكون التحتية ثم دال مهملة وهو ابن ربيعة بن مالك ابن جعفر بن كلاب بن ربيعه بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن

* ألاَ كُلُّ شيءٍ ما خَلاَ اللهَ باطِلُ *

ابن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان العامرى هكذا ذكر نسبه أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة فى تاريخه ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وحسن اسلامه وكان من فحول شعراء الجاهلية وكان من المعمرين عاش مائة وار بعا وقيل وسبعا وخمسين سنة وقال السمعانى مات أول خلافة معاوية وله مائة واثنتان وأربعون سنة ولم يقل شعرا بعد اسلامه وكان يقول أبدلني الله به القرآن وقيل قال بيتا واحدا .

ماعاتب المرء الكريم كنفسه * والمرء يصلحه القرين الصالح

وقول جمهور أصحاب السير والاخبار لم يقل شعرا منذ أسلم وقال عمر بن الخطاب يوما للبيد انشدني شيئا من شعرك فقال ما كنت لأقول شعرا بعد اذ علمنى الله البقرة وآل عمران فزاده عمر فى عطائه خمسمائة وكان شريفا فى الجاهلية والاسلام وفى ترجمته زيادة فى التهذيب (الا) اداة استفتاح (كل شيء ماخلا الله) أى وصفاته وانما لم يذكرها لانها معلومة من ذكر الذات كما هو مقرر عند الاشاعرة انها ليست غيرا أى يجوز انفكاكها كما أنها ليست عينا أي باعتبار المعلوم فلكونها غير قابلة الانفكاك كان المتبادر من ذكر الذات ذكرها وبهذا يبطل تعلق المبتدعة بالبيت (باطل) يحتمل أن يكون المراد منه هلاكه بالفعل فينعدم كل مخلوق ساعة لتصدق الكلية ثم يوجد ويحتمل أن المراد قبوله للبطلان والهلاك اذالمتعقل اما واجب العدم كالمحال الذاتى أوالبقاء كذات الله وصفاته أومحتمل لهما كالعالم والبيت المذكور فى معنى قوله تعالى كل شيء هالك الاوجهه ولوعدهذا البيت من موافقات لبيد للقرآن لم يبعد وبما ذكر من استشهاد النبي صلي الله عليه وسلم بشعر لبيد

متفقٌ عليه

باب فضل الجوع وخشونة العيش

وَالاقتصارِ علَى القَليلِ منَ المأْكُولِ وَالمَشْرُوب والْملبُوسِ وَغيْرِهامِنْ حُظُوظِ النُّفُوسِ وتَرْكِ الشَّهوَاتِ

وشهادته له بانه شاعر كما جاء فى رواية أخري وان ذلك أصدق ماقاله شاعر ضرب الامام الشافعي المثل به حيث يقول .

ولولا الشعر بالعلماء يزرى ٭ لكنت اليوم أشعر من لبيد

(متفق عليه) رواه البخارى فى الادب والرقاق وغيرهما من صحيحه ومسلم فى الشعر ورواه الترمذي فى الاستئذان من جامعه وفى الشمائل ورواه ابن ماجه أيضا في الادب كذا فى الاطراف

﴿ باب فضل الجوع وخشونة ﴾

بضم أوليه المعجمين مصدر خشن خشنة وخشونة خلاف نعم كذا فى المصباح (العيش) والمراد ترك التمرنه فيه والاقتصار علي الجلف لانه حق النفس وما فوقه حظها (والاقتصار علي القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها) كالمفروش والمسكون والمنكوح (من حظوظ النفس) يصح كونه بيانا للغير إذ قليل المأكول والمشروب مما تقوم به البنية والملبوس مما يستر البدن حق النفس لا حظها و يصح كونه بيانا للجميع بان يراد من القليل ما زاد على ما يحتاج اليه فى ذلك من الترفهات والتنعمات (وترك الشهوات) أي مشتهى النفس وان كان من قليل ما ذكر فعطفه عليه من عطف العام علي الخاص ويصح أن يراد مشتهاها مما عدا

* قال الله تعالى « فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا إِلاَّ مَنْ تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ صالِحًا فأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجنَّةَ ولاَ يُظْلَمُونَ شيئًا »

ذلك فيكون من عطف المغاير * (قال الله تعالى فخلف من بعدهم) أي الذين أثني عليهم في الآيات السابقة من الانبياء ولذين من الله عليهم بتوفيقه (خلف) أي عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح(١) وخلف سوء بالسكون (أضاعوا الصلاة) تركوها أو أخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات) كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الآب وعن على رضي الله عنه واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور (فسوف يلقون غيا) شراً أو جزاء غي كقوله يلق أثاما أو غيا من طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم يستعيذ منه أوديتها والاتيان بحرف التنفيس لتأكيد الوعيد (الا من تاب وآمن) يدل على ان الآية في الكفرة لكن ذكر العماد ابن كثير في تفسيره عن مجاهد قال عند ذهاب صالحى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض في الازقة ومن طريق آخر عنه قال هم في هذه الامة يتراكبون تراكب الانعام في الطرق لا يخافون الله في السماء ولا يستحيون الناس في الارض ثم أخرج من طريق ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يكون خلف بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » الحديث ثم ذكر أحاديث وآثاراً في ذلك (وعمل) عملا (صالحا) ليزكو به ايمانه ويزداد ايقانه فالايمان يزيد بزيادة الطاعة (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) من الظلم أو لا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم وفيه تنبيه على أن كفرهم السابق لا يضرهم ولا

---

(١) أى فتح اللام (٠) ع

وقالَ تعالى « فخرَجَ علَى قوْمِهِ فى زِينَتِهِ قالَ الذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنيا ياليْتَ لنَا مِثلَ ما أُوتِيَ قارونُ إنهُ لَذُو حَظٍّ عظِيمٍ * وقالَ الَّذينَ أُوتُوا العِلْمَ ويْلَكُمْ ثوابُ اللهِ خيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وعَمِلَ صالِحاً »

ينقص أجرهم قال العماد ابن كثير والاستثناء فى هـذه الآية كقوله فى سورة الفرقان «إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحافأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات» (وقال تعالى فخرج) أي قارون (علي قومه فى زينته) كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وهو بضم الهمزة والجيم وسكون الراء بينهما شجرعلى قضبان حمر يوصف به الثور الاحمر وعليها سرج من ذهب ومعـه أربعة آلاف على زيه وقوله فى زينته فى موضع الحال من فاعل خرج أي متزينا بها (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) على ما هو عادة الناس من الرغبـة (يا ليت) المنادى محذوف أي يا قوم ليت (لنا مثل ما أوتي قارون) تمنوا مثله لا عينه حذرا من الحسد (انه لذو حظ) فى المصباح الحظ الجد وفلان محظوظ وهو أحظ من فلان والحظ النصيب اهـ ويصح ارادة كليهما والأول أبلغ فى مرادهم لكن قول البيضاوى حظ (عظيم) من الدنيا وقول ابن كثير حظ وافر من الدنيا يومئ الى حمل الحظ على النصيب لان الاول يستعمل بفى (وقال الذين أوتوا العلم) النافع وهو العلم بأحوال الآخرة وما أعد الله فيها لصالحي عباده المتقين للمتمنين ذلك (ويلكم) دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضي (ثواب الله) فى الآخرة (خير لمن آمن وعمل صالحا) مما أوتى قارون بل من الدنيا وما فيها وترك المصنف ذكر باقى الاية وهو قوله «ولا يلقاها» أى الكلمة التى تكلم بها العلماء أو الثواب وأنث لانه بمعنى المثوبة أو الجنة أو الايمان والعمل الصالح وأنث أيضا لان ذلك فى معنى

وقال تعالى « ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ »

السيرة والطريقة « لا الصابرون » على الطاعات وعن المعاصي لانه اختلف فيه هل هو من جملة كلام العلماء أى فيفسر بما عدا الاول من مراجع الضمير وعليه السدى قال ابن كثير فجعله من تمام كلامهم، أو من كلام الله ثناء عليهم بالاصابة ويفسر بالاول وعليه ابن جرير قال ابن كثير قال ابن جرير وما يلقى هذه الكلمة الخ وكأنه جعل ذلك مقطوعا من كلام أولئك وجعله من كلام الله تعالى وإخباره اه ولعل المصنف يقوى عنده الجانب الثاني (وقال تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) أى الذى ألهاكم والخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله تعالى « قل من حرم زينة الله » « كلوا من الطيبات » وقيل يعم إذ كل يسأل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار وفى التفسير الصغير للكواشى النعيم هو الصحة والامن أو هى والفراغ قال صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ « قلت » قال ابن كثير معناه انهم مقصرون فى شكرهما لا يقومون بواجبهما ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون اه أو هو الماء البارد فى الصيف والحار فى الشتاء قال صلى الله عليه وسلم أول ما يسئل العبد من النعيم ألم نصح جسمك ونروك من الماء البارد أو هو خبز البر والماء العذب أو كل لذة من اللذات اه وفى تفسير ابن كثير بعد ذكر الاقوال فى ذلك أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال الامن والصحة وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » يعنى شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم ثم ذكر ابن كثير أقوالا أخر ختمها بحديث قال أخرجه

وقالَ تعالي « مَنْ كَانَ يُرِيدُ العاجلَةَ عجّلنَا له فِيهَا ما نَشاءُ لِمَنْ نرِيدُ ثمَّ جعَلْنَاله جَهنّمَ يَصْلاهَا مَذموماً مَدحوراً » والآياتُ فى البابِ كثيرةٌ معْلومَةٌ * وعنْ عائِشةَ رضي الله عنها قالت «ما شَبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتي قُبض »

الامام احمد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل يابن آدم حملتك على الخيل والابل وزوجتك النساء وجعلتك ترتع وترأس فأين شكر ذلك» وقال ابن كثير تفرد به احمد اه (وقال تعالى من كان يريد العاجلة) مقصوراً عليها همه (عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن متمناه ولا كل واحد جميع مايهواه وليعلم أن الامر بالمشيئة ولمن يريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء أى بالتحتية والضمير فيه لله ليطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصاً بمن أراد به ذلك وقيل الآية فى المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم ولا غرض لهم غير مساهمتهم فى الغنائم ونحوها (ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً) مطروداً من رحمة الله تعالى (والآيات) القرآنية (في الباب) أى فيما تضمنه من المطالب (كثيرة معلومة * وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم) المراد منهم هنا أهل بيته من أزواجه وخدمه الذين كان يمونهم (من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض) أي توفى صلى الله عليه وسلم وهذا لاعراضه عن الدنيا وزهده فيها ولم يضطره مولاه سبحانه لذلك بل عرض عليه جبال مكة وبطحاءها تسير معه ذهباً أينما سار كما تقدم فى الباب قبله فاختار ذلك اعلاما بحقارة الدنيا وأنها ايست بحيث ينظر اليها صلى الله عليه وسلم تحريضا

متفق عليه * وفى رواية « ماشبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض »

لامته على الزهد فيها والاعراض عما زاد على الحاجة منها ولا منافاة كما قال المصنف في شرح مسلم بين حديث الباب وحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يدخر قوت عياله سنة لانه كان يفعل ذلك أواخر حياته لكن تعرض عليه حوائج المحتاجين فيخرجه فيها فصدق انه ادخر قوت سنة وانهم لم يشبعوا كما ذكر لانه لم يبق عندهم ما ادخره لهم (متفق عليه وفى رواية) هي للبخاري في كتاب الاطعمة والرقاق من صحيحه ولمسلم فى أواخر الكتاب ورواها النسائى وابن ماجه من طريق منصور بن المعتمر عن الاسود عن عائشة وأما اللفظ الذى قال المصنف إنه متفق عليه فقضية كلام المزى أنه انفرد به مسلم عن البخارى وعبارته بعد ذكره من طريق عبد الرحمن بن يزيد عن خالد عن الاسود عن عائشة رواه مسلم في آخر الكتاب والترمذى فى الزهد وقال حسن صحيح وفي الشمائل والنسائى فى الاطعمة ثم أشار المزى الى وهم جمع من المحدثين توهموا أنهما من طريق واحد وليس كذلك وكأن مراد المصنف بقوله فيما تقدم متفق عليه أى من حيث المعنى لا بخصوص المبني (ماشبع آل محمد صلي الله عليه وسلم منذ) بضم الذال أى من حين (قدم المدينة) خرج ما كانوا قبل الهجرة (من طعام بر) بضم الموحدة وتشديد الراء قال في المصباح هو القمح الواحدة برة خرج ما عداه من باقي المأكولات (ثلاث ليال) أى بأيامها (تباعا) بكسر المثناة الفوقية أى متتابعة يخرج المتفرقة (حتي قبض) أشار الى استمراره على ذلك مدة إقامته بالمدينة وهي عشر سنين وزاد ابن سعد فى رواية له « وما رفع

وعَنْ عُرْوةَ عنْ عائِشةَ رَضيَ اللهُ عنها أَنها كانت تَقولُ واللهِ يا بنَ أُختي إنْ كُنّا لَننْظُرُ الى الهِلَالِ ثمّ

عن مائدته كسرة خبز فضلا حتى قبض» ووقع في رواية بلفظ ما شبع من خبز بأدم أخرجه مسلم وعند ابن سعد عن عائشة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كانت(١) عليه أربعة أشهر ما شبع من خبز البر وفى حديث أبي هريرة نحو حديث الباب « ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتي فارق الدنيا» أخرجه البخارى فى الاطعمة وأخرجه مسلم أيضاً بنحوه (وعن عروة) بضم المهملة الاولي وسكون الثانية ابن الزبير (عن) خالته (عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول والله يا بن أختى إن) بكسر الهمزة وسكون النون مخففة من الثقيلة أى انا (كنا) واللام فى (لننظر) هى الفارقة بينها وبين ان النافية (الى الهلال) قال فى المصباح الاكثر انه القمر فى حالة مخصوصة ويسمى القمر لليلتين من اول الشهر هلالا وفى ليلة ست وعشرين وسبع وعشرين ايضاً هلالا وما بين ذلك يسمي قمراً وقال الفاراني وتبعه الجوهري الهلال لثلاث ليال من من اول الشهر ثم هو قمر بعد ذلك وقيل الهلال هو الشهر بعينه والجمع اهلة كسنان وأسنة اه وفى كتاب اشارات المحتاج الى لغات المنهاج لابن النحوى الهلال معروف سمى به لان الناس يرفعون اصواتهم بالاخبار عنه قال السهروردى فى شرح الفاظ المصابيح وحكي صاحب المهذب خلافا فيما يخرج به عن تسميته هلالا ويسمى قمراً فقيل اذا استدار وقيل اذا بهر ضوءه اه وظاهر أن المراد هنا بالهلال هو فى أول ليلة الشهر (ثم) أتت بها لبعد ما بين كل من الهلالين ولا ينافيه قوله تعالى أياماً معدودات لان ذلك لئلا ينفروا عن الانقياد للصوم لو سمعوه بلفظ

---

(١) كذا بالاصول . ع

الهِلاَلِ ثمّ الهِلاَلِ ثلاَثَةُ أهِلّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وما أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم نَارٌ قَطُّ قُلت يا خالَتَاهُ فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ قالت الأَسْوَدَانِ التّمْرُ والمَاءُ إلاّ أَنّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ صَلى الله عليه وسلم جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ

الشهر أو الثلاثين (الهلال ثم الهلال) بالجر فيهما عطفا على ما قبلهما ويجوز نصبه باضمار ثم نري ويكون ثم لعطف الجمل وقولها (ثلاثة أهله في شهرين) يجوز أن يقرأ بالرفع مبتدأ خبره متعلق الظرف أو خبراً لمحذوف أى هي ثلاثة أهلة والظرف في محل الحال قال فى الفتح المراد بالهلال الثالث هلال الشهر وهو يرى عند انقضاء الشهر وبرؤيته يدخل أول الشهر الثالث.. (قلت يا خالة) يجوز فيه الضم على انه منادى مفرد والكسر والفتح على انه مضاف لياء المتكلم حذفت منه واكتفى بدلالة الكسرة عليها على الاول أو بعد ابدالها ألفا واكتفى بدلالة الفتحة عليها على الاخير (فما كان يعيشكم) بضم التحتية وفى بعض نسخ البخارى مايغنيكم بسكون المعجمة بعدها نون فتحتية ساكنة (قالت الاسودان التمر والماء) قال الصغانى أطلق الاسودان علي التمر والماء والسواد للتمر دون الماء فنعتا بنعت واحد تغليبا واذا اقترن الشيئان سميا باسم أشهرهما وعن أبي زيد الماء يسمى الاسود أيضا واستشهد له بشعر نظر فيه الحافظ في الفتح قال ووصف التمر بالاسود لانه غالب تمر المدينة وزعم صاحب المحكم وتبعه بعض المتأخرين من شراح البخاري ان تفسير الاسودين بالتمر والماء مدرج وانما أرادت الحرة والليل واستدل له بما رده عليه الحافظ فى أوائل كتاب الهبة من فتح الباري وقد يقع للخفة والشرف كالعمرين لابى بكر وعمر والقمرين للشمس والقمر (الا أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار) زاد أبو هريرة فى حديثه جزاهم الله خيرا

وكَانتْ لهُمْ مَنائِحُ فكانُوا يُرْسِلونَ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم منْ أَلْبانِها فيسقِينا» متفقٌ عليه * وَعن سعيد المقبْري

والاستثناء منقطع والجملة المستثناة في محل نصب علي الاستثناء كما نبه عليه في مغني اللبيب وزادها علي حصر الجمل المعربة المحل في سبع والجيران جمع جار وهو المجاور في السكن وللجار معان أخر حكى ثعلب عن ابن الاعرابي الجار الذي يجاورك بيتا ببيت والجار الشريك في العقار مقاسما كان أو غير مقاسم والجار الخفير الذي يجير غيره أي يؤمنه مما يخاف والجار المستجير أيضا وهو الذي يطلب الامان والجار الحليف والجار الناصر والجار الزوج والجار أيضا الزوجة ويقال فيها أيضا جارة والجارة الضرة قيل لها جارة استكراها للفظ الضرة اه من المصباح والانصار اسم اسلامي علم بالغلبة علي أولاد الاوس والخزرج كما تقدم (وكانت لهم منايح) جمع منيحة بنون وحاء مهملة اسم من المنحة بكسر الميم وهي الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلا يشرب لبنها ثم يردها اذا انقطع لبنها كذا في المصباح والجملة معطوفة علي خبر أن ويصح أن تكون في محل الحال باضمار قد (فكانوا يرسلون الي رسول الله صلي الله عليه وسلم من ألبانها) يحتمل كون من للتبعيض ويحتمل كونها للتبيين لمقدر أي شيئا هو ألبانها والثاني أنسب لكونها منيحة كما علم من معناها لغة (فيسقينا) يجوز ضم التحتية وفتحها مزيد ومجرد من السقي قال ابن اقبرس في شرح الشفاء «ان قلت» كتم هذا الخبر مما يدل عليه صحيح الاثر لما فيه من ابهام الشكوى وافشاء ما يستحب ستره من العبادات(١) «قلت» هو من مثلها على طريق الارشاد اذ لا يليق كتم أفعال المشرع لانه علم الهدى وامام الاقتدا اه (متفق عليه) أخرجه البخاري في الهبة ومسلم في آخر الكتاب * (وعن سعيد) بن أبي سعيد كيسان (المقبري) قال السيوطي في لب اللباب في

(١) قوله (العبادات) لعله (العادات) ع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ « أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ فَدَعَوْهُ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ وَقَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ رَوَاهُ البُخَارِي « مَصْلِيَّةٌ » بِفَتْحِ الْمِيمِ أَيْ مَشْوِيَّةٌ * وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ

الانساب بفتح الميم وسكون القاف وضم الموحدة وكأنه اقتصر عليه لكونه أفصح والا فقد ذكر غير واحد منهم المصنف في شرح مسلم والشيخ محمد طاهر في المغني جواز الفتح للموحدة والكسر نسبة الى مواضع القبور قال الحافظ ابن حجر في التقريب يكنى أبا سعيد مدني ثقة من كبار التابعين تغير قبل موته بأربع سنين وروايته عن عائشة وأم سلمة مرسلة روى عنه الستة (عن أبي هريرة رضي الله عنه) أي عن قصته (انه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية فدعوه فأبي أن يأ كل) ورأى انه من الترفهات. وشأن المحب أن يتبع آثار محبوبه ويأتم بها فلذا امتنع (وقال) موضحا لسبب إبائه (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا) أي توفى (ولم يشبع من خبز الشعير) لا ينافى ما سيأتي فى حديث أبى الهيثم فلما أن شبعوا لان الشبع ثم لم يكن من خبز الشعير بل كان من التمر واللحم أو لان المنفي الشبع التام الذى لا يبقى معه مساغ لتناول غيره كما هو شأن الشره المهتم ببطنه والمثبت أصل الشبع أو المنفى الشبع لحظ نفسه والمثبت انه يشبع لحظ غيره كأن ينزل به ضيف فيشبع لأكله مؤانسة له أو ينزل ضيفا بغيره فيشبع ليقر عين رب المنزل بذلك ويكرمه به لا لحاجته صلى الله عليه وسلم الى الطعام (رواه البخاري) فى الاطعمة من صحيحه (مصلية بفتح الميم) اسم مفعول من صليت اللحم أصليه أي شويته (أى مشوية) (وعن أنس) بن مالك (رضي الله عنه قال

« لَمْ يَأْكُلْ رَسولُ اللّهُ صلى اللّهُ عليهِ وسلمَ علَى خِوَانٍ حتى ماتَ وما أكلَ خُبزاً مُرَقّقاً حتى ماتَ » رَواهُ البُخارِى « وفى رِوايةٍ لهُ » ولا رأى شاةً سَمِيطا بِعَينِهِ قطُّ

لم يأكل رسول الله صلي الله عليه وسلم على خوان) بكسر الخاء المعجمة ويجوز ضمها وهى المائدة مالم يكن عليها طعام وهو معرب يعتاد بعض المتكبرين والمترفهين الأكل عليه احترازاً من خفض رءوسهم فهى بدعة لكنها جائزة (حتي مات وما أكل خبزا مرقق) أي محسنا لينا كخبز الحوارى (١) وشبهه والترقيق التليين وقد يراد بالمرقق الموسع قاله القاضى عياض وجزم به ابن الاثير فقال وهو السميد وما يصنع به من كعك ونحوه كذا في أشرف الوسائل والذى في النهاية المرقق هو الارغفة الواسعة الرقيقة يقال رقيق ورقاق كطويل وطوال اه وقال ابن الجوزى هو الخفيف كأنه أخذه من الرقاق وهى الخشبة التي يرقق بها وهو قريب من كلام النهاية وظاهر قوله (حتي مات) انه لم يأكل ذلك قبل البعثة ولا بعدها سواء خبز له أو لغيره ويؤيده رواية البخاري عن أنس الآتية بعده (رواه البخارى) فى الأطعمة ورواه مسلم أيضا كما فى الاطراف (وفى رواية له) أى للبخارى فى الرقاق من صحيحه عن أنس قال « فما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم رأى رغيفاً مرققاً حتى لحق بالله » (ولا رأى شاة سميطا بعينه قط) السميط هو ما أزيل شعره بماء سخن وشوي بجلده وانما يفعل ذلك بصغير السن وهو من فعل المترفهين قال ابن الاثير ولعله يعنى انه لم ير السميط في مأكوله اذ لو كان غير معهود لم يكن فى ذلك تمدح وقط بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة ظرف لما مضى من

---

(١) بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء لباب الدقيق ويسمى السميد والسميذ بالذال انصح . ع

*وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ « لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ صلى الله عليه وسلم وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ « الدَّقَلُ تَمْرٌ رَدِيءٌ »

الزمان أي لم يره فى شيء من أزمنتـه صلى الله عليه وسلم* (وعن النعمان) بضم النون وسكون المهملة (ابن بشـير) بفتح الموحدة وكسر المعجمة وسكون التحتية بعدها راء تقدمت ترجمته وهو صحابي ابن صحابي (رضي الله عنهما قال لقد) هذه اللام مثلها في قوله تعالى « ولقد علمتم » قال أبو حيان هي لام الابتداء مفيـدة لمعنى التوكيد ويجوز أن يكون قبلها قسم مقدر وألا يكون وقال ابن الحاجب فى الامالى لام الابتـداء يجب أن يكون معها المبتدأ وقال الزمخشرى فى « ولسوف يعطيك ربك » لام الابتداء لا تدخل إلا على مبتدأ وخبر وقال فى « لأقسم » لام ابتداء دخلت على مبتدأ محذوف ولم يقدرها لام قسم لانها عنـده ملازمة للنون وكذا زعم فى ولسوف أن التقـدير ولأنت سوف وقال ابن الحاجب هي لام التأكيد اه (رأيت نبيكم صلى الله عليـه وسلم) الظاهر أن الرؤية فيه بصرية وجملة (وما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه) فى محل الحال وقيل انها علمية والجملة مفعول ثان دخلتها الواو إلحاقا لها بخبر كان على رأى الاخفش واضافة النبي الي المخاطبين ليحثهم على الاقتداء به والاعراض عن الدنيا ما أمكن فلذا لم يقل نبي ونبيكم وقتل خالد مالك بن نويرة لما قال له كان صاحبكم يقول كذا فقال صاحبنا وليس بصاحبك فقتله ليس لمجرد هـذه اللفظة بل لما بلغه من ارتداده وتأكد عنده ذلك بما أباح له به الاقدام على قتله (رواه مسلم) فى آخر صحيحه ورواه الترمذي فى الزهد من جامعه وقال صحيح وفي الشمائل ورواه أبو عوانة وغيره وهو طرف حديث أوله « ألستم فى طعام وشراب ما شئتم لقد رأيت » الخ (الدقل) بفتح الدال المهملة والقاف (تمر ردىء) وفى النهاية هو ردىء التمر

* وعَنْ سَهل بْنِ سَعْدٍ رَضي الله عنه قال « ما رأى رَسولُ اللهِ صَلى الله عليه وسلم النَّقِيَّ منْ حينَ ابْتَعَثَهُ اللهُ تعالى حتى قبَضه الله تعالى » فقيل له هل كان لكم فى عهدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مناخل قال « ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنخُلاً من حين ابتعثه الله تعالى حتى قَبَضَهُ اللهُ » فقِيلَ لهُ كَيفَ كُنتُمْ تأْكُلونَ الشَّعيرَ غيرَ مَنْخولٍ

وبابه وما ليس له اسم خاص فتراه ليسه ورداءته لا يجتمع ويكون منثورا اه وفى المصباح الدقل أردأ التمر وقد تقدم الحديث مع الكلام عليه فى الباب قبله (وعن سهل بن سعد) الساعدى (رضى الله عنه قال ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى) أى الخالص من النخالة ونفي رؤيته مبالغة فى نفى أكله (من حين ابتعثه الله) أى نبأه وبعثه واتاه فيه المبالغة فى تحمل اعباء الرسالة لثقلها (حتي قبضه الله) أى توفاه سبحانه ونقله الى دار كراماته (فقيل له هل كان لكم فى عهد) أي زمن (رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل) جمع منخل بضم أوله وثالثه المعجم وسكون النون بينهما وهو أحد ما خرج عن قياس بناء اسم الآلة لان قياسه الكسر وجمعه باعتبار جمع المخاطبين (قال مارأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منخلا من حين) بالفتح على الافصح لاضافته لجملة (ابتعثه الله) تعالي وهي مبنية الصدر وقال بعض المحققين أظنه احترز بهذا عما قبل البعثة لكونه صلي الله عليه وسلم سافر تلك المدة الى الشام تاجراً وكانت الشام إذ ذاك مع الروم والخبز النقي عندهم كثير وكذا المناخل وغيرها من آلات الترفه لا ريب انها كانت عندهم (حتى قبضه) بفتح الموحدة أى توفاه (الله اليه فقيل له) لم أقف علي تعيين القائل (كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول) بالنصب على الحال

قالَ «كُنّا نَطْحَنُهُ وَنَنفخهُ فيَطيرُ ما طار وما بَقِيَ ثرَّيْناهُ» رواهُ البخاري «قوْلهُ النَّقِيَّ بفتح النُّون وكَسْرِ القافِ وتشديدِ الياءِ وَهوَ الخبزُ الحُوَّارى وَهوَ الدَّرْمَك» «قوْلهُ ثرَّيْناهُ هُوَ بثاءٍ مثلثةٍ ثمَّ رَاءٍ مُشدَّدَةٍ ثمَّ يَاءٍ مثنَّاةٍ من تحت ثمَّ نونٍ أى بَلَلْناهُ وعَجَنَّاهُ» *وعنْ أبي هُرَيْرَة رَضي الله عنه قالَ خرَجَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم ذاتَ يوْمٍ

ووجه التعجب من ذلك كثرة نخالتـه فربمـا نشب فى الحلق (قال كنا نطحنه وننفخه) أى المطحون الدال عليه نطحنه (فيطير ماطار) من نخالتـه (وما بقي) بكسر القاف أي فضل من النخلة فى الدقيق بعد نفخه (ثريناه رواه البخارى) فى الأطعمة و لرقائق من صحيحه والنسائي (قوله النقى هو بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء) ولم يحتج الي تقييـد بالتحتية المأتى به للاحتراز عن الفوقية لان الصورة الخطيـة هنا دالة علي التعيين (وهو الخبز الحوارى) بضم المهملة وتشديد الواو وبالراء ثم ألف من الحور البياض فهو الخبز الابيض كما قال (وهو الدرمك) بفتح الدال وسكون المهملة قال فى الصحاح هو دقيق الحواري اه و به يعلم ان فى كلام المصنف مضافا مقدراً أى خبز الدرمك (قوله ثريناه هو بثاء مثلثـة ثم راء مشددة) مفتوحتين (ثم ياء مثناة من تحت) ساكنة (ثم نون) الاوضح ثم نا بالنون لان ما ذكره يوهم انها نون النسوة (أى بللناه) بفتح أوليه الموحدة فاللام المخففة كما فى المصـباح قال بللته بالماء بلا فابتل ويجمع البل علي بلال مثل سهم وسهام والاسم البلل بفتحتين وقيـل البلال ما يبـل به الحلق من ماء ولبن و به سمي الرجل اه (وعجناه) أى فيلين ما يبقي من نخالته فلا ينشب فى الحلق* (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم ذات يوم) أى

أَوْ لَيْلَةٍ فَإذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضى الله عنهما فَقَالَ مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هذِهِ السَّاعَةَ قَالاَ الْجُوعُ يَارَسُولَ اللهِ قَالَ « وَأَنَا وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

في الحقيقة التى هى اليوم وأتى بذات دفعاً لتوهم أن المراد به مطلق الزمان (أو) شك من الراوى (ليلة) بالاضافة والمضاف لفظ ذات (فاذا هو بأبي بكر وعمر رضى الله عنهما) أى ففاجأ خروجه رؤيتهما وهو مبتدأ والظرف بعده خبر (فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة) أى التى لم تجر العادة بالخروج فيها لانها ليست وقت صلاة ولا ما يجتمع له من كسوف أو نحوه من الحوادث (قالا الجوع) يجوز أن يعرب مبتدأ خبره جملة محذوفة دل عليها السؤال أى أخرجنا ويجوز اعرابه فاعلا لأخرجنا مقدراً وأيهما أولى ينبني علي الخلاف في أى المرفوعات أصل المبتدا أو الفاعل أو هما فى مرتبة واحدة فعلى الاول يعرب مبتدأ وعلي الثاني فاعلا وعلى الثالث يخير (قال) صلى الله عليه وسلم (وأنا) الواو فيه للاستئناف ثم فى رواية صاحب الشمائل وغيره الغابة (١) قال أبو بكر خرجت للقاء رسول الله صلي الله عليه وسلم والنظر في وجهه والسلام عليه فلم يلبث أن جاء عمر فقال ماجاء بك ياعمر قال الجوع يارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وجدت بعض ذلك فيحتمل أن الصديق كان قال كلا من المقالتين وإنما اكتفى بلقي المصطفي صلى الله عليه وسلم والنظر اليه والسلام عليه لأن بذلك يحصل كال القوى فيذهل عن ألم الجوع كما قال صلى الله عليه وسلم في وصاله في صومه أنى أظل عند ربى يطعمني ويسقيني علي أحد الأقوال فيه (والذى نفسي بيده) أى بقدرته فيه ندب القسم لتأكيد الامر عند السامع والحلف من غير

---

(١) قوله (الغابة) كذا ، ولعله (كما في اسد الغابة) ٠ ع

لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُما قُوما فقاما معه ، فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة

استحلاف (لاخرجني الذى أخرجكما) وعند الترمذي في شمائله وأنا وجدت بعض ذلك أى الجوع قال فى أشرف الوسائل فيحتمل أنه جمع بين المقالتين وفى عقد التقي الفاسي عن جده قال سمعت الامام محمداً المرجانى يقول قوله الذى أخرجكما لفظ مبهم ظاهره الجوع والمراد والله أعلم هو الله إذ هو الذى أخرجه حقيقة فعبر بلفظ الذي الصادق علي السبب وعلى المسبب ايثاراً كهم فى ظاهر الحال دفعا للوحشة الواقعة فى ذكر الجوع «قلت» وهذا من معالي الاخلاق وكريم الشيم وهو من معنى قوله تعالى «واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» اه كلامه «قلت» وهذا يسميه البديعيون بالتوجيه ومنه قول إمامنا الشافعى رضى الله عنه فى خياط أعور

خاط لي عمرو قباء * ليت عينيه سواء

فانه محتمل للدعاء له والدعاء عليه(قوموا فقاموا)(١) أي علي الفور كما تؤذن الفاء وانصرفوا(معه فاتي رجلا من الأنصار) يأتى تعيينه فى الاصل بماقيه(فاذا هو ليس فى بيته) أى ففاجأ مجيئهم فقدانه من البيت وهو مبتدأ والجملة بعده فى محل الخبر (فلما رأته) أى أبصرته (المرأة) فيؤخذ منه جواز نظر الاجانب اليه صلى الله عليه وسلم كما يجوز نظره للاجانب منهن وإنه معهن كالمحارم فى جواز الخلوة والنظر ويحتمل أن تكون الرؤية علمية والمفعول الثاني محذوف لدلالة المقام عليه أى مقبلا والمرأة بوزن التمرة ويجوز نقل حركة هذه الهمزة الى الراء فتحذف وتبقى مرة بوزن سنة ويقال فيها امرأة كما يقال مرأة وربما قيل امرأ بغيرهاء اعتمادا على قرينة تدل على المسمي قال الكسائي سمعت امرأة من فصحاء العرب تقول انا امرأ

---

(١) كذا ببعض نسخ المتن المجردة والممزوجة وفي بعضها قوما فقاما . ع

قَالَتْ مَرْحَباً وَأَهْلاً فَقَالَ لَهَا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَيْنَ فلَانٌ قَالَتْ ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا المَاء إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ الى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وَصَاحِبَيْهِ ثُمَّ قَالَ

أريد الخبز وجمع امرأة نساء ونسوة من غير لفظها كذا فى المصباح ولم أقف علي اسمها (قالت مرحبا) أى وجدت منزلا رحبا أي واسعا فانزل (وأهلا) أى وصادفت أهلا فأنس كذا فى هذه الرواية وفي رواية أنهم كرروا السلام ولم يجبهم حتى هم صلى الله عليه وسلم بالانصراف ثم أجابت واعتذرت بانها أرادت كثرة دعائه صلي الله عليه وسلم وتكريره لها ولصاحب منزلها فلعلها قالت ماذكر قولا نفسيا ثم أخبرت عنه والله أعلم (فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين فلان) قال المصنف فى التهذيب قال ابن السراج كناية عن اسم يسمي به المحدث عنه خاص غالب اه وتقدم هذا المعنى بزيادة في باب الصبر وزاد في تفسيرى البيضاوى والكشاف قولهما كما أن هذا كناية عن الاجناس (قالت ذهب يستعذب لنا الماء) يؤخذ منه أن استعذاب الماء لاينافى شأن الصحابة من الاعراض عن زهرات الدنيا ومستلذاتها (اذ جاء الانصارى) يحتمل أن تكون للمفاجأة بناء علي مجيئها لذلك كما قال به جمع وان نوزعوا فيه بما بينته أول رسالتى « انباء النائم من سنة نومه ببعض فوائد قوله تعالى وإذ استسقى موسي لقومه » (فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه) أى وقع النظر اليهم عقب مجيئه وهذا يحتمل أن يكون اتفاقا ويحتمل أن يكون لما حل عليه من الاشراق والتجلي الرباني ولم يدرسببه من نفسه فنظر ليرى سببه من الخارج فرأى مشكاة أنوار المصطفي المختار صلي الله عليه وسلم ومعه صاحبيه رضوان الله عليهما (ثم قال) أى بعد ان رحب وأظهر

الحمدُ للهِ ما أحدٌ اليومَ أكرمُ أضيافاً منِّى فانطلقَ فجاءهُمْ بعِذْقٍ فيهِ بُسْرٌ وتمْرٌ ورُطبٌ فقالَ كُلوا وأخذَ المُدْيَةَ

كمال الفرح الكائن فيه الكائن عنده بحلول المصطفي فى منزله وأتي بمايدل علي ذلك (الحمد لله) أى هذه نعمة يجب شكر المنعم بها شرعا ليدوم نفعها وقوله (ماأحد اليوم أكرم اضيافا مني) جملة مستأنفة ليبين الحامل له على الحمد والداعي اليه وفيه دليل كمال فضيلته وبلاغته وعظم معرفته لانه أتى بكلام بديع مختصر فى هذا الموطن وما حجازية وأكرم خبره واليوم ظرف للنفي المدلول عليه بما أى انتفي وجدان أحد اليوم أكرم من الكرم وهو الجود والخيار ومنه حديث «اياك وكرائم أموالهم» واضيافا منصوب علي التمييز ومني متعلق با كرم (فانطلق) أى من محل رؤيته من حائطه عقب قول ماذكر (فجاءهم بعذق) وجاء عند الترمذي بدله بقنو وهو بكسر القاف وسكون النون العذق الغصن من النخل (فيه بسر) هو المتلون من ثمر النخل قال المصنف في التهذيب قال الجوهري، البسر أوله طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر الواحدة بسرة والجمع بسرات وبسر وأبسر النخل صارما عليه بسراً اه (وتمر) بفتح الفوقية وسكون الميم قال في المصباح هو من ثمر النخل كالزبيب من العنب وهو اليابس باجماع أهل اللغة لأنه يترك على النخل بعد ارطابه حتى يجف أو يقارب ثم يقطع ويترك في الشمس حتى ييبس الواحدة تمرة والجمع تمور وتمران بضم (١) والتمر يذكر ويؤنث فى لغة يقال هو التمر وهي التمر اه (ورطب) بضم ففتح قال فى المصباح الرطب ثمر النخل اذا أدرك ونضج قبل أن يجف والجمع رطاب مثل كلبة وكلاب (٢) (فقال كلوا) زاد الترمذى فى الشمائل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أفلا تنقيت فقال يارسول الله انى أردت أن تختاروا من رطبه وبسره فأكلوا وشربوا (وأخذ المدية) بسكون الدال المهملة

(١) أى ضم التاء آخر الثانى نون لا تاء كما في النسخ (٢) كذا . ع

فقال لهُ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إيَّاكَ والحَلوبَ فذَبحَ لهُمْ فأكلوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذلِكَ العِذقِ وشَرِبوا فلمَّا أنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لأبي بكرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما « وَالذي نفسي بِيَدِهِ لَتُسْئَلُنَّ عن هذا النَّعيمِ يومَ القيامةِ أخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا

(فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب) أصله احذر تلاقي نفسك والحلوب فحذف العامل وجوبا وفاعله ثم المضاف الاول وأنيب عنه الثاني فانتصب ثم الثاني وأنيب عنه الثالث فانتصب وانفصل لتعذر اتصاله قاله ابن هشام في التوضيح في نحوه وانما نهي عن ذبحها شفقة على أهله بانتفاعهم بلبنها مع حصول المقصود بغيرها فهو نهي ارشاد لا كراهة في مخالفته لزيادة اكرام الضيف وان أسقط حقه (فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق) أتي بمن التبعيضية اشعارا بالاعراض عن الدنيا مع تمام الداعية ومزيد الحاجة (وشربوا) أى من الماء العذب (فلما أن شبعوا ورووا) بضم الواو التي هي عين الفعل والاصل رويوا بوزن علموا (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر رضى الله عنهما والذى نفسى بيده) أى قبض روحي بقدرته (لتسألن) بضم اللام والفعل مبني للمجهول ونائب الفاعل واو الجماعة فحذف لالتقاء الساكنين (عن هذا النعيم يوم القيامة) ثم قال مبينا وجه السؤال المذكور على وجه الاستئناف البياني (أخرجكم من بيوتكم) بضم الموحدة وتكسر اتباعا لحركة الياء (الجوع) ونسبة الاخراج اليه مجاز عقلي من الاسناد الى السبب وإلا فالمخرج لهم من منازلهم هو الله تعالى (ثم لم ترجعوا) بالبناء للفاعل ويجوز بناؤه للمجهول إن لم تصد

حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ » رواه مُسْلِمٌ (قَوْلُهَا) يَسْتَعْذِبُ أَىْ يَطْلُبُ الْمَاءَ الْعَذْبَ وَهُوَ الطَّيِّبُ وَالْعِذْقُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَإِسْكَانِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ وَهُوَ الْكِبَاسَةُ وَهِىَ الْغُصْنُ وَالْمُدْيَةُ بِضَمِّ الْمِيمِ وَكَسْرِهَا هِىَ السِّكِّين

عنه رواية (حتى أصابكم هذا النعيم) وهو الطعام والشراب (رواه مسلم) فى أواخر صحيحه ورواه الترمذى فى جامعه وشمائله وقال في جامعه في باب الاستئذان رواه غير واحد عن شيبان وشيبان صاحب كتاب وهو صحيح الحديث وقال فى الزهد منه وقد رواه من طريق شيبان أيضا: حسن غريب ورواه فيه من طريق أخرى ثم وشيبان ثقة عندهم صاحب كتاب وهو صحيح الحديث ورواه النسائى في الوليمة وابن ماجه في الادب (وقولها يستعذب أى يطلب الماء العذب) فالسين فيه للطلب وهو أحد معانى استفعل كما ذكرته فى رسالتى انباه النائم من سنة نومه وفى الصحاح استعذب لنا الماء استقي لنا ماء عذبا واستعذب الماء سقاء عذبا اهـ وبه يعلم ان الفرق بينه مع لنا ودونها وانما ذهب اطلب الماء العذب لان أكثر مياه المدينة حينئذ كانت مالحة (وهو) أى الماء العذب (الطيب) أي ما يستطاب من الماء وليس المراد منه معنى العذب لغة وهو ما يسوغ شربه ولو مع بعض الكزازة لان ذلك ثابت لجميع مياه المدينة (والعذق بكسر العين) المهملة (واسكان الذال المعجمة وهو الكباسة) قال فى المصباح هى بالكسر عنقود النخل والجمع كبائس وهو معنى قوله (وهى) أى الكباسة (الغصن) أى من أغصان النخل لا مطلقا كما هو ظاهر واكتفى عن تقييد ذلك بدلالة السياق (والمدية بضم الميم) بوزن غرفة وجمعها غرف ومقتضى كلام المصباح انها الفصحى (وكسرها) قال فى المصباح وبنو قشير تقول مدية بكسر الميم والجمع مدى كسدرة وسدر (هى السكين) بكسر السين المهملة وتشديد الكاف ونون أصلية

وَالحَلُوبُ ذَاتُ اللَّبَنِ والسُّؤَالُ عنْ هذَا النَّعِيمِ سُؤَالُ تَعْدِيدِ النِّعَمِ لَا سُؤَالُ تَوْبِيخٍ وتَعْذِيبٍ وَاللهُ أَعْلَم ، وهذَا الأَنْصَارِي الذِي أَتَوْهُ هوَ

قيل بوزن فعيل وقيل زائدة فيكون وزنه فعلين مثل غسلين الشفرة سمي بذلك لانه يسكن حركة المذبوح وحكي ابن الانبارى فيه التذكير والتأنيث وقال السجستاني إن أبا زيد الانصارى والاصمعي وغيرهما ممن أدركه أنكروا التأنيث وقالوا هو مذكر وربما أنث في الشعر علي معني الشفرة وأنشد الفراء

* بسكين موثقة النصاب * ولذا قال الزجاج السكين مذكر وربما أنث بالهاء لكنه شاذ غير مختار (والحلوب) بفتح الحاء المهملة وضم اللام (ذات اللبن) قال فى المصباح فان جعلتها اسما أتيت بالهاء فقلت هذه حلوبة فلان مثل الركوب والركوبة (والسؤال عن هذا النعيم) المؤكد بالقسم واللام وذلك لاستبعادهم له فانه من حاجة جاقة لا من شهوة وحظ نفس (سؤال تعداد النعم) والامتنان بها وإظهار الكرامة باساغتها زاد فى الشمائل ظل بارد ورطب وماء بارد (لا سؤال توبيخ) وفي المصباح وبخته توبيخاً لمته علي سوء فعله وعنفته وعتبت عليه كلها بمعنى وقال الفارابى عيرته وقال الجوهرى التوبيخ التهديد أي لعدم القيام بشكرها (وتعذيب) أى يتسبب عن كفرانها وعدم شكرها لان ذلك غير كائن للصاحبين فيما تناولاه حينئذ قال ابن القيم كل أحد يسأل عن تنعمه الذى كان فيه هل ناله من حل أولا واذا خلص من ذلك يسأل هل قام بواجب الشكر فاستعان به على الطاعة أولا والاول سؤال عن سبب استخراجه والثاني عن محل صرفه اه وانما ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم ذلك ارشاداً للآكلين والشاربين في حفظ أنفسهم في الشبع عن الغفلة باشتغال أحدهم بحظ نفسه ونعمتها عن تذكر الآخرة (وهذا الانصاري الذى أتوه هو

أبوالهَيْثَمِ بْن التَّيِّهانِ كذَا جاءَ مبيّنّاً فى روَايةِ التِّرْمِذِي وغيره *وعن خالِد بن عُمَرَ العَدَوِى

أبو الهيثم) بهاء مفتوحة وسكون التحتية وفتح المثلثة كنية مالك (ابن التيهان) بفتح الفوقية وتشديد التحتية الانصارى الاوسي أحد النقبا (كذا جاء مبينا فى رواية الترمذى) من حديث أبي هريرة نفسه رواه كذلك في جامعه وفي الشمائل وورد في رواية أخرجها الحافظ ابن حجر العسقلانى فى تخريج احاديث الاذكار من حديث ابن عباس انهم انطلقوا الى دار أبي أيوب الانصارى وساق القصة بنحوه وفي آخره «اذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيديكم فقولوا بسم الله وبركة الله واذا شبعتم فقولوا الحمد لله الذي أشبعنا وأروانا وأنعم علينا وافضل فان هذا كفاف هذا» وذكر بقية الحديث وحسن الحافظ الحديث وقال وفيه غرابة من وجهين ذكر أبي أيوب والمشهور في هذا قصة أبي الهيثم والثاني ما فى آخره من التسمية والحمد اه وفى أشرف الوسائل فى رواية عند الطبرانى وابن حبان انهم جاؤا الى ابى أيوب ولا مانع من انهما قصتان اتفقتا لهم مع كل واحد منهما ورواية مسلم رجلا من الانصار محتملة لهما اه وكان المصنف جزم بكونه أبا الهيثم لكون رواية الترمذي عن الصحابى الذى رواه عنه مسلم والله أعلم (وغيره) كابن ماجه فعنده أيضا انهم ذهبوا الى بيت أبي الهيثم بن التيهان وكابن أبي عاصم فى كتاب الاطعمة والحاكم كما أشار اليه الحافظ في تخريجه لاحاديث الاذكار فى أماليه عليها (وعن خالد بن عمر) بضم العين وفتح الميم والراء كذا وقفت عليه فى نسخ متعددة من الرياض وهو من تحريف الكتاب انما هو «عمير» بالتصغير (العدوى) بفتح المهملتين وهي نسبة الى عدى بفتح فكسر والمنسوب اليه كذلك متعدد فى المهاجرين وفي الانصار وفى غيرهم كما في لب الالباب

قالَ خطَبنا عُتْبَةَ بن غزْوان وَكَانَ أميراً على الْبَصْرَةِ

للاصفهاني وخالد هذا بصري قال الحافظ العسقلاني فى التقريب مقبول من كبار التابعين يقال إنه مخضرم وهم من ذكره فى الصحابة روي عنه مسلم والترمذى في الشمائل والنسائى وابن ماجه اهـ « قلت » قضيته أن الترمذى لم يروعنه فى الجامع لكن فى الاطراف للحافظ المزي أن حديث الباب رواه الترمذى فى صفة جهنم من جامعه وفى شمائله وأشار بقوله وهم الخ الى الحافظ ابن عبد البر فانه ذكره في الاستيعاب (قال خطبنا عتبة) بضم المهملة وسكون الفوقية بعدها موحدة فهاء تأنيث (ابن غزوان) بفتح الغين المعجمة وسكون الزاى ابن وهب بن نسيب بن زيد ابن مالك بن الحارث بن عوف بن مازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان أبو عبد الله ويقال أبو غزوان قال الحاكم قال الواقدى كان عتبة طولا جيلا قديم الاسلام هاجر الى الحبشة وكان من الرماة المذكورين روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أحاديث هذا أشهرها وليس له فى الكتب الستة سواه وروي له الحاكم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما لقريش « هل فيكم أحد غيركم قالوا ابن اختنا عتبة بن غزوان قال النبي صلى الله عليه وسلم ابن أخت القوم منهم » ثم قال غريب جدا قال فى تلخيص المستدرك اسناده مظلم قال الشيخ أبو العباس القرطبي عتبة مازنى حليف لبني نوفل قديم الاسلام هاجر وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا والمشاهد كلها أمره عمر على جيش فتوجه الى العراق وفتح الايلة والبصرة بموضع يقال له معدن بني سليم قاله ابن سعد ويقال إنه مات بالربذه قاله ابن المدائني كذا في الديباجة للدميرى (وكان أميرا على البصرة) بتثليث الموحدة كما حكاه الازهرى وأفصحهن الفتح وهو المشهور ويقال لها البصيرة بالتصغير والمؤتفكة لانها ائتفكت بأهلها فى أول الدهر اى

فَحَمِدَ اللهَ وأَثْنَى عليهِ ثُمَّ قالَ أَمَّا بعْـدُ فإِنَّ الدُّنْيا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ وَوَلَّتْ حَذَّاءَ وَلَمْ يَبْقَ مِنْها إِلاَّ صُبَابَةٌ

انقلبت قال صاحب المطالع قال أبو سعيد السمعاني يقال للبصرة قبة الاسلام وحزانة العرب بناها عتبة بن غزوان فى خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنها الناس سنة ثمانى عشرة ولم يعبد الصنم قط على أرضها اه وهذا (١) يصح كونها من جملة مقول القول والمحكي بالقول مجموع الجمل ويحتمل كونها فى محل الحال من فاعل خطب باضمار قد (فحمد الله) أى اثني عليه بالاوصاف الازلية الثبوتية (وأثنى عليه) بسلب مالا يليق به سبحانه عنه ويصح كونهما بمعنى وعطفهما مع كونهما كذلك لاختلافهما لفظا إيماء الى أنه أطنب في الثناء على مولاه سبحانه كما يدل عليه قوله (ثم قال) والاول أولي لان التأسيس خير من التأكيد والفاء في قوله فخطب كالفاء في نحو توضأ زيد فغسل وجهه الخ للترتيب الذكرى لا للترتيب فى الزمان فان غسل الاعضاء المذكورة سابق علي الوضوء ويصح كونها للترتيب الزماني بان يراد أراد الخطبة وأراد الوضوء والارادة سابقة على فعله والله أعلم (أما بعد) أتى بها اقتداء به صلى الله عليه وسلم فقد كان يأتي بها فى خطبه وذكر الحافظ فى الفتح ان الرهاوى أخرجها من أربعين طريقا عنه صلى الله عليه وسلم (فان الدنيا قد آذنت بصرم) لتحول أحوالها الدال على حدوثها وكل ما ثبت حدوثه وجب قبوله للعدم قال الشاعر

وان انتقادي واحداً بعد واحد * دليل علي ألا يدوم خليل

(وولت حذاء) أى منقطعة ومنه قيل للقطاة حذاء أى منقطعة الذنب قصيرته ويقال حمار أحذ اذا كان قصير الذنب حكاه أبو عبيدة وهذا مثل فكأنه قال ان الدنيا قد انقطعت مسرعة (ولم يبق منها الا صبابة) لانه صلي الله عليه وسلم

---

(١) لعلها « وهذه » . ع

كَصبَابَةِ الإِنَاءِ يَتصَابُّهَا صاحبها وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلونَ منْها إِلى دَارٍ لاَ زَاولَ لَهَا فَانْتَقِلوا بخيرِ ما بِحَضْرَتِكُمْ فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لنا انَّ الحجَرَ

قال «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بأصبعيه الوسطى والمسبحة (كصبابة الاناء يتصابها صاحبها وانكم منتقلون عنها) اذ هي دار ارتحال وانتقال (الى دار لا زوال لها) ولا ارتحال عنها (فانتقلوا) أى من الدنيا (بخير ما بحضرتكم) أي بكسب صالح الاعمال وادخار الحسنات عند المولى سبحانه جعل الخير المتمكن منه فى الحياة كالحاضر المحتاج اليه فى المال فصاحب الحزم يدخر منه حاجته لينتفع به عند احتياجه اليه وهذا كما قال ابن عمر رضى الله عنهما وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك وبين الداعى لاستعداد الزاد وادخاره ليوم المعاد بما ورد من الترهيب والترغيب فقال على سبيل الاستئناف البياني (فانه قد ذكر لنا) ببناء ذكر المجهول وحذف الفاعل للعلم به أنه المصطفى صلى الله عليه وسلم لان الصحابى الذى لم يخالط كتب أهل الكتاب لاسبيل له الى معرفة ذلك الامن قبله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر علماء الاثر أن من الموقوف لفظا المرفوع حكما قول الصحابى أمرنا بكذا ونهينا عن كذا بالبناء للمجهول فيهما ويجوز فى الديباجة آن ذلك ذكر له عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمعه هو منه صلى الله عليه وسلم وسكت عن رفعه اما نسيانا أو لامر اقتضاء ومراده الرفع لفظا لما ذكرناه قال ويحتمل ان يكون سمعه منه صلى الله عليه وسلم وسكت عن رفعه للعلم به اه (ان الحجر) ال فيه للجنس والحجر معروف قال ابن النحوي فى لغات المنهاج جمعه فى أدنى العدد أحجار وفى الكثرة حجار والحجارة نادر وهو كقولنا حمل وحمالة وذكر وذكارة كذا قال ابن فارس والجوهرى ورد عليهما القرطبى بان فى القرآن «فهي كالحجارة، وان من الحجارة، كونوا حجارة، ترميهم بحجارة، وامطرنا عليهم حجارة» فكيف يكون نادرا الا ان يريد أنه نادر فى القياس كثير

يُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا وَاللّٰهِ لَتُمْلَأَنَّ أَفَعَجِبْتُمْ

فى الاستعمال فيصح اه وذلك لان ما كان كذلك وعكسه يقع فى الفصيح بخلاف ماخالفهما معافر دود (يلقى من) ابتدائية (شفير جهنم) أى حرفها وشفير كل شيء حرفه أيضا كالبئر والنهر كذا في المصباح وفى الدياجة حرفها الاعلي وحرف كل شيء أعلاه وشفيره ومنه شفير العين وجهنم قيل اسم أعجمي وقيل عربى مأخوذ من قولهم بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر وعلي كل فهى ممنوعة الصرف للعجمة أو التأنيث المعنوى مع العلمية وهو اسم لنار الآخرة نسأل الله العافية منها ومن كل بلاء (فيهوى) بكسر الواو أى ينزل (فيها سبعين) منصوب علي الظرفية الزمانية اى فى قدر سبعين (عاما لا يدرك) بالبناء للفاعل اى لا يصل والاسناد فيه مجازى والحقيقي لا يوصله الله (لها قعرا) بفتح القاف وسكون العين وهو كما فى المصباح أسفل الشيء وجمعه قعور اه (والله لتملأن) بالبناء للمجهول للعلم بالفاعل سبحانه اكد بالقسم وباللام دفعا لما قد يقصر العقل عن ادراكه من ملء مالا يقطع مدى الوصول الي قعره سبعين عاما فما بالك بعرضه وكمال سعته أى واذا كانت كذلك وتمتلىء عن آخرها فاحذروا من مخالفته سبحانه لئلا توبقكم المخالفة وتوقعكم فيها المعصية غفر الله لنا ذنوبنا وستر عيوبنا بمنه وكرمه ولما كان ما ذكره أمرا عظيما جدا قال على وجه التقرير (أفعجبتم) اى من هذا الامر الدال علي عظم قدرة الله سبحانه وكمال جلاله وقوة انتقامه وتقدم أن في ذلك قولين أحدهما ان التقدير أسمعتم فعجبتم فالفاء عاطفة علي مقدر بعد الالف والثانى ان الف الاستفهام من جملة المعطوف وقدمت لصدارتها لتضمنها الاستفهام ولما حصل عند الحاضرين من مزيد الرهبة وعظيم الخوف مما سمعوه حتى كادوا أن يظنوا عموم العذاب لجميعهم أراد رفع ذلك عنهم وادخالهم

ولقدْ ذُكِرَ لنا أنَّ مابينَ مِصْرَاعينِ منْ مَصاريعِ الجنَّةِ مَسِيرَةُ أرْبعينَ عاماً وليأْتينَّ عليْها يوْمٌ وهْوَ كَظيظٌ منَ الزِّحامِ ولقدْ رأيتُنى سَابِعَ سَبْعَةٍ

فى ميدان الرجاء اعلاما بسعة رحمة الله تعالى وكمال فضله فأكد ذلك بالقسم المقدر الدال عليه اللام فى قوله (ولقد ذكر لنا ان مابين المصراعين) بكسر الميم تثنية مصراع ومصراع الباب ما بين عضادتيه وهو ما يسده الغلق كذا فى المفهم للقرطبي وفى المصباح المصراع من الباب الشطر وهما مصراعان (من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما) برفع مسيرة خبر إن واذا كان هذا سعة الباب وأبوابها ثمانية وبين كل بابين خمسمائة عام كما تقدم فى حديث « يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام » فما بالك بسعة باطنها ويكفيك فى ذلك قوله تعالى « وجنة عرضها السموات والارض » والعادة جارية أن الطول أزيد من العرض فسبحان المنعم المتفضل (وليأتين عليها) أى الجنة (يوم) هو وقت دخولها (وهو) أى المصراع أومحله من الباب (كظيظ من الزحام) وذلك يدل على كثرة الداخلين بعموم الرحمة ومزيد الفضل ففى الحديث إيماء الي أن المكلف ينبغى له أن يكون عنده حال الصحة خوف من مولاه سبحانه ورجاء لفضله وإحسانه بقبول ما يعمله من صالح العمل والزحام بكسر الزاى مصدر زاحمه أى دافعه (ولقد رأيتني) قال فى أشرف الوسائل هي بصرية وقوله (سابع سبعة) حال اي واحدا من سبعة قال لكن قضية قوله يعنى فى رواية الترمذى «فقسمتها بينى وبين سبعة» انه ثامن لكن قوله أولئك السبعة يدل للاول وان المراد بقوله سبعة أى بقية سبعة اه ولا يشكل على كونها بصرية اتحاد ضمير فاعلها ومفعولها وذلك من خصائص أفعال القلوب وعبارة الكافية لابن الحاجب ومنها أى خصائص أفعال

مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَالَنَا طَعَامٌ إلاّ وَرَقُ الشَّجَرِ حتّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً

القلوب انه يجوز أن يكون فاعلها ومفعولها ضميرين لشيء واحد مثل علمتني منطلقا قال شراحها والعبارة للمحقق الجامي ولا يجوز ذلك فى سائر الافعال فلا يقال ضربتني ولا شتمتني بل يقال ضربت نفسي وذلك لان أصل الفاعل أن يكون مؤثرا والمفعول به متأثرا وأصل المتأثر أن يغاير المؤثر فان اتحدا معنى كره اتحادهما لفظا فقصد مع اتحادهما معنى تغايرهما لفظا بقدر الامكان فمن ثم قالوا ضربت نفسى ولم يقولوا ضربتنى فان الفاعل والمفعول فيه ليسا بمتغايرين بقدر الامكان لاتفاقهما من حيث إن (١) كل واحد منهما ضميرا متصلا بخلاف ضربت نفسى فان النفس باضافتها الى ضمير المتكلم صارت كأنها غيره لغلبة مغايرة المضاف اليه فصار الفاعل والمفعول فيه متغايرين بقدر الامكان وأما أفعال القلوب فان المفعول به ليس المفعول الاول فى الحقيقة بل مضمون الجملة فجاز اتفاقهما لفظا لانهما ليسا فى الحقيقة فاعلا ومفعولا به اه لكن الحق بأفعال القلوب في ذلك رأي البصرية قال الشاعر * ولقد أراني للرماح دريئة * والحلمية كقوله تعالى «اني أراني أعصر خمرا» وقوله (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) حال من فاعل رأى ويصح كونها لغوا متعلقا برأى وقوله (ما لنا طعام الا ورق الشجر) يحتمل أن تكون فى محل الحال من فاعل رأى وأن تكون مستأنفة استئنافا بيانيا جوابا لكيف كنتم معه صلى الله عليه وسلم وقوله (حتى قرحت أشداقنا) غاية لمقدر أى فأكلناه الى أن قرحت جوانب أشداقنا جمع شدق بكسر الشين المعجمة كحمل واحمال ويقال شدق بفتح المعجمة وجمعه شدوق كفلس وفلوس (فالتقطت بردة) أي عثرت عليها من غير قصد وطلب وهي شملة مخططة وقيل كساء أسود مربع وقال القرطبي البردة الشملة

---

(١) لعلها «كان». ع

فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وبَيْنَ سَعْدِبن مالِكٍ فاتَّزَرْتُ بِنصفِها واتَّزَرَ سَعْدٌ بِنصفِها فما أَصْبَحَ اليَوْمَ مِنَّا أحدٌ إلاَّ أَصْبَحَ أَمِيراً عَلَى مِصْرٍ منَ الأَمْصارِ وَإنِّي أَعُوذُ باللهِ أَنْ أَكُونَ فى نَفْسِي عظِيما وعِنْدَ اللهِ صغِيراً » رَوَاهُ مُسلمٌ

والعرب تسمى الكساء الذى يلتحف به بردة والبرد بغير تاء نوع من ثياب اليمن (فشققتها بيني و بين سعد بن مالك) هو ابن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة (فاتزرت) بتشديد الفوقية (بنصفها واتزر سعد بنصفها) وفى الترمذى فشققتها بيني وبين سعد كما تقدم ثم مبادرته بشقها عقب التقاطها كما تؤذن به الفاء إما لعلمه برضا صاحبها واما باعراضه عنها اسقوطها وتمزقها أو لمعرفته بمالكها فانه يرضي بذلك أو كان قبل وجوب تعريف اللقطة (فما أصبح) اى صار (اليوم (منا أحد) اسم أصبح والظرف قبله حل منه وكان صفة له فقدم عليه فصار حالا (الا أصبح أميرا علي مصر من الامصار) أشار به الى اتساع الحال عليهم بعد ضيقه أولا زاد فى آخر الحديث وسيجربون الامراء بعدنا أى ليروا مثلنا من جهة العدالة والديانة والاعراض عن الدنيا وكان الامر على ذلك وأشاروا الى الفرق بأنهم رأوا معه صلي الله عليه وسلم ما كان سببا لرياضتهم وتقللهم من الدنيا فمضوا على ذلك وغيرهم ممن بعدهم ليس كذلك فلا يكون الا علي قضية طبعه المجبول على الخلق القبيح (وانى أعوذ) أي أعتصم (بالله) من (أن أكون فى نفسى عظيما) بأن يوهمني ذلك الشيطان والنفس (وعند الله صغيرا) لا يقبل على بالفضل والاحسان ولا ينصب لعملى وزن اذا نصب الميزن قال صلى الله عليه وسلم «يجاء يوم القيامة بالرجل العظيم لايزن عندالله جناح بعوضة اقرءوا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا» أو كما قال (رواه مسلم) أواخر صحيحه ورواه

(قوله آذَنَتْ) هوَ بمَدِّ الألفِ وذالٍ مُعْجمةٍ غيرَ مُشدَّدة أىْ أعلَمَتْ (وقوله بِصُرْمٍ) بِضَمِ الصّادِ أىْ بانقِطاعِها وفَنائِها (وقوله وولّتْ حذّاء) هُوَ بِحاءٍ مُهْمَلةٍ مفتُوحةٍ ثمَّ ذالٍ مُعجمةٍ مُشدَّدةٍ ثمَّ ألفٍ ممدُودةٍ أىْ سَرِيعةً (والصُّبابَةَ) بِضَمِ الصّادِ المهملةِ وهىَ البَقيّةُ اليَسِيرَةُ

الترمذى في جامعه وفي شمائله الا انه لم يسق منه فيها الا من قوله « لقد رأيتني سابع سبعة » الخ وأشار الى باقى الحديث ورواه النسائي فى الرقاق ورواه ابن ماجه فى الزهد مختصرا (قوله آذنت هو بمد الهمزة) أى وبالذال المعجمة المفتوحة (أى أعلمت) عبارة القرطبي أي أشعرت وأعلمت وحذف المصنف الأول لاغناء الثانى عنه (وقوله بصرم بضم الصاد) أى المهملة وسكون الراء (أى بانقطاعها وفنائها) الاولى بانقطاع وفناء كما عبر به القرطبي وتبعه فى الديباجة لان المفسر غير مضاف اليها وان كان الكلام فيها (وقوله وولت حذاء هو بحاء مهملة مفتوحة ثم ذال معجمة مشددة ثم ألف ممدودة أى سريعة) هذا تفسير للحذاء لا لمجموع المحكى كما قد توهمه عبارته ولو قال أي أدبرت سريعة أو قال حذاء أى سريعة لسلم من ذلك الايهام الا أن يسامح زيادة فى الايضاح كما هى عادته من بذل النصيحة جزاه الله خيرا وفي المصباح الاحذ المقطوع الذنب وقال الخليل الاحذ الاملس الذى ليس مستمسكا لشيء يتعلق به والانثى حذاء (والصبابة بضم الصاد المهملة) وبموحدتين خفيفتين بينهما ألف (وهى البقية اليسيرة) كذا فى الاصول باثبات الواو على أن الخبر الظرف السابق على الجملة وهى معطوفة عليه ثم قوله البقية غير مقيدة بشيء هو ما قاله غيره ومنهم القرطبي والدميرى وبه يعلم ان قول المصباح الصبابة بالضم بقية الماء مراده به التمثيل لا التقييد قال القرطبى والصبابة

(وَقوله يتصَابُّهَا) هُوَ بِتَشْدِيدِ الباءِ قَبلَ الهاءِ أي يجْمَعها (وَالكَظِيظ) الكَثيرُ المُمْتَلِىءُ (وقوله قَرِحَتْ) بفَتحِ القافِ وَكَسْرِ الرَّاءِ أي صارَ فيها قُرُوحٌ

بالفتح رقة الشوق ولطيف المحبة اه (وقوله يتصابها) بفتح التحتية والفوقية (هو بتشديد الموحدة) من باب التفاعل فأدغمت الموحدة في مثلها (قبل الهاء أي يجمعها) قال القرطبي أي يروم صبها علي قلة الماء اي مثلا وضعفه (والكظيظ) بفتح الكاف وكسر الظاء المعجمة الاولي وسكون التحتية بينهما (الكثير) بالمثلثة (الممتلىء) يقال كظه الشر كظيظ في النهاية حديث عتبة في باب الجنه وليأتين عليه يوم وهو كظيظ أي ممتلىء والكظيظ الزحام اه ومثله في مجمع البحار نقلا عنها وكأنه أشار بذلك الي أنه مشترك بين الممتلىء والزحام أي ذي الزحام لانه تفسير الوصف والله أعلم (وقوله قرحت هو بفتح القاف وكسر الراء) وبالحاء المهملة (أي صارفيها قروح) بضمتين جمع قرح بفتح القاف وضمها وفي النهاية قيل بالفتح المصدر وبالضم اسم مصدر وبضم أوليه أيضا ولم يذكر المصنف في تحريره سوى فتح القاف وضمها وقال إنه الجرح وقال غيره أنه كالجدري وفي مفردات الراغب القرح الاثر من الجراحة من شيء يصيبه من خارج والقرح أثرها من داخل كالبثرة ونحوها ونقل ابن عطية في تفسيره قرح بفتح القاف وضمها واسكان الراء ثم قال قال أبو علي هما لغتان كالضعف والضعف والفتح أولي لانه لغة أهل الحجاز وقال الاخفش هما مصدران بمعني واحد ومن قال القرح بالفتح الجراحة بعينها وبالضم ألمها قبل منه اذا أتي برواية لان هذا مما يعلم(١) بقياس وقرأ ابن السميقع بفتح القاف والراء قال الزمخشري كالطرد

---

(١) لعله (مما لا يعلم). ع

* وعَنْ أَبي مُوسى الأَشعَرِي رضيَ اللهُ عنه قالَ « أَخْرَجتْ لنا عائِشة رضي الله عنها كِساءً وإِزاراً غَليظاً قالتْ قُبِضَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ في هذَيْنِ » متفق عليه * وعنْ سَعْدِ بن أَبي وَقّاصٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ « إِنِّي لأَوَّلُ رَجلٍ من العرَبِ رَمى بِسَهْمٍ في سَبيلِ اللهِ

والطرد قال أبو البقاء و بضمها على الاتباع كاليسر واليسر اه من لغات المنهاج لابن النحوى (وعن أبي موسى الاشعرى رضى الله عنه قال أخرجت لنا عائشة كساء) بكسر الكاف وبالسين المهملة والالف الممدودة زاد البخارى ملبدا وعندهما بلفظ كساء من التى يسمونها الملبدة (وازارا) بكسر الهمزة وبالزاى ثم الراء بينهما ألف اسم لما يستر أسافل البدن (غليظا) أي ثخينا وفى رواية لمسلم «أخرجت الينا عائشة كساء وازاراً ملبداً» واخراجها ذلك لتبين اعراضه صلي الله عليه وسلم عن الدنيا الى مفارقته لها ونقلته لحضرة مولانا سبحانه وتهييجاً للمقتدين به المتبعين سبيله علي ذلك ولذا (قالت قبض رسول الله صلي الله عليه وسلم في هذين) زاد مسلم فى رواية له الثوبين (متفق عليه) رواه البخاري فى الخمس وفى اللباس ومسلم فى اللباس ورواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح والنسائي كلهم فى اللباس من سننهم ثم الذى فى الكتب المذكورة ان الحديث عن أبى بردة ابن أبى موسي قال أخرجت الينا عائشة ولا ذكر فيها لابى موسي والذى وقفت عليه من نسخ الرياض عن أبي موسى كما شرحته وهو ان لم يكن من تحريف الكتاب سبق قلم من الشيخ بلا ارتياب * (وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال إني لأول العرب ممن رمى بسهم فى سبيل الله) وذلك فى بعث حمزة وعبيدة بن الحارث وهي ثاني سرية فى الاسلام وقيل بل هى أول سرية فيه

وَلقدْ كنّا نَغزُو مَعَ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مالنَا طعَامٌ إلا وَرقُ الحُبْلَةِ هذَا السَّمُرُ حتى إنْ كانَ أحدُنا ليَضَعُ كمَا تضَعُ الشّاةُ

وجري عليه السيوطى فى أوائله وقد جزم به الحافظ فى الفتح وفيها كما روى ابن اسحاق وغيره مالفظه ولم يكن بينهم يعنى المسلمين والكفار قتال إلا أن سعد ابن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم فكان أول سهم رمي به فى الاسلام وفى أوائل السيوطي «أول من أراق دما فى سبيل الله سعد بن أبي وقاص» أسنده العسكري وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله أخرجه ابن سعد وابن أبى شيبة عنه وانه قال فى ذلك

ألا هل اتي رسول الله أنى * حميت صحابتي بصدور نبل
أذود بها عدوهم ذياداً * بكل حزونة وبكل سهل
فما يعتد رام من معد * بسهم قبل رسول الله قبلي (١)

(ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مالنا طعام إلا ورق الحبلة) جملة النفى فى محل الحال من فاعل نغزو (هذا السمر) قال القرطبي عند عامة الرواة بحذف الواو أى على انه بيان ورق الحبلة وعند الطبرانى والتيمى وهذا السمر بواو ووقع عند البخارى الا الحبلة وورق السمر وكذا ذكره أبو عبيد ورواية البخارى أحسنها لانه بين فيها انهم كانوا يأكلون ثمر العضاه وورق شجر السمر (حتى) غاية لكون طعامهم ذلك (إن) مخففة من الثقيلة (كان أحدنا ليضع) كناية عن الغائط وفى بعض طرقه يبعر (كما تضع الشاة) أي من البعر ليبسه وعدم ألفة المعدة له وهذا كان سنة ثمان فى غزوة الخبط وأميرهم أبو عبيدة وسيأتى فى الاصل إن شاء الله تعالي وعليه فالمراد بالمعية النبوية حكما ويحتمل أن تكون المعية على ظاهرها وأن ذلك في غزوة أخرى غزاها سعد مع النبي صلى الله عليه وسلم لما في الصحيحين «بينا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام

---

(١) (هل اتى) بفتح اللام وحذف الهمزة والشطر الاخير غير متزن فليراجع . ع

مائةُ خِلطٌ» متفقٌ عليه (الحُبْلَة) بِضَمّ الحاءِ المُهملةِ وإسكانِ الباءِ المُوحدَةِ وهي وَالسَّمُرُ نوعانِ معرُوفانِ من شجَرِ البادِيَةِ * وعن أبي هريرَةَ رضي الله عنهُ قال « قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم اللَّهُمَّ اجْعلْ رِزْقَ آلَ محمّدٍ قُوتاً» متفق عليه

إلا الحبلة» ذكره في أشرف الوسائل (ما خالط) بكسر الخاء المعجمة أي لايختلط بعضه ببعض من شدة جفافه ويبسه وهذا باعتبار ما كانوا عليه من الضيق أول الاسلام وامتحانا ليظهر صدق ثباتهم

لولا اشتعال النار في جزل الغضا * ما كان يعرف طيب نشر العود

(متفق عليه) رواه البخاري في فضل سعد في الأطعمة وفي الرقائق ومسلم فى أواخر كتابه ورواه الترمذي فى الزهد وقال حسن غريب والنسائى فى المناقب وابن ماجه في السنة كذا في الاطراف للمزي (الحبلة بضم الحاء المهملة واسكان الباء الموحدة وهي والسمر) بفتح فضم قال فى المصباح شجر الطلح وهو نوع من العضاه الواحدة سمرة اه (نوعان معروفان من شجر البادية) قال القرطبي الحبلة شجر العضاه وقال ابن الاعرابي ثمر السمر شبه اللوبيا وذكرهما فى النهاية متقدما الثاني فيهما من غير عزو لابن الاعرابي حاكيا الاول بقيل * (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل رزق) بكسر الراء مصدر بمعنى المفعول أى ماينتفعون به مأكلا ومشربا وملبسا (آل محمد) جاء عند بعض رواته زيادة في الدنيا بل قضية كلام الجامع الصغير أنه كذلك عند مسلم ولم أره كذلك عند مسلم إنما الحديث فيه بحذفه قال الثعالبي في تفسيره الجواهر الحسان وعندي أن المراد بآل محمد هنا متبعوه صلى الله عليه وسلم (قوتا متفق عليه) أى بالمعنى وإلا فاللفظ لمسلم فى احدى رواياته ولفظ البخاري وهو

قال أهلُ اللُّغةِ وَالغريبِ معْنَى قُوتًا أى مايَسُدُّ الرَّمق * وعنْ أبى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال « وَاللهِ الذِى لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ إنْ كُنتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي علَى الأَرْضِ منَ الجوعِ وَإنْ كُنتُ لَأَشُدُّ الحَجرَ على بَطْنِى من الجوعِ

عند مسلم أيضا « اللهم ارزق آل محمد قوتا » قال الحافظ فى الفتح بعد ذكر لفظ مسلم المذكور فى المتن وهو المعتمد (١) كون اللفظ الاول صالحا لان يكون دعاء بطلب القوت فى ذلك اليوم وأن يكون طلبه لهم دائما بخلاف لفظ مسلم فانه يعين الاحتمال الثاني وهو الدال على الكفاف والحديث رواه الترمذى وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجه كما فى الأطراف (قال أهل اللغة) هم الحاكون لمعانى المفردات عن العرب (والغريب) هم المتكلمون على مفردات الكتاب والسنة (معنى قوتا أى ما يسد الرمق) فى المصباح القوت ما يؤكل ليمسك الرمق وقال القرطبي معنى الحديث طلب الكفاف فان القوت ما يقوت البدن ويكف عن الحاجة ولم يظهر وجه إدخال أى بين المفسر والمفسر ، وفى هذه الحالة سلامة من آفات الغنى والفقر جميعا *(وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال والله الذى لا إله إلا هو) أتي به لتأكيد مابعده فى ذهن سامعه (إن) مخففة إني (كنت لأعتمد بكبدى) بفتح الكاف وكسر الموحدة أفصح من فتح الكاف وكسرها مع سكون الموحدة (على الارض) أى ألصق بطنى بها (من الجوع) من فيه تعليلية وكأنه كان يستفيد بذلك مايستفيده من شده الحجر على بطنه ويحتمل أن يكون كناية عن سقوطه الي الارض مغشيا عليه كما سيأتي فى الحديث عنه عقب هذا « لقد رايتني واني لأخر فيما بين منبر رسول الله صلي الله عليه وسلم الى حجرة عائشة مغشياً على » الحديث (واني كنت لاشد الحجر على بطني من الجوع) كعادة العرب وأهل الرياضة أو أهل المدينة كانوا يفعلون ذلك اذا خلت أجوافهم

---

(١) كذا بالاصول . ع

وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْماً عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ فَمَرَّ بِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي وَعَرَفَ مَا فِي وَجْهِي وَمَا فِي نَفْسِي

لئلا تسترخى أمعاؤهم فتثقل عليهم الحركة ويربط الحجر تشتد البطن والظهر فتسهل عليهم الحركة حينئذ وقيل حكمة شده أنه يسكن بعض ألم الجوع لان حرارة المعدة الغريزية مادامت مشغولة بالطعام فتلك الحرارة به فاذا نفد اشتعلت برطوبات الجسم وجوهره فيحصل التألم حينئذ ويزداد مالم يضم على المعدة الاحشاء والجلدفان نارها حينئذ تخمد بعض الخمود فيقل الالم وقيل يفعل ذلك لان البطان اذا خلا ضعف صاحبه عن القيام لتقوس ظهره فاحتيج لربط الحجر ليشده ويقيم صلبه (ولقد قعدت على طريقهم) قال فى المصباح يذكر في لغة نجد وبه جاء قوله تعالى «فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا» ويؤنث فى لغة الحجاز « قلت » وعدم تأنيث يبس لكونه مصدراً وصف به كما ذكر البيضاوى فى التفسير قال فى المصباح وجمعه طرق وقد يجمع على لغة التذكير على أطرقة والضمير يرجع الى المارة المدلول عليه بالمضاف (الذى يخرجون منه) أى الى مطالبهم وذلك لئلا يفوتوه (فمر بي النبي صلى الله عليه وسلم) قبله فى البخارى مرور ابي بكر وعمر وانه سأل كلا منهما عن(١) آية وقصد بالسؤال التعرض للنوال فلم يقع وسكت عنه المصنف لعدم تعلق غرض الباب به اذ غرضه التحريض على الزهد فى الدنيا والاعراض عما تدعو اليه الضرورة بالمرة وهذا الخبر وأمثاله يدل عليه اذ لو كان حاله صلى الله عليه وسلم بخلاف ذلك لما بلغ حال أصحابه في الفقد الى ما ذكر فى الخبر لما علم من كمال كرمه وايثاره على نفسه صلى الله عليه وسلم (فتبسم حين رآني وعرف ما فى وجهى) أى مما يدل على ما فى نفسي (وما فى نفسي) أي من الاحتياج إلى مايسد الرمق ووقع عند بعض رواة البخارى بأوالتي للشك بدل الواو

---

(١) اى عن تفسيرها . ش

ثمَّ قالَ أبا هرٍّ فقلتُ لبيكَ يا رسولَ اللهِ قالَ الحقْ ومضى فاتَّبعتُهُ فدخلَ فأستأذنُ فأُذِنَ لي فدخلَ فوجدَ لبناً في قدحٍ فقالَ من أينَ هذا اللَّبن

في قوله « وما » قال في الفتح استدل أبو هريرة بتبسمه صلى الله عليه وسلم علي أنه عرف ما به لان التبسم يكون لما يعجب وتارة يكون لمن تبسم اليه ولم تكن تلك الحالة معجبة فقوى الحمل علي الثاني (ثم قال يا أبا هر) بتشديد الراء قال في الفتح وهو إما رداً لاسم المؤنث الى المذكر أو المصغر الى المكبر فان كنيته في الاصل أبو هريرة تصغير هرة مؤنثا وأبو هريرة مذكر وذكر بعضهم انه يجوز فيه تخفيف الراء مطلقا فعلي هذا فيسكن (قلت لبيك يا رسول الله) هذه رواية على بن مسهر باثبات حرف النداء وعند باقي الرواة له بحذفه أي اجابة بعد اجابة (قال الحق) بهمزة وصل وفتح الحاء المهملة(١) أي اتبع(ومضى)أي الى سبيل بيته(فاتبعته)بتشديد الفوقية زاد في رواية علي بن مسهر فلحقته وفي تفسير البغوى تبع بقطع الهمزة معناه أدرك وألحق واتبع بتشديد التاء معناه سار يقال مازلت أتبعه حتي أتبعته أي مازلت أسير خلفه حتي أدركته ولحقته (فدخل) زاد علي بن مسهر الى أهله (فأستأذن)قال في الفتح بهمزة بعد التاء والنون مضمومة فعل المتكلم (٢) وعبر عنه بذلك مبالغة في التحقق لانه حكاية حال ماضية ففيه الاشارة لكمال استحضاره لها حتي كأنه يخبر عن حاضر عنده وفي رواية ابن مسهر فاستأذنت بضمير المتكلم (وأذن لي) يحتمل أن يقرأ بالبناء للفاعل أي النبي صلى الله عليه وسلم وأن يقرأ بالبناء للمفعول ما لم تكن رواية فيوقف عندها(فدخل)(٣) قال في الفتح كذا فيه وهو إما تكرار لهذه اللفظة لوجود الفصل أو التفات (فوجد لبنا في قدح فقال من أين هذا اللبن)

---

(١) ضبطت في نسخ المتن بهمزة قطع وكسر الحاء ومعناهما واحد (٢) فهو مضارع
(٣) في بعض نسخ المتن فدخلت . ع

فقالوا أَهْدَاهُ لَكَ فلاَنٌ أوفُلاَنة قالَ أبا هِرٍّ قُلتُ لَبَّيْكَ يا رَسولَ اللهِ قال الْحَقْ إلى أهلِ الصُّفَّةِ فادعُهُمْ لِي قالَ وأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيافُ الإِسْلاَمِ لاَ يأْوُونَ عَلى أهلٍ وَلاَ مالٍ ولاَ عَلى أَحَدٍ وكَانَ إذا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بعثَ بها اليهمْ ولَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْها شَيْئًا وَإذا أَتَتْهُ

وفي رواية ابن مسهر من أين لكم (قالوا أهداه لك فلان أو فلانة) كذا بالشك قال فى الفتح ولم أقف على اسم من أهداه وفي رواية روح «أهداه لنا فلان أو آل فلان» وفى رواية أهداه لنا فلان (قال أباهر قلت لبيك يا رسول الله) باثبات حرف النداء عند جميع رواة البخارى (قال الحق إلى أهل الصفة) ضمن الحق معنى انطلق فلذا عداه بالى وقد وقع فى رواية روح بدله انطلق (فادعهم لى قال) أى أبو هريرة وسقط من رواية روح ولا بد منها فان قوله (وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد) الى آخر ما يأتي من بيان شأنهم من كلام أبى هريرة شرح به حال أهل الصفة والسبب الداعى لدعائهم وأنه صلى الله عليه وسلم كان يخصهم بالصدقة ويشركهم فيما يأتيه من الهدية ووقع فى رواية يونس ما يشعر بأن أبا هريرة كان منهم وقد عده فيهم البخارى فى مؤلفه فى أهل الصفة والصفة بناء فى مؤخر المسجد منزل فقراء المهاجرين مما لا مال له ولا معارف بالمدينة وقد تقدم فيهم بيان قبل هذا فى باب فضل الزهد فى الدنيا ووقع هكذا في الرواية لا يأوون على أهل والكثير الى بدل على وقوله ولا على أحد تعميم بعد تخصيص فيشمل الاقارب والاصدقاء وغيرهم وجملة ولا يأوون فى محل الحال (وكان اذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول) وفى رواية روح ولم يصب (منها شيئا) أي لنفسه وزاد روح ولم يشركهم فيها لحرمة الصدقة عليه لعلو مقامه (واذا أتته

هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا فَسَاءَنِي ذَلِكَ فَقُلْتُ وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ كُنْتُ

هدية أرسل اليهم) أي ببعضها كما يدل عليه قوله (وأصاب منها وأشركهم فيها) وهذه الجملة الاخيرة كالاطناب فيها ايماء إلى انه يجعل لهم منها حظا وافرا وأما هو فى نصيبه منها فلا يستكثر إيثارا والجملة الشرطية وما عطف عليها مستأنفة فيها بيان معاملته صلى الله عليه وسلم معهم واعتنائه بأمرهم وما ذكر من بعث الصدقة وبعث الهدية لأهل الصفة هو أحد أحواله صلى الله عليه وسلم معهم وتارة كان اذا أتاه شيء وقيل له انه صدقة أمر من عنده بأكله ولم يأكل منه وان قيل انه هدية ضرب بيده وأكل منه وحمل علي أن هذا كان قبل بناء الصفة وكان يقسم الصدقة فيمن يستحقها ويأكل الهدية فيمن حضر من أصحابه ويحتمل أن يكون باختلاف حالين فيحمل حديث الباب على ما اذا لم يحضره أحد فانه يرسل ببعض الهدية الى أهل الصفة أو يدعوهم كما فى قصة الباب وإن حضره أحد شركه فى الهدية وان كان هناك فضل أرسل به الي أهل الصفة أو دعاهم ووقع في حديث أحمد عن طلحة بن عمر نزلت فى الصفة مع رجل كان بيني وبينه كل يوم مد من تمر وهو محمول على اختلاف الاحوال كان أولا ينزل الى أهل الصفة مما حضره أويدعوهم أو يفرقه على من حضر ان لم يحضر ما يكفيهم فلما فتحت فدك وغيرها صار يجرى عليهم من التمر فى كل يوم ما ذكر اه ملخصا من الفتح (فساءنى) بالمد أى أحزنني (ذلك) أى قوله ادعهم لى ازيد ضرورتي وشدة فاقتي ظن أن ذلك اللبن لا يزيد عن حاجته كما هو مقتضى العادة فيه فلذا قال (فقلت وما هذا اللبن) والواو عاطفة على محذوف والاشارة للتحقير (في أهل الصفة) وهم عدد كثير وفي رواية «وأين يقع هذا اللبن فى أهل الصفة» (كنت

أحقُّ أنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبن شَرْبَةً أتقوَّى بهَا فاذَا جاءوا أمرَني فكُنْتُ أنا أُعْطِيهِمْ وما عسي أنْ يبلُغَني مِنْ هذا اللَّبن وَلَمْ يكُنْ مِنْ طاعةِ اللهِ وطاعةِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بُدٌّ فأتيتُهمْ فدَعوتُهم

أحق) أى أولى به (أن أصيب) وحذف المفضل عليه مجروراً بمن لدلالة السياق عليه أى أولى منهم إصابة (من هذا اللبن شربة أتقوى بها) أي أصير ذا قوة من ضعف الجوع بسببها يقال تحجر الطين أي صار حجراً ويجوز أن يكون بمعنى المجرد أى أقوى بها بعد الضعف (فاذا جاء) قال الحافظ فى الفتح كذا فيه بالافراد أى من أمرنى بطلبه والاكثر جاءوا بصيغة الجمع اه والموجود في بعض نسخ الرياض الوجه الثاني (أمرني) أى النبي صلى الله عليه وسلم (فكنت أنا أعطيهم) وكأنه عرف ذلك بالعادة لانه كان يلازم النبي صلى الله عليه وسلم ويخدمه (وما عسي أن يبلغنى) أى يصل الى (من هذا اللبن) بعد أن يكتفوا منه وقال الكرماني لفظ عسي زائد ووقع فى رواية يونس بن بكير فيأمرنى أن أديره عليهم وما عسي أن يصيبني منه وقد كنت أرجو أن أصيب منه ما يقيتني أى من جوع ذلك اليوم (ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد) أي محيد قال فى المصباح لابد من كذا أى لا محيد عنه ولا يعرف استعماله إلا مقروناً بالنفي اه وذلك لان شكر المنعم سبحانه واجب شرعا وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة له سبحانه قال تعالي « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (فأتيتهم) أى عقب الامر لى بدعوتهم وان كان على خلاف هواى (فدعوتهم) قال الكرمانى وظاهر قوله « فأتيتهم » أن الاتيان والدعوة وقعا بعد الاعطاء وليس كذلك ثم أجاب أن معني قوله فكنت أنا أعطيهم عطف على جواب فاذا جاءوا فهي بمعنى

فأقبلوا وَاستأذَنوا فأذِنَ لهمْ وأخَذُوا مجالِسَهمْ منَ البَيْتِ قال يا أبا هرٍّ قُلتُ لَبَّيْكَ يا رَسولَ اللهِ قالَ خذْ فأعْطِهِمْ فأَخَذْتُ القَدَحَ فَجعلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجلَ فيَشْرَبُ حتى يَرْوَى ثُمَّ يرُدُّ عليَّ القَدَحَ فأُعْطِيهِ الآخَرَ

الاستقبال قال في الفتح وهو ظاهر من السياق (فأقبلوا فاستأذنوا) أى سألوا الاذن فى الدخول (فأذن لهم) بالبناء للفاعل كذا فى النسخ أى النبي صلى الله عليه وسلم ولو قرىء بالبناء للمفعول لجاز لان المدار على وجود الاذن من أى كان قال تعالى « يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم » (فأخذوا مجالسهم) أي قعد كل منهم في المجلس اللائق به (من البيت) أى بيت النبي صلي الله عليه وسلم وقد أمر صلى الله عليه وسلم بانزال الناس منازلهم كما رواه مسلم في أول صحيحه عن عائشة معلقا قال الحافظ فى الفتح ولم أقف على عددهم إذ ذاك قال أبو نعيم عدد أهل الصفة يختلف بحسب الحال فربما اجتمعوا فكثروا وربما تفرقوا إما لغزو أو سفر أو استغناء فقلوا ووقع فى عوارف المعارف انهم كانوا أربعمائة وفى المصباح المجلس أى بفتح أوله وثالثه مكان الجلوس والجمع مجالس وقد يطلق علي أهله مجازاً تسمية للحال باسم المحل اه (قال يأبا هر قلت لبيك يارسول الله قال خذ) أى قدح اللبن المدلول عليه بالسياق والسباق (فأعطهم فأخذت القدح فجعلت) أى شرعت (أعطيه الرجل) والاتيان به حكاية للحال الماضية اشارة لكمال استحضار القصة ولولا ذلك لقال فأعطيته الرجل وأل فى الرجل للجنس (فيشرب حتي يروي ثم) فيه إيماء الى طول شرب الرجل منهم وذلك لمزيد الجوع وتمام الفاقة (يرد) بالبناء للفاعل (علي القدح فأعطيه) أي عقب رده (الآخر) أي الذى الى جنبه هذه رواية يونس وفي رواية علي بن مسهر « فجعلت أناول الاناء رجلا رجلا فاذا روى أخذته فناولته الآخر

فيشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ حتى انْتَهيْتُ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وَقَدْ رَوِيَ القَوْمُ كلُّهمْ فأَخَذَ القَدَحَ فوضَعَهُ عَلَى يدِهِ فنَظَرَ إليَّ فَتَبَسَّمَ فقَالَ أَباهِرٍّ فَقُلتُ لَبَّيْكَ يارَسُولَ اللهِ فقال بَقِيتُ أنا وأنْتَ

حتي روى القوم جميعاً » ووقع فى بعض نسخ البخارى فأعطيه الرجل وعليها شرح الحافظ كالكرماني فقال أى الذي الى جنبه وهذا فيه ان المعرفة اذا أعيدت معرفة لا تكون عين الاول قال والتحقيق أن ذلك لا يطرد بل الاصل أن تكون عينه إلا أن يكون هناك قرينة قال الحافظ بعد ذكر اختلاف الروايات كما ذكرنا وعليه فاللفظ المذكور من تصرف الرواة فلا حاجة فيه لخرم القاعدة (فيشرب حتي يروى ثم يرد علي القدح) وقوله (حتي انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم) أي وأعطيه غاية لمقدر أى عمتهم أجمعين حتى انتهيت اليه صلى الله عليه وسلم (وقد روى القوم كلهم) جملة فى محل الحال وقد للتحقيق ايماء الى أنه تحقق لهم الرى المطلوب وأكد القوم بكلهم دفعاً لتوهم أن المراد رى بعضهم (فأخذ القدح) أى وقد بقيت فيه فضلة من اللبن كما فى رواية روح (فوضعه على يده فنظر الى فتبسم) قال الحافظ في الفتح كأنه صلى الله عليه وسلم تفرس في أبي هريرة ما كان وقع فى توهمه انه لا يفضل له شىء من اللبن فلذا تبسم « قلت » ويجوز أن يكون قد اطلع على ذلك ككثير من المغيبات (فقال أبا هر) كذا فى رواية وفى رواية ابن مسهر هنا وفيما ذكر أوله أبو هر بالواو وهو على تقدير الاستفهام أى انه أبو هريرة وعلى لغة من لا يعرب الكنية (فقلت لبيك يارسول الله قال بقيت أنا وأنت) كأنه بالنسبة لمن حضر من أهل الصفة وأما من كان فى البيت من أهل النبي صلى الله عليه وسلم فلم يتعرض لذكرهم ويحتمل أن البيت إذ ذاك ما كان فيه أحد منهم أو أخذوا كفايتهم والذى فى القدح نصيبه صلى الله عليه

قُلتُ صَدَقْتَ يارسولَ اللهِ قالَ اقعُدْ فاشرَبْ فَقَعَدْتُ فَشرِبْتُ فقالَ اشْرَبْ فَشرِبْتُ فمازالَ يقولُ اشرَبْ حتى قلْتُ لاَ والذي بعثَكَ بالحَقّ لاَ أجِدُ لهُ مَسلَكاً قالَ فأرِني فأعْطيتُهُ القَدحَ فَحمِدَ اللهَ تعالى وسمّى وشرِبَ الفضْلةَ » رواه البخاري

وسلم (قلت صدقت يا رسول الله) وهذه الجملة والتي قبلها من باب لازم الخبر (قال اقعد فاشرب) فيه ان اللبن كغيره من المشروبات فى استحباب الجلوس عند شربه بخلاف المص للمشروب فانه يستحب فيما عدا اللبن أما هو فيعبه عبا لان ما شرع له المص من خوف الشرقة به مفقود فى اللبن لقوله تعالى « سائغا للشاربين » قال الحافظ السيوطى لم يشرق باللبن أحد أصلا (فقعدت فشربت فما زال يقول لى اشرب) أي لما علم من مزيد حاجته وشدة فاقته ولانه ربما يترك بعض حاجته ليبقي بعضه للنبي صلي الله عليه وسلم فأمره بذلك ليستوفي أربه وظاهر انه كرر ذلك مراراً والمذكور فى أدب الضيافة أن المضيف يقول نحوذلك للضيف الى ثلاثة لا يجاوزها (حتى قلت لا) المنفي محذوف أى لا أشرب ثم عال ذلك على وجه الاستئناف البياني مؤكداً بالقسم بقوله (والذى بعثك) أى أرسلك ملتبسا (بالحق لا أجد له مسلكا) بفتح أوله وثالثه وسكون ثانيه المهمل بينهما أى مكانا يسلك فيه مني (قال فأرني) وفى رواية روح فقال ناولنى القدح (فأعطيته القدح فحمد الله تعالي) أى على ما من به من البركة في اللبن المذكور مع قلته حتى روي القوم كلهم وأفضلوا (وسمى) فى ابتداء الشرب (وشرب الفضلة) أى البقية وفى رواية روح فشرب من الفضلة وفيه اشعار بأنه بقى بعضه فان كانت محفوظة فلعله أعدها لمن بقى بالبيت ان كان (رواه البخارى) فى الرقاق من صحيحه ووقع فى الاطراف أنه رواه في الاستئذان وهو وهم إلا إن أراد

* وعنْ محمد بن سيرين عنْ أبي هريْرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ قال « لقَدْ رَأيتني

أنه رواه كذلك مختصراً بنحوه في الباب المذكور كما نبهت عليه في حاشية كتاب الاطراف ورواه الترمذي في الزهد من جامعه والنسائي في الرقاق من سننه وفي الحديث من الفوائد من علامات النبوة تكثير الطعام والشراب ببركته صلى الله عليه وسلم وفيه جواز الشبع ولو بلغ أقصى غايته أخذا من قول أبي هريرة لا أجد له مسلكا وتقرير النبي صلى الله عليه وسلم له علي جوازه خلافا لمن قال بتحريمه والجمع بين ذلك وبين الاحاديث الواردة بالزجر عن الشبع بحمل الزجر على متخذ الشبع عادة لما يترتب عليه من الكسل عن العبادة وغيرها وحمل الجواز على من وقع له ذلك نادراً لاسيما بعد شدة جوع واستبعاد حصول شيء بعده عن قرب ﴿ تنبيه ﴾ قال في الفتح وقع لابي هريرة قصة أخرى في تكثير الطعام مع أهل الصفة أخرج ابن حبان عن أبي هريرة قال « أتت على ثلاثة أيام لم أطعم فجئت أريد الصفة فجعلت أسقط فجعل الصبيان يقولون جن أبو هريرة حتى انتهيت الى الصفة فوافقت رسول الله صلي الله عليه وسلم أتى بقصعة من ثريد فدعا عليها أهل الصفة وهم يأكلون منها فجعلت أتطاول لكي يدعوني حتى قاموا وليس في القصعة الا شيء في نواحيها فجمعه صلى الله عليه وسلم فصار لقمة فوضعها على أصابعه فقال لي كل باسم الله فوالذي نفسي بيده مازلت آكل منها حتى شبعت اه

* (وعن محمد بن سيرين) بكسر المهملة وسكون التحتية وبالراء ثم تحتية ثم نون غير منصرف للعلمية والعجمة وابن سيرين تابعي يكني أبا بكر بصري ثقة ثبت عابد كبير القدر من أوساط التابعين مات سنة عشر ومائة روى عنه الستة كذا في تقريب الحافظ (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لقد رأيتني) أي أبصرتني وهذا طرف من أواخر حديثه وأوله « كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من

وَإِنِّي لَأَخِرُّ فِيما بينَ مِنْبَرِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وَسلم إِلى حُجْرَةِ عائِشةَ رَضيَ الله عنها مَغْشِيًّا عَلَيّ فَيَجِيءُ الْجَائِي فَيَضَعُ رِجْلَه على عُنُقِي وَيَرَى أَنِّي مَجْنُونٌ وَما بِي مِنْ جُنُونٍ

كتان فتمخط فقال بخ بخ أبو هريرة يتمخط فى الكتان ولقد رأيتنى» وكان على المصنف ذكر الواو لينبه علي أن ما ذكر بعض حديث معطوف على شيء تقدمه (واني لاخر) بكسر الخاء المعجمة أي لاسقط والجملة حال من فاعل رأيتنى أو مفعوله (فيما) أى فى المكان الذى أو مكان (بين منبر) بكسر فسكون ففتح من النبر بالنون فالموحدة الارتفاع (رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حجرة عائشة رضي الله عنها) القياس وحجرة عائشة لان بين لا تضاف إلا الى متعدد وكذا رأيته عزاه الحافظ فى باب الرقاق من الفتح الى باب الاعتصام لكن فى باب الاعتصام من الصحيح بلفظ الى وفى كتب النحو فيما اختصت به الواو العاطفة عن باقي العواطف عطف مالا يستغنى عنه كجلست بين زيد وعمرو ولذا كان الاصمعي يقول الصواب بين الدخول وحومل لا فحومل «وأجيب» بأن التقدير بين نواحي الدخول فهو كقولك دخلت بين الزيدين أو أن الدخول مشتمل على أماكن ذكره في مغنى اللبيب والجواب الاول ممكن هنا أى ما بين ساحات المنبر الي حجرة عائشة وما بين المنبر وحجرة عائشة أى بيتها وهى مدفنه صلى الله عليه وسلم حذاء(١) الروضة طولا (مغشيا علي) هذا محط الفائدة ومقصد الاخبار أي مغمى علي والاغماء زوال الشعور مع فتور فى الاعضاء (فيجيء الجائى فيضع رجله علي عنقى ويرى أنى مجنون) أي وتلك عادتهم بالمجنون حتي يفيق وجملة يرى محتملة للحالية والاستئناف البيانى (وما بي من) مزيدة لتنصيص علي العموم الظاهر فيه (جنون) لكونه نكرة فى سياق النفي وهو مبتدأ والظرف قبله خبر قدم عليه اهتماما واعتناء

---

(١) لعله (حد) . ع

ما بي إلاّ الجوعُ » رواه البخاري * وعنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ « توفّيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ودِرْعهُ مرْهُونةٌ عِنْدَ يهوديٍّ في ثلاثين صاعاً منْ

(وما بي) الباء فيه سببية أي ليس سبب اغمائي (لا الجوع رواه البخاري) في باب لاعتصام ورواه الترمذي في الزهد من جامعه وقال حسن صحيح غريب ورواه في الشمائل بنحوه * (وعن عائشة رضي الله عنها قالت توفي رسول الله صلي الله عليه وسلم ودرعه) بكسر الدال المهملة ما يلبس في الحرب زاد البخاري في أول البيوع عنها ورهنه درعا من حديد (مرهونة عند يهودي) هو أبو الشحم قال الحافظ في الفتح كما بينه الشافعي ثم البيهقي من طريق جعفر بن محمد عن أبيه ان النبي صلي الله عليه وسلم رهن درعا له عند أبي الشحم اليهودي رجل من بني ظفر في شعير وأبو الشحم اسمه كنيته وظفر بفتح الظاء والفاء بطن من الاوس وكان حليفا لهم وتصحف علي بعضهم فضبطه بمد الهمزة وكسر الموحدة اسم فاعل من الاباء قال العلماء الحكمة في عدوله صلي الله عليه وسلم عن معاملة مياسير الصحابة الى معاملة اليهود إما لبيان الجواز أو لانهم لم يكن عندهم اذ ذاك طعام فاضل عن حاجة من عندهم أو خشي أنهم لا يأخذون ثمنا أو عوضا فلم يرد التضييق عليهم فانه لا يبعد أن يكون فيهم اذ ذاك من يقدر منه علي ذلك أو أكثر منه فلعله لم يطلعهم علي ذلك وانما أطلع عليه من لم يكن موسرا به ممن نقل ذلك اه (في ثلاثين صاعاً) وقيل في عشرين وقيل في أربعين وقيل وسقا بدل الصاع كما ورد كل منها قاله الشيخ زكريا في تحفة القارىء وجمع في الفتح بين روايتي عشرين وثلاثين بأنه لعله كان ناقصا عن الثلاثين فجبر بذلك الكسر وألغى أخرى قال ووقع لابن حبان عن أنس أن قيمة الطعام كانت دينارا (من

شعير) قال الشيخ زكريا في شرح البهجة قيل افتكه صلى الله عليه وسلم قبل موته لخبر « نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضي » وهو صلى الله عليه وسلم منزه عن ذلك والاصح خلافه لقول ابن عباس رضي الله عنهما « توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي » أي ولحديث الباب والحديث الاول محمول على من لم يخاف وفاء قال السبكي مع أنه صلى الله عليه وسلم ليس من الخبر لان دينه ليس لمصلحة نفسه لانه غني بالله وانما أخذ الشعير لاهله وهو متصرف عليهم بالولاية العامة فلا يتعلق الدين به بل بهم ولم يثبت انه كان عليه دين وإن ثبت فهو لمصلحة المسلمين واذا استدان الامام لمصالحهم كان عليهم لا عليه «فان قيل» هذا فيما استدانه للجهات العامة دون ما ستدانه لاهله فانه وكيل عليهم والوكيل تتعلق به العهدة «والجواب» انه صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين فهو يتصرف عليهم بهذه الولاية التي ليست لغيره من الأئمة ولا يخفى ما فيه اه كلام الشيخ زكريا «أقول» يمكن أن يجاب بأن المختار عند الاصوليين عدم دخول المتكلم في عموم كلامه فذاك في حق من سواه أما هو فلا يحبس عن علي مقامه تشريفا له والله أعلم وفي فتح الباري فيه أي في حديث « توفي رسول صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة » دليل على أن المراد بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة « نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه » وهو حديث صححه ابن حبان وغيره من لم يترك عند صاحب الدين ما يحصل به الوفاء واليه جنح الماوردي وذكر ابن الطلاع في الاقضية النبوية أن أبا بكر فتك الدرع بعد النبي صلي الله عليه وسلم لكن روى ابن سعد أن أبا بكر قضى عدات النبي صلى الله عليه وسلم وان علياً قضى ديونه وروى اسحاق بن راهويه في مسنده عن الشعبي

متفق عليه * وعنْ أَنَسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال « رَهَنَ النَّبيُّ صلى الله عليه وَسلم دِرْعهُ بِشعيرٍ ومَشَيْتُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم بِخُبْزِ شَعيرٍ وَإهالةٍ سَنِخةٍ ولقدْ سَمِعتهُ

مرسلا أن أبا بكر افتكها وسلمها لعلى وأما من أجاب بأنه صلي الله عليه وسلم افتكها قبل موته بثلاثة أيام فمعارض بحديث عائشة اه (متفق عليه) رواه البخاري فى أبواب من صحيحه بعضها باللفظ المذكور وبعضها بنحوه رواه مسلم فى البيوع ورواه النسائي وابن ماجه *(وعن أنس رضى الله عنه قال رهن النبي صلي الله عليه وسلم درعه) لفظ البخاري درعا له فيه انه من أدراعه لاالذي كان يعتادلبسه (بشعير) أى مقابلة بثمن الشعير الذى شراه صلي الله عليه وسلم نسيئة ففى الحديث مضاف مقدر والباء فيه المقابلة ويصح كونها باء السببية ولا مضاف أى بسبب الشعير الذى شراه نسيئة (ومشيت الى النبي صلي الله عليه وسلم بخبز شعير) قال الحافظ فى كتاب الرهن من الفتح ووقع لاحمد عن أنس لقد دعي نبي الله صلي الله عليه وسلم ذات يوم علي خبز شعير واهالة سنخة فكان اليهودى دعا النبي صلي الله عليه وسلم علي لسان أنس فلذا قال مشيت اليه بخلاف ما يقتضيه ظاهره (واهالة سنخة) بالسين المهملة قال الشيخ زكريا ويروى زنخة بالزاى بدلها والباقى سواء ففيه اعراضه صلي الله عليه وسلم عن المشتهيات واجتزؤه بما يسد الحاجة من القوت حتى حمل اليه مثل ذلك (ولقد سمعته) ظاهره ان هذا من كلام أنس ومرجع الضمير البارز للنبي صلي الله عليه وسلم أي قال أنس سمعت النبي صلي الله عليه وسلم وهوما فهمه الحافظ ابن حجر ورد علي الكرمانى قوله وهو كلام قتادة والضمير المنصوب فيه لانس قال الحافظ ويرد عليه أنه أخرجه احمد وابن ماجه عن أنس بلفظ « ولقد سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم (يقول) والذى نفس محمد بيده » فذكر الحديث بلفظ ابن ماجه وساقه أحمد بتمامه يقول مسليا لاولى الفقر والحاجة من أمته (ما أصبح لآل محمد) أى عندهم كقوله تعالى « أقم الصلاة لدلوك الشمس » أي عنده كما يدل عليه لفظ البخارى فى أوائل البيوع « ما أمسى عند آل محمد صاع بر » الحديث قال في تحفة القارى وآل مقحم « قلت » ويجوز ابقاؤه على ظاهره خصوصا ومذهب البصريين وهو المختار منع زيادة الاسماء ويؤيده عود الضمير اليه من قوله وانهم لتسعة أبيات (الا صاع) أى مكيلة من الطعام لكن في باب شراء النبى صلى الله عليه وسلم نسيئة أوائل البيوع من صحيح البخارى فى حديث الباب عن أنس « ولقد سمعته يقول ما أمسى عند آل محمد صاع بر ولا صاع حب » ويمكن الجمع بأن المنفي في رواية صاع تام من نوع واحد والمثبت صاع مجمع من أقوات كما يبينه انه فى جانب النفي بين فرداً خاصا ثم عطف عليه ما يعمه وغيره وفى جانب الاثبات لم يبين ابهام الصاع والله أعلم (ولا أمسى) أى لهم سواه كما صرح به أبو نعيم في روايته فى مستخرجه بلفظ ولا أمسى الا صاع وحذف ذلك ايجازا لدلالة ما قبله عليه (وانهم) أى آله الذين ينفق عليهم من زوجاته ومن يلوذ بهن (لتسعة أبيات) هذا بالنسبة للزوجات وكانت له مارية وريحانة يطؤهما بملك اليمين ، وجملة وانهم في محل الحال من الظرف قال الحافظ فى الفتح ويناسبه (١) ذكر أنس لهذا القدر مع ما قبله الاشارة الى سبب قوله صلي الله عليه وسلم هذا وانه لم يقله متضجرا ولا شاكيا معاذ الله انما قاله معتذرا عن اجابته لدعوة اليهودى ولرهنه درعه عنده ولعل هذا هو الحامل الذي زعم أن قائل ذلك هو

(١) لعله (ومناسبة) . ع

رَواه البخارى (الإِهالةِ) بِكَسْرِ الهَمزةِ الشَّحْمُ الذّائِبُ والسَّنِخَةَ بالنّون والخَاءِ المعجمة وهى المُتَغَيِّرَة * وعن أَبى هريرةَ رضي الله عنه قال «لَقَدْ رأَيت سَبعِينَ مِنْ أَصحابِ الصُّفَّةِ ما منهمْ رجلٌ عليه رِداءٌ إِمّا إِزارٌ وإِمّا كِساءٌ قدْ رَبطوا

أنس فراراً من أن يظن به صلى الله عليه وسلم أنه قاله تضجراً والله أعلم (رواه البخارى) فى البيوع والرهن ورواه الترمذي فى البيوع من جامعه وقال حسن صحيح والنسائى فى البيوع أيضا وابن ماجه فى الاحكام (الاهالة بكسر الهمزة) وتخفيف الهاء واللام (الشحم الذائب) وفى المصباح هى الودك المذاب وفى التحفة هي ما يؤتدم به من الأدهان كالألية وهما قولان ففي النهاية كل شيء من الادهان يؤتدم به إهالة وقيل هو ما أذيب من الالية والشحم وبهذا بدأ الحافظ فى الفتح وقيل هو الدسم الجامد «قلت» وعلى الاول والاخير فيشمل السمن ونحوه من الزبد (والسنخة بالنون) المكسورة قال الحافظ ويقال فيها بالزاى بدل السين (والخا المعجمة وهى المتغيرة) أى متغيرة الريحة من طول المكث كما فى تحفة القاري ففي الحديث كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم وزهده وتقلله من الدنيا مع قدرته عليها وكرمه الذى أفضي به الى عدم الادخار حتي احتاج الى رهن درعه * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال لقد رأيت سبعين) بتقديم المهملة على الموحدة (من أهل الصفة) من فيه تبعيضية لما تقدم قريبا من انهم يبلغون الى أربعمائة (ما منهم رجل عليه رداء) أى لا رداء وهو الساتر لأعلى البدن علي أحد منهم وانما معهم ما يستترون به عورتهم (إما) بكسر الهمزة للتفصيل (ازار وإما كساء) وهو مبتدأ خبره محذوف أى ما لهم (١) ذلك أو ذلك (قد ربطوا) بحذف العائد وهو

---

(١) (ما) موصولة لا نافية . ع

فى أَعْنَاقِهِمْ مِنْهامايَبْلغ نِصفَ السَّاقين ومِنْها مايَبْلغ الْكَعْبَين فَيَجْمَعه بِيَدِهِ كِرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عورَته» رَواه البخارى * وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قالتْ «كَانَ فِرَاشُ رَسول الله صلى الله عليه

المفعول به أى ربطوه (فى أعناقهم) وذلك للاستمساك فيدوم ستر العورة (منها) أى الازر والاكسية المدلول عليها بما ذكر (مايبلغ نصف الساقين) أفرد المضاف الى المثنى وهو جائز كتثنيته وجمعه كقطعت رأسي الكبشين وكحديث «كان شعره الى أنصاف أذنيه» وقوله تعالى «فقد صغت قلوبكما» وفي المصباح الساق من الاعضاء أنثى وهي ما بين الركبة والقدم وتصغيرها سوية اه (ومنها مايبلغ) أي يدرك (الكعبين) قل فى المصباح الكعب من الانسان اختلف فيه أئمة اللغة قل أبو عمرو بن العلاء والاصمعي الناتىء عند ملتقى الساق والقدم فيكون لكل قدم كعبان عن يمينها وشمالها وقد صرح بهذا الازهرى وجماعة، وقال ابن الاعرابى وغيره الكعب هو المفصل بين الساق والقدم وذهب الشيعة الى أن الكعب فى ظهر القدم وأنكره أئمة اللغة كالاصمعي وغيره اه وظاهر أن المراد هنالا(١) يختلف على قول أهل اللغة الستة المذكورين إذ المراد التقريب لا التحديد فما أدرك الناتىء قارب ادراك المنفصل وبالعكس ولاول أبلغ فى الاعراض عن الدنيا اللائق بأحوالهم (فيجمعه) أي الرجل أعاد الضمير أولا مجموعا في قوله قد ربطوه باعتبار المعنى إذ المراد من رجل العموم وافراده هنا باعتبار لفظه أى فيجمع ما ذكر من الازار والكساء (بيده كراهية) بتخفيف التحتية وهو الكراهة بحذفها مصدرا كره الامر يكرهه وهو مفعول له علة للجمع أى استقباح (أن ترى عورته) من طرفى نحو الازار لصغره (رواه البخاري) فى الصلاة من صحيحه وقد سبق الحديث فى الباب قبله * (وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان فراش رسول الله صلي الله عليه

---

(١) فى نسخة ما يدل لا

وسلم مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهُ لِيفٌ » رَوَاهُ البُخَارِي * وعن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال « كُنَّا جُلُوساً مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلم إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَدْبَرَ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليهِ وَسلم يا أَخَا الأَنْصَارِ كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ صَالِحٌ

وسلم) أى الذى ينام عليه (من أدم) بفتح أوليه والدال مهملة جمع أديم الجلد المدبوغ (حشوه) أى محشوه مصدر بمعنى المفعول (ليف) بكسر اللام وسكون التحتية قال فى الصحاح الليف للنخل واحده ليفة (رواه البخارى * وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا جلوسا) بضم أوليه جمع جالس (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل من الانصار) أى وقت مجىء(١) الرجل الانصارى وتقدم انها تحتمل المفاجأة بناء علي قول أبي عبيدة بافادتها له (فسلم عليه) أى علي النبي صلى الله عليه وسلم (فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا أخا الانصار) أى ياواحداً من الانصار فى الكشاف في قوله تعالى « إذ قال لهم اخوهم نوح » قيل أخوهم لانه كان منهم من قول العرب ياأخا بنى تميم يريدون ياواحدا منهم ومنه بيت الحماسة

لا يسألون أخاهم حين يندبهم   في النائبات علي ماقال برهانا

(كيف أخي) فيه كمال تواضعه ومزيد فضله صلي الله عليه وسلم اذ أطلق هذا اللفظ فى حقه تشريفا له وفيه إيماء الى صدق ايمانه فيكون فيه تلميح الى قوله تعالى « انما المؤمنون اخوة » (سعد بن عبادة) سيد الخزرج (فقال صالح) خبر مبتدأ محذوف لدلالة السؤال عليه ففيه استحباب مثله لمن سأل عن حال مريض من

---

(١) هكذا فى جميع النسخ ولعله مقدم من تأخير والاصل (فسلم) الرجل الانصاري

فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُم فقَامَ وقُمْنا مَعَهُ ونحن بِضْعَةَ عَشَرَ مَاعَلَيْنَا نِعالٌ ولاَ خِفَافٌ ولاَ قلاَنِسُ ولاَ قُمُصٌ

نفسه أو غيره وفى الحديث « أن عليا رضي الله عنه خرج من عند رسول الله صلي الله عليه وسلم فى اليوم الذى توفى فيه النبي صلي الله عليه وسلم فقال بخير أصبح بارئا بحمد الله » وقوله صالح أى للشفاء عند مجيء إبانها فى العلم الازلي وهو كناية عن مرضه فلذا توجه لعيادته صلي الله عليه وسلم (فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم من يعوده منكم) فيه ان العيادة مطلوبة على الكفاية (فقام وقمنا معه) ظاهره قيام جميع حاضرى المجلس معه صلي الله عليه وسلم (ونحن بضعة عشر) البضعة بكسر الموحدة ما بين العقدين من العدد (ما علينا نعال) بكسر النون جمع نعل اى فى اقدامنا (ولا خفاف) بكسر أوله أيضا جمع خف بضمه قال فى المصباح الخف الملبوس جمعه خفاف ككتاب أى بل كنا حفاة (ولا قلانس) هى كالقلاسي جمع قلنسوة بوزن فعنلوة بفتح أوليه وسكون النون وضم اللام وفي التهذيب المصنف القلنسوة هى التى تلبس النون فيها زائدة وهى معروفة وفيها لغتان ذكرهما الجوهرى وغيره قال الجوهرى هى القلنسوة والقلنسية اذا فتحت القاف ضمت السين وان ضمت القاف كسرت السين وقلبت الواو ياء فاذا جمعت أو صغرت فأنت بالخيار في حذف الواو أو النون لانهما زائدتان فان شئت حذفت الواو فقلت قلانس وان شئت حذفت النون قلت قلاس وان جمعت القلنسوة بحذف الهاء قلت قلنس والاصل قلنسو إلا أن الواو رفضت لانه ليس فى الاسماء أى العربية اسم آخره حرف علة قبله ضمة فاذا أدى الى ذلك قياس وجب رفضه وتبدل من الضمة كسرة فيصير آخر الاسم ياء مكسورا ما قبلها فتحذف كهي في غاز اه ملخصا (ولا قمص) بضمتين جمع قميص ويجمع علي قمصان الثوب المعروف الملبوس علي البدن

نمشي في تلك السِّبَاخِ حتى جئناهُ فاستأخر قومُهُ مِنْ حَوْلِهِ حتى دَنا رَسول الله صلى الله عليهِ وسلم وأصحابُهُ الذينَ معَهُ » رَواهُ مُسلم

*وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَينِ رَضي الله عنهُمَا عَنِ النَّبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم قال « خيرُكُمْ قرْنِي

وجملة النفي في محل الحال من المبتدا على مذهب سيبويه و يصح أن يكون خبراً بعد خبر كجملة (نمشي فى تلك السباخ) بكسر المهملة وبالموحدة جمع سبخة بوزن تمرة أما سبخه بوزن كلمة فجمعها سبخات ككلمة و كلمات والارض السبخة قال فى النهاية هي التى يعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت الا بعض الشجر وفى هـذه الجملة دلالة على الاقتصار على قابل الملبوس والاعراض عما زاد علي الضرورة وظاهر العبارة انه صلي الله عليه وسلم حينئذ كان كذلك ليتأسوا به ويقتدوا بهديه (حتي جئنا) غاية للمشي (فاستأخر قومه) الخزرج أو الانصار (من حوله حتى دنا) أي قرب منه (رسول الله صلي الله عليه وسلم واصحابه الذين) جاءوا (معه) اكراماً للوافد وانزالا للناس منازلهم وليتأنس بهم المريض ويذهب عنه بعض الكلال الذى يحصل له من طول ملازمة من عنـده ان كان (رواه مسلم) في الجنائز من صحيحه (وعن عمران) بكسر المهملة (ابن حصـين) بضم المهملة الاولى وفتح الثانية وسكون التحتية بعدها نون (رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وسلم قال خيركم) أيها الامة وحذف المصنف لفظ إن من اول الحديث وهى ثابتة عند مسلم (قرني) وفي لفظ آخرلها «خير أمتى قرنى» وفى لفظ آخر لمسلم «خير الناس قرنى» وحديث الباب بمعناه كما قدرناه قال السيوطي فى التوشيح القرن اهل زمان واحد متقارب اشـتركوا فى أمر من الامور المقصودة والاصح ألا يضبط بمدة فقرنه

ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ قالَ عِمْرَانُ فَمَا أَدْرِي قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَرَّتَيْنِ أو ثَلَاثًا ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ

صلى الله عليه وسلم هم الصحابة وكانت مدتهم من المبعث لى آخر من مات من الصحابة مائة وعشرين سنة (ثم الذين يلونهم) أى ثم قرن التابعين وقرنهم من سنة مائة نحو سبعين (ثم الذين يلونهم) أى من اتباع التابعين وقرنهم من ثمة الى حدود العشرين ومائتين ومن هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاشيا وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رءوسها وامتحن اهل العلم ليقولوا بخلق القرآن وتغيرت الاحوال تغيرا شديدا ولم يزل الامر فى نقص الى الآن اه قال المصنف والمراد تفضيل جملة القرن ولا يلزم منه تفضيل الصحابى علي الانبياء ولا تفضيل أفراد النساء علي مريم وآسية وغيرهما بل المراد جملة القرن بالنسبة الي جملة القرن حكى عن عياض عن المغيرة قال قرنه أصحابه والذين يلونهم أبناؤهم والثالث أبناء أبنائهم ، وقال سهل (١) قرنه ما بقيت عين رأته والثاني ما بقيت عين رأت من رآه ثم كذلك (قال عمران) هذا من كلام أحد الرواة عنه ويحتمل علي بعد أن يكون عبر عن نفسه باسمه كما هى طريق كثير من الاوائل (فما أدرى قال النبي صلي الله عليه وسلم) ثم الذين يلونهم (مرتين أو) قالها (ثلاثا) وشرف القرن الرابع باعتبار من فيه من أئمة الاسلام الناصرين للحق الذابين عنه المجاهدين فى الله الصابرين على ما أصابهم فى سبيله كالامام أحمد بن حنبل وأضرابه (ثم يكون بعدهم) اى اهل القرون المشهود لها بالاخيرية (قوم يشهدون ولا يستشهدون) قال المصنف فى شرح مسلم هذا غير مخالف لحديث «خير الشهود الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسأل عنها» لان ذاك محمول علي دعاوى الحسبة أو علي اعلام ذى الحق

---

(١) في نسخة (سهر) بدل (سهل) . ع

وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يُوفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ » مُتَّفَقٌ عليه * وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال « قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عَلَيْهِ وسلم يا بْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ

بأنك تشهد به وهو لا يعلم شهادتك به وحديث الباب محمول علي الشهادة لذى الحق العالم بها عند الحاكم قبل طلبها منه أو على شاهد الزور أو علي من ينتصب شاهدا وليس هو من أهل الشهادة او على من يشهد لقوم بالجنة او النار من غير توقيف وهذا ضعيف اهـ ملخصا (ويخونون ولا يؤتمنون) قال المصنف في شرح مسلم بعد أن أورده بلفظ يتمنون بتشديد الفوقية « كذا في أكثر النسخ » يعني من مسلم وفي بعضها يؤتمنون ومعناه يخونون خيانة ظاهرة بحيث لا يبقى معها أمانة بخلاف من خان بحقير مرة واحدة فانه يصدق عليه انه خان فلا يخرج عن الامانة في بعض المواطن اهـ « قلت » ويصح أن يكون جملة النفي في محل الحال أي أن طبعهم الخيانة مع عدم الائتمان لهم فليس لهم سوى وبال العزم عليها من غير ظفر بشيء والله أعلم (وينذرون) بفتح الفوقية (١) وضم الذال المعجمة وكسرها لغتان كما قال المصنف (ولايوفون) قال في شرح مسلم وفي رواية ولايفون وهما صحيحتان يقال وفى وأوفى (ويظهر فيهم السمن) أى كثرة اللحم أى انه يكثر ذلك فيهم وليس الخلقي منه مذموما بل المكتسب له بالتوسع في المأكل والمشرب وغيره زيادة على المعتاد وقيل المراد التكثر مما ليس لهم وادعاء ما ليس لهم من الشرف وغيره وقيل المراد جمعهم الاموال (متفق عليه) أخرجه البخارى في الشهادات وفضل الصحابة وغيرهما من صحيحه ومسلم في الفضائل ورواه النسائي في النذور * (وعن أبي أمامة) بضم الهمزة وبميمين خفيفتين بينهما ألف (رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بن آدم انك أن) بفتح الهمزة (تبذل الفضل)

---

(١) كذا، والصواب (التحتية) . ع

خيرٌ لَكَ وأَن تُمْسِكَهُ شرٌّ لَكَ وَلاَ تُلاَمُ على كَفَافٍ وابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ » رَواهُ التِّرْمِذِيُّ وقالَ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ * وعَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الأَنصارِيِّ الخَطْمِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال « قالَ رسولُ اللهِ صلى الله

أى بذلك الفضل منصوب بدل اشتمال من اسم ان والفضل بفتح الفاء وسكون الضاد المعجمة مافضل عما يحتاج اليه عادة (خير لك) ليبقى لك غناه ويحتمل أن يكون مصدرا (وان تمسكه شر لك) لانك ربما لا تؤدى الحقوق الواجبة وقد يشتغل به القلب الذى هو بيت الرب ومحل نظره من العبد عن التوجه اليه (ولا تلام) بضم الفوقية مبنى للمجهول أي لا يلحقك لوم أى عتب من الشرع (على الكفاف) بفتح أوليه أي قدر الحاجة من طعام وشراب وملبس ومسكن وخادم احتاجه قال القرطبي وهو ما يكف عن الحاجات ويدفع الضرورات والفاقات ولا يلحق بأهل الترفهات وهذا أحسن الاحوال لسلامته من وصمة كل من الفقر والغنى (وابدأ) فى الانفاق (بما تعول) أى بحق الذى تعوله وتمونه من زوجة وأصل أو فرع محتاج أو خادم فالعائد محذوف أو بعائلتك فما موصولة أومصدرية (رواه الترمذي) في الزهد من جامعه (وقال حديث حسن صحيح) وأخرجه مسلم فى الزكاة من صحيحه وكان عزوه اليه أولى وكأنه غاب عن الشيخ ولا عيب على الانسان فى النسيان (وعن عبيدالله) بصيغة التصغير (ابن محصن) بكسر الميم وسكون المهملة الاولى وفتح الثانية آخره نون (الانصارى) رأي (رضى الله عنه) النبي صلى الله عليه وسلم قال فى أسد الغابة بعد أن أورد حديث الباب وقال أبو عمرو يعني ابن عبد البر منهم من جعل حديثه مرسلا والاكثر يصحح صحبته فيجعل حديثه مسنداً وروى عنه أبو سلمة (١) أيضا اه (قال قال رسول الله صلى الله

---

(١) فى نسخة ابن مسلمة . ع

عليهِ وَسلم مَنْ أصبَحَ مِنكُمْ آمِنا فى سِرْبِهِ مُعَافًى فى جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنيا بحذافيرها » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقالَ حديثٌ حسن « سِرْبِهِ » بِكَسْرِ السِّينِ المُهْمَلَةِ أَىْ نَفْسِهِ وقيلَ قَوْمِهِ *وعَنْ عبدِ اللهِ بْنِ عَمْرو بن العَاص رَضِيَ اللهُ عنهُما أن رَسول اللهِ صلى الله عليه وسلم قال « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ

عليه وسلم من أصبح منكم) الخطاب للحاضرين بمجلسه صلى الله عليه وسلم وحكمه صلى الله عليه وسلم على الواحد حكمه على الجماعة (آمنا) من عدوه (فى سربه) على نفسه و بضعه وأهله وماله (معافى في جسده) من الامراض لان معها لا سيما الشديد منها يذهل عن نظر المرء فى حسن حاله وما أنعم المولى به عليه من أمن وسعة (عنده قوت يومه) من طعام وشراب وسائر ما يحتاج اليه من أدوية ونحوها (فكأنما حيزت) بكسر المهملة وسكون التحتية بعدها زاى أى ضمت وجمعت (له الدنيا) وفي رواية زيادة «بحذافيرها »أى بجوانبها أى فكأنما أعطي الدنيا بأسرها (رواه الترمذي وقال حديث حسن) ورواه البخارى فى لأدب المفرد وابن ماجه (سربه بكسر السين المهملة) وسكون الراء وبالموحدة المجرورة على الحكاية (نفسه) قاله فى النهاية قال ويروى بالفتح وهو المسلك والطريق يقال خل له سربه أى طريقه « قلت » وعليه فيكون مجازا عن الامن أيضا فيرجع الى الاول (وقيل قومه) قلت كأن قائله أخذه من قول اللغويين السرب أى بكسر أوله الجماعة من النساء والبقر والشاة والقطاة والوحش كذا فى المصباح فجرد السرب عن قيد النساء الخ وأراد به مطلق جماعته وقومه والله أعلم * (وعن عبد الله بن عمرو) بفتح المهملة (ابن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح) أي فاز بالفلاح وهو الفوز والبقاء والظفر (من أسلم)

وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا وقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ »رواه مُسْلِمٌ «وَعَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ فَضَالَةَ بنِ عُبَيدٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ انهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى

بدأ به لانه الاساس فى الاعتدال بقبول صالح الاعمال والمراد الاسلام الصحيح الخالص فيه لانه الكامل فينصرف المطلق اليه (وكان رزقه كفافا) أى بقدر الحاجة لا يفضل عنه قال المصنف هي الكفاية من غير زيادة ولا نقص وفيه شاهد لتفضيل الكفاف على كل من الفقر والغنى (وقنعه الله) أي صيره قانعا واهل التضعيف إيماء الي بعد هذا الوصف عن طبع الانسان فكان محاول ازالتها يحتاج الى مبالغة في ذلك لان الطبع البشرى مائل الى الاستكثار من الدنيا والحرص عليها الا من عصم الله وقليل ماهم أى وجعله الله يخفي ألطافه قانعا (بما آتاه) بالمد أى أعطاه من الكفاف قال القرطبي معنى الحديث إن من حصل له ذلك فقد حصل على مطلوبه وظفر بمرغوبه فى الدارين (رواه مسلم) قال فى الجامع الصغير ورواه احمد والترمذي وابن ماجه (وعن أبي محمد فضالة) بفتح الفاء وبالضاد المعجمة (ابن عبيد) بصيغة التصغير ابن ناقذ بالمعجمة ابن قيس بن صهيب بن الاصرم بن جحجبا بجيمين مفتوحتين بينهما حاء ساكنة وبياء موحدة ابن كلفة بن عوف ابن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس (الانصاري) العمري (رضى الله عنه) قال المصنف فى التهذيب أول مشاهده أحد شهدها وما بعدها من المشاهد ومنها بيعة الرضوان وشهد فتح مصر وسكن دمشق وولى قضاءها لمعاوية وأمره علي غزو الروم فى البحر روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسون حديثا روى له مسلم منها حديثين توفى بدمشق ودفن بباب الصغير سنة ثلاث وخمسين وقيل تسع وستين والصحيح الاول فقد نقلوا أن معاوية حمل نعشه وقال لابنه أعني يا بني فانك لا تحمل بعده مثله وتوفى معاوية سنة ستين (انه سمع رسول الله صلى

اللهُ عليه وسلم يقول « طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ لِلْإِسْلَامِ وكانَ عيْشُهُ كَفَافًا وَقَنِعَ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقالَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ * وَعَنْ ابْنِ عباس رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا قال « كَانَ رَسولُ اللهِ صَلى الله عليهِ وَسلم يَبِيتُ اللياليَ المُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا وأَهْلُهُ لاَ يجِدُونَ عَشَاءً

الله عليه وسلم يقول طوبى) قال فى المصباح قيل من الطيب والمعنى العيش الطيب وقيل الحسن وقيل الخير وأصلها طيبي فقلبت الياء واوا لمجانسة الضمة وفى كتاب الجهاد من صحيح البخاري طوبى فعلى من كل شئ طيب وهى ياء حولت الى الواو وهو من يطيب اه (لمن هدى) أي أوصل (للاسلام) نعدى باللام لتضمنه معنى أوصل قال تعالى « يهدى الله لنوره من يشاء » أي يوصله للدخول فى جملة أهله (وكان عيشه كفافا وقنع) الاقرب انه بالبناء للمفعول من باب التفعيل كما يدل عليه ما قبله ويحتمل أن يكون بتخفيف النون مفتوحة والجملتان الاقرب كونهما معطوفتين على جملة الصلة ويجوز كونهما في محل الحل من نائب فاعل هدى (رواه الترمذي وقال حديث صحيح) قال فى الجامع الصغير ورواه ابن حبان والحاكم فى مستدركه (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة) أى التابع بعضها بعضا مع الاتصال (طاويا) هذا مقصود الاخبار قال فى النهاية يقال طوي من الجوع يطوى طوي فهو طاوى أى خالى البطن لم يأكل (وأهله) بالرفع عطف على الضمير المستكن في يبيت للفصل بينهما بالظرف ويجوز أن يقرأ بالنصب على أن الواو واو المصاحبة أى مع من يقوم بنفقتهم وقوله (لا يجدون عشاء) بفتح العين وبالمد قال فى المصباح اسم للطعام الذى يتعشى به الانسان وقت العشاء أي بكسر العين اه وفى كتاب الصيام من

وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ * وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ « أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا صَلَّى بِالنَّاسِ يَخِرُّ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الْخَصَاصَةِ وَهُمْ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ حَتَّى يَقُولَ الْأَعْرَابُ هَؤُلَاءِ مَجَانِينُ

كذب الفتة العشاء اسم لما يؤكل بعد الزوال أي في وقت العشي جملة مستأنفة لبيان حالهم المقتضي لطواهم (وكان أكثر خبزهم خبز الشعير) أي وهو أقل في كلفة التحصيل من البر وغيره من نفائس الأقوات والجملة محتملة للعطف على ماقبلها ولكونها حالية باضمار قد (رواه الترمذي وقال حسن صحيح) ورواه أحمد وابن ماجه كما في الجامع الصغير *(وعن فضالة بن عبيد) أي الأنصاري (رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى بالناس) أي وقت صلاته بهم وهو متضمن معنى الشرط ولا يجزم الا في الشعر جوابه (يخر) بكسر الخاء المعجمة أي يسقط (رجال من) ابتدائية أي سقوط مبتدا من (قامتهم في الصلاة من) تعليلية (الخصاصة) بفتح الخاء المعجمة وبالمهملتين الخفيفتين بينهما ألف (وهم أصحاب الصفة) جملة حالية من فاعل يخر لتخصيصه بالوصف (حتي) غاية لمحذوف أي فتعجب من خرورهم من لم يعلم سببه الى أن (يقول الاعراب) أي من حضره صلى الله عليه وسلم حينئذ من سكان البوادي (هؤلاء مجانين) يحتمل كون الجملة خبرية كما هو الظاهر ويحتمل أنها استفهامية على تقدير الهمزة وعلى كل فهي منصوبة المحل علي الحكاية وذلك انهم توهموا ان ذلك الخرور صادر عنهم اختيارا لا عن سبب يقتضيه وذلك بحضرة الجمع شأن المجانين فلذا حكموا عليهم بما أوسألوهم

فإِذَا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلم انْصَرَفَ اليهم فقَالَ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللهِ لَأَحبَبتم أَنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحاجَةً » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقالَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ «الخصَاصَةُ» الفَاقَةُ وَالجوعُ الشَّدِيدُ * وَعَنْ أَبِي كَرِيمَةَ

كذلك (فاذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى الصلاة بتمامها بسلامه منها وانصرف عنها (انصرف اليهم) أى متوجها اليهم (فقال) عقب وصوله اليهم لأنه الحامل له على قصدهم (لو تعلمون ما لكم عند الله) أى ما أعده لكم مما لم تسمعه أذن ولم يره بصر وفيه شهادة لهم بمكانتهم عند المولى سبحانه لصدق إيمانهم وحسن مجاهدتهم وكمال وجهتهم (لأحببتم أن تزدادوا فاقة) أى حاجة فعطف قوله (وحاجة) عليها من عطف الرديف وحبهم ذلك ليصبروا على الابتلاء بها فيكثر ما يؤجرون عليه من ذلك فان الجزاء على حسب المجازى عليه قلة وكثرة أو لأنهم استعذبوا جميع ما يرد عليهم من الحق سبحانه لكمال عرفانهم فنظروا الى النعم من حيث صدورها من الرحيم لا من حيث ذاتها فأعجبوا بها على أى أمر تجلت وعلى أى مذاق وما أحسن قول القائل

إذا ما رأيت الله فى الكل فاعلا * رأيت جميع الكائنات ملاحا

وقلت فى هذا المعنى

يا طالب التحقيق والعرفان * لا تنظرن لحوادث الازمان

فتضيق منها وانظرن ان بدت * منه اليك فهو العلى الشان

(رواه الترمذى) فى الزهد من جامعه (وقال حديث صحيح * الخصاصة الفاقة والجوع الشديد)قال فى النهاية وأصلها الفقر والحاجة الى الشيء *(وعن أبى كريمة) بفتح الكاف

الْمِقْدَادِ بنِ مَعْدِيكَرِبَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسلمِ يَقُولُ «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ أُكَلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ»

بكسر الراء (المقداد) بكسر الميم وسكون القاف ومهملتين بينهما ألف (ابن معديكرب) بكسر الدال المهملة وسكون التحتية وفتح الكاف وكسر الراء تقدمت ترجمته رضي الله عنه في باب فضل الحب في الله (قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ماملا آدمي) نسبة الى آدم أبي البشر عليه السلام أي انسان (وعاء شرا من بطنه) قال الطيبي نقله عن ابن أقبرس جعل البطن وعاء كالأوعية المتخذة ظروفا لحوائج البيت توهينا لشأنه ثم جعله شر الاوعية لأنها تستعمل فيما هي له والبطن خلق لان يتقوم به الصلب بالطعام وامتلاؤه يفضي الى الفساد دينا أو دنيا فيكون شرا منها فان قلت شرا أفعل تفضيل وهو ما اشتق من فعل الموصوف بزيادة علي غيره فما وجه تحقق ثبوت الوصف في المفضل عليه «قلت» ملء الاوعية لايخلو من طمع أو حرص على الدنيا وكلاهما شر على الفاعل (بحسب ابن آدم) أي كافيه فالباء مزيدة في المبتدأ (أكلات) بفتح الكاف وضمها مع ضم الهمزة أي كافيه ذلك في سد الرمق ولذا قال (يقمن صلبه) والجملة في محل الصفة لأكلات ويصح كونها مستأنفة لبيان سبب كفاية ذلك (فان كان لامحالة) في الصحاح قولهم لامحالة أي بفتح الميم أي لا بد يقال الموت آت لامحالة اه أي فان كان لا بد من الكثرة علي ذلك فليكن أثلاثا (فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) قال ابن أقبرس أي يبقي من ملئه مقدار الثلث ليكون متمكنا من النفس ورأيت في بعض كتب الطب أن كسرى سأل طبيبا ما الداء الذي لا دواء له قال ادخل الطعام على الطعام

رَوَاهُ التِّرْمِذِي وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ « أُكُلَاتٌ أَيْ لُقَمٌ » * وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ إِيَاس بن ثَعْلَبَةَ الأَنْصَارِي الحَارِثِي رَضِيَ اللهُ عَنهُ

فذلك الذى أفنى البرية وقتل سبع البرية فسأله عن الحمية فقال الاقتصاد فى كل شيء فاذا أكل فوق المقدار ضيق علي الروح اه (رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح) وأخرجه النسائي من طريق الترمذي ومن طريق أخرى وأخرجه القاضي عياض فى الشفاء من طريق أبي نعيم الحافظ والبزار وفى الجامع الصغير واخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم فى المستدرك (أكلات أى لقم) بضم ففتح جمع لقمة وهذا يقتضي فتح أولى أكلات (١) والانسب لقمات لان جمع السلامة من جموع القلة فلذا قال التلمساني فى حواشى الشفاء فيه إيماء الي انه لا يصل بها العشرة ولعل المصنف وضع جمع الكثرة موضع ضده مجازا كقوله تعالى ثلاثة قروء (وعن أبي امامة) بضم الهمزة وميمين خفيفتين بينهما الف (إياس) بكسر الهمزة والتحتية المخففة آخره مهملة قال فى الاصابة هذا اسمه عند الاكثر وقيل اسمه عبدالله وبه جزم أحمد بن حنبل وقيل ثعلبة بن سهل وقيل أبو عبد الرحمن قال أبو عمر واسمه إياس ولا يصح غيره (ابن ثعلبة) بالمثلثة المفتوحة والمهملة الساكنة بعدها لام فموحدة مفتوحتين فهاء (الانصارى الحارثى) بالمهملة آخره مثلثة لنسبة للحارث بن الخزرج أحد أجداده وقيل انه بلوى حليف بنى حارثة وهو ابن أخت أبي بردة بن دينار (رضى الله عنه) وتوفى منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من أحد فصلي عليه قال فى أسد الغابة رواية من روى عنه مرسلة لانه لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم وكذا رواية محمود بن الربيع عنه فانه ولد قبل وفاة أياس على القول انه قتل يوم أحد والصحيح انه لم يتوف حينئذ انما كانت وفاة أمه عند منصرف النبي

---

(١) صوابه ضم أولى أكلات . ع

قَالَ «ذَكَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْماً عِنْدَهُ الدُّنْيَا فَقَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تسمعون أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الايمان

صلى الله عليه وسلم من بدر فرده صلى الله عليه وسلم من أجلها فرجع فوجدها ماتت فصلى عليها ولم يشهد بدرا لذلك ومما يقوى انه لم يقتل باحد أن مسلما روى في صحيحه باسناده عن عبد الله بن كعب عن أبي امامة بن ثعلبة من اقتطع حق مسلم بيمينه الحديث فلو كان منقطعا ولم يسمع أبي ابن كعب منه لما أخرجه مسلم فى الصحيح اه روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث ذكر منها المزى فى الاطراف حديثين حديث مسلم وحديث الباب وقال فى الاصابة روي له عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث منها عند مسلم وأصحاب السنن انفرد به مسلم عن البخارى فخرج له الحديث المار فى كلام أسد الغابة وهو عند النسائي وابن ماجه (قال ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما عنده) أى النبي صلي الله عليه وسلم بقرينة افراد الضمير وان كان خلاف الغالب (الدنيا) أي زينتها والترفع فيها بالملبس وغيره (فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ألا) بالتخفيف أداة عرض وأتي بها تحريضاً على الاستماع لما بعدها والاصغاء اليه (تسمعون ألا تسمعون) قال ابن رسلان في شرح السنن فى الكلام أنواع من التأكيدات الا الدالة على العرض والتحضيض علي الاستماع والتأكيد بتكرير الكلمة والتصريح بالاصغاء بالاسماع سماع فهم وانتفاع مع انه صلي الله عليه وسلم عالم بأنهم يستمعون لما يقوله ويبادرون الي امتثاله لكن يكون أبلغ فى الموعظة والاتيان بلفظ (إن) التي للتأكيد وهي عوض اعادة الكلام مرتين (البذاذة من) كمال (الايمان) الراسخ فى القلب قال زيد بن وهب رأيت عمر بن الخطاب خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من ادم أى جلد

انَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الاِيمَانِ يعنى التَّقَحُّلَ «رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ» «الْبَذَاذَةُ» بِالْبَاءِ الْمُوحِدَةِ والذَّالَيْنِ الْمُعجَمَتَيْنِ وَهِىَ رَثَاثَةُ الْهَيْئَةِ

وعوتب علي رضى الله عنه فى ازار مرقوع فقال يقتدى به المؤمن ويخشع له القلب قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وانما كانت البذاذة من الايمان لما تؤدى اليه من كسر النفس والتواضع ولكن ليس ذلك عند كل أحد بل يورث عند بعض الناس من الكبر ما يورثه لبس نفيس الثياب عند آخرين وبالجملة فالمحبوب التوسط فى الثياب كما سيأتي بسطه في كتاب اللباس (ان البذاذة من الايمان) وفي بعض نسخ أبي داود تكراره ثلاثا ولا ينافى حديث الباب وما فى معناه وايثاره صلى الله عليه وسلم بذاذة الهيئة ورثاثة المنظر وتبعه عليه السلف الصالح ما اختاره جمع أئمة من متأخرى الصوفية وغيرهم لان السلف لما رأوا أهل الهوى يتفاخرون بالزينة والملابس أظهروا لهم برثاثة ملابسهم حقارة ما حقره الحق مما عظمه الغافلون والآن قد قست القلوب ونسي ذلك المعنى فأخذ الغافلون رثاثة الهيئة حيلة علي جلب الدنيا فانعكس الامر وصار مخالفتهم في ذلك تبعا للسلف ومن ثم قال العارف بالله تعالى أبو الحسن الشاذلي لذى رثاثة أنكر عليه جمال هيئته ياهذا هيئتي هذه تقول الحمد لله وهيئتكم هذه تقول أعطوني من دنياكم (يعنى التقحل) هذا قول أبي داود تفسير للبذاذة كما صرح به شارح سنن أبي داود ابن رسلان فقال قال المصنف البذاذة يعنى القحل بفتح التاء والقاف وبالحاء المهملة المشددة (رواه أبو داود) فى الترجل من سننه ورواه ابن ماجه فى الزهد (البذاذة بالباء الموحدة) المفتوحة (والذالين المعجمتين) الخفيفتين (وهي رثاثة) بالراء والمثلثتين الخفيفات مصدر رث الشيء أى خلق قال فى النهاية وأصل اللفظة من الرث وهو الثوب الخلق اه والمراد منه فى عبارته ضد الجيد من (الهيئة

وتَرْكُ فاخِرِ اللِّبَاس « وأَمَّا التَّقَحُّلُ » فبالقَافِ والحَاءِ قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ المُتَقَحِّلَ هُوَ الرَّجلُ اليَابِسُ الجِلْدِ من خُشُونَةِ العَيْشِ وتَرْكِ التَّرَفُّهِ *وعَن أَبِي عبدِ اللهِ جابر بْن عبدِالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ « بَعَثَنَا رَسول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم وأَمَّرَ علَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ رضي الله عنه نَتَلَقَّى عِيرًا لِقُرَيْش

وترك فاخر الثياب) أي تواضعا فى اللباس يقال فلان بذ الهيئة وباذها أى رث اللبسة والمراد التواضع فى اللباس وترك التبجح به قال هارون الرشيد سألت معناً عن البذاذة فقال هو الدون من اللباس (وأما التقحل فبالقاف والحاء) أي المهملة كما تقدم (قال أهل اللغة المتقحل هو الرجل اليابس الجلد من خشونة العيش وترك الترفه) أي التنعم لسوء الحال قال ابن رسلان يقال قد قحل الرجل قحلا إذا التزق جلده بعظمه من الهزال* (وعن أبي عبدالله جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) فى سنة ثمان (وأمر) بتشديد الميم أى جعل أميراً (علينا أبا عبيدة) بن الجراح أحد العشرة (رضى الله عنه) وفيه تأمير أهل الفضل وقد اتفقت روايات الصحيحين على تأميره في تلك السرية فهو المحفوظ وفى رواية ان أميرها قيس بن سعد بن عبادة حملت على أن أحد رواتها ظن من ذبح قيس النياق للجيش تأميره فصرح به وليس كذلك (نتلقى عيرا لقريش) جملة مستأنفة لبيان سبب البعث والعير بكسر العين المهملة القافلة التي تحمل البر والطعام ثم صريح هذه الرواية ما ذكر من تلقي العير لكن عند ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم بعثهم الى حى من جهينة وان ذلك كان في شهر رجب ويمكن الجمع بين كونهم يتلقون عير قريش ويتصدون الحى من جهينة ويقوى هذا الجمع ما عند مسلم أيضاً عن جابر قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثا الى أرض

وَزَوَّدَنا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ فَكانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينا تَمْرَةً تَمْرَةً فَقِيلَ كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِها قالَ نَمَصُّها

جهينة فذكر القصة الذي يتلقى (١) عير قريش لا يتصور أن يكون في الشهر الذي ذكر ابن سعد أي رجب من سنة ثمان لانهم حينئذ كانوا فى المدنة الا ان كان تلقيهم العير لحفظها من جهينة ولذا لم يقع في الحديث أنهم قاتلوا أحدا بل فيه أنهم أقاموا شهرا أو أكثر فى مكان واحد (وزودنا جرابا) أى ملأه (من تمر) بفتح الفوقية وقوله (لم يجد لنا غيره) استئناف لبيان سبب الاقتصار على ذلك القليل فى ذلك العدد الكثير (فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة) هذا من باب قولهم ركب القوم دوابهم أي لكل واحد تمرة وهذا باعتبار آخر فعل أبي عبيدة والا ففي البخاري فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتي فني فلم يكن يصيبنا لا تمرة وكذا قال المصنف فى شرح مسلم الظاهر ان قوله قسم تمرة تمرة انما كان بعد أن قسم قبضة قبضة فلما قل تمرهم قسم تمرة تمرة والجراب هو الذي زودهم به صلى الله عليه وسلم وكانت عندهم أزوادهم من تمر لأنفسهم كما يدل عليه قوله فى رواية البخارى ومسلم فكنا ببعض الطريق فنى الزاد فأمر أبو عبيدة بازواد الجيش فجمع فكان مزودى تمرا قال فى الفتح وقول عياض يحتمل انه لم يكن في ازوادهم تمر غير الجراب المذكور مردود بما ذكر (فقيل) يحتمل أن يكون القائل وهب بن كيسان الراوي عن جابر فان فى رواية البخارى في المغازى التصريح بأنه سأل جابرا ما يغنى عنكم تمرة فقال قد وجدنا فقدها حين نفدت فلعله سأل فقال (كيف كنتم تصنعون) قال البيضاوى فى التفسير تصنعون أبلغ من تعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتردد وترو وتحر واجادة (بها قال نمصها) لم يصدر بفاء ولا واو بل أتى بها مستأنفا لان مراده الاخبار عن قوله ذلك مع قطع النظر عن كونه أخبر حالا

---

(١) قوله (الذي يتلقى الخ) لعله (لكن تلقى الخ). ع

كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الْخَبَطَ ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالْمَاءِ فَنَأْكُلُهُ فَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَرُفِعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ الضَّخْمِ فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى

أو بعد (كما يمص الصبي ثم نشرب عليها من الماء) أى بعض الماء (فتكفينا يومنا الى الليل) ففيه ما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم من الزهد فى الدنيا والتقلل منها والصبر على الجوع وخشونة العيش وفيه كرامة له صلى الله عليه وسلم حيث كفى الواحد منهم نهاره تمرة واحدة لكونها حلت عليها بركته وفيه أن توقف الشبع على الأكل ليس على جهة اللزوم وإنما ذلك فعل الله يفعله عقبه تارة ومن غيره أخرى كما قال صلى الله عليه وسلم انى أظل عند ربى يطعمنى ويسقينى أى يجعل فى قوة الطاعم والشارب على أحد الأقوال ومنه قوله أطعمهم من جوع على القول بأن من تبعيضية والله أعلم وفنى التمر كما فى رواية أخرى لهما فلم يصبهم ولا تمرة تمرة فوجدوا فقدها كما قدم عن جابر فعنده ضربوا الشجر كما قال (وكنا نضرب بعصينا) بكسر أوله اتباعا لكسر ثانيه وتشديد التحتية ويجوز ضم أوله (الخبط ثم نبله بالماء) هذا يدل على انه كان يابساً بخلاف ما جزم به الداودى انه كان أخضر رطباً قاله فى الفتح قلت ولعل الماء كان لاذهاب خشونته ولا ساغته فلا يخالف ماقاله الداودى (فنأكله فانطلقنا على ساحل) بالمهملتين أى شاطىء (البحر فرفع) بالبناء للمجهول (لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب) بالمثلثة والتحتية والموحدة بوزن قريب الرمل المستطيل المحدودب وأحد الظروف نائب الفاعل والظرفان حالان متداخلان أو مترادفان منه (الضخم) بفتح المعجمة الاولى وسكون الثانية بمعنى العظيم (فأتيناه) أى المرفوع لنا (فاذا هي) أى المرفوع لنا والتأنيث رعاية لقوله (دابة تدعى)

الْمَنْبَرَ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَيْتَةٌ ثُمَّ قَالَ لَا بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدِ اضْطُرِرْتُمْ

بالبناء للمجهول (المنبر) بفتح أوله وثالثه الباء الموحدة وسكون ثانيه النون المزيدة ويجوز ابداله وادغامه في الثالث قال في فتح الباري قال أهل اللغة هي سمكة بحرية كبيرة يتخذ من جلدها الترسة يقال ان العرف المشموم رجيع هذه الدابة قال ابن سينا بل المشموم يخرج وانما يوجد في أجواف السمك الذي يبتلعه ونقل الماوردي عن الشافعي قال سمعت من يقول رأيت المنبر نابتاً في البحر ملتويا مثل عنق الشاة وفي البحر دابة تأكله وهو سم لها فيقتلها فيقذفها البحر فيخرج العنبر من بطنها وقال الازهري المنبر سمكة تكون بالبحر الاعظم يبلغ طولها خمسون ذراعا يقال لها باله وليست بعربية اهـ (فقال أبو عبيدة) هي (ميتة) أي وان كانت ميتة للضرورة والميتة محرمة بنص الكتاب (ثم) تغير اجتهاده وأرشد للصواب ف(قال لا) أى لا يحرم تناولها وان كانت ميتة للضرورة فالمنفى مادل عليه كلامه السابق من تحريم تناولها وحذف لدلالة المقام عليه (بل) اضراب عما ظنه أولا (نحن رسل) بضمتين ويجوز اسكان ثانيه تخفيفا (رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله) أى ونحن فى طاعة الله وفى جهاد أعدائه وأعداء نبيه صلى الله عليه وسلم ففيه إيماء الى قوله تعالى « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » ولى في هذا المعنى بديها

اتق الله سائر الازمان ❊ لا تخف مني طوارق الحدثان
يرزق الله متقيه ويكفيـ ❊ ـه فهذا قد جا فى القرآن

(وقد اضطررتم) جملة مستأنفة ويحتمل أن تكون حالية وعدل عن التكلم

---

(١) كذا بالاصول، وفي القاموس (العنبر من الطيب روث دابة بحرية أو نبع عين فيه) . ع

فَكُلُوا فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْراً وَنَحْنُ ثَلاثُمِائَةٍ حَتَّى سَمِنَّا وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نَغْتَرِفُ مِنْ وَقْبِ عَيْنِهِ بِالْقِلَالِ الدُّهْنَ وَنَقْطَعُ مِنْهُ الْفِدَرَ كَالثَّوْرِ أَوْ كَقَدْرِ الثَّوْرِ

اليه تفننا فى التعبير وتحصيلا للالتفات المورث في الكلام طراوة وحسنا ونضارة (فكلوا) الفاء فيه للتفريع (فأقمنا) المعطوف عليه محذوف أي فأكلنا فأقمنا (عليه شهراً) وفى رواية الصحيحين فأكل منه القوم ثماني عشرة ليلة وفى رواية لهما فأكلنا منه نصف شهر قال فى فتح البارى ويجمع بأن الذى قال ثماني عشرة ضبط ما لم يضبطه غيره ومن قال نصف شهر ألغي الكسر الزائد عليه وهو ثلاثة أيام ومن قال شهراً جبر الكسر وضم بقية المدة التى كانت قبل وجدانهم ورجح المصنف رواية الباب لما فيها من الزيادة وجمع القاضي بأن من قال نصف شهر أراد أكلوا منه تلك المدة ومن قال شهراً أراد قد زودوه فأكلوا منه باقى الشهر وقال ابن التين إحدي الروايتين وهم قال الحافظ ولعل الذى سلكته من الجمع أولى ووقع عند الحاكم اثني عشر وهي شاذة وأشذ منها رواية فأقمنا قبلها ثلاثا (ونحن ثلاثمائة) جملة حالية من فاعل أقمنا (حتي) غاية للاقامة عليها أى فأكلنا منها الى أن (سمنا) يحتمل أكلهم منه زيادة على الحاجة حتي نشأ عنه السمن أنهم يرون حل ذلك من الميتة عند الضرورة الى التناول منها ويحتمل انه تغير اجتهادهم بعد فرأوا حل ميتة البحر والله أعلم (ولقد رأيتنا نغترف) أتي به من باب الافتعال الدال على المبالغة إيماء الى الكثرة (من وقب عينه) بالافراد (بالقلال) بكسر القاف وتخفيف اللام جمع قلة بضم القاف وتشديد اللام (الدهن ونقطع) بتخفيف الطاء المهملة كذا فى النسخ والتضعيف فيه أنسب بالافتعال فيما قبله (الفدر كالثور) بالمثلثة ذكر البقر (أو) شك من الراوي (كقدر الثور) والجملة جواب القسم المقدر وهو

ولقد أُخذَ منّا أبو عُبَيْدَة ثلاثةَ عشرَ رَجُلاً فأقعدَهم في وَقبِ عَيْنِه وأَخذَ ضِلَعاً من أَضْلاعِه فأقامها ثمَّ رَحلَ أَعظمَ بَعيرٍ معنا فمرَّ من تحتِها وتَزَوَّدْنا من لحمه وَشائق فلمّا قدمنا المدينةَ أَتينا رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم فذكَرنا لهُ

وجوابه مستأنف عطف عليه قوله (ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم في وقب عينه) وعطف عليه أوعلى المعطوف عليه قوله (وأخذ ضلعا) بكسر الضاد المعجمة قال في المصباح أما اللام فتفتح في لغة الحجاز وتسكن في لغة تميم وهي أنثى اه (من أضلاعه فأقامها) أي منصوبة (ثم رحل أعظم بعير معنا) بتخفيف الحاء المهملة أي جعل عليه الرحل (فمر من تحتها) جاء في رواية عبادة ابن الصامت عند ابن اسحاق ثم أمر باجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل منا فخرج من تحتها وما مسك رأسه قال الحافظ في الفتح ولم أقف على اسم هذا الرجل وأظنه قيس بن سعد بن عبادة فان له ذكراً في هذه الغزوة وكان مشهوراً بالطول وقصته في ذلك مع معاوية لما أرسل اليه ملك الروم بالسراويل معروفة ذكرها المعافي الحريري في الجليس وأبو الفرج الاصبهاني وغيرهما ومحصلها أن أطول رجل من الروم نزع له قيس بن سعد سراويله فكان طول قامة الرومي بحيث كان طرفها على أنفه وطرفها على الارض وعوتب قيس على نزع سراويله في المجلس فأنشد

أردت لكيما يعلم الناس انها * سراويل قيس والوفود شهود
وألا يقولوا غاب قيس وهذه * سراويل عادالاولي وثمود(١)

(وتزودنا من لحمه وشائق) معطوف علي ما قبله ويحتمل أن يكون مستأنفا إذ لا حاجة لتأكيد مثله بالقسم لان ما ثبت عظمه من الحيوان بما ذكر قبله لا يستبعد تزود ذلك منه (فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له

---

(١) كذا ، والشطر غير متزن إلا بحذف واو (الاولى) . ع

ذٰلِكَ فقَال هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ فهَلْ معكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونا فأَرْسَلْنَا إلى رَسول اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْهُ فأَكَلَهُ » رواهُ مسلم (الجرابُ) وِعاءٌ معرُوفٌ وهوَ بِكَسرِ الجيمِ .

ذلك فقال) مبيناً لحكمه رحكمة عثورهم عليه (هو رزق) فى الاصل مصدر والمراد به اسم المفعول كقوله تعالى « هذا خلق الله » أى مخلوقه (أخرجه الله لكم) وزاد فى تطمين قلوبهم فى حله ونفي الشك فى اباحته لانه ارتضاه لنفسه قوله (فهل معكم من لحمه شيء) ويجوز أن يكون قصد التبرك به لكونه طعمة من الله تعالى خارقة للعادة أكرمهم الله بها أشار اليه المصنف ومن للتبعيض وهى ومجرورها متعلقان بمحذوف هو الخبر وتقديمه مع وجود المسوغ للابتداء بشيء وهو تقدم الاستفهام للاهتمام والظرف قبله فى محل الحال وكان في الاصل صفة شيء قدم عليه فصار الى ما ذكرنا كقوله * لمية موحشا طلل * وقوله (فتطعمونا) جواب الاستفهام (فأرسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكله) أى عقب وصوله بلا تراخ كما تؤذن به الفاء وذلك لما تقدم في قوله فهل معكم الخ (رواه مسلم) أى بهذا اللفظ فى الاطعمة من صحيحه والا فحديث جابر فى هذه السرية قد رواه البخارى في الشركة وفي الجهاد وفي المغازى من صحيحه ولعل ماذكرنا سبب الاقتصار على العزو لمسلم أو غاب عن الشيخ حينئذ تخريج البخارى له ولا عيب فى مثله ورواه الترمذى في الزهد وقال حسن صحيح والنسائى فى الصيد وفى السير وابن ماجه فى الزهد كذا يؤخذ من الاطراف ملخصا (الجراب وعاء) بكسر الواو والعين المهملة المخففة بعدها الف ممدودة (من جلد) اما من غيره فلا يسمى بذلك (معروف وهو بكسر الجيم) وجمعه جرب ككتاب وكتب وسمع أجزبة كذا

وفَتْحِها وَالكَسْرُ أَفْصَح ، قولهُ (بمَصُّها) هُوَ بفَتحِ المِيمِ ، وَالخَبَطُ وَرَقُ شَجَرٍ مَعرُوفٍ تأكُلهُ الإبلُ ، والكَثِيبُ التَّلُّ منَ الرَّملِ ، والوَقْبُ بفَتْحِ الوَاوِ وإسْكانِ القافِ وبَعدَها باءٌ مُوحَّدَةٌ وهِيَ نُقْرَةُ العينِ

فى المصباح (وفتحها والكسر (١) أفصح) وكذا قال فى شرح مسلم ولم يبين قائل كل من القولين وقد بينه القاضى عياض فقال الجراب وعاء من جلد كالمزود ونحوه وهو بكسر الجيم وكذا قيده الخليل وغيره وقال القزاز بفتح الجيم ومثله في المطالع لابن قرقول لكن فى الصحاح الجراب أي بكسر الجيم معروف والعامة تفتحه وفى المصباح ولا يقال جراب بالفتح قاله ابن السكيت وغيره (وقوله يمصها بفتح الميم) وفتح التحتية (٢) قبلها وسكت المصنف عنه لانه معلوم وتشديد الصاد المهملة ويجوز ضم الميم كما فى شرح مسلم قال والفتح أفصح وأشهر لكن فى المشارق والمطالع تعين فتح الصاد من قوله « امصص بظر اللات » وانه من باب علم وحينئذ فهذا يعين الفتح كما اقتصر عليه المصنف هنا والله اعلم (والخبط) بفتح اوليه المعجمة والموحدة و بالمهملة (ورق شجر معروف تأكله الابل) عبارة النهاية الخبط أى بسكون الموحدة ضرب الشجر بالعصى ليتناثر ورقها واسم الورق الساقط خبط فعل بمعنى مفعول وهو من علف الابل اه ومثلها فى المصباح وحينئذ فما ذكره المصنف بيان المراد فى الحديث وان هذا النوع الخاص سمى وحده بهذا الاسم كما يطلق علي كل ما تساقط من الورق بالخبط (والكثيب) بضبطه السابق فى الشرح (التل) بفتح الفوقية وجمعه تلال وهو المرتفع أى الرابية (من الرمل) قال المصباح سمى به لاجتماعه وفي فتح البارى الكثيب الرمل المستطيل المحدودب (والوقب بفتح الواو وسكون القاف وبعدها باء موحدة وهي نقرة العين) النقرة بضم النون حفرة غير كبيرة والمراد الجوف من

---

(١) في النسخ (والفتح) وهو تحريف (٢) نسخ المتن بالنون لا التحتية . ع

والقِلالُ الجِرارُ والفِدَرُ بكسرِ الفاءِ وفتحِ الدالِ القِطَعُ (رَحل البعير) بتخفيفِ الحاءِ اى جعلَ عليهِ الرَّحلَ الوشائق بالشين المعجمة والقافِ اللّحمُ الذى قُطعَ ليُقَدَّدَ والله أعلم * وعن أسماء بنت يزيد

عظم الرأس لمحل العين (والقلال) بكسر القاف جمع قلة بضمها وهى الجرة الكبيرة التى يقلها الرجل بين يديه كذا فى شرح مسلم وحينئذ فكان على الشيخ أن يزيد على قوله (الجرار) بكسر الجيم وتخفيف الراء بين قوله الكبار وسميت القلة بذلك لان الرجل العظيم يقلها أي يرفعها من الارض (والفدر بكسر الفاء وفتح الدال القطع) هذا أحد قولين حكاهما فى شرح مسلم وقال انهما وجهان مشهوران فى نسخ بلادنا أى من صحيح مسلم احداهما بقاف مفتوحة ثم دال ساكنة أى مثل الثور والثانى بفاء مكسورة ثم دال مفتوحة جمع فدرة والاول أصح وادعى القاضى عياض أنه تصحيف وان الثانى الصواب وليس كما قال بل هما صوابان اهـ وبه يعلم أنه هنا متابع لقاضي عياض (ورحل البعير بتخفيف الحاء) قال في المصباح من باب نفع (أى جعل عليه الرحل) أي شده عليه كما في المصباح والرحل للجمل بمنزلة السرج للفرس (الوشائق بالشين المعجمة والقاف اللحم الذى قطع ليقدد) اللام فيه للصيرورة أي ليببس أي فيؤكل يابسا وهذا قول حكاه فى الصحاح عن أبي عبيد عن بعضهم ان الوشيق بمنزلة القديد لا تمسه النار حكاه في شرح مسلم بقوله وقيل الوشيق القديد وقال أولا قال أبو عبيد هو اللحم يؤخذ فيغلي اغلاء ولا ينضج ويحمل فى الاسفار ومثله فى الصحاح وزاد قوله وهو أبقي قديد يكون (وعن اسماء) بسكون السين المهملة آخره ألف ممدودة (بنت يزيد) بفتح الياء الاولى وسكون الثانية بينهما زاى مكسورة ابن السكن بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الاشهل بن خيثم الانصارى

رضي اللهُ عنها قالَتْ « كانَ كُمُّ قَمِيصِ رَسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى الرُّصْغِ » رَواهُ أبو داوُد وَالتِّرْمذِي وقال حَدِيثٌ حسن « الرصْغُ بالصّاد ، والرسْغُ بالسِّين أيْضاً هُوَ المِفْصَلُ بينَ الكفِّ والسّاعِدِ » * وعنْ جابر رَضيَ اللهُ عنهُ قالَ « إنَّا كُنّا يومَ الخَنْدَقِ

(رضى الله عنها) ولما لم يكن فى الصحابيات اسماء بنت يزيد سواها لم يقيد بقوله الانصارية تكنى أم سلمة ويقال أم عامر قال الحافظ فى التقريب لها أحاديث قلت عدتها احد وثمانون خرج لها البخارى في الادب المفرد وروي عنها الاربعة وفي أسد الغابة انها ابنة معاذ بن جبل وانها قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاطها (قالت كان كم قميص رسول الله صلي الله عليه وسلم) قال في المصباح كم القميص معروف جمعه أكمام وكمة مثل عنبة (الى الرصغ) وحكمة الاقتصار عليه انه متي جاوز اليد شق علي لابسه ومنعه سرعة الحركة والبطش ومتى قصر عنه تأذى الساعد ببروزه للحر والبرد فكان جعله اليه أمرا وسطا وخير الامور أوساطها ولا تنافى هذه الرواية رواية أسفل من الرسغ لاحتمال تعدد القميص أو أن المراد التقريب لا التحديد (رواه أبو داود والترمذي) قال ابن حجر الهيثمي فى أشرف الوسائل هو بالصاد عندهما (وقال حديث حسن) ورواه النسائى قال وهو عند غيرهما بالسين (الرصغ) بضم الراء وسكون المهملة وضمها للاتباع لغة بعدها معجمة (بالصاد والرسغ بالسين) أى المهملة أيضا (هو) أى هذا (المفصل بين الكف والساعد) والا ففي المصباح انه من الانسان مفصل ما بين الكف والساعد والقدم أي مشترك بينهما ثم ظاهر عبارته ان السين والصاد كل منهما أصل غير منقلب عن الآخر وعبارة النهاية تشهد له وهى الرصغ لغة فى الرسغ اه (وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال أنا كنا يوم) أى زمن وهو ظرف للفعل الآتي بعد (الخندق)

نحفِرُ فعرَضَتْ كدْيةٌ شَدِيدَةٌ فجَاءُوا إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقالوا هذهِ كُدْيَةٌ عرَضَتْ فى الخَنْدَقِ فقالَ أنا نَازِلٌ ثمَّ قامَ وبَطْنُهُ معْصُوبٌ ولَبِثْنا ثلاثَةَ أيامٍ لاَ نَذُوقُ ذَواقاً

وكان حفره لما تحزبت قريش وأجايشها الى أن بلغوا عشرة آلاف فأرادوا حرب المدينة فأشار سلمان بحفر الخندق حول المدينة فأمر به صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في السنة الخامسة من الهجرة قال ابن اسحٰق فى شوال وقال ابن سعد فى ذى القعدة (نحفر فعرضت لنا كدية شديدة) أى تامة الاباء عن تأثير الفئوس فيها (فجاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم) قال في المصباح جاء زيد يجيء مجيئا حضر ويستعمل متعديا أيضا بنفسه فيقال جئت شيئا حسنا أى فعلته وجئت زيدا اذا أتيت اليه وجئت به اذا أحضرته معك وقد يقال جئت اليه يعنى ذهبت اليه اهـ (فقالوا هذه كدية) وقولهم (عرضت في الخندق) فى محل الصفة للكدية أتوا به اطنابا لطول المجاورة مع المصطفي صلى الله عليه وسلم نظير ماقيل في قول موسى عليه السلام أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى والخندق معروف (فقال أنا نازل) عمل فيه صلى الله عليه وسلم بنفسه ترغيبا للمسلمين فلذا سارعوا اليه فأتموه قبل وصول المشركين وحصارهم (ثم قام وبطنه معصوب) قال في المصباح البطن خلاف الظهر وهو مذكر وفى البخاري وبطنه معصوب بحجر أى مربوط فوق الحجر (١) على بطنه الشريف وتقدم في الباب حكمة ذلك والجملة حال من فاعل قام (ولبثنا) بالموحدة فالمثلثة أى أقمنا (ثلاثة أيام) ظرف لقوله (لا نذوق ذواقا) بفتح الذال المعجمة مصدر بمعنى المذوق أى المطعوم أى لا نطعم فيها والجملة يحتمل كونها حالية باضمار قد من فاعل نحفر ويحتمل كونها معطوفة على الجملة الحالية ففيها بيان سبب عصب بطنه

---

(١) كذا بالاصول . ع

فَأَخَذَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ فَقُلْتُ يَارَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا مَافِي ذَلِكَ صَبْرٌ فَعِنْدَكِ شَيْءٌ فَقَالَتْ عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ

صلى الله عليه وسلم من طول مدة ترك الطعام ويحتمل كونها معترضة أتي بها لبيان ان ما حصل منه صلى الله عليه وسلم من التأثر في تلك الكدية ليس ناشئا عن القوة المودعة في الانسان عادة لغلبة الضعف عليه صلى الله عليه وسلم حينئذ بترك تناول الطعام المدة المذكورة انما ذلك معجزة ثم رأيت الحافظ في الفتح جزم بالاخير وقال انه سبب العصب وغير خاف ان ما ذكرناه محتمل وله وجه والله أعلم (فأخذ المعول) بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الواو بعدها لام أي المسحاة وعند أحمد فأخذ المعول أو المسحاة بالشك (فضرب فعاد) أي فصارت الكدية وذكره باعتبار المضروب الدال عليه قوله فضرب (كثيبا أهيل) بوزن أحمد ثالثه تحتية وعند البخاري أهيل أو أهيم والمعني انه صار رملا لا يتماسك قال الحافظ في الفتح ضبط أهيم بالمثلثة وبالتحتية والمعروف الثاني وهي بمعنى أهيل (فقلت يا رسول الله ائذن لي الى البيت) الظرف الثاني متعلق بفعل محذوف يدل عليه المقام أي انصرف وفي الكلام حذف صرح به أبو نعيم في روايته في المستخرج فقال «فأذن لي» (فقلت لامرأتي) اسمها سهيلة بنت معوذ الانصارية (رأيت) أي أبصرت (بالنبي صلي الله عليه وسلم شيئا) أي عظيما كما يدل عليه قوله (مافى ذلك صبر) أي مافي دفع ذلك فالسعي في رفعه صبر أي تأخير لانه بلغ الغاية (فعندك شيء) بتقدير همزة الاستفهام أي أعندك ما تندفع به الحاجة في الجملة (فقالت عندى شعير) جاء في رواية ابن بكير (١) انه صاع (وعناق) بفتح العين المهملة وتخفيف النون هي الانثى

---

(١) في نسخة (ابي بكر) . ع

فَذَبحتُ العَنَاقَ وطَحَنت الشَّعيرَ حتى جَعَلْنَا اللحمَ فى البُرْمَةِ ثمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وَسلم والْعَجِينُ قدِ انْكَسَرَ والْبُرْمَةُ بينَ الأَثَافِى قَدْ كَادَتْ تَنْضجُ فقُلتُ طُعَيِّمٌ لى فَقُمْ أنتَ يا رسولَ اللهِ وَرَجلٌ أَوْ رَجُلاَنِ قالَ كَمْ هُوَ فذَكَرْتُ لهُ فقالَ كَثِيرٌ طيبٌ

من المعز (فذبحت) بتاء المتكلم (العناق وطحنت) بفتح حروف الفعل الثلاثي والتاء فيه للتأنيث وفاعله يعود الى امرأته (الشعير) وقوله (حتي جعلنا اللحم فى البرمة) بضم الموحدة وسكون الراء كما في الفتح غاية لمقدر أى واستمريت(١) غائبا عن الخندق الى ما ذكر وفى رواية الكشميهنى حتي جعلت (ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر) أى لان ورطب وتمكن منه الخبز (والبرمة بين الاثافى) بمثلثة وفاء ثلاثة أحجار يوضع عليها القدر (قد كادت) أى قاربت (تنضج) بفتح الفوقية والضاد أى تدرك الاستواء (فقلت طعيم) بتشديد التحتية صغره مبالغة فى تحقيره قيل من تمام المعروف تعجيله وتحقيره (لي) فى محل الصفة وأتى به طلبا لخبره صلى الله عليه وسلم بمجيئه الي منزله اجابة لدعوته (فقم أنت يا رسول الله) أكد الضمير المستكن بالضمير البارز لينبه على انه المقصود بالاصالة فأكد دلالة علي الاهتمام بذلك لا ليعطف عليه قوله (ورجل أو رجلان) لوجود الفصل بالنداء بين المتعاطفين وهو كاف لذلك (قال كم هو فذكرت له ذلك) أى ما ذكر قبله واستعمل فيه اسم الاشارة الموضوع للبعيد لانه لما لم يسمع صار كانه بعيد (فقال كثير طيب) لعل سؤاله عنه لينبه جابر إذا رأى شبع أولئك العدد الكثير من ذلك النزر اليسير فيعلم انه معجزة له كما قيل به فى حكمة قوله تعالى « وما تلك بيمينك يا موسى » وان ذلك أثر قوله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الصواب (واستمررت) والمؤلفون كثيرا ما يتساهلون فى هذا الباب . ع

قلْ لهَا لاَ تنزِعِ البُرْمَةَ ولاَ الْخبزَ منَ التنُّورِ حتي آتِيَ فقالَ قومُوا فقَامَ الْمُهاجرُونَ و لأَنْصارُ فدخَلَتْ عَليْها فقالَتْ وَيْحكِ قدْجاءَ النّبيُّ صَلى اللهُ عليهِ وسلمَ وَالْمُهاجِرُون و الأَنْصَارُ ومَنْ مَعَهُمْ قالتْ هلْ سألَكَ قُلتُ نعَمْ قالَ ادْخلُوا

كثير طيب (قل لها) أى لامرأتك (لا تنزع البرمة) بكسر الزاى والفعل مجزوم والمراد أن لا تأخذ اللحم منها (ولا الخبز من التنور) بفتح الفوقية وتشديد النون وهو الذى يخبز فيه قال فى المصباح وافقت فيه لغة العرب العجم وقال أبو حاتم ليس بعربي صحيح والجمع تنانير (حتي آتى) أى أجيء الى المنزل (فقال) أى لمن حضر من أصحابه حينئذ (قوموا فقام المهاجرون والانصار فدخلت عليها) أى بعد قيامهم قبل وصولهم المنزل (فقالت ويحك) بفتح الواو وسكون التحتية وهى كلمة رحمة وويل كلمة عذاب وقيل هما بمعنى واحد وهو منصوب باضمار فعل أي ألزمك الله ويحك كذا يؤخذ من الصحاح (قد جاء النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والانصار ومن معهم) أى من مواليهم والمسلمين مما لم يهاجر جاء عنه فى رواية أخرى فلقيت من الحياء مالا يعلمه الا الله وقلت جاء الخلق على صاع من شعير وعناق فدخلت علي امرأتي أقول افتضحت جاءك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق أجمعين (قالت هل سألك قلت نعم) زاد فى رواية فقالت الله ورسوله أعلم نحن قد أعلمناه بما عندنا فكشفت عني غما شديداً فيه دليل على وفور عقلها وكمال فضلها لعلمها انه حيث علم بالطعام المدعو له ودعا من دعاه عليه انما هو لما يعلمه من خرق الله تعالى العادات له معجزة فلذا (قال ادخلوا) لان فى الحقيقة الدعوة انما هي منه لان الذى أشبع القوم انما كان منه وما جاء به جابر لا يجدى

ولاَ تَضَاغَطُوا فَجعَلَ يكسِرُ الْخبزَ وَيجْعلُ عليهِ اللَّحْمَ ويُخَمِّرُ البُرْمَةَ والتَّنُّورَ إذاأخـذَ منـهُ وَيقَرِّبُ إلَى أصْحابهِ ثمَّ يَنزِعُ فلَمْ يزَلْ يَكسرُ وَيَغْرِفُ حتىشَبِعُوا وبَقِى منهُ فقَالَ كُلِى هـذا وأهـْدِى فإنَّ النَّاسَأصابَتْهُمْ مجاعَةٌ »

فى أولئك (ولا تضاغطوا) باعجام الضاد والغـين واهمال الطاء أى لا تزاحموا زاد فى رواية البخاري فأخرجت له عجينتنا فبسق فيها وبارك ثم عمد الى برمتنا فبسق فيها وبارك (فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم) اداما له ونظيره ما في الشمائل للترمذى عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم أخذ كسرة من خبز الشعير فوضع عليها تمرة فقال هذه ادام هذه وأكل قال بعض الشراح يؤخذ من وضعها عليها انه لا بأس بوضع الادم على الخبز قال ابن حجر الهيثمى ومحله ان سلم مالم يقذر بحيث يعافه غيره (ويخمر البرمة والتنور) أى يغطيهما ويستمر التخمير (حتي اذا أخذ منه) أي الى وقت أخذه منه(١) (ويقرب الى أصحابه) الطعام المأخوذ (ثم ينزع) أى يأخذ اللحم من البرمة (فلم يزل يكسر) أى الخبز (ويغرف) أى من البرمة (حتى شبعوا) غاية لملازمته صلي الله عليه وسلم لاعطائهم الخبز من التنور والادم من البرمة (وبقي منه) أي بعد شبع القوم بقية وحذف للابهام علي السامع وتعظيما لقدر الباقى ويصح كون من فاعلا بناء علي ما جرى عليه في الكشاف من انها بمعني بعض فحلت محله أى وبقي بعضه (فقال كلى هذا وأهدى) بقطع الهمزة أمر المخاطبة ولعل تخصيصها بالخطاب دونه انه أكل مع القوم دونها فكانت مشتغلة بالغرف والخبز أو انها وان أكلت حينئذ أيضا الا انها لما باشرت تعب ذلك أكثر منه جعل لها ذلك (فان الناس أصابهم مجاعة) هذه جملة مستأنفة لبيان قوله وأهدى جاء في رواية

---

(١) نسخ المتن بحذف (حتى) وهى أوضح ع

متفق عليه * وفي رواية قال جابر «لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بالنَّبيّ صلى الله عليه وسلم خَمَصًا فانْكَفأْتُ إلى امْرَأَتِي فَقُلْتُ هَلْ عِنْدَكِ شيْءٌ فإِنّي رَأَيتُ بِرَسُولِ اللهِ صَلى الله عليه وسلم خَمَصاً شَدِيداً فأَخْرَجتْ إِلي جرَاباً فيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ

فلم نزل نأكل ونهدى يومنا أجمع وذكر الفعل لان المسند اليه تأنيث مجازى وقد فصل بضمير المفعول فهو نظير قوله تعالى «قد جاءكم موعظة» وجاء التأنيث فى التنزيل أيضا قال تعالي «كذلك أتتك آياتنا» قال البدر الدماميني القوم علي رجحان التذكير في ذلك علي التأنيث اظهاراً لفضل المؤنث الحقيقي علي غيره لكن الذى يظهر لى ان التأنيث أحسن بدليل أكثريته في الكتاب العزيز وفشوه فيه جداً وأكثرية أحد الاستعمالين دليل على أرجحيته فينبغي المصير لى القول بان الاتيان بالسلامة فى ذلك أحسن وأفصح وتركها حسن فصيح اه (متفق عليه) أى من حيث المعنى والا فهو بهذا اللفظ للبخارى في المغازى (وفى رواية) هى لهما فرواها البخارى عقب الحديث قبله ومسلم فى الاطعمة من صحيحه عن سعيد بن مينا (قال جابر لما حفر الخندق) بالبناء للمفعول (رأيت النبي صلي الله عليه وسلم خمصا فانكفأت) وعند البخارى فانكفيت بتحتية بدل الهمزة (الى امرأتي) بعد ان استأذنت النبي صلي الله عليه وسلم كما فى الرواية قبله (فقلت هل عندك شيء) أى من الطعام والتنوين فيه للتقليل (فاني رأيت) اى أبصرت (برسول الله صلي الله عليه وسلم خمصاً شديداً) وصف الخمص هنا تهييجا علي إظهار ما عندها ان كان كما هو من عادة النساء من اخفاء بعض المتاع عن الازواج يعدونه لشدتهن أى لا شدة يدخر لمثلها فوق هذا (فاخرجت إلى جرابا فيه صاع من شعير) الصاع مكيال وصاع النبي صلي الله عليه وسلم الذى بالمدينة أربعة

وَلَنا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فذبَحْتُها وطَحَنتِ الشعير ففرَغَتْ إلى فرَاغِي وقَطَّعْتُهَا فى بُرْمَتِهَا ثمَّ وَلَّيْتُ إلَى رَسولِ اللهِ صلى الله عليهِ وَسلم فقَالَتْ لاَ تفضَحنى بِرَسول الله صلى الله عليه وسلم وَمَنْ معَهُ

أمداد وذلك خمسة أرطال وثلث بالبغدادى وقال أبو حنيفة الصاع ثمانيـة أرطال لانه الذى يعامل به أهل العراق ورد بان الزيادة عرف طارعلى عرف الشرع وسبب الزيادة ماذكر الخطابى ان الحجاج لما ولي العراق كبر الصاع ووسعه على أهل الاسواق للشعير فجعله ثمانية أرطال قال الخطابي وغيره وصاع أهل الحرمين انما هو خمسة أرطال وثلث والصاع يذكر ويؤنث قال الفراء أهل الحجاز يؤنثونه وبنو أسد وأهل نجد يذكرونه وربما أنثه بعض بني أسد قال الزجاج التذكير أفصح عند العلماء اه ملخصا من المصباح والظاهر أن المراد من الصاع المعروف عنـد أهل المدينة وهو الصاع الشرعي ومن فى قوله من شعير بيانيـة للصاع أى للمكيال به (ولنا بهيمة) بتشديد التحتية(١) بالتصغير لما تقدم (داجن) أى ملازمة للبيت لاتفات للرعى ومن شأنها أن تكون سمينة (فذبحتها) بضم التاء للمتكلم (وطحنت الشعير) بكسر تاء التأنيث الساكنة لالتقاء الساكنين والفاعل ضمير يعود الى المرأة (ففرغت الى) أى مع (فراغى) أى فرغت من الطحن مع فراغى من ذبح الداجن وسلخها (وقطعتها) كذا فى الاصول بتخفيف الطاء المهملة ولعله لصغر جثتها ولا فالأنسب بالتكثير التشديد (في برمتها) متعلق بمحذوف أي وألقيتها فى برمتها (ثم) كأن الاتيان بها لتأخره مشتغلا بايقاد النار وإصلاحها لسرعة النضج (وليت) أى انصرفت عنها متوجها (إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تفضحنى) بفتح الضاد المعجمة (برسول الله صلي الله عليه وسلم ومن معه) أى

---

(١) سيأتى انه تصغير بهمة لابهيمة فالصواب اسكان الياء لاتشديدها . ع

فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ يا رسولَ اللهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنا وطَحَنْتُ صاعاً مِنْ شَعِيرٍ فتعَالَ أنتَ ونفَرٌ معَكَ فصَاحَ النَّبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم فقالَ يا أهلَ الخَنْدَقِ إنّ جابِرًا قَدْصنعَ سُوراً فحَيَّهَلاَ

لا تكشف عوارى وفاقتى بقلة ما يخرج اليهم المنبىء عن ذلك أولا تعبني بان أنسب للبخل بذلك ومرادها الكناية عن تقليل المدعو اليه لبيان الطعام فيهم (فجئته فساررته) بالمهلة والراءين وصيغة المغالبة للمبالغة فى اخفاء ذلك الامر وكتمه لئلا يطلع عليه أحد فيحضر من غير طلب لما بالناس من المجاعة فيقع فى الفضيحة وفيه جواز المسارة بحضرة الجمع انما نهى أن يتناجى اثنان دون الثالث وقوله (فقلت يا رسول الله ذبحنا) لعل الاتيان فيه بهذا الضمير لانه شورك فى ذبحها بامساك الشاة وأخذ الشفرة (بهيمة) بالتصغير (لنا) وأتى بالظرف لما تقدم فى نظيره من قوله طعيم لنا (وطحنت) بضم الفوقية أى أمرت المرأة بطحن (صاعا من شعير) فالاسناد مجازى كقولهم بني الامير المدينة (فتعال أنت ونفر) بفتح أوليه النون والفاء وهو كما فى المصباح وغيره جماعة الرجال من ثلاثة الى عشرة وقيل الى سبعة ولا يقال فيما زاد على عشرة اه (معك) أتى به إعلاما بأنه المقصود إصالة وغيره بالتبع (فصاح النبي صلى الله عليه وسلم) يحتمل كون الاسناد حقيقيا وهو المتبادر لان الذى وصفه به أنس أنه ليس صخابا فى الاسواق والخندق ليس منها وايضا فالامر دعا هنا الى رفع الصوت ليسمع القوم فيجيئوا ويحتمل أن يكون مجازيا أى أمر بذلك فيهم وعلي الوجهين فهناك مقدر تقديره فقال (يا أهل الخندق إن جابراً قد) للتحقيق (صنع سورا فحيهلا) بفتح الحاء المهملة وتشديد التحتية المفتوحة والهاء (١) منونا وقيل بلا تنوين أى اقبلوا مسرعين

---

(١) لعله (وفتح الهاء) . ع

بكم فقال رسولُ الله صلى الله عليهِ وَسلم لاَ تُنزِلنَّ بُرْمَتكم ولاَ يُخبِزُنَّ عَجِينَكم حتي أجِيءَ فجِئْتُ وَجاءَ رسولُ الله صَلى الله عليه وَسلم يقدُمُ النّاسَ حتى جِئتُ امرَأتِي فقالت بِكَ و بِكَ

(بكم فقال النبي صلي الله عليه وسلم لا تنزان) رأيته فى أصل مصحح من البخارى بفتح الفوقية وكسر الزاي مسنداً لقوله (برمتكم) وفي نسخة مصححة من الرياض بضم الفوقية واللام فالفاعل ضمير الجماعة محذوف لالتقا الساكنين ولدلالة الضمة عليه وفيه تغليب الحاضر على الغائب والمذكر علي المؤنث فان الامر بذلك له ولأهله (ولاتخبزن عجينكم) وفي نسخة من البخاري بضم الفوقية وفى أخرى بتحتية مضمومة بدل الفوقية وفتح الباء والزاى فيهما مبنى للمجهول نائب فاعله ما بعده وهو على التحتية بحذف الفوقية من عجينتكم وفى النسخة المذكورة(١) بفتح أوله وكسر الموحدة وضم الزاى فالفاعل محذوف وعجينكم بحذف الفوقية مفعوله (حتي أجيء) غاية للكف عنهما المدلول عليه بالنهي عن فعل كل منهما (فجئت وجاء النبي صلى الله عليه وسلم) أعاد العامل إيماء الى أن الواو للاعتراض ببيان صفة مجيئه صلى الله عليه وسلم كما بينه قوله (يقدم الناس) إذهو في محل الحال قال المصنف وانما فعل هذا لانه صلى الله عليه وسلم دعاهم فجاوا تبعا له كصاحب الطعام اذا دعا طائفة يمشي أمامهم وكان فى غير هذا الحال لا يتقدمهم ولا يمكنهم من وطء عقبه ففعله هنا لهذه المصلحة اه والجملة معترضة بين المغيا وهو مجيئه والغاية وهي قوله (حتى جئت امرأتى) أى وأعلمتها بندائه صلي الله عليه وسلم فى أهل الخندق (فقالت بك وبك) بالموحدة فيهما وفتح الكاف تكلمت عليه أولا لظنها انه لم يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالامر ولم يفصح له عنه فلذا قال

---

(١) أي النسخة المصححة من الرياض . ع

فقالتُ قَدْ فعلَتُ الذي قلتِ فاخرجتَ عجينَنا فبَصَقَ فيهِ وبارَكَ فيهِ ثمَّ عمَدَ إلَى بِرْمَتِنَا فبَصَقَ وَبارَكَ ثمَّ قالَ ادْعِ خابِزَةً فلْتَخبزْ معَكِ وَاقدَحِي منْ بِرْمَتِكُم وَلاَ تُنزلوهَا

(فقلت قد فعلت) لا يخفى ما بين قوله فقالت وفعلت من الجناس المصحف الخطى وفيه اطلاق الفعل علي القول ولعله للفرار عن التكرار المستثقل فى السمع أى قلت (لذى قلت) بكسر الفوقية فحينئذ سكن ما بها وهذا كما تقدم من كمال عقلها ووفور فضلها (فأخرجت عجيننا) فى المصباح العجين فعيل بمعنى مفعول (فبصق) بالموحدة والصاد المهملة قال المصنف كذا فى اكثر الاصول وفى بعضها بالسين وهي لغة قليلة والمشهور بصق وبزق وحكي جماعة من أهل اللغة بسق لكنها قليلة اه (فيه وبارك فيه) أي دعا بالبركة وهى الخير الكثير الدائم ودوام كل شيء بحسبه (ثم عمد الى برمتنا فبصق وبارك) أتى بثم إيماء الى أن تأخر ذلك منه فى الجملة وكأنه لأمر اقتضى تأخير وصوله صلى الله عليه وسلم لمحل البرمة وحذف متعلق كل من الفعلين إيجازا اكتفاء بدلالة الجملة الاولى عليه (ثم قال) لعل تأخير القول عن البصق والدعاء انه رأى الحاجة الى ذلك بعد فأمر به عند ظهورها (ادع خابزة فلتخبز معك) كذا فى الرياض من غير ياء في ادع و بالكاف فى معك قال المصنف فى شرح مسلم هذه اللفظة وهى ادعي وقعت فى بعض الاصول هكذا بعين ثم تحتية وهو الصحيح الظاهر لانه خطاب المرأة ولهذا قال فلتخبز معك وفى بعضها ادعوني وفى بعضها ادعني وهما أيضا صحيحان وتقديرها اطلبوا لي واطلب لى اه والذى فى البخارى وقال ادع خابزة فتخبز معى ولعله وقع مباشرة الخبز منه صلى الله عليه وسلم تارة ومن المرأة أخري فطلب فى كل معينا (واقدحى) أى اغرفى (من برمتكم ولا تنزلوها) فيه تغليب المذكر على

وَهُمْ أَلْفٌ فَأُقْسِمُ بِاللهِ لَأَكَلوا حتي تَرَكُوهُ وانحرَفُوا وإِنَّ بُرْمَتَنا لَتَغِطُّ كَما هِيَ وإِنَّ عجِينَنا لَيُخْبَزُ كَما هُوَ» (قولهُ) عَرَضَتْ كُدْيَةٌ هي بِضَمِّ الكافِ واسْكانِ الدَّالِ وَبالياءِ المُثَنَّاةِ تحتُ وَهيَ قِطعةٌ

المؤنث لشرفه فالخطاب لجابر والامر له ولامرأته وفيه ان لم يكونا أزيد من ذلك اطلاق الجمع علي مافوق الواحد وكأن حكمة الابقاء ستر السر الالهي بايهام الحاضرين كثرتها فتستمر سحائب الفيض متواترة معجزة له صلى الله عليه وسلم ولا يقع عليها نظرهم ابتداء فيستقلوها فيكون بسبب رفع البركة منها أخذا مما يأتي عن الدساني في قصة أبي طلحة (وهم ألف) قال في الفتح أي الذين أكلوا وهذه الرواية محكوم بها لزيادة ما فيها علي رواية أنهم كانوا سبعمائة أو ثمانمائة ورواية انهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة ورواية أنهم كانوا ثلاثمائة والقصة متحدة (فأقسم بالله لأكلوا) أكد بعدة مؤكدات دفعا لاستبعاد العقل بحسب العادة اكتفاء هذا العدد الكثير بهذا القدر اليسير من الطعام (حتى تركوه) أي المذكور من خبز العجين ولحم الشاة (وانحرفوا) أى مالوا عن المنزل الي جهة مقصدهم (وان برمتنا لتغط) بكسر المعجمة وتشديد الطاء المهملة والجملة حالية وقوله (كما هي) مفعول مطلق أي تغط بعد انصرافهم شباعا مثل غطيطها قبل الاخذ منها (وان عجيننا ليخبز كما هو) جملة معطوفة على الجملة الحالية وهذه(١) القصة علم من أعلام النبوة تكثير الطعام القليل وعلمه صلى الله عليه وسلم بان هذا الطعام القليل الذي يكفي في العادة خمسة أنفس أو نحوهم سيكثر فيكفي ألفا وزيادة فدعا له ألفا قبل أن يصل اليه وقد علم إنه صاع شعير وبهيمة والله أعلم (قوله عرضت كدية هي) في رواية الاسماعيلي (بضم الكاف وسكان الدال) المهملة (وبالمثناة تحت وهي قطعة

---

(١) لعله (وفي هذه) ع

غَلِيظَةٌ صُلبةٌ مِنَ الأَرْضِ لاَ يَعْمَلُ فِيها الفأْس ، والكَثِيبُ أَصْلُهُ تَل الرَّمل . وَالمُرَادُ هُنا صارَتْ تُرَاباً ناعِماً وهوَ معنيٰ أَهْيَلَ ، والأَثافِيُّ الأَحْجارُ الَّتي

غليظة صلبة) بضم الصاد المهملة أى شديدة قوية (من الارض) مثله فى المصباح وفى فتح البارى هى القطعة الصلبة الصماء وقوله (لا يعمل فيها الفأس) بيان لتلك لا انه داخل فى مفهوم الكدية كما تقدم عن المصباح وغيره وعند أبي ذر أحد رواة البخارى أيضا كيدة بفتح الكاف وسكون التحتية قيل هى القطعة الشديدة الصلبة من الارض وقال عياض كأن المراد بها واحدة الكيد كأنهم أرادوا أن الكيد وهو الحيلة أعجزهم فلجئوا الى النبي صلي الله عليه وسلم وعند ابن السكن كندة بفوقية بدل التحتية قال عياض لا أعلم لها معني (والكثيب) بوزن قريب بمثلثة وتحتية فموحدة (أصله تل الرمل والمراد هنا صارت) هذا تفسير عادت فانه يأتي كذلك ومنه قول الكفرة لشعيب أو لتعودن فى ملتنا فان الانبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها قولا واحدا ويأتى عاد بمعنى رجوع الشيء لما كان عليه وقد حمل بعضهم عليه الآية وقال انه باعتبار تغليب قومه لكفرهم عليه وهي هنا فى الخبر لم يكن رملا ثم انعقدت كدية(١) بل الكدية أصلها فصارت بضربه صلى الله عليه وسلم معجزة له(ترابا ناعما) يسيل ولا يتماسك قال تعالى وكانت الجبال كثيبا مهيلا أى رملا سائلا (وهو معني أهيل) والاقتصار علي أهيل الذى جرى عليه الشيخ هو مافى رواية الاسماعيلى وكذا عند أحمد كثيبا يهال وفى رواية للبخاري كما تقدم أهيل أو أهيم بالشك (والاثافى) تقدم ضبطه (الاحجار التى

(١) كذا ، والمراد أنها فى الخبر لا تحمل على الرجوع لان الكدية لم تكن رملا . ع

تَكونُ عليها القِدْرُ وَتضاغَطوا تَزاحمُوا ، والمَجاعَةُ الجوعُ وهى بفَتْحِ الميمِ ، والخَمَصُ بفتحِ الخَاءِ المعجمةِ وَالميمِ الجوع، وَانْكَفأَت انقَلَبَتْ وَرَجَعَتْ ، والبُهَيمةُ بضَمّ الباءِ تَصغيرُ بَهْمَةٍ

تكون عليها القدر) قال فى النهاية هى جمع أثفية وقد تخفف اليا فى الجمع يقال أثفيت القدر اذا جعلت لها الاثافى وثفيتها اذا وضعتها عليها والهمزة فيه زائدة اه (وتضاغطوا) بتخفيف الضاد المعجمة على ان احدى التاءين حذفت تخفيفا وبتشديدها علي الادغام (تزاحموا) بالوجهين قال فى المصباح ضغطه ضغطا من باب نفع دفعه الى حائط أوغيره (والمجاعة الجوع) فهى مصدر ميمي (وهي بفتح الميم) وتخفيف الجيم قال فى النهاية مفعلة من الجوع وفى المصباح أنها اسم مصدر كالجوع بضم الجيم المشترك بينه وبين مصدر جاع (والخمص بفتح الخاء المعجمة والميم) مثله فى شرح مسلم لكن فى فتح البارى وقد تسكن الميم (الجوع) فى الفتح وهو ضمور البطن ولا منافاة فبأحدها يلزم الآخر (وانكفأت) أى بالهمزة فى رواية مسلم قال المصنف ووقع فى نسخ فانكفيت وهو خلاف المعروف فى اللغة بل الصواب انكفأت بالهمز اه وتقدم أنه بالياء عند البخارى وتوجيهه كما فى الفتح كأنه سهل الهمزة وقلبها ياء (انقلبت ورجعت والبهيمة بضم الباء) الموحدة وتشديد التحتية(١) (تصغير بهمة) بفتح الموحدة وسكون الهاء قال فى المصباح ولد الضان تطلق على الذكر والانثى وجمعها بهم كتمرة وتمر وجمع البهم بهام كسهم وسهام ويطلق البهام على أولاد الضان والمعز اذا اجتمت تغليبا فاذا انفردت قيل لاولاد الضأن بهام ولاولاد المعز سخال وقال ابن فارس البهم صغار الغنم وقال أبو زيد يقال لاولاد

(١) قد مر ما فيه قريبا فراجعه ، ع

وَهِيَ العنَاقُ بفتحِ العَينِ ، والدَّاجنُ هِيَ التى أُلِفَتِ البَيتَ ، والسُّوْر الطَّعامُ الذِي يُدْعَى النَّاسُ اليهِ وهوَ بالفَارِسِيَّةِ ، وحَيَّهَلاً أَيْ تَعالَوْا ،

الغنم سائمة تضمها الضأن والمعز ذكرا كان الولد أو أنثى سخلة ثم هي بهمة وجمعها بهم اه (وهي) أي المراد منها كما جاء التصريح به في الروايات السابقة عن جابر في الحديث السابق (العناق بفتح العين) المهملة وتخفيف النون آخره قاف قال في المصباح هي الانثى من ولد المعز قبل استكمالها الحول اه والمراد ما قاربها ليحصل به قرى الضيف (والداجن) بالدال المهملة والجيم والنون (هي التى الفت البيوت) ولم تفلت للمرعى وذلك للاعتناء بها المنبيء عن كرمها وسمنها (والسؤر) بضم السين المهملة وإسكان الواو مهموز (الطعام الذي يدعى الناس اليه) قال في شرح مسلم وقيل الطعام مطلقا (وهو بالفارسية) مثله في شرح مسلم وخالفه الحافظ في الفتح فقال وسكون الواو بغير همز أما بالهمز فهو البقية قلت ويؤيده أنه ذكره في النهاية في مادة السين والواو بغير همز واقتصر على انه الطعام المدعو اليه قال في الفتح وهو هنا الصنيع بالحبشة وقيل العرس بالفارسية ويطلق على البناء الذي يحيط بالمدينة اه ويؤخذ منه أن إطلاقه على الطعام المذكور مجاز مرسل اذ هو بالفارسية لعرس الملازم له عادة فاطلق اللازم وأريد الملزوم (وحيهلا) بتنوين هلا وقيل بلا تنوين ويقال حيهل (أي تعالوا) وقال في الفتح هي كلمة استدعاء فيها حث أي هلموا مسرعين وهذا تفسير مراد وأما معناه ففي شرح مسلم للمصنف قيل عليك بكذا أو ادع بكذا هكذا قاله أبو عبيدة وغيره وقيل معناه اعجل به وقال الهروي معناه هات وعجل به اه وفي النهاية هي كلمتان جعلتا كلمة واحدة فحي معناه أقبل وهلا أسرع وقال ابن يعيش في

وقَوْلُها بِكَ وَبِكَ أي خاصَمَتْهُ وسَبَّتْهُ لأَنَّهَا اعْتَقَدَتْ أَنَّ الذي عِنْدَهَا لاَ يَكْفيهِمْ فاسْتَحْيَتْ وخَفِيَ عليها مَا أَكْرَمَ اللهُ سُبْحانَه وتعالَى بِهِ نَبيَّهُ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم منْ هذهِ المعجزَةِ الظَّاهِرَةِ والآيَةِ البَاهِرَةِ

شرح المفصل هو من أسماء الافعال مركب من حي وهـل وهما صوتان معناهما الحث والاستعجال وجمع بينهما وسمى به للمبالغة وكان الوجه الا ينصرف كحضرموت وبعلبك الا أنه وقع موقع فعل الامر فبني كصه ومه وفيه لغات وتارة يستعمل حي وحده نحو حي على الصلاة وتارة هلا وحدها واستعمال حي وحده أكثر من استعمال هلا وحده اهـ وقال صاحب البسيط فيه سبع لغات حيهل بفتح الياء المشددة والهاء كخمسة عشر وحيهلا بالتنوين لارادة التنكير وحيهلا بالالف من غير تنوين وحيهلا باسكانها(١) مع التنوين واسكان الهاء كراهة لاجتماع الحركات وجاء متعديا بنفسه كحيهلا الثريد اى ائته أو أحضره وقربه وبالباء كحيهلا بعمر أى ائت به وبالى كحيهلا الى كذا أى سارع وبادر اليه وبعلى كحيهلا على كذا اى أقبل عليه كذا في مرقاة الصعود للسيوطي ويؤخذ منه تفسير المتعدي بالباء بائت به ان معنى قوله حيهلا بكم أى أقبلوا بانفسكم (وقولها بك بك) بالموحدة وفتح الكاف فيهما (أي خاصمته وسبته) قال في شرح مسلم أى ذمته ودعت عليه وقيل معناه بك تلحق الفضيحة وبك يتعلق الذم وقيل معناه جري هذا برأيك وسوء نظرك وبسببك (لانها اعتقدت أن الذي عندها لا يكفيهم) وان جابرا لم يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقدره (فاستحيت وخفي عليها ما أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيا صلي الله عليه وسلم من هذه المعجزة الظاهرة والآية) العلامة الدالة علي نبوته (الباهرة) من بهرت

---

(١) قوله (باسكانها الخ) لعل هنا في سقطا وتحريفا فلتراجع كتب اللغة . ع

بَسَقَ أي بَصَقَ وَيُقَالُ أَيضا بَزَقَ ثلاثُ لغَاتٍ ، وَعَمَدَ بفتْحِ الميمِ أيْ قصدَ ، واقْدَحِي أي أغْرِفي والمِقْدَحةُ المِغْرَفَةُ ، وتَغِطُّ أي لغَلَيانِها صَوْتٌ

الشمس غاب نورها علي كل ذي نور إذ كفي بهذا الطعام اليسير ذلك العدد الكثير ولا تخالف بين ما في هذه الرواية من كونها قالت له ما ذكر من السبب وما تقدم في الرواية قبلها من أن رفع غم جابر انما كان بقولها هل كان سألك الخ لما في الفتح للحافظ من الجمع بينهما بانها أوصته اولا لا يعلمه(١) بالصورة فلما قال لها أنه جاء بالجميع ظنت أنه لم يعلمه فخاصمته فلما أعلمها أنه أعلمه سكن ما عندها لعلمها بامكان خرق العادة ثم اختلف العلماء فيما في القصة من اكتفاء ذلك الجمع بذلك النزر اليسير هل هو مع بقاء الطعام على قلته ولكن ببركته صلي الله عليه وسلم اجرى الطعام القليل مجرى الكثير فتكفى كفايته وتوقف الشبع على كثرة المأكول أمر عادى أو ان الله زاد فيه وكثره ويعبر عن القول الاول بتكثير الموجود وعن الثاني بايجاد المعدوم والثاني أقرب (بسق) بالسين المهملة (أى بصق) بالصاد المهملة وفي المصباح أن السين بدل من الصاد قال ومنعه بعضهم وقال لا يقال بسق بالسين الا لزيادة الطول كالنخلة وغيرها وعزاه الي الخليل (ويقال له أيضا بزق) بالزاي بدل الصاد (ثلاث لغات) وهذا لا يخالف ما ذكر عن المصباح من أن الاصل الصاد وان السين والزاى بدلان منها (وعمد بفتح الميم) من باب ضرب كما في المصباح (أى قصد ، واقدحى) بوصل الهمزة وفتح الدال المهملة (أى اغرفى والمقدحة) بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه ورابعه المهملين (المغرفة) بالعين المعجمة والفاء ووزن ما قبله وهما اسما آلة (وتغط) تقدم ضبطها (أى لغليانها صوت) وذلك كناية كثرة ما فيها اذ القليل يضعف غليانه عن رفع الصوت

(١) كذا ، ولعل الصواب « أن يعلمه » . ع

وَاللهُ أَعْلَمُ * وعَنْ أَنسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ « قَالَ أَبو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيمٍ قَدْ سَمِعتُ صَوتَ رَسول اللهِ صلى الله عليهِ وسلم ضَعِيفاً أَعْرِفُ فِيهِ الجوعَ فهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيءٍ فقالتْ نعَمْ فأَخْرَجَتْ أَقْرَاصاً مِنْ شَعيرٍ ثمَّ أَخذَتْ خِمَاراً

(والله أعلم * وعن أنس رضي الله عنه قال قال أبو طلحة) زيد بن سهل الانصارى (لأم سليم) بضم السين المهملة زوج أبى طلحة وأم أنس وما في وسيط الغزالى تبعا لشيخه الصيدلاني ومحمد بن يحيى صاحب البحر من أنها جدة أنس فغلط اتفاقا قاله المصنف فى التهذيب واختلف في اسمها فقيل سهلة وقيل رميلة وقيل أنيفة وقيل رميثه وقيل الرميصاء وهى بنت ملحان بكسر الميم ويقال بفتحها الانصارية (قد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا) حال وهو مراد الاخبار ويحتمل ان يكون ضمن معنى فعل قلبي فعمل عملا من نصب المفعولين والافسمع في مثله لا ينصب الا واحدا اتفاقا وقوله (أعرف فيه الجوع) فى محل الصفة لما قبله وأتى به تأكيدا أو دفعا لتوهم أنه لم يعرف ذلك منه صلى الله عليه وسلم بل توهمه (فهل عندك من شيء) من مزيدة فى المبتدأ لغرض التنصيص علي التعميم واستغراق أفراد ما يطلق عليه شيء أى يطعم بقرينة المقام وتقدمت حكمة الاتيان بهذا مع الاخبار بالواقع فى ثاني حديثى قصة جابر (فقالت نعم) أى عندى شيء (فاخرجت أقراصا من شعير) أى بادرت الى اخراجها لان الحال تأبى عن التأخير قال فى فتح البارى عند أبى يعلي عن أنس أن أبا طلحة بلغه انه ليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام فذهب فاجر نفسه بصاع من شعير فعمل بقية يومه ثم جاء به الحديث (ثم أخذت خمارا) بكسر الخاء المعجمة ثوب تغطي به المرأة رأسها ووصفه

لهَا فَلَفتِ الْخُبزَ بِبَعضهِ ثمّ دستْهُ تحتَ ثوْبي وَرَدَّتني بِبعضهِ ثمَّ أَرْسلتْني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذَهَبْتُ بهِ فوَجدْتُ رَسولَ اللهِ صَلّى اللهُ عليهِ وسلم جالِساً في المَسجدِ ومَعهُ النّاسُ فقُمتُ عليهِم فقالَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلّم أَرْسَلَكَ أبو طَلحةَ فقُلتُ نعَمْ فقال أَلِطَعامٍ فقُلتُ نعَم

بقوله (لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته) بفتح الدال وتشديد السين المهملتين قال في في فتح الباري يقال دس الشيء يدسه دسا أدخله في الشيء بقهر وقوة اه أي ادخلته (تحت ثوبي وردتني ببعضه) والمراد أنها لفت الخبز ببعض الخمار ولفت أنسا بباقيه (ثم أرسلتني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا) مفعول ثان كقوله تعالى تجدوه عند الله هو خيراً فوجد فيه من أفعال القلوب يدل على العلم لأن من وجد شيئا بحال علمه عليها وقوله (في المسجد) متعلق بثاني المفعولين ويصح تعلقه بوجدت وكونه حالا من فاعله أو من رسول الله ويقربه قوله (ومعه الناس) فانها جملة حالية ويجوز كونها معطوفة علي ثاني المفعولين (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) في البخاري فقال لي (آرسلك أبو طلحة) بالهمزة قبله بقدرة حذفت وقال الحافظ في الفتح إنه بهمزة ممدودة للاستفهام (فقلت نعم قال الطعام) يحتمل نصبه بنزع الخافض أي يدعو الى الطعام(١) ويؤيده قوله في رواية البخاري قال بطعام ويحتمل أن يكون مفعول جعل مقدرا وال في الطعام جنسية (فقلت نعم) قال الحافظ ظاهر هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم فهم ان أبا طلحة استدعاه الى منزله فلذا قال لمن عنده قوموا وأول الكلام يقتضي ان أم سليم وأبا طلحة أرسلا الخبز مع أنس فيجمع بأنهما أرادا بارسال الخبز

---

(١) في نسخ المتن ألطعام بهمزة فلام مكسورة وبالتنوين وهي أظهر فليتامل . ع

فَقَالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قُومُوا فَانْطلقوا وانْطَلَقتُ بينَ أَيدِيهِمْ حتى جِئْتُ أَبا طَلْحَةَ فأَخْبَرْتهُ فقَالَ أبو طَلْحَة يا أُمَّ سُلَيمٍ قَدْ جاءَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنَّاسِ ولَيْسَ عِنْدَنَا مَا يُطْعِمُهُمْ فقَالت اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ

مع أنس ان يأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وحده خشيه أن لا يكفيهم فيأكله فلما وصل أنس ورأى كثرة الناس حوله صلى الله عليه وسلم استحيا وظهر له أن يدعو النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم معه وحده الي المنزل فيحصل مقصودهم من إطعامه ويحتمل أن يكون ذلك عن رأى من أرسله عهد اليه اذا رأى كثرة الناس أن يستدعي النبي صلى الله عليه وسلم وحده خشية ألا يكفيهم أجمعين ذلك الطعام ومن عادته صلى الله عليه وسلم الا يؤثر نفسه على أصحابه بمثل ذلك فلذا دعاهم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا فانطلقوا فانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة) قال فى الفتح جاء في رواية زيادة وأنا حزين لكثرة من جاء معه (فاخبرته) أي بمجيئه صلى الله عليه وسلم ومجيء من معه وحذف ذلك ايجازا لدلالة ما قبله عليه (فقال أبو طلحة يا أم سليم) فيه اكرام الرجل زوجه ونداؤها بالكنية (قد) للتحقيق ويحتمل كونها للتقريب (جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس) هو وان كان من صيغ العموم لكونه اسم جنس محلي بأل الا أن المراد هنا العموم العرفى أى الحاضرين مجلسه حينئذ فهذا عام أريد به خاص فهو مجاز قرينته الحال وفى رواية والناس بالواو بدل الموحدة والمآل واحد لان المعنى والناس معه لكونه الجائى بهم والداعي لهم وجملة (وليس عندنا ما يطعمهم) حالية من فاعل جاء أى ما يطعمهم بقدر كفايتهم (فقال الله ورسوله اعلم) كانها عرفت أنه فعل ذلك عمدا لتظهر له الكرامة فى تكثير الطعام ودل ذلك علي فطنة أم سليم ورجحان عقلها قال الحافظ

فانْطَلَقَ أبوطَلَحةُ حتى لَقِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقْبَلَ رَسول الله صلى الله عليه وسلم معهُ حتى دَخلاَ فقَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وَسلم هَلُمِّي مَا عِنْدكِ يا أم سُلَيمٍ فأَتتْ بذَلِكَ الخُبْزِ فأمَرَ بهِ رَسول الله صلى الله عليه وَسلم ففُتَّ وَعصَرَتْ عليهِ أمُّ سُلَيمٍ عُكَّةً فآدَمَتْهُ

بعد ذكر روايات فيها ملاقاة أبي طلحة للنبي صلى الله عليه وسلم واخباره بقلة الطعام الذي عنده وفى رواية يعقوب فقال أبو طلحة انما أرسلت أنسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يسع من أري فقال ادخل فان الله سيبارك فيما عندك وفى رواية أنس فدخلت على أم سليم وأنا مندهش وفى أخرى ان أبا طلحة قال يا أنس فضحتنا وللطبراني في الاوسط فجعل يرميني بالحجارة (فانطلق أبو طلحة حتي لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل رسول الله صلي الله عليه وسلم معه حتى دخلا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم هلمي) قال الحافظ كذا لابي ذر عند الكشميهني ولغيره هلم وهى لغة حجازية هلم عندهم اسم فعل لا يؤنث ولا يثني ولا يجمع ومنه قوله تعالى هلم شهداءكم وهي لطلب ما بعدها اي احضري (ما عندك يا أم سليم فأتت بذلك الخبز فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت) بالبناء المجهول (وعصرت عليه) اي على المفتوت المدلول عليه بالفعل قبله أو على الخبز والاول أقرب لان الضمير يعود الى أقرب مذكور ما لم يصرف صارف لكن ما يأتى فى الكلام علي قوله «ثم قال فيه ماشاء الله ان يقول» يؤيد الاول الا أن يقال عصرها عليه بعد الفت زيادة فى التطرية وعصره قبله ليلين وينكسر فيه كما يريد والله أعلم (أم سليم عكة) بضم المهملة وتشديد الكاف قال فى النهاية هى وعاء من جلد مستدير مختص بالسمن والعسل وهو بالسمن أخص ومثله في الفتح (فآدمته) بمد الهمزة

ثُمَّ قَالَ فيهِ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقولَ ثُمَّ قَالَ ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حتى شَبِعُوا ثُمَّ خرَجُوا ثُمَّ قَالَ ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حتى شَبِعُوا ثُمَّ خرَجُوا ثُمَّ قَالَ ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ حَتَّى أَكَلَ القَوْمُ كُلُّهُمْ

وتخفيف الدال المهملة أى صيرت الخارج منهـا اداما له (ثم قال فيه) أى عليه (رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول) فقال أبو طلحة قد كان في العكة شيء فجاءبها فجعلا يعصرانها حتى خرج ثم مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم به ثيابه ثم مسح القرص فانتفخ وقال بسم الله فلم نزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى رأيت القرص فى الجفنة يتسع وفي رواية فمسحها رسول الله صلى الله عليـه وسلم ودعا فيها بالبركة وفى رواية فجئت بها ففتح رباطها ثم قال بسم الله اللهم أعظم فيها البركة قال الحافظ بعد ذكر ذلك وتعيين راوى كل رواية منها «وعرف بهذا المراد بقوله ماشاء الله أن يقول» (ثم قال ائذن لعشرة فأذن) بالبناء للفاعل أى المخاطب بذلك الأمر منه صلى الله عليه وسلم من أنس وأبى طلحة ويحتمل أنه مبني للمفعول (لهم فأكلوا حتي شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتي شبعوا ثم قال ائذن لعشرة حتي أكل القوم كلهم) قال فى الفتح ظاهر هذه العبارة ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل منزل أبي طلحة وحده وبه صرح فى رواية لابن أبي ليلي ولفظها «فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الباب » فقال لهم اقعدوا ودخل قال فى الفتح وسئلت في مجالس الاملاء عن حكمة تبعيضهم فقلت يحتمل أن يكون عرف أن الطعام قليل وفى صحفة واحدة

وشَبِعُوا والقومُ سبعُونَ رَجلاً أوْ ثمانونَ » متفقٌ عليهِ * وَفي رِوايةٍ فَمَا زَالَ يُدْخل عَشرَةً ويُخْرجُ عشرَةً

فلا يتصور تحاق ذلك العدد الكثير «فقيل» لم لا دخل الكل و بعض ما لم يسعه التحليق فكان أبلغ في اشتراك الجميع فى الاطلاع على المعجزة بخلاف التبعيض فانه يطرقه احتمال تكرر وضع الطعام لصغر الصحفة فقلت يحتمل أن يكون ذلك لضيق الوقت والله أعلم اه وقال التلمساني فى حاشية الشفاء وقيل حكمة ذلك العدد لئلا يقع نظر الكل على الطعام القليل فيزداد حرصهم ويظنون أنه لا يشبعهم فتذهب بركته وقوله كلهم توكيد أتي به للشمول وألا يتوهم ان المراد أكل المعظم (وشبعوا) أي ليس أكلا بقدر ما يسد الرمق ويقيم البنية بل الى حد الشبع ولا ينافيه النهى عن الشبع لأنه فيمن أدمن عليه واعتاده وأما نادرا كما فى هذا فلا وأيضاً فما هنا من قبيل خروجه صلى الله عليه وسلم المطر وقوله فيه انه حديث عهد بربه أي بتكوينه ومن قبيل حثو أيوب ما تساقط عليه من جراد الذهب فقال الله له ألم يكن فيما أعطيتك غني عن هذا قال بلى ولكن هذا فضلك ولا غنى بنا عن فضلك والحديث فى الصحيح (والقوم سبعون رجلا أو ثمانون رجلا) قال فى الفتح كذا فى هذه بالشك وفى غيرها الجزم بالثمانين أى كما يأتي فى الرواية بعد ، بل فى أخرى أكل منه بضعة وثمانون رجلا (متفق عليه) رواه البخارى فى باب علامات النبوة بطوله وفى الصلاة مختصرا وفى الاطعمة وغيرها ورواه مسلم فى الايمان ورواه الترمذى فى المناقب وقال حسن صحيح والنسائى فى الوليمة كذا فى الأطراف للمزى (وفي رواية فما زال) أى النبي صلي الله عليه وسلم (يدخل عشرة ويخرج عشرة) أي يأمر بذلك فاسنادهما اليه مجازى بدليل الرواية السابقة

حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ ثُمَّ هَيَّأَهَا فَإِذَا هِيَ مِثْلُهَا حِينَ أَكَلُوا مِنْهَا * وفي رِوَايَةٍ فَأَكَلُوا عَشَرَةً عَشَرَةً حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ بِثَمَانِينَ رَجُلاً ثُمَّ أَكَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلم بَعْدَ ذَلِكَ وَأَهْلُ البَيْتِ وَتَرَكُوا سُؤْرًا * وفي رِوَايَةٍ

(حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع ثم هيأها) أي جمعها بعد تمامهم أجمعين أي وبعد أكله وأهل المنزل منه ويحتمل كونه بعد ذلك قبل هذا (فاذا هي) أي الصحفة باعتبار ما فيها من الطعام (مثلها) علي حالتها من قدر الطعام فيها حال وضعه قبل تناول أحد منه وهو مراده بقوله (حين أكلوا منها) واذا المفاجأة والجملة الاسمية بعدها مضاف اليها والمعنى فاجأهم هذا الامر الخارق للعادة معجزة له صلي الله عليه وسلم وذلك مساواتها بعد شبع الثمانين منها لها قبل وضعهم اليد فيها وفي رواية لمسلم ثم أخذ ما بقي فجمعه ثم دعا فيه بالبركة فعاد كما كان فقال دونكم هذا (وفي رواية) لمسلم من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى الانصاري عن أنس (فأكلوا) الواو فيه ضمير يعود الى الصحابة المذكورين في الخبر وقوله (عشرة عشرة) حال بمعني مرتبين كذلك وكان حق الاعراب فيهما أن يكون في أحدهما لكن لما قبله كلاهما كان تخصيص أحدهما به ترجيحا بلا مرجح فجرى الأعراب فيهما (حتي فعل ذلك بثمانين رجلا ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأهل البيت) قال المصنف فيه أن يستحب لصاحب الطعام وأهله أن يكون أكلهم بعد فراغ الضيفان (وتركوا سؤرا) تقدم ضبطه ومعناه في حديث جابر المذكور آنفا ففي الحديث علم من أعلام نبوته صلي الله عليه وسلم من كفاية هذا القدر اليسير من الطعام ذلك العدد الكثير من الانام (وفي رواية) هي لمسلم أيضا في الاطعمة

ثمَّ أَفضَلوا ما بلَغُوا جِيرَانَهُمْ ، * وفي روايةٍ عن أَنَسٍ قالَ « جِئْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم يوْماً فوَجَدْتُهُ جالِساً مع أَصحابِهِ وَقَدْ عصَّبَ بطْنَهُ بِعِصَابةٍ فقُلْتُ لبَعْضِ

من حديث عبد الله بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس (ثم أفضلوا) أى أبقوا (ما بلغوا جيرانهم) وفى رواية وفضلت فضلة فاهدينا لجيراننا وفى رواية عن أنس حتي أهدت أم سليم لجيرانها ثم «ما» يحتمل كونها موصولة أو نكرة موصوفة عائدها ضمير مجرور محذوف اى ما وصلوا به جيرانهم ويحتمل كون العائد ضميرا منصوبا أى ما أوصلوه جيرانهم والجيران بكسر الجيم وسكون التحتية جمع جار (وفى رواية) لمسلم عن يعقوب بن عبد الله بن طلحة الانصارى (عن أنس) بطريق السماع منه كما صرح به مسلم (قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي للقيام بشيء من الخدم لانه كان خادمه صلى الله عليه وسلم (فوجدته جالسا) يحتمل كونه فى المسجد كما وجده فيه فى القصة قبل وقد صرح بذلك في رواية عنه عند مسلم قال جئت النبي صلي الله عليه وسلم فوجدته جالسا فى المسجد يتقلب ظهراً لبطن ثم ساق الحديث ويحتمل كونه فى غيره (مع أصحابه وقد عصب) قال المصنف يقال بالتخفيف والتشديد بمعني أى ربط (بطنه بعصابة) قال مسلم قال اسامة وأنا أشك علي حجر وفعله ذلك ليسكن به بعض المعدة فيضعف عنه ألمها كما تقدم فى حديث جابر فى الباب فى حكمة شد الحجر على بطنه وقوله عصب الخ جملة حالية من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من ضميره وهو لايخالف قوله فى الرواية السابقة يتقلب ظهرا لبطن كما قال المصنف بل أحدهما يبين الآخر أى كان كلا الأمرين فذكر في كل من الروايتين أحدهما وترك الآخر سهوا أو لغيره (فقلت لبعض

أَصْحابِهِ لِمَ عصَّبَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيهِ وسلم بَطْنَهُ فَقالوا مِنَ الجوعِ قذَهَبتُ إلى أبي طَلْحةَ وهوَ زَوْجُ أُمِّ سُلَيْمٍ فقلت يا أَبَتَاهُ قَدْ رَأَيتُ رَسول الله صَلى الله عَلَيهِ وسلم قَدْ عصَّبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ فَسَأَلتُ بَعضَ أَصْحَابِهِ فقالوا مِنَ الجوعِ فَدَخلَ أبو طَلْحةَ عَلى أُمِّي فَقالَ هلْ مِنْ شيءٍ فَقَالَت نَعَمْ عِنْدِي كِسَرٌ

أصحابه لم عصب رسول الله صلى الله عليه وسلم بطنه فقالوا من) من فيه تعليلية لأنها ذكرت لبيان ماسأل عنه أنس من علة الربط أى لأجل (الجوع) وبسببه كقوله مما خطايام أغرقوا (فذهبت الي أبي طلحة وهوزوج أم سليم) بنت ملحان هذه جملة معترضة بين المتعاطفين أتي بها لبيان وجه مجيئه اليه وقوله (فقلت ياأبتاه) هو زوج أمه وسماه أبا تأدبا وألحق بآخره الهاء الساكنة للوقف عليها والجملة معطوفة على جملة ذهب (قد رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم عصب بطنه) يحتمل أن تكون رأى علمية فتكون الجملة فى محل المفعول الثانى وأن تكون بصرية فتكون الجملة فى محل الحال بتقدير قد وعلى الثانى فالمراد انه رأي من محل العصب من بطنه ما ليس بعورة مما كان يبدو منه صلي الله عليه وسلم في خلوته وبين خواص أصحابه وقوله (فسألت بعض أصحابه فقالوا من الجوع) أتي به لدفع توهم ان عصب البطن كان من دأبه إنما كان من الجوع فلذا ذكره له ليبادر الى السعي فى رفعه والاسراع فى دفعه (فدخل أبو طلحة على أمى فقال هل من شيء) من فيه مزيدة لتنصيص العموم والمراد منه ما ينتفع به من الأقوات بقرينة المقام فهو عام أريد به خاص كما تقدم فى نظيره ومجرورها مبتدأ خبره محذوف أى عندك (فقالت نعم) ثم بينت ما عندها بقولها (عندي كسر) بكسر ففتح جمع كسرة بكسر فسكون

مِنْ خبزٍ وَتُمَرَاتٍ فإِنْ جَاءَنا رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وسلم وحْدَهُ أشْبَعْنَاهُ وإِنْ جاءَمَعَهُ آخَر قلَّ عنْهُمْ وَذَكَرَ تَمامَ الحَدِيثِ

باب القَنَاعةِ والعَفَافِ والاقْتِصَادِ فِى المَعِيشةِ

والانْفاقِ وذَمِّ السُّؤَالِ منْ غيرِ ضَرُورَةٍ * قالَ اللهُ تعالى وَمَا منْ

القطعة (من الخبز وتمرات) ظاهره انها كانت قليلة بخلاف الكسر ويحتمل أنها تجوزت باستعمال جمع القلة في جمع الكثرة كما وقع عكسه فى قوله تعالى ثلاثة قروء (فان جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده أشبعناه) أى لأن بهما يحصل الشبع عادة (وان جاء أحد معه قل عنهم) أى بحسب العادة (فذكر تمام الحديث) قال المصنف فى الحديث ما كان عليه الصحابة من الاعتناء بأحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه منقبة لأم سليم ودلالة على فقهها ورجحان عقلها لقولها الله ورسوله أعلم معناه انه قد عرف الطعام فهو أعلم بالمصلحة اه وفيه ضيق حال القوم حينئذ وفيه إجزاؤهم بالقوت وترك ما زاد عليه من شهوة النفس وحظها والله أعلم

﴿ باب القناعة ﴾

هى كما في الصحاح بالفتح الرضا بالقسم (والعفاف والاقتصاد) افتعال من القصد وهو ما بين الاسراف والتقتير (فى المعيشة والانفاق) واخراج المال الطيب فى الطاعة والمباحات أى التوسط فيها كما قال تعالى ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبسطها كل البسط (وذم السؤال) حذف معموله ليعم سائر المسئول من مال وطعام وغيرهما (من غير ضرورة اليه) قال صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه أفاد بمفهومه ذم الاشتغال بضده * (قال الله تعالى ومامن) صلة للتنصيص على العموم

دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا » وقالَ تَعَالَى « لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ

(دابة فى الارض) قال ابن عطية الدابة مادب من الحيوان والمراد جميع الحيوان الذي يحتاج الي رزق ودخل فيه الطير والنائم من حيوان وفى حديث أبي عبيدة فاذا دابة مثل الظرب يريد من حيوان البحر وتخصيصه بقوله فى الارض لكونه أقرب لحسهم والطائر والقائم إنما هو فى الارض ومامات من الحيوان قبل أن يغتذى فقد اغتذى فى بطن أمه (الا على الله رزقها) ايجاب تفضل لانه تعالي لا يجب عليه شيء عقلا قال البيضاوى وأتى به تحقيقا للوصول وحملا على التوكل فيه (وقال تعالى للفقراء) أى الصدقات لهم وهم الأولى والأحق بها وان جاز صرفها لغيرهم كما يؤخذ من الآية التي قبلها في التلاوة (الذين أحصروا في سبيل الله) حبسوا أنفسهم في الجهاد وقيل معناه حاسبوا أنفسهم بربقة الاسلام وقصد الجهاد وخوف العدو اذا أحاط بهم الكفرة فصار خوف العدو عذرا أحصروا به قيل المراد بهم فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم وقيل أصحاب الصفة المنقطعين بكليتهم الي الله تعالى قال ابن عطية يتناول كل من دخل تحت صفة الفقراء غابر الدهر وقوله فى سبيل الله يحتمل الجهاد ويحتمل الدخول فى الاسلام (لا يستطيعون ضربا فى الارض) ذهابا بالتجارة فيها لاشتغالهم بالجهاد وبالله أو لغلبة الكفرة فى البلاد (يحسبهم الجاهل) بحالهم (اغنياء من التعفف) من أجل تعففهم عن السؤال (تعرفهم بسيماهم) من التخشع وأثر الجهد والضيق وقيل أثر السجود قال ابن عطية وهذا أحسن لانهم متفرغون متوكلون لاشغل لهم غالبا سوى الصلاة فكان

لَا يَسأَلُونَ النَاسَ إِلْحَافًا » وقالَ تَعالى« والذِينَ إذا أنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وكانَ بينَ ذلِكَ قوَامًا » وقال تعالى « وَمَا خَلَقتُ الجِنَّ والانْسَ إلاَّ ليَعبُدُونَ

أثر السجود عليهم ابدا (لا يسألون الناس إلحافا) أى إلحاحا والآية تحتمل نفى السؤال عنهم جملة فيكون من نفى المقيد وهذا ماعليه الجمهور ويحتمل ان سؤالهم اى ان سألوا عن مزيد الحاجة لا يلحون اى لا يظهر لهم سؤال بل هو قليل وباحتماله فيكون النفي لقيد وهذا هو الاكثر فى النفي المتوجه الى كلام مقيد كما قاله السفاقسي قال الثعالبي بعيد من لفظ الآية فتأمله وينبغي للفقير ان يتعفف فى فقره ويكتفي بعلم ربه قال العارف بالله ابن ابي جمرة قال أهل التوفيق من لم يرض باليسير فهو أسير ومن كلام علي بن أبي طالب رضى الله تعالي عنه

استغن عمن شئت تكن نظيره * وتفضل على من شئت تكن أميره
* واحتج الى من شئت تكن أسيره *

قال ابن عطية فى الآية تنبيه علي سوء حال من يسأل الناس إلحافا *(وقال تعالى والذين اذا أنفقوا) اى فى الطاعات لانهم محفوظون من غيرها كما قال ابن عطية (لم يسرفوا) أى لم يفرطوا حتي يضيعوا حقا ناجزا أو عيالا أو نحوه (ولم يقتروا) أى لم يفرطوا فى الشح (وكان بين ذلك قواما) وسطا وعدلا سمى به لاستقامة الطرفين كما سمى سواء لاستوائهما والقوام فى حق كل بحسب عياله وخفة ظهره وصبره وجلده علي الكسب أو ضد هذه الخصال وخير الامور أوساطها وقواما خبر ثان أوحال مؤكدة ويجوز أن يكون الخبر وبين ظرف لغو وقيل إنه اسم كان بنى لاضافته لغير متمكن وضعف بأنه بمعني القوام فيكون كالاخبار عن الشيء بنفسه (وقال تعالى وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) أى الا لاجلها فانهم خلقوا

مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُون » وَأَمَّا الأَحادِيثُ فتَقَدَّمَ مُعْظَمُهَا فى البَابَيْنِ السَّابِقَيْنِ وَمِمَّا لَمْ يَتَقَدَّمْ * عنْ أَبِى هرَيْرَةَ رضِيَ الله عنه عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ « لَيسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ ولَـكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ »

بحيث تتأتي منهم العبادة وهدوا اليها فهذه غاية كمالية لخلقهم وتعرى البعض عن الوصال اليها لا يمكن(١) كون الغاية غاية وأما قوله تعالى ذرأنا لجهنم فلام العاقبة نحو لدوا للموت أو إلا لنأمرهم أو ليقروا بي طوعا أو كرها أوالمرادمنهم المؤمنون (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) أي يطعموني أى ليس شأني معهم كشأن السادة مع العبيد وقيل أن يرزقوا أنفسهم أوأحدا من خلقى وأسند الاطعام الى نفسه لان الخلق عيال الله وإطعام العيال علي الله وفي الحديث القدسى استطعمت فلم تطعمني (وأما الاحاديث) الدالة على ماذكر فى الترجمة (فتقدم معظمها) أى أكثرها (فى البابين السابقين) قبل فانّ في أحاديثهما القناعة من الصحابة والاقتصاد وترك السؤال والصبر على مضض الفقر (ومما لم يتقدم) أى بعضه وإلا فاستيعاب جميع مالم يذكر فيهما مما ورد فى الباب قد يشق * (عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى) أي الممدوح فى الشرع المرضي عند الله سبحانه المعد لثواب الآخرة أو النافع أو العظيم وهو بكسر أوله المعجم مقصوراً وقد مد فى ضرورة الشعر (عن كثرة العرض) عن فيه سببية (ولكن) بتشديد النون فيما وقفت عليه من نسخ الرياض والاستدراك لدفع توهم كثرة العرض ينافي الغنى المحمود فدفعه بقوله ولكن (الغنى غني النفس) قال ابن بطال معنى الحديث ليس حقيقة الغني كثرة المال فكثير من الموسع عليه فيه لا ينتفع بما

---

(١) لعله (لا يمنع) . ع

أوتي جاهد في الازدياد لا يبالي من أين يأتيه فكأنه فقير من شدة حرصه وانما حقيقة الغني غنى النفس وهو من استغني بما أوتي وقنع به ورضي ولم يحرص على الازدياد ولا ألح فى الطلب وقال القرطبي وانما كان الممدوح غنى النفس لانها حينئذ تكف عن المطامع فتعز وتعظم ويحصل لها من الحظوة والشرف والمدح اكثر من الغنى الذى يناله مع كونه فقير النفس لحرصه فانه يورطه فى رذائل الامور وخسائس الافعال لدناءة همته وبخله وحرصه فيكثر من يذمه من الناس فيصغر قدره عندهم فيصير أحقر من كل حقير وأذل من كل ذليل والحاصل أن المتصف بغني النفس يكون قانعا بما قسم الله له لا يحرص على الازدياد لغير حاجة ولا يلح فى الطلب بل يرضي بما قسم له فكأنه واجد أبدا والمتصف بفقر النفس على الضد منه ثم غني النفس انما ينشأ عن الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لامره علما بان الذى عنده سبحانه خير وأبقى فهو يعرض عن الحرص والطلب وقال الطيبي يمكن ان يراد بغنى النفس حصول الكمالات العلية قال الشاعر

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

أي ينبغي أن ينفق أوقاته فى الغنى الحقيقي وهو تحصيل الكمالات لا فى جمع المال فانه لا يزداد به الا فقرا اه قيل وهذا وان أمكن الا أن ماقبله أظهر في المراد قات وعليه فيمكن أن يحمل قوله ليس الغنى على الدوام أي ليس الغنى الدائم عن كثرة المال فانه عرضة للزوال انما هو بالكمال النفساني وما أحسن ما قيل

رضينا قسمة الجبار فينا * لنا علم وللاعداء مال

فأن المال يفنى عن قريب * وان العلم كنز لا يزال

وانما يحصل غني النفس بغنى القلب بأن يفتقر الى ربه في جميع أمره فيتحقق أنه المعطى المانع فيرضى بقضائه ويشكر على نعمائه فينشأ عن افتقار القلب لربه غني

مُتفقٌ عليهِ (العَرَضُ) بفَتْحِ العَينِ والرَّاءِ هُوَ المَالُ * وعَنْ عبدِ اللهِ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا أنَّ رسولَ اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلَّمَ قالَ «قَدْ أفلحَ مَنْ أسلمَ وَرُزِقَ كَفَافًا

النفس عن غير ربه والغنى الوارد فى قوله تعالى ووجدك عائلا فاغنى ينزل على غنى النفس فان الآية مكية ولا يخفى ما كان فيه صلى الله عليه وسلم قبل ن يفتح عليه خيبر وغيرها من قلة المال (متفق عليه) ورواه احمد والترمذى وابن ماجه كذا فى الجامع الصغير (العرض بفتح العين والراء) المهملتين والضاد المعجمة (هو المال) فى المصباح هو متاع الدنيا قال وهو فى اصطلاح المتكلمين مالا يقوم بنفسه ولا يوجد الا فى محل يقوم به وهو خلاف الجوهر والعرض بالسكون المتاع قالوا والدراهم والدنانير عين وما سواهما عرض وجمعه عروض كفلس وفلوس وقال أبو عبيدة العرض أى بالسكون الامتعة التي لا يدخلها كيل ولا وزن ولا يكون حيوانا ولا عقارا اه وقال ابن فارس العرض بالسكون كل ما كان من المال غير نقد (وعن عبد الله بن عمرو) بن العاص (رضي الله عنهما أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال قد) للتحقيق (افلح) أى فاز وظفر (من أسلم) لنجاته من النار ودخوله الجنة قال تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (ورزق كفافا) في الزكاة من الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى الكفاف ما كف عن السؤال مع القناعة لا يزيد على قدر الحاجة وفيه فى الزهد الكفاف الذي ليس فيه فضل عن الكفاية روى أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب عن سعيد بن عبد العزيز أنه سئل ما الكفاف من الرزق فقال شبع يوم وجوع يوم اه وقال القرطبي هو ما يكف عن الحاجات ويدفع الضرورات والفاقات ولا يلحق بأهل الترفهات اه وانما

وقنّعهُ اللهُ بما آتاه » رَواهُ مسلم *وعَنْ حكيمِ بْنِ حزَامٍ رضي الله عنهُ قال «سأَلتُ رَسول الله صلى الله عَلَيهِ وَسَلم فأَعطَانِي ثمَّ سأَلتهُ فأَعطاني ثمَّ قالَ

كان ذلك فلاحا لكونه حاز كفايته وظفر باقامته وسلم من تبعة الغنى وذل سؤال الشيء ثم على ما ذكره فى الزكاة من الترغيب يكون قوله (وقنعه الله بما آتاه) من باب التصريح بما اندرج فيما قبله اهتماماً واحتفالا بشأنه أو تجرد الكفاية(١) عن اعتبار القناعة فى مفهومه (رواه مسلم) ورواه أحمد والترمذى وابن ماجه كلهم عن ابن عمرو كذا فى الجامع الصغير وتقدم فى الباب قبله حديث بمعناه عن فضالة بن عبيد وفيه شرف هذه الحال على حالى الفقر المدقع والغني لما في الأول من كدح الحاجة والثانى من بطر الغنى والحديث قد تقدم الكلام عليه فى الباب قبله *

(وعن حكيم) بفتح الحاء المهملة (ابن حزام) بكسر الحاء المهملة وبالزاى ابن خويلد ابن أسد بن عبد العزي الاسدىَ القرشي المكى (رضى الله عنه) ولد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة بجوف الكعبة ولا يعرف هذا لغيره وما روى أن عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء عاش ستين سنة فى الجاهلية وأسلم عام فتح مكة وعاش فى الاسلام ستين سنة علي ما تقدم فيه ولم يشاركه في هذا إلا حسان بن ثابت والمراد بقولهم وستين فى الاسلام أي من حين ظهوره مظهراً فاشياً وكان من أشراف قريش ووجوهها جاهلية وإسلاما ولم يصنع فى الجاهلية من المعروف شيئا الا صنع فى الاسلام مثله وتقدمت ترجمته أيضا فى باب الصدق (قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى من الدنيا (فأعطاني ثم سألته) أى مستكثرا منها (فأعطانى ثم قال) كأن حكمة تأخير هذا القول عن الاعطاء دفع توهم أن ذلك

---

(١) كذا ح ولعله (أو بمجرد الكفاف) . ع

يَاحَكِيمُ إِنَّ هذا المَالَ خَضِرٌ حلْوٌ فَمَنْ أَخذَهُ بِسَخَاوَةِ نفسٍ بُورِكَ لهُ فيه ومَنْ أَخذَهُ بِإِشْرَافِ نفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لهُ فِيهِ وَكَانَ كَالذِي يأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ

لبخل فى المسئول (ياحكيم) فيه نداء الرجل باسمه وفيه تنبيه وإيماء الى أن هذا الاسم يؤذن بقيامه بالحكمة وهى المعرفة فكأنه قال ياموصوفا بالحكمة الداعية الي الزهادة فى الدنيا والاقبال علي الآخرة (إن هذا المال خضر) بفتح أوله وكسر ثانيه المعجمين أي كالخضر فى ميل النظر اليه وإلف النفس به (حلو) بكسر المهملة (١) وسكون اللام قال الحافظ معناه ان صورة المال كذلك والعرب تسمي كل مشرق نضراً خضراً قال ابن الاعرابى ليس هذا صفة المال وانما هو للتشبيه فكأنه قال المال كالبقل الخضر الحلو أو على معنى فائدة المال أى ان الحياة به أو العيشة به أو ان المراد بالمال هنا الدنيا لانه من زينتها قال تعالى « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » (فمن أخذه بسخاوة) بفتح السين المهملة وبالخاء المعجمة (نفس) أى بغير شره ولا إلحاح أى أخذه بغير سؤال هذا بالنسبة للآخذ ويحتمل أن يكون بالنسبة للمعطي أى بسخاوة نفس المعطي أى بانشراحه فيما بذله (بورك له فيه) فوقع منه القليل من المال بالبركة موقع الكثير منه مع فقدها (ومن أخذه باشراف) بالشين المعجمة (نفس) أى انتظارها له وحرصها عليه كما يأتى بنحوه فى الاصل (لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع) أى الذى يسمى جوعه كذابا لانه من علة به وسقم فكلما أكل ازداد سقما ولم يجد شبعاً وفى الحديث وجوه من التشبيهات بديعة تشبيه المال ونمره (٢) بالنبات وظهوره وتشبيه آخذه بغير حق بمن يأكل ولا يشبع وقال ابن أبي جمرة فى الحديث فوائد منها انه قد يقع

---

(١) كذا، ولعل الصواب (بضم المهملة) كما فى القاموس وغيره (٢) فى نسخة (ونحوه) ع

وَالْيَدُ الْعُلْيا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السفلَى قالَ حكيم فقلتُ يارَسُولَ اللهِ والذي بعثكَ بالحق لاَ أرزأُ أحَدً بعْدَكَ شَيْئاً حتى أُفَارِقَ الدُّنيا فَكَانَ أبو بكرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ يَدْعُو حكيماً لِيُعْطِيَهُ العَطَاءَ فَيأْبَى أنْ يَقْبلَ مِنْهُ شَيْئاً

الزهد مع الاخذ فان سخاوة النفس هو زهدها تقول سخت بكذا أي جادت به وسخت عن كذا أي لم تلتفت اليه ومنها ان الاخذ مع سخاوة النفس يحصل أجر الزهد والبركة في الرزق فتبين أن الزهد يحصل خيرى الدارين وفيه ضرب المثل لما لا يعقله السامع من الامثلة لان الغالب من الناس لا يعرف البركة الا فى الشيء الكثير فتبين بالمثال المذكور ان البركة خلق من خلق الله وضرب لهم المثل بما يعهدون فالآكل انما يأكل ليشبع فاذا أكل ولم يشبع كان عيا في حقه بغير فائدة فى عينه انما هى لما يتحصل به من المنافع فاذا كثر عند المرء من غير تحصيل منفعته كان وجوده كالعدم (واليد العليا خير من اليد السفلى) فى صحيح البخارى فاليد العليا هى المنفقة والسفلي هى السائلة قال فى فتح البارى عند النسائي من حديث طارق بن المحارق قال قدمنا المدينة فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قائما علي المنبر يخطب الناس وهو يقول يد المعطى العليا ولابن أبي شيبة والبزار من طريق ثعلبة بن زهدم مثله وقال فى الفتح بعد ايراد أحاديث فهذه متظافرة على أن اليد السفلى هي السائلة والعليا هى المعطية وهذا هو المعتمد وهو قول الجمهور ثم ذكر مقابل ذلك أقوالا بسط بيانها فى الفتح (قال حكيم فقلت يارسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا) هو غاية فى ألا يرزأ أحداً لان من المعلوم انه بعد مفارقته الدنيا لا يحتاج لمال وانما هو كناية عن دوام الانكفاف عن الغير أبدا (فكان أبو بكر رضى الله عنه) أى لما صار خليفة (يدعو حكيما ليعطيه) أى ما يستحقه من الغنم (فيأبي أن يقبل منه شيئا

ثمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ فَقَالَ يَامَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أُشْهِدُكُمْ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ الَّذِي قَسَمَ اللهُ لَهُ فِي هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تُوُفِّيَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

ثم ان عمر رضى الله عنه) لما صار اليه الأمر بعد الصديق رضي الله عنه (دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله) أي ولا شيئاً منه كما يدل عليه ما قبله (فقال يامعشر المسلمين أشهدكم على حكيم اني أعرض عليه حقه الذى قسم الله) العائد فيه ضمير منصوب محذوف (له فى الفيء فيأبى أن يأخذه) قال فى المصباح المعشر والقوم والرهط والنفر الجماعة من الرجال دون النساء والجمع معاشر و . فتح البارى انما امتنع حكيم من أخذ العطاء مع انه حقه لانه خشى أن يقبل من أحد شيئا فيعتاد الأخذ فيتجاوز به الي ما لا يريده ففطمها عن ذلك وترك مالا يريبه خوف مايريبه وانما أشهد عليه عمر لانه أراد ألا ينسبه أحد لم يعرف باطن الأمر الي منع حكيم من حقه (فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النبي صلي الله عليه وسلم حتي توفي) قال الحافظ فى الفتح زاد اسحاق بن راهويه في مسنده من طريق عبد الله بن عمرو مرسلا انه ما أخذ من أبي بكر ولا عمر ولا عثمان ولا معاوية ديونا ولا غيرها حتي توفى لعشر سنين من امارة معاوية قال السيوطي فى التوشيح وفيه ان سبب سؤاله العطاء ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه دون ما أعطي أصحابه فقال يارسول الله ما كنت أظن أن تقصرنى دون أحد من الناس فزاده ثم استزاده حتي رضى فذكر نحو الحديث اه (متفق عليه) أخرجه البخارى فى الوصايا وفي الخمس وفى الرقاق قلت وفي الزكاة وأخرجه مسلم في الزكاة الى قوله واليد العليا خير من اليد السفلي ورواه الترمذى

(يَرْزَأْ) بِرَاءٍ ثُمَّ زَاىٍ ثُمَّ هَمْزَةٍ أَىْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا، وَأَصْلُ الرُّزْءِ النُّقْصَانُ أَىْ لَمْ يَنْقُصْ أَحَدًا شَيْئًا بِالأَخْذِ مِنْهُ، وَإِشْرَافُ النَّفْسِ تَطَلُّعُهَا وَطَمَعُهَا بِالشَّىْءِ؛ وَسَخَاوَةُ النَّفْسِ هِىَ عَدَمُ الإِشْرَافِ إِلَى الشَّىْءِ وَالطَّمَعِ فِيهِ وَالْمُبَالَاةِ بِهِ وَالشَّرَهِ * وَعَنْ أَبِى بُرْدَةَ

فى الزهد وقال صحيح والنسائى فى الزكاة والرقاق اه ملخصا من الاطراف (يرزأ براء ثم زاى ثم همزة) بوزن يسأل (أى لم يأخذ من أحد شيئا) أى مجانا كما يدل عليه قوله (وأصل الرزء النقصان) وما بذل عوضا لا نقص على باذله وفي النهاية وأصله النقص وكأن الشيخ رحمه الله نبه بزيادة النون على اعتبار المبالغة فى مفهومه وقوله (أي لم ينقص أحداً شيئاً بالاخذ منه) تفسيره لقوله آخر الحديث فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس (وإشراف النفس) بالمعجمة (تطلعها وطمعها بالشيء) وأصله أن تضع يدك على حاجبك وتنظر كالذى يستظل من الشمس حتي يستبين الشيء وأصله من الشرف وهو العلو كأنه ينظر اليه من موضع عال (وسخاوة النفس) في المصباح السخاء بالمد الجود والكرم وفى الفعل ثلاث لغات سخا من باب علا فهو ساخ والثانية سخي يسخي من باب علم والفاعل سخ منقوص والثالثة سخو يسخو كقرب يقرب سخاوة فهو سخي بتشديد الياء اه فيؤخذ منه ان سخاوتها كرمها وجودها وقول المصنف (هى عدم الاشراف والطمع فيه والمبالاة به والشره) أخذه من مقابلتها بالاشراف للامر بضد ذلك وهو نتيجة ما قلنا فان النفس الكريمة هذا شأنها فى الدنيا غير محتفلة بجمعها ولا مشتغلة بحفظها ومنعها * (وعن أبى بردة) بضم الموحدة وسكون الراء بعدها دال مهملة وهي كنية لصحابي اسمه على الصحيح من أقوال ثلاثة هانىء بن نيار بلوى مدنى وتابعي وهو ابن أبي موسى الاشعري

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِي رَضِيَ اللهُ عنه قال «خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عليهِ وسلم فى غَزاةٍ ونحن ستة نَفَر بيننا بعيرٌ نَعتقِبهُ فَنَقِبَتْ

وهـذا هو المراد اذ هو المعروف بالرواية عن أبيه ولذا لم يقيده المصنف كعادته في أمثاله من المشتبهات واسمه عامر على الصحيح المشهور الذى قاله الجمهور تابعي كوفي ولى قضاء الكوفة فعزله الحجاج وجعل أخاه أبا بكر مكانه اتفقوا على توثيقه وجلالته وهو جد أبى الحسن الاشعرى الامام فى علم الكلام توفى بالكوفة سنة ثلاث وقيل أربع ومائة كذا لخص من التهذيب للمصنف وحكمة ذكر التابعي فى هذا الحديث قوله بعد روايته فحدث أبو موسى (عن أبي موسى الاشعري) تقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب الاخلاص (قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة) بفتح أوليه قال فى النهاية غزا يغزو غزواً والغزوة المرة من الغزو والاسم الغزاة أى بفتحها قلت ولو قيل بأنه المرة وأصله غزوة بسكون الزاى فنقلت فتحة الواو اليها ثم أعلت اعلال إقوام لم يبعد والله أعلم (ونحن ستة نفر) جملة حالية من فاعل خرج قال الحافظ ولم أقف على أسمائهم وأظنهم من الاشعريين وقوله (بيننا بعير نعتقبه) جملة حالية متداخلة من التى قبلها فى المصباح البعير مثل الانسان يقع على الذكر والانثى والجمل مثل الرجل يختص بالذكر والناقة مثل المرأة تختص بالانثي والبكر والبكرة كالفتى والفتاة والقلوص كالجارية هكذا حكاه جماعة منهم ابن السكيت والازهرى وابن جني ثم قال الازهري هـذا كلام العرب ولـكن لا يعرفه الا خواص أهل العلم باللغـة اهـ وقوله نعتقبه أي نتعاقبـه في الركوب واحـداً بعد واحـد يقال دارت عقبة فلان أى جاءت نوبته ووقت ركوبه كذا في النهاية (فنقبت) بفتح النـون وكسر القاف بعـدها موحـدة

أَقْدَامنَا وَنُقِبتْ قَدَمِي وسقطَتْ أَظْفَارِي فَكُنَّا نَلفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الخِرَقَ فَسُمِّيتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ على أَرْجُلِنَا مِنَ الخِرَقِ »

أى رقت (قدمى) بكسر الميم إذ لو كان مثنى لكان بالألف والمراد به الجنس وفى نسخة أقدامنا بصيغة الجمع المكسر (وسقطت أظفارى) جمع ظفر وفيه لغات ضم أوليه أفصح من ضم أوله وسكون ثانيه ومن فتح أوليه ومن كسرهما ويقال أظفور كاسبوع وربما يجمع الظفر علي أظفر أيضا كركن واركن وقول الجوهرى أنه يجمع على أظفور سبق قلم كأنه أراد أظفر فطغى القلم بزيادة واو اه ملخصا من المصباح أى أظفار أصابع قدمي (فكنا نلف علي أرجلنا الخرق) بكسر أوله المعجم وفتح ثانيه (فسميت غزوة ذات الرقاع) بنصب الغزوة ثانى المفعولين والاول أقيم مقام فاعل سميت يعود على الغزاة (لما كنا نعصب) أي نربط وما موصولة أى الذى كنا نربطه (علي أرجلنا من الخرق) قال الحافظ وقال ابن هشام وغيره سميت به لانهم رقعوا راياتهم وقيل لشجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع وقيل بل الارض التى نزلوا بها كانت ذات ألوان تشبه الرقاع وقيل لان خيلهم كان بها سواد وبياض قاله أبو حيان وقال الواقدي سميت بجبل هناك كان فيه بقع وهذا لعله مستند أبى حيان ويكون قد تصحف خيل بجبل ورجح السهيلي السبب الذى ذكره أبو موسى وكذا النووى ثم قال ويحتمل أن تكون سميت بالمجموع اه واختلف متى كانت فجنح البخارى الى أنها بعد خيبر وذهب أهل السير الى انها قبل خيبر واختلفوا فى زمانها فعند ابن اسحاق أنها بعد بنى النضير وقبل الخندق سنة أربع وعند ابن سعد وابن حيان أنها فى المحرم سنة خمس وجزم أبو معشر بانها كانت بعد قريظة والخندق وتردد

قالَ أَبُو بُرْدَةَ «فَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهذَا الْحَدِيثِ ثُمَّ كَرِهَ ذَلِكَ وَقالَ مَا كُنتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكُرَهُ» قالَ «كأنهُ كَرِهَ أَنْ يكُونَ شَيْئاً مِنْ عَمَلِهِ أَفْشاهُ» مُتفقٌ عَلَيْهِ *وعَنْ عَمرِو بْنِ تَغْلِبَ - بِفَتْحِ التَّاءِ المُثَنَّاةِ فَوْقُ وَإِسكَانِ الْغَيْنِ المعْجَمَةِ وكَسْرِ اللاَّمِ -

---

موسي بن عقبة فى وقتها فقال لاندرى أ كانت قبل بدرأم بعدها ءال الحافظ وهذا التردد لاحاصل له بل الذى ينبغي الجزم به أنها كانت بعد غزوة بني قريظة ثم حكي الحافظ خلافا هل هي غزوة محارب أوهى غيرها فالجمهور أنها هي جزم به ابن اسحاق وغيره وعند الواقدى أنهما ثنتان وتبعه القطب الحلبي فى شرح السيرة اه ملخصا من الفتح (قال أبو بردة فحدث أبو موسى بهذا الحديث) ناشراً للسنة إذ منها أيامه وأحواله (ثم كره ذلك) لما فيه أنه ابتلي فصبر وذلك من المعاملة بين العبد وربه وكلما كانت أخفى كانت بالبر أحفي (وقال ما كنت أصنع بأن أذكره) أى ماأصنع بذكره ذلك ففيه زيادة كان مع اسمها وهو نادر والا كثر زيادتها وحدها فى مواطن وقوله (كانه كره أن يكون شيأ) خبر كان واسمها ضمير مستتر أى ماذكر من عمله شيأ ويجوز أن يعرب مفعولا لفعل محذوف هو مع فاعله والجملة خبر يكون أى يكون أفشى شيأ (من عمله) وقوله (أفشاة) جملة مفسرة علي الثاني وعلي الاول فهو صفة شيئا والظرف متعلق به ويحتمل كون الظرف صفة وجملة أفشاه حالا من الخبر لتخصيصه بالوصف وعلى الثانى هو صفة للمفعول (متفق عليه) أخرجاه فى المغازى من صحيحيهما (وعن عمرو بن تغلب بفتح تاء المثناة فوق وإسكان الغين المعجمة وكسر اللام) اسم غير منصرف للعلمية ووزن الفعل وهو العبدى من عبد القيس وقيل غير ذلك وجميع ماقيل فى

رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ أُتِيَ بِمَالٍ أَوْسَبْيٍ فَقَسَمَهُ فَأَعْطَى رِجَالاً وَتَرَكَ رِجَالاً فَبَلَغَهُ أَنَّ الذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا فَحَمِدَ اللّٰهَ تَعَالَى ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَوَاللّٰهِ إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ

نسبه يرجع الى أسد بن ربيعة فهو ربعي بالاتفاق وقال الحافظ فى الفتح وهو النمرى بضم النون والميم (رضى الله عنه) صحب النبي صلى الله عليه وسلم ثم سكن البصرة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثين رواهما عنه البخارى لم يرو عنه غير الحسن البصرى اه ملخصا من التهذيب للمصنف (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بمال أو) شك من الراوى (سبي) بمهملة فموحدة وعند الكشميهني أحد رواة البخارى أوشيء بالمعجمة وهو أشمل فى النهاية السبي النهب وأخذ الناس عبيدا وإماء (فقسمه) بتخفيف المهملة ويجوز تشديدها نظراً لتعدد المقسوم (فأعطى رجالا وترك رجالا) أى منه (فبلغه أن الذين ترك) العائد المنصوب محذوف أى تركهم (عتبوا) فى المصباح عتب عليه من بابى ضرب وقتل لامه فى تسخط اه وفى النهاية العتاب مخاطبة الاذلال ومذاكرة المؤاخذة اه وهذا المراد هنا لا التسخط من أفعاله صلى الله عليه وسلم فان ذلك ينافي الايمان المشهود لهم به فى الخبر (فحمد الله تعالى) بأوصاف الجمال (ثم أثنى عليه) أى بأوصاف الجلال وقيل أنهما بمعنى وعليه فهو من عطف الرديف أتى به لبيان المراد من الحمد وانه لغوي أي الثناء اللساني الذى هو شعبة من المعنى العرفي (ثم قال أما بعد فوالله انى لأعطى الرجل) أل فيه للجنس والمراد التمثيل والا فما أفاده الحديث جار فى النساء أيضا ففى الحديث عند مسلم عن هند امرأة أبى سفيان انها قالت «يارسول الله ما كان أهل بيت أبغض إلى من أهل بيتك والآن والله ما أهل

وَأَدَعُ الرَّجُلَ والذِى أدَعُ أَحَبُّ إِلىَّ مِنَ الذِى أُعْطِى وَلَـكِنِى أُعطِى أقْوَاماً لِمَا أرَى فى قُلوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ وَأَكِلُ أقْوَاماً إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِى قلوبِهِمْ مِنَ الغِنى وَالْخَيرِ مِنْهُم عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ قالَ عمرُو ابنُ تغلبَ فَوَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِى بِكَلِمَةِ رَسُولِ

بيت أحب الى من أهل بيتك فقال وأيضا» الحديث وأكد بالقسم وبأن واللام لعله لما بدا من شدة عتاب المتروكين في ذاك وتوهمهم انه عن خلل فيهم دينى أو عن نقص حب منه صلي الله عليه وسلم (وأدع) أي وأترك وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه (والذي ادع)أى اترك إعطاءه (أحب الى من الذى أعطى) وجه حبه لذلك المعطى مع ضعف ايمانه انه دخل في سواد أهل الايمان وانتظم فى سلكهم وجملتهم وهم المحبون له صلي الله عليه وسلم فقال ذلك المندرج فيهم نصيبه منها فلذا أتى بأفعل ويحتمل كونه فيه بمعني أصل الفعل نظرا الى عدم كمال ايمان ذلك حتى يعتد به (ولكنى أعطى أقواما لما) أى الذي (أرى) أى أعلمه (فى قلوبهم) والعائد مفعول أول والظرف مفعول ثان (من الجزع) بالجيم والزاى والعين المهملة قال فى النهاية هو الحزن والخوف وقال فى المصباح جزع الرجل جزعا من باب تعب تعبا اذا ضعفت بنيته عن حمل ما نزل به ولم يجد صبراً ومن بيانية لما (والهلع) هكذا في نسخ الرياض تبعا لبعض نسخ البخاري وسيأتى معناه وفي نسخة أخرى منه «الضلع» بالضاد المعجمة أى الميل والاعوجاج وفى أخرى بالظاء المثالة المفتوحة مع ما يليها أى مرض القلب وضعف اليقين (وأكل) أفوض (أقواما الى ما جعل الله فى قلوبهم من الغناء) بفتح الغين المعجمة ثم نون ومد وهو الكفاية وفى رواية الكشميهني بكسر أوله والقصر ضد الفقر (والخير منهم عمرو بن تغلب) هذا آخر الخبر المرفوع وقوله (فوالله ما أحب إن لى بكلمة رسول

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم حُمُرُ النَّعَم رَوَاهُ البُخَارِي الهَلَعُ هُوَ أَشَدُّ الجَزَعِ وقِيلَ الضَّجَرُ * وعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ قَالَ اليَدُ العُلْيا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السفْلَى وأَبْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ

الله صلي الله عليه وسلم حمر النعم) الباء للبدلية والمراد من الكلمة معناها اللغوي وما قاله فيه أى بدل ماقاله فيه من ادخاله اياه في أهل الخير والغني وقيل المراد اني قالها فى حق غيره فالمعني لا أحب أن يكون لى حمر النعم بدلا من الكلمة المذكورة التي لى أو أن يكون لي ذلك وقال تلك الكلمة فى حقى وفى المصباح وحمر النعم بضم المهملة وسكون الميم كرائمها وهو مثل فى كل نفيس ويقال انه جمع أحمر وان أحمر من أسماء الجنس (رواه البخارى) فى مواضع من صحيحه منها في الجهاد والتوحيد وانفرد به عن باقى الستة (الهلع هو أشد الجزع) بمعناه قوله في الصحاح أفحش الجزع ومقتضى كلام المصباح عدم اعتبار الافضلية فيه (وقيل الضجر) وفى المشارق للقاضى عياض الجزع والهلع هما بمعني وقيل الهلع قلة الصبر وقيل الحرص يقال رجل هلع وهلوع وهلواع وهلواعة جزوع حريص اه فلعل المصنف أراد يكتب قيل الحرص فسبق القلم فكتب ما ذكر والله أعلم * (وعن حكيم ابن حزام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اليد العليا خير من اليد السفلي) تقدم الكلام علي هذه الجملة فى الباب (وابدأ) فى الانفاق (بمن تعول) من زوجة أو أصل أو فرع أو مملوك ، من عال أهله اذا قام بما يحتاجون اليه من قوت أو كسوة وهذه الجملة الطالية رواها فقط الطبراني من حديث حكيم بن حزام ورواه البخارى وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة بلفظ خير الصدقة ما كان عن ظهر غني وابدأ بمن تعول لان حقهم واجب وغيرهم تطوع والاول

وَخَيرُ الصَّدَقَةِ ما كَانَ عنْ ظَهرِ غِـنًى ومنْ يَسْتَعفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ ومنْ يَسْتَغْنِ

مقدم على الثاني (وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى) أى افضلها ما وقع من غير محتاج الى ما يتصدق به لنفسه أو لمن تلزمه نفقته ولفظ الظهر مزيد فى مثله إشباعا للكلام قاله الخطابي ونقله في النهاية وزاد قوله وتمكينا كأن صدقته مستندة الى ظهر قوي من المال والمعني أفضلها ما أخرجه الانسان من ماله بعد استبقائه منه قدر الكفاية وقال البغوى المراد غنى يستظهر به علي النوائب التي تنوبه ونحوه قولهم ركب متن السلامة والتنكير في غني للتعظيم هذا هو المعتمد فى معنى الحديث وقيل خير الصدقة ما أغنيت به من أعطيته عن المسئلة وقيل عن للسببية والظهر زائد أى خير الصدقة ما كان سببه غني المتصدق قال القرطبي يرد على تأويل الخطابي ماجاء في فضل الايثار علي النفس من الكتاب والسنة ومنها حديث أبى ذر أفضل الصدقة جهد من مقل والمختار ان معنى الحديث أفضلها ما وقع بعد القيام بحقوق النفس والعيال بحيث لا يصير المتصدق محتاجا بعد صدقته الى أحد فمعنى الغنى فى الحديث حصول ما يدفع به الحاجة الضرورية كأكل عند جوع مشوش لا صبر عليه فالحاجة الي ما يدفع به الاذى عن نفسه لا يجوز الايثار به بل يحرم لان الايثار به يؤدى الى هلاك النفس والاضرار بها أو الى ما يستر به العورة فمراعاة نفسه أولى فاذا سقطت هذه الواجبات صح الايثار وكانت صدقته أفضل لاجل ما يتحمله من مضض الفقر وشدة مشقته فبهذا يندفع التعارض اه ملخصا من الفتح (ومن يستعفف) أى عن مسئلة الناس (يعفه الله) بضم التحتية وضم الفاء المشددة وهو مجزوم جواب الشرط وضمه اتباع لضمة هاء الضمير قاله الدماميني عن الزركشي أي يرزقه العفة عن ذلك (ومن يستغن) أى يظهر الغني

يُغْنِهِ اللَّهُ» مُتَفَقٌ عَلَيْهِ هذا لفظُ البُخَارِي ولفظُ مُسلِمٍ أَخْصَرُ * وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمنِ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سفيانَ صَخْرِ بنِ حربٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ قالَ رَسُولُ

(يغنه الله) أي يصيره غنياً (هذا لفظ البخاري) في كتاب الزكاة من صحيحه (ولفظ مسلم) في كتاب الزكاة أيضا من صحيحه (أخصر)ولفظه قال«أفضل الصدقة أوخير الصدقة عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلي وابدأ بمن تعول» وقد تقدم الكلام علي الحديث من حديث أبي هريرة في باب الوصية بالنساء (وعن أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر) عطف بيان لأبي سفيان أو بدل منه بفتح المهملة وسكون المعجمة (ابن حرب) بفتح المهملة (١) بلفظ السلم بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى القرشي الاموي أسلم هو وأبوه وأخوه يزيد وأمه هند يوم فتح مكة فلذا قال المصنف (رضى الله عنهما) وكان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامهما وكان أحد الكتاب لرسول الله صلي الله عليه وسلم روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وثلاثة وستون حديثا اتفق الشيخان على أربعة منها وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بخمسة روى عن عدد كثير من الصحابة ومناقبه كثيرة وفضائله شهيرة وقد أفردت بالتأليف توفي بالشام يوم الخميس لثمان بقين من رجب وقيل لنصفه سنة ستين وقيل تسع وخمسين وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وقيل ثمان وثمانين وقيل ست ولما حضرته الوفاة أوصى أن يكفن في قميص كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كساه إياه وأن يجعل مما يلي جسده وكان عنده قلامة أظفار رسول الله صلي الله عليه وسلم فأوصى أن تسحق وتجعل فى عينيه وفمه وقال افعلوا ذلك وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين (قال قال رسول

---

(١) كذا . ع

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسلم لاَ تُلْحِفُوا فِى المسْئَلَةِ فَوَاللهِ لايسأَلنِى أَحَدٌ مِنكم شَيْئًا فَتُخْرِجَ لهُ مَسأَلَتُهُ مِنِى شَيْئًاوأَ نَا لهُ كَارِهٌ فَيُبَارَكَ لهُ فِيمَاأَعْطَيتُهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ *وعَنْ أَبِى عَبْدِ الرَّحمنِ عَوْفِ بنِ مَالكٍ الأَشْجَعِيِّ رَضيَ اللهُ عَنهُ

اللهِ صلى الله عليه وسلم لاتلحفوا) بضم الفوقية وكسر المهملة من الالحاف الالحاح أى لاتلحوا (فى المسئلة) قال المصنف كذا هو فى بعض الاصول بالفاء وفي بعضها بالباء الموحدة وكلاهما صحيح (فوالله لايسألني أحد منكم شيأ فتخرج) بالنصب فى جواب النفى (له مسألته مني شيأ) ونسبة الاخراج اليها مجاز لكونها السبب أى يجد مني ماسأله بسبب الحاحه وإشراف نفسه وحرصه علي حصول مطلوبه (وأنا كاره) لدفعه ولكن دفعته له لنحو اتقاء فحشه (فيبارك) بالنصب عطف على المنصوب قبله أي يكثر ويدوم (له فيما أعطيته) ومن ثم قال الفقهاء من أخذ شيأ على أمر أظهره وهو غير متصف به باطنايملك(١)ذلك المأخوذ وتصرفه فيه باطل ومن هنا غلبت الفاقة علي كثيرلاستشرافهم الاحوال وإخراجهم بالالحاح فىالسؤال فلا يبارك لهم فيها بوجه (رواه مسلم) في كتاب الزكاة من صحيحه (وعن أبي عبد الرحمن) وقيل أبو عمرو وبدأ به فى الاطراف وقيل أبو عبد الله وقيل أبو محمد وقيل أبو حاتم (عوف) عطف بيان لما قبله أو بدل منه وهو بالمهملة آخره فاء بوزن فور (ابن مالك) بن أبي عوف (الاشجعي) الغطفاني (رضى الله عنه) أول مشاهده الفتح وكان حامل راية قومه سكن دمشق وكان داره بها سنة ثلاث وتسعين وأما قول الشيخ أبى إسحاق فى مهذبه ان عوف بن مالك رجع عليه بسيفه يوم خيبر فقتله فغلط صريح إنما ذلك عامر بن الأكوع نبه عليه المصنف فى

(١) قوله (يملك) لعله (لايملك) . ع

قالَ كُنَّا عِنْدَ رَسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم تِسْعَةً أَوْ ثَمانِيَةً أَوْ سَبْعَةً فقالَ أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عَلَيهِ وسلم وكُنا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ فقُلْنَا قَدْ بَايَعْنَاكَ يارَسولَ اللهِ ثُمَّ قالَ أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم فَبَسَطْنَا أَيْدِينَا وقُلْنَا قَدْ بَايَعْنَاكَ يارَسُولَ اللهِ فعَلامَ نُبَايِعكَ

التهذيب روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة وستون حديثا منها عند الشيخين ستة انفرد البخاري بواحد منها ومسلم بباقيها وخرج له الاربعة وروى عنه جبير ابن نضير والشعبي وآخرون (قال كنا جلوسا) جمع جالس خبر كان ويحتمل أنها تامة وجلوسا مصدر منصوب على الحال وافرد لكونه مصدرا والاول أولى (عند رسول الله صلى الله عليه وسلم) يحتمل أن يكون لغواً متعلقا بالفعل لا بجلوس لان الفعل أقوى منه فى ذلك وأن يكون مستقرا خبرا بعد خبر أو حال من اسم كان (تسعة) بتقديم الفوقية (أو ثمانية أو سبعة) شك من الراوى فى عددهم (فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقوله (وكنا حديث عهد ببيعة) جملة فى محل الحال من فاعل تبايعون والبيعة أصلها من البيع لانهم اذا بايعوا وعقدوا عهدا حلفوا لمن بايعهم جعلوا يدهم فى يده توكيداً كما يفعل البائع والمشتري وكانت هذه البيعة ليلة العقبة قبل بيعة الهجرة وبيعة الجهاد والصبر عليه (فقلنا قد بايعناك يا رسول الله ثم قال) أى بعد قوله الاول والاتيان بثم للفصل بين القولين بجوابهم وما معه (ألا تبايعون رسول الله) زاد أبو داود فى روايته بعد قولهم قد بايعناك حتى قالها ثلاثا (فبسطنا أيدينا) أى نشرناها للمبايعة (وقلنا قد بايعناك يارسول الله) أولا (فعلام نبايعك) أى فعلى أى شىء نبايعك ثانيا وما هى الاستفهامية حذفت ألفها لدخول الجار عليها ويجوز زيادة هاء السكت عوضا عن الالف المحذوفة فيقال

فَقَالَ عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللّٰهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، وَتَسْمَعُوا وَتُطِيعُوا وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ

علامه ، كما فى رواية مسلم قاله ابن رسلان وبه يعلم ان حذف الهاء من نسخ الرياض من غلام من تحريف الكتاب لان الذى فيه رواية مسلم (قال أن تعبدوا الله) أى أبايعكم علي عبادة الله (وحده) أى منفردا وهو حال من الجلالة (ولا تشركوا به شيئا) أي من الشرك أو من المعبودات فهو مفعول مطلق أومفعول به كما تقدم والصلوات الخمس) أى وتصلوا الصلوات كما صرح به أبوداود (وتسمعوا وتطيعوا) أي لولى الأمر ومن أوجب الله طاعته فى غير معصيته (وأسر كلمة خفية) انما أسر هذه الكلمة دون ما قبلها لان ما قبلها وصية عامة وهذه الجملة مختصة ببعضهم والمراد بالكلمة المعنى اللغوى وهى الجملة المبينة بقوله (ولا تسألوا الناس شيئاً) قال القرطبي هذا حمل منه على مكارم الاخلاق والترفع عن تحمل منن الخلق وتعظيم الصبر علي مضض الحاجات والاستغناء عن الناس وعزة النفس (فلقد رأيت بعض أولئك النفر) بالجر نعت أو عطف بيان لاسم الاشارة على الخلاف فى أمثاله بين ابن الحاجب وابن مالك وقال ابن رسلان هو بدل منه (يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله اياه) فيه التمسك بالعموم لأنهم نهوا عن السؤال والمراد منه سؤال الناس أموالهم فحملوه علي عمومه وفيه التنزه عن جميع ما يسمي سؤالا وان كان حقيرا وروى الامام احمد عن أبى ذر لا تسألن أحداً شيئا وان سقط سوطك ولا تقبض أمانة (رواه مسلم) فى الزكاة من صحيحه منفردا به عن

وعنْ ابن عمر رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ النبي صلى الله عليْهِ وسلمَ قالَ لاَ تَزَالُ المَسْئَلَة بِأَحَدِكُمْ حتى يَلقَى اللهَ تعالى ولَيس فِي وجْهِهِ مزْعَة لحْمٍ متفقٌ عليهِ ، المزْعَةُ بِضَمِّ الميمِ وإسكَانِ الزّاى وبالْعينِ المهْمَلَة القطْعة * وعَنْهُ أَنَّ رَسولَ الله صلى اللهُ عليهِ وسلمَ قالَ وهُوَ على المنْبرِ وذَكَرَ الصَّدَقَةَ والتّعففَ عَنِ المَسْئَلَةِ

البخارى ورواه أبو داود فيها والنسائى فى الصلاة وابن ماجه فى الجهاد (وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتزال المسئلة) أى طلب العطاء من السوى (بأحدكم) أى بالواحد منكم أى ان طبع الانسان الاستكثار من الدنيا فلا يزال فى الدنيا يسأل مالهم تكثرا (حتى يلقى الله) كناية عن الموت والحشر ويؤيد الثاني ان فى بعض رواياته ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة ليس فى وجهه مزعة رواه مسلم (وليس فى وجهه مزعة لحم) جملة حالية من فاعل يلقي (متفق عليه) رواه البخارى ومسلم فى الزكاة من صحيحيهما ورواه النسائى فى الزكاة أيضاً (المزعة بضم الميم وسكون الزاى وبالعين المهملة القطعة) قال المصنف قال القاضى قيل معني الحديث يأتى يوم القيامة ذليلا ساقطا لا وجه له عند الله وقيل هو على ظاهره فيحشر وجهه لالحم عليه عقوبة له وعلامة له بذنبه حين سأل وطلب بوجهه كما جاءت الاحاديث الأخر بالعقوبات فى الاعضاء التي كانت بها المعاصي وهذا فيمن سأل لغير ضرورة سؤالا منهيا عنه وكثر منه كما أشرنا اليه كما يدل عليه رواية من يسأل الناس أموالهم تكثرا الحديث (وعنه) يعني ابن عمر (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر) جملة حالية أيضا من فاعل قال وقوله (وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسئلة)

الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السفْلَى وَالْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ والسفْلى هِيَ السَّائِلَةُ مُتفق عليه ، *وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ قَالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ

جملة حالية أيضا من فاعل قال فتكون مترادفة أو من الجملة الحالية الاولى فتكون متداخلة وقوله يذكر الصدقة أي يذكر ما في فضلها أو فضل التعفف (اليد العليا خير من اليد السفلى) هذا مقول القول ولما كان في ذلك نوع اجمال فلذا اختلف فيه على أقوال كما تقدم عن الفتح ، رفعه بقوله (واليد العليا هي المنفقة) بالنون والفاء والقاف وعند أبي داود في بعض طرقه بدلها المتعففة قال وقال أكثرهم المنفقة (والسفلى هي السائلة) قال القرطبي هذا أي حديث مسلم نص يدفع تعسف من تعسف في تأويله غير أنه وقع عند أبي داود الى آخر ما تقدم وقال المصنف ورجح الخطابي رواية المتعففة بان السياق في ذكر المسئلة والتعفف عنها قال المصنف والصحيح الرواية الاولي ويحتمل صحة الروايتين فالمنفقة أعلا من السائلة والمتعففة أعلا منها والمراد بالعلو علو الفضل والمجد (متفق عليه) روياه في الزكاة من صحيحيهما ورواه أبو داود والنسائي فيهما من سننهما (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من سأل) كذا في الرياض بصيغة الماضي وفي أصل مصحح من مسلم بصيغة المضارع المجزوم بسكون مقدر للتخلص من التقاء الساكنين (الناس تكثرا) أي ليكثر ماله مما يجتمع عنده بسبب السؤال (فانما يسأل جمرا) قال القاضي انه يعاقب بالنار قال ويحتمل أن يكون على ظاهره فان الذي يأخذه يصير جمرا يكوي به كما ثبت في مانع الزكاة (فليستقل أو فليستكثر)

رَوَاهُ مسلمْ *وعنْ سَمْرَةَ بن جُنْدَبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه قالَ قالَ رَسول اللهِ صلى الله عَلَيْهِ وسلمَ إنَّ المَسْئَلَةَ كَدٌّ يكُدُّ بِهَا الرَّجل وَجْهَه إلاَّ أَنْ يسْأَلَ الرَّجل سلْطَانًا أَوْ في أمرٍ لاَ بُدَّ مِنهُ

اللام فيه سـاكنة للامر والفاء فيه للتفريع وأو فيه للتخيير أي فهو مخير إذ عرف ما آل ذلك بين الاستكثار والاستقلال فيكثر عذابه أو يقل (رواه مسـلم) في الزكاة و رواه ابن ماجه فيها أيضا (وعن سمرة) بضم الميم (ابن جندب) بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال آخره موحدة تقدمت ترجمته (رضي الله عنـه) في باب توقير العلماء (قال قال رسول الله صلي الله عليه وسـلم ان المسئلة) مفعلة من السؤال أي سؤال الناس من دنياهم (كد) بفتح الكاف وتشديد الدال المهملة قال في النهاية هو الاتعاب يقال كد في عمله يكد إذا استعجل ونحوه ما في المصباح من انه الشدة في العمل وفي المشارق هو الجهد في الطلب وسـيأتي في الاصل انه الخدش (يكد) بضم الكاف أي يتعب (بها الرجل) الباء فيه للسببية والرجل مثال فالمرأة مثله في ذلك (وجهه) قال في النهاية أي ماؤه ورونقه والحديث في سنن أبي داود بلفظ المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه فمن شاء أبقي علي وجهه زمن شاء ترك الا أن يسأل الى آخر الحديث وقد لمح الي هذا المعنى من قال

اذا أظمأتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا

فكن رجلا رجله في الثرا * وهامة همتـه في الثريا

فان إراقة ماء الحيـا * ة دون اراقـة ماء المحيـا

(إلا أن يسأل الرجل سلطانا) أي يطلب منه ما أوجب الله من زكاة أو خمس أو في بيت المال ونحوه (أو في أمر لا بد) بضم أوله وتشديد المهملة لا فراق (منه)

رَوَاهُ التِرْمِذِيُّ وقالَ حَدِيثٌ حسن صحيحٌ . الكَدُّ الْخَدْشُ وَنَحْوُهُ * وَعَن ابن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ قالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَى اللّه عَلَيهِ وسلَمَ مَنْ أَصَابَتْهُ فاقَةٌ فأَنْزَلَهَا بالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللّهِ فَيُوشِكُ اللّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ .

ولا يستطيع تركه فتحل له المسئلة فيما دعت اليه الضرورة (رواه الترمذى) فى الزكاة من جامعه (وقال حديث حسن صحيح) ورواه أبو داود كما ذكرناه والنسائى كلاهما فى الزكاة من سننهما (الكد الخدش ونحوه) لعله تفسير باللازم * (وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته فاقة) قال فى المصباح أى حاجة (فأنزلها بالناس) طالبا رفعها عنه باعانتهم راكنا في ذلك اليهم (لم تسد) بالبناء المجهول للعلم بالفاعل (فاقته) أى بل يؤدى ذلك الى غضب الله تعالى ودوام فاقته اذ أنزل حاجته الى عاجز مثله وترك اللجأ اليه سبحانه وهو القادر علي قضاء حوائج الخلق كلهم من غير أن ينقص من ملكه شيء قال وهب بن منبه لرجل يأتى الملوك : ويحك تأتي من يغلق عنك بابه ويوارى عنك غناه وتدع من يفتح لك بابه نصف الليل ونصف النهار و يظهر لك غناه . فالعبد عاجز عن جلب مصالحه ودفع مضاره ولا معين له على ذلك إلا الله سبحانه (ومن أنزلها) فالهمزة فيه وفيما قبله للتعدية قال فى المصباح نزل نزولا ويتعدى بالهمز والحرف والتضعيف يقال نزلت به وأنزلته ونزلته أى فمن جعل فاقته نازلة (بالله) أى مستعينا به فى رفعها (فيوشك) أى فهو يوشك بضم التحتية (الله له برزق عاجل) فى رفع لأواه (وآجل) بالمد أى لدفع بلواه قال تعالى « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو » وقال تعالى « واسألوا الله من فضله »

رَوَاهُ أَبُودَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ ، بوشِكُ بِكَسْرِ الشِّين أي يسرعُ * وعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ قَالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم مَنْ تكَفَّلَ لِي أَلاَّ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً وأَتكفلُ لهُ بالْجَنةِ فَقُلْتُ أَنَا فَكَانَ لاَ يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئاً »رَوَاهُ أَبُودَاودَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ *وعَنْ أَبِي بِشْرٍ قَبِيصَةَ بنِ المُخَارِقِ

وفى الترمذى من لم يسأل الله يغضب عليه (رواه أبوداود والترمذى وقال حديث حسن) قال فى الجامع ورواه من حديث ابن مسعود أحمد والحاكم فى مستدركه (بوشك بكسر الشين) أى المعجمة وفتح أوله (أى يسرع * وعن ثوبان) بالمثلثة والموحدة آخره نون بوزن غضبان وهو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكفل) بفتح الفوقية وتشديد الفاء أي ضمن ورواه النسائي بلفظ من ضمن لى واحدة وله الجنة (لى ألا يسأل الناس شيأ) أى مما لا ضرورة به اليه (وأتكفل) برفع اللام جملة حالية لضمير المجرور أي من يضمن لى عدم السؤال حال كوني ملتزما (له) على كرم الله عز وجل (بالجنة فقلت أنا) عبارة السنن فقال ثوبان أنا وزاد ابن ماجه فقال لا يسأل الناس شيأ (فكان لا يسأل أحداً شيأ) ظاهره نفى سؤاله لكل شيء وعند ابن ماجه فكان ثوبان يقع سوطه وهو راكب فلا يقول لاحد ناولنيه حتي ينزل فياخذه (رواه أبو داود) في كتاب الزكاة من سننه (باسناد صحيح) ورجاله رجال الصحيح * (وعن أبي بشر) بكسر الموحدة وسكون المعجمة (قبيصة) بفتح القاف وكسر الموحدة وسكون التحتية بعدها مهملة (ابن المخارق) بضم الميم بعدها خاء معجمة ابن عبد الله بن شداد بن ربيعة

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عَلَيْهِ وسلمَ أَسأَله فِيهَا فَقَالَ أَقِمْ حَتَّى تَأْتِينَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا ثُمَّ قَالَ يَاقَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لأَحَدِ ثَلاَثَةٍ رَجُلٌ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ

ابن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة العامري الهلالى البصرى الصحابي (رضي الله عنه) قال المصنف وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وروى له عن النبي صلى الله عليه وسلم ستة أحاديث روي مسلم أحدها وقال الحافظ ابن حجر فى التقريب سكن البصرة خرج ه مسلم وأبو داود والنسائي (قال تحملت) فى الاتيان به من باب التفعل إيماء الى كلفة الامر والدخول فيه (حمالة فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها) جملة اسأل في محل الحال من فاعل أتيت وفي يحتمل كونها للظرفية المجازية ويحتمل كونها سببية نحو حديث عذبت امرأة فى هرة أى أسأله لسبب الحمالة (فقال أقم حتي تأتينا الصدقة) يعني الزكاة فأل فيه عهدية والمعهود قوله تعالى إنما الصدقات (فنأمر) بالنصب ويجوز علي بعد الرفع علي الاستئناف (لك بها) أى بمسئلتك (ثم قال) ارشاداً الي أنه لاينبغى السؤال الا عن حاجة حاقة أو لامر مهم كما هنا (ياقبيصة ان المسألة) أى السؤال للصدقه المعهودة وهي الزكاة كما فى فتح الاله (لاتحل إلا لاحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة) أى أن يسال الامام وأهل الزكاة فى أوقاتها (حتي) إلى أن (يصيبها) أي حتى يقضي دينه الذى تحمله لأجلها (ثم) بعد قضائها (يمسك) عن المسئلة إلا لضرورة أو حاجة أخرى (ورجل أصابته جائحة) بالجيم والحاء المهملة بينهما ألف فهمزة (اجتاحت) أي استأصلت

مالُهُ فَحَلَّتْ له الْمسأَلَةَ حتي يُصيبَ قِوَاماً منْ عَيْشٍ أوْ قالَ سِدَاد منْ عَيشٍ وَرَجلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حتى يقُولَ ثلاَثَةٌ منْ ذَوِي الحِجَى منْ قوْمهِ لقدْ أصابتْ فُلاَنًا فاقَةٌ

(ماله) كزرعه وثمره (فحلت له المسألة) أي ان يسأل الناس في سدخلته (حتي يصيب قواما من عيش) أي ما يقوم بحوائجه الضرورية والحاجية وهو بيان للقوام (أو) شك في أي اللفظين المترادفين نطق به (قال سداداً من عيش ورجل أصابته فاقة) أي فقر شديد اشتهر بين قومه (حتي يقول) بالنصب غاية لمقدر أي وظهرت فلم تخف على قومه إلى أن يقول (ثلاثة من ذوي الحجى) بكسر المهملة وبعدها جيم مقصور أي العقل الكامل (من قومه) لان مثل هذا العدد الذي هو أقل الكثير مع اتصافهم بكمال العقل وكونه من قومهم العارفين بحاله الظاهرة والباطنة والمطلعين منها علي ما لا يطلع عليه أحد غيرهم منها يقبله ويصدقه كل أحد فيما يخبر به عن أحوال ذلك الرجل ، قائلين اخباراً للناس بحاله ليتصدقوا عليه مع التأكيد بلام القسم (لقد أصابت فلانا فاقة) وماشرحنا عليه يقول باللام هو ما وقفت عليه من نسخ الرياض وهو كذلك في رواية أبي داود والذي في صحيح مسلم حتي يقوم بالميم بدل اللام قال المصنف وهو صحيح والمعنى أي يقومون بهذا الامر فيقولون لقد أصابته الخ وقدره ابن حجر في فتح الاله حتي يقوم علي رءوس الاشهاد ثلاثة من ذوى الحجى قائلين لقد أصابته الخ قال وبما تقرر في معني يقوم انه باق على ظاهره وان «لقدأصابت الخ» مقول قول محذوف حال من فاعل يقوم محذوفة لدلالة مقولها عليها لعدم صلاحية تعلقه بيقوم على أن حذف القول وابقاء مقوله سائغ فصيح وان الباعث على هذا مزيد التحري لمزيد السؤال

فَحَلَتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَاماً مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتٌ

والكف عنه حتي يظهر فقره واضطراره للناس باخبار العدد الكثير الجامعين مع وصف الكثرة لوصف العقل و كونهم من أقاربه المحيطين بحاله غالباً يعلم اندفاع قول الصغاني يقوم وقع فى كتاب مسلم والصواب يقول كما فى رواية أبي داود وقول غيره يقوم بمعنى يقول وهو وان صح الا أن المراد المبالغة فى الكف عن المسئلة حتى يظهر صدقه وهو غالباً انما يظهر بثلاثة من قومه فذكر لذلك مبالغة لا لتوقف الحل عليه (فحلت له المسألة) بسبب تلك القرائن الدالة على صدقه فى سؤاله (حتي يصيب قواما من عيش أو قال سداداً من عيش) وفي تعبيره بالحاجة فى الثاني والفاقة فى الثالث حتي يشهد من ذكر غاية المبالغة فى الكف عن المسئلة الا بعد الوصول لحالة الاحتياج الشديد بل الاضطرار الملحق بأكل الميتة وفى قوله قواما أوسدادا انه بعد ان حلت له المسئلة لا يكثر منها بل يقتصر علي مايقتصر عليه المضطر من سد الرمق لا أن يحتاج الى سد الرمق به فى المستقبل بأن كان ذلك المحل يكثر فيه الناس زمنا و يقلون فى آخر فله السؤال فى أيام كثرتهم مايقوم بحاجته أيام قلتهم (فما سواهن) أى هذه الاقسام الثلاثة (من المسألة) للزكاة أو وصدقة النفل (يا قبيصة سحت) أى حرام لا يحل فعله لانه يسحت البركة أى يذهبها ويهلكها وأصل السحت الاهلاك ثم هو مرفوع هكذا فى نسخ الرياض فيما وقفت عليه قال المصنف فى شرح مسلم فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتاً هكذا هوفي جميع النسخ سحتا بالنصب ورواه غير مسلم(١)وهو واضح ورواية مسلم صحيحة وفيه اضمار أى اعتقده سحتاً أو يؤكل سحتا اه ومنه يعلم ان ابدل الميم فى يقوم باللام

---

(١) كذا، ولعله (ورواه غير مسلم بالرفع الخ) . ع

يأْكُلُها صاحِبُها سُحْتاً » رَواهُ مُسْلِمٌ (الحَمَالَةَ) بفتحِ الحاءِ أنْ يقَعَ قِتالٌ وَنحوُهُ بينَ فريقَينِ فيُصْلِحُ إنْسَانٌ بَيْنَهُمْ على مالٍ يَتَحَمَّلُهُ وَيلْتزِمُهُ علَى نفسِهِ ، وَالجائِحَةَ الآفَةَ تصيبُ مالَ الإنْسانِ ، والقِوَامُ بكسْرِ القَافِ

والنصب بالرفع ان لم يكن من سبق قلم المصنف سهوا من رواية مسلم الي رواية غيره فهو من تحريف الكتاب وقوله (يأكلها) صفة لسحت والتأنيث باعتبار كونه خبر ما ، المراد منها الصدقة (صاحبها) حال كونها (سحتا) أى حراما خالصا لاشبهة في أكلها ولا تأويل (رواه مسلم) فى الزكاة من صحيحه و رواه أبوداود والنسائى فى الزكاة من سننهما (الحمالة بفتح الحاء) المهملة وتخفيف الميم واللام بينهما ألف (أن يقع قتال ونحوه بين فريقين) أو يوجد قتيل بين قريتين أنكره أهل كل منهما وأدي الأمر الى التقاتل (فيصلح انسان بينهم على مال يتحمله ويلتزمه على نفسه) دفعاً لتلك المفسدة والتعبير بالتفعل والافتعال لما تقدم فى قوله تحملت قال ابن حجر في فتح الاله فيعطى من الزكاة ما يسد به دينه لذلك وان كان غنيا (والجائحة الآفة) بالمد (تصيبُ مال الانسان) قال فى فتح الاله أصل وضع الجائحة مختص بالآفة السماوية والمراد فى الحديث ما يشمل الأرضية أيضا لان المراد فقره وحاجته وفي النهاية الجائحة هي الآفة التى تهلك الثمار والأموال وتستأصلها وكل مصيبة عظيمة وفتنة منفرة جائحة اه وفي المصباح الجائحة الآفة اه وهما مطلقان كما قال المصنف والذى أشار اليه ابن حجر في فتح الاله هو قول الشافعى الجائحة ما أذهبت الثمر بأمر سماوي اه وحينئذ فلعل فيه لاهل اللغة قولين الاطلاق والتقييد (والقوام بكسر القاف) واقتصر عليه المصنف في شرح

وَفَتْحِها هُوَ ما يَقومُ بهِ أمرُ الإنسَانِ مِن مالٍ وَنحْوِه ، وَالسدَادُ بكَسر السينِ ما يَسُدُّ حاجَـةَ المُعوزِ ويكْـفيه ، والفَاقَةُ الفقرُ ، والحِجَى العقلُ * وعن أبي هريْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ أنّ رَسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسَلم قالَ « لَيْسَ المِسكينُ الذِي تَرُدُّه اللُّقْمةُ والُلقمتَان

مسلم وابن حجر في فتح الاله (وفتحها) وهما مع تخفيف الواو واللغتان نقلهما في المصباح فقال يقال هذا قرامه بالفتح والكسر وتقلب الواو ياء جوازاً مع الكسرة أي عماده الذي يقوم به ومنهم من يقتصر على الكسر والقوام بالكسر ما يقيم الانسان من القوت والقوام بالفتح العدل والاعتدال اه فلعل من اقتصر على الكسر فسره بما يقيم من القوت ومن ذكر الفتح معه فسره بقوله (وهو ما يقوم به أمر الانسان من مال ونحوه)ولا يضر في هذا الجمع كونه قال في شرح مسلم القوام والسداد بكسر أولهما ما يغني من الشيء ويسد به الحاجة اقتصر على الكسر إما لان مراده ما يغني ويسد من خصوص القوت أو اقتصر عليـه لانه الافصح (والسداد بكسر السين) المهملة (ما يسد حاجة المعوز) بضم فسكون فكسر من اعوز الرجل افتقر (ويكفيه) أي من مال ونحوه كما قدمه المصنف في قرينه الذي شك فيه الراوي هل هو أو ذاك ، زاد في شرح مسلم وكل شيء سددت به شيأ فهو سداد بالكسر ومنه سداد الثغر وسداد القارورة وقولهم سداد من عوز (والفاقة) بالفاء والقاف بينهما ألف (الفقر) أي الحاجة كما في المصباح يقال افتاق الرجل احتاج وهو ذو فاقة أي حاجة (والحجى) بالضبط السابق فيه(العقل)*(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ليس المسكين) أي الكامل المسكنة الممدوحها لا لنفي أصل المسكنة (الذي ترده اللقمة واللقمتان) زاد مسلم في رواية له ليس

والتَّمْرَةُ وَالتمرتَان ولكن المِسْكِينُ الذِي لاَ يجدُ غِنى يُغْنِيهِ ولاَ يُفْطَنُ لهُ فَيُتَصَدَّقَ عليه ولاَ يقومُ فَيسأَلَ النَّاسَ » متفق عليهِ

باب جَوَازِ الأَخذِ من غير مسأَلةٍ ولاَ تطلُّعٍ اليه

* عَنْ سَالِمِ بن عَبْدِ اللهِ بن عُمَرَ

المسكين بهذا الطواف الذى يطوف علي الناس فترده اللقمة واللقمتان (والتمرة والتمرتان ولكن) عطف على ما قبله ولكن لاستدراك ثبوت ما توهم نفيه من سابقه اذ المعهود فى المسكين عند الناس هو الطواف وقد نفى عنه المسكنة فربما يتوهم نفيه مطلقا فرفع ذلك بقوله ولكن (المسكين الذي لا يجد غني) بكسر أوله المعجم وبالقصر ضد الفقر (يغنيه) بضم التحتية أى يكفيه عن سؤال الغير (ولا يفطن له) لتصبره وكتم حاله وما هو فيه (فيتصدق عليه) بالبناء للمجهول منصوب فى جواب النفي (ولا يقوم فى الناس فيسأل الناس) أى فهذا هو الكامل المسكنة الممدوحها وهذا الحديث قد سبق مع شرحه فى باب ملاطفة اليتيم والمسكين (متفق عليه) رواه البخارى في التفسير ومسلم فى الزكاة من صحيحيهما ورواه النسائي فى الزكاة وفى التفسير من سننه كذا فى الاطراف للمزى

﴿ باب جواز الأخذ المال ﴾

من باذله (من غير مسألة) أى سؤال (ولا تطلع) أى ترقب واستشراف (اليه * عن سالم بن عبدالله بن عمر) يكنى أبا عمر وقيل أبو عبد الله القرشى العدوى المدنى التابعى الامام الفقيه الزاهد العابد وأجمعوا على إمامته وجلالته وزهادته وعلو مرتبته وعن مالك بن أنس لم يكن أحد أشبه بمن مضى من الصالحين فى الزهد والقصد فى العيش من سالم كان يلبس الثوب بدرهمين وهو أحد الفقهاء السبعة فيما

عنْ أَبِيهِ عبْدِ اللَّه بن عمرَ عنْ عمرَ رَضِيَ اللَّهعنهم قال «كَانَ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يُعْطِينِي العَطَاءَ فَأَقول أَعطِهِ مَنْ هوَ أفقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي فقالَ خُذْهُ، إِذَا جاءَكَ منْ هذَا المَالِ شيءٌ وأَنتَ غيرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سائِلٍ فخذْهُ فتَموَّلْهُ فإِنْ شِئْتَ كُلْهُ

عدهم ابن المبارك توفي بالمدينة سنة ست فيما قاله البخاري وشيخه أبو نعيم وسنة خمس فيما قال الاصمعي وسنة ثمان فيما قال الهيثم ومائة (عن أبيه عبد الله بن عمر عن عمر رضى الله عنهم) فيه تغليب لهما على سالم فانه تابعي وانما يقال بصيغة الجمع في أبناء الصحابة المتناسقين كأسامة بن زيد بن حارثة وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة وأضرابهم (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء) أى من الغنائم (فأقول أعطه من هو أفقر) أى أحوج (اليه) أي العطاء بمعنى المعطي (مني) وكان ذلك من عمر لسماعه من النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن الاستكثار من الدنيا والحرص عليها وعنده حين دفع النبى صلى الله عليه وسلم له العطاء ما يكفيه فيقول أعطه (فقال) أي النبي صلي الله عليه وسلم (خذه) أى متملكا له بدليل اذنه له فى التصرف فيه بقوله (اذا جاءك) أى وصلك (من هذا المال) أل فيه للحقيقة ويحتمل كونها عهدية أى من مال العطاء (شىء) التنوين فيه للتعميم فيشمل القليل والجليل (وأنت غيرمشرف ولا سائل) عطف على مشرف باعادة النافى دفعا لتوهم ان النفى منصب على مجموعهما والجملة فى محل الحال من مفعول أتاك (فخذه فتموله) أى اتخذه مالا ثم أنت مخير بين انفاقه فى حاجتك و بين التصدق كما قال منبها بالفاء التفريعية في قوله (فان شئت كله) أى فان شئت أكله فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه وهو قوله كله وقبله فاء الجواب

وإنْ شئتَ تَصدَّقْ بهِ وما لاَ فلاَ تُتْبِعْهُ نفْسَكَ قالَ سالِم فكان عَبْدَ اللهِ لاَ يَسْأَلُ أحداً شيئاً ولاَ يَرُدُّ شيئاً أُعْطِيَهُ » مُتفقٌ عليه مُشْرِفٌ بالشينِ المُعْجَمَةِ أي مُتَطَلِّعٌ اليه

مقدرة ومثله فيما ذكر من حذف مفعول شاء والفاء من الجواب قوله (وان شئت تصدق به) ففي الحديث حذف فاء الجواب فى غير الشعر ومذهب سيبويه اختصاص الحذف به لكن زعم الاخفش ان حذفها واقع فى النثر وان منه قوله تعالى « ان ترك خيراً الوصية للوالدين » وعن المبرد أيضا جواز حذفها في الاختيار لكن قال في الارتشاف فى حفظي قديما عن المبرد منع حذفها حتي فى الشعر وحينئذ فالحديث شاهد لمن أجاز حذف الفاء مطلقا ومن منع الاستشهاد بالحديث فى ذلك حمله على انه من تغيير الرواة والله أعلم (ومالا) أى وأى مال لايجيئك على الحال المذكورة بأن جاءك وأنت مشرف أو سائل (فلا تتبعه نفسك) معاملة لها بنقيض مرادها (قال سالم) ذكره هنا هو النكتة فى ذكره قبل الصحابى أول الحديث نظير ما تقدم عن أبي بردة في حديث أبي موسي فى الباب السابق قال سالم أى المذكور أولا (فكان عبدالله لا يسأل أحداً شيأ) أى قليلا ولا جليلا من الدنيا كما يؤذن به التنوين (ولا يرد شيأ أعطيه) عملا بالحديث المذكور ووقوفا عنده وقد كان ابن عمر شديد الاتباع (متفق عليه) رواه البخاري فى الزكاة وفى الاحكام من صحيحه ومسلم فى الزكاة من صحيحه ورواه النسائى في الزكاة من سننه مشرف بصيغة الفاعل من الاشراف بالمعجمة والفاء أى متطلع اليه وفي فتح البارى الاشراف التعرض للشيء والحرص عليه من قولهم أشرف على كذا اذا تطاول له وقيل للمكان المرتفع شرف لذلك قال أبو داود سألت

(بابُ الحثّ على الأكلِ من عملِ يدِه والتعفّفِ به عن السؤال)
والتعرُّضِ للإعطاءِ قالَ اللهُ تعالى « فإذا قُضيَتِ الصلاةُ فانتشرُوا في الأرضِ وابتغُوا من فضلِ اللهِ * وعن أبي عبدِ اللهِ الزُّبيرِ بنِ العوّام رضيَ اللهُ عنهُ قالَ « قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلم لأَنْ يأخُذَ أحدُكُم أحبُلَهُ ثمَّ يأتيَ الجبَلَ

أحمد عن أشراف النفس فقال بالقلب وقال يعقوب بن محمد سألت أحمد عنه فقال هو أن يقول مع نفسه يبعث لي فلان بكذا وقال الامر يضيق عليه ان يرده إذا كان كذلك اه

(باب الحث)

بفتح المهملة وتشديد المثلثة أي التحريض (على الاكل من عمل يده) بالاحتراف والاكتساب (والتعفف به عن السؤال والتعرض) معطوف على مجرور عن، وعن التعرض أي التطلب (للاعطاء قال الله تعالى فاذا قضيت الصلاة)أي صلاة الجمعة (فانتشروا في لارض)أي لقضاء حوائجكم (وابتغوا من فضل الله) أي رزقه وهذا أمر اباحة بعد الحظر عن بعض السلف من باع واشترى بعد الجمعة بارك الله له سبعين مرة (وعن أبي عبد الله الزبير بن العوام)بن خويلد القرشي الاسدي المكي ثم المدني أحد العشرة المبشرة بالجنة تقدمت ترجمته (رضي الله عنه) في باب الامر بأداء الامانة (قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم) مؤكدا للشيء المقطوع بصدقه بالقسم المقدر المؤذن به اللام من قوله (لان يأخذ أحدكم) أي والله لاخذ أحد منكم (أحبله) بفتح أوله وسكون المهملة وضم الموحدة جمع قلة لحبل (ثم يأتي الجبل) أي مثلا فغيره من المفازات محال الحطب كذلك ولعل التصريح به مافي الصعود فيه من

فَيأْتِيَ بِحُزْمَةٍ مِنْ حطَبٍ على ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فيَكُفَّ اللهُ بها وجْهَهُ خيْرٌ لهُ من أنْ يسْأَلَ النّاسَ أعطوهُ أوْ منَعُوهُ » رواه البُخارى * وعَن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال « قالَ رَسولُ الله صلى اللهُ عَلَيهِ سلم لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حزْمَةً عَلَى ظهرِهِ

زيادة المشقة على سلوك الاودية (فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره) من نفسه أومن ظهر دابته والاول أنسب بما قبله (فيبيعها فيكف الله بها وجهه) أى فيمنع الله بها ذاته من الحاجة وعبر بالوجه عن الكل لانه أشرف الاجزاء الانسانيه أو لان السؤال انما يكون به غالبا (خير له من ان يسأل الناس) قال الحافظ فى الفتح خير ليس للتفضيل إذ لاخير فى السؤال مع القدرة على الكسب بل الاصح حرمته عند الشافعي و يحتمل أنه كذلك بحسب اعتقاد السائل وتسمية الذى يعطاه خيرا وهو في الحقيقة شرا (أعطوه أو منعوه) تقسيم للسؤال المفضل عليه الا كتساب وتصدير الحديث بالقسم الدال عليه اللام كما تقدم لتأكيده فى نفس السامع وفيه مزيد الحض على التعفف عن المسئلة والتنزه عنها ولو امتهن المرء نفسه فى طلب الرزق وارتكب المشاق . ذلك ولولا قبح المسئلة في نظر الشرع لما فضل عليها ذلك وذلك لما يدخل علي السائل من ذل السؤل ومن الرداء اذا لم يعط ولما يدخل على المسئول من الضيق فى ماله أن أعطي كل سائل (رواه البخارى) فى الزكاة من صحيحه ورواه ابن ماجه فى الزكاة من سننه أيضا (وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لان يحتطب أحدكم حزمة علي ظهره) أى فيبيعها فيكف الله بها وجهه كما تقدم في حديث الزبير قبله قال الحافظ فى الفتح وحذف من هذه الرواية لدلالة السياق عليه

خَيْرٌ لهُ مِنْ أَنْ يسأَلَ أَحَدًا فيُعْطِيَهُ أَوْ يمْنَعهُ » متفقٌ علَيهِ *وعنهُ عنِ النبيِّ صلى الله علَيْهِ وسلمَ قالَ « كَانَ دَاوُدُ عليهِ السلامُ لاَ يأْكُلُ إلاَّ مِنْ عَملِ يَدِهِ » رَوَاهُ البخارِيُّ *وعنهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلمَ قالَ « كَانَ زَكَرِيَّاءُ عليهِ السلامُ نجَّارًا »

(خير له من أن يسأل أحدا) هو بمعنى قوله فيما قبله من أن يسال الناس (فيعطيه أويمنعه متفق عليه) رواه البخارى فى الزكاة من صحيحه ورواه مسلم فيها من طريق آخر في صحيحه ورواه الترمذي من طريق مسلم فى الزكاة وقال حسن غريب مستغرب من حديث بيان عن قيس (وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام لا ياكل الا من عمل يديه) قال الحافظ الظاهر أن الذي كان يعمله داود بيده الدروع وألان الله له الحديد فكان ينسج الدروع ويبيعها ولا ياكل إلا من ثمن ذلك مع أنه كان من كبار الملوك قال تعالى وشددنا ملكه وكان مع سعة ملكه يتورع ولا ياكل الا من عمل يده (رواه البخارى) فى البيوع من صحيحه من حديث أبي هريرة باللفظ المذكور من جملة حديث أوله خفف علي داود القرآن وفى آخره وكان لا ياكل إلا من عمل يديه (وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان زكرياء) قال المصنف فى التهذيب فيه خمس لغات أشهرها بالمد والثانية بالقصر وبهما قرىء فى السبع والثالثة والرابعة زكرى بلا ألف بتخفيف الياء وتشديدها حكاهما ابن دريد وآخرون من المتاخرين (١) الجواليقي والخامسة زكر كعلم حكاها أبو البقا وقوله (عليه السلام) فيه إيماء الى ماقدمناه من أنه لا كراهة فى أفراد واحد من الانبياء بالصلاة لحديث الطبرانى «صلوا على سائر الانبياء فانهم بعثوا كما بعثت» (نجاراً) وهذا من الفضائل لحديث البخارى أفضل ما أكل

---

(١) كذا ، ولعلها كالجواليقى

رَواه مسلم * وعنِ المِقْدَامِ بن مَعْدِيكَرِبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلّى اللهُ عليهِ وسلم قالَ « مَاأَكَلَ أَحَدٌ طَعاماً قطُّ خيراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عملِ يَدَيهِ

الرجل من عمل يده ولحديث المقدام وغيرهما وفى شرح مسلم للمصنف فى الحديث جواز الصنائع وان التجارة لا تسقط المروءة وانها صنعة فاضلة وفيه فضيلة لزكريا صلى الله عليه وسلم وانه كان صانعاً يأكل من كسبه (رواه مسلم) فى أحاديث الانبياء من صحيحه ورواه ابن ماجه فى كتاب التجارات بالفوقيـة من سننه * (وعن المقـدام) بكسر الميم وسكون القاف وبالدال المهـملة (ابن معديكرب) بسكون الياء (رضى الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ما أكل أحد طعاما قط) بفتح القاف وضم الطاء المهـملة المشـددة ظرف لاستغراق ما مضى وباقى الازمنة مقيسة عليه فيما يأتى (خيراً من أن يأكل) أى أويشرب أو يلبس وذكر الاكل لانه أغلب أنواع الاستعمال كما قيـل به فى قوله تعالى « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما » فان المراد استعمالها بأى وجه وذكر لذلك (من عمل يديه) كناية عن الكسب وذكر اليدين اما لانه أفضل مما ليس فيه عملهما ويؤيده انه صلي الله عليه وسلم قيل له أى الكسب أفضل فقال عمـل الرجل بيده وكل بيع مبرور أو لان أغلب الاعمال بهما والا فالمراد مطلقه كالحاصـل من كسب النظر كأن يستأجر لحفظ متاع والسمع كأن يستأجر لسماع طالب درس علم أو النظر كان يستأجر لقراءة قرآن أو لامن شيء من أعضائه كان يستأجر ليصوم عن ميت ثم المراد كما تدل عليه القواعد الشرعية كسب حلال خالص من الغش بسائر وجوهه قال فى فتح الاله ويؤخذ من عموم الحديث أن الاكتساب خير من التوكل ، على

وَإِنَّ نبيَّ اللهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » رَوَاهُ البخاري

(باب الكرم والجود)

أنه لا ينافيه بل هو عينه لكن بقيد كما يفهم ذلك حده الذي قيل فيه انه أفضل حدوده ، انه مباشرة الاسباب مع شهود مسببها فلاكتساب مع شهود ان حصوله بتيسير الله له ولطفه به واقداره عليه وفتح أبواب الرزق التي يحتاج اليها أفضل من عدمه وان كان انما تركه لنحو صلاة أو صيام وقد كان شأن أكابر القوم ذلك فقد كان للجنيد سيد الطائفة الصوفية دكان في البزازين وكان يرخى ستره عليه فيصلى مابين الظهرين قيل ألف ركعة وقيل أربعمائة وقيل مائة ولعله اختلف فعله فحكى كل من أصحابه ما اطلع عليه وكان ابن أدهم يكثر الكسب وينفق منه ضرورته ويتصدق بباقيه وكان أحب طرقه اليه حفظ البساتين وخدمتها لانه تتم له فيها الخلوة ومجاهدة النفس بأعظم أنواع مجاهداتها ومن ثم لم يعهد انه أكل من ثمرة من ثمارها وترك بعض الكسب كان بعد كمال رياضة نفوسهم وتهذيبها (وان نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده رواه البخاري) في أوائل البيوع من صحيحه قبيل حديث أبي هريرة المذكور قبله وهو مما انفرد به البخاري عن باقي الكتب الستة والله أعلم

﴿ باب الكرم والجود ﴾

بضم الجيم الكرم بذل ما ينبغي من المال فيما ينبغي وفي الشفاء للقاضي عياض الكرم والجود والسخاء والسماحة معانيها متقاربة وفرق بعضهم بينهما بفروق فجعل الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه أيضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاية

والانفاق فى وجوه الخير ثقةً بالله تعالى « قال اللهُ تعالى وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ » وَقال تعالى « وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وماتُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنفقوا من خيرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُم لاَ تُظْلَمُونَ » وقالَ تعالى « وما تُنفقوا مِنْ خيرٍ فإِنَّ اللهَ بِهِ عليم » وعَنْ

والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب مالا يحمد وهوالجود زهو ضد التقتير اه قال فى المصباح يقال جاد الرجل يجود جوداً بالضم تكرم (والانفاق في وجوه الخير) من صدقة وصلة رحم وقرى ضيف ووقف على جهة خير ونحوذلك (ثقة بالله تعالى) أى بوعده الذى لايخلف من حسن الجزاء على ذلك فى دار القرار قال الله تعالى « إن الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما » وقال تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وقال صلى الله عليه وسلم والصدقة برهان أى علامة علي تصديق باذلها بوعد الله تعالى (قال تعالى وما أنفقتم من شيء) أى فى رضي الله تعالي (فهو يخلفه) يعوضه فى الدارين أوفى أحدهما وقد تقدمت مع الكلام عليها فى باب الانفاق علي العيال (وقال تعالى وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) أي وأى إنفاق منكم لمرضاة الله تعالى فلأنفسكم ثوابه فلا تمنوا به على أحد (وماتنفقون إلا ابتغاء وجه الله) الواوللحال أوعطف يعني أن المؤمن لاينفق الا لمرضاة الله تعالى وقيل نفى فى معنى النهى قال عطاء الخراسانى معناه اذاأعطيت لوجه الله فلا عليك ماكان عمله فانك مثاب لنفسك كان السائل مستحقا أوغيره براأوفاجراً (وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لاتظلمون) فلا ينقص ثواب صدقاتكم (وقال تعالى وما تنفقوا من خير) أي مريدين به مرضاته سبحانه (فان الله به عليم) أى فيجازيكم بقدره وفيه ترغيب فى الانفاق لذلك (وعن

ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال «لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاحسد) أى لاغبطة كما يأتى فتجوز به عنها بجامع تمني مثل النعمة الا أنها تزيد علي الحسد بتمني زوالها عن صاحبها (ألا فى اثنتين) أى من الخصال (رجل) بالرفع لي القطع باضمار مبتدأ ومضاف وتقديرها خصلتا رجل فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وارتفع ارتفاعه ورأيته فى أصل مصحح من مسلم بجر رجل ويخرج على انه بدل من اثنين بتقدير مضاف قبله أى الا في ذى اثنين رجل الخ ثم رأيت الحافظ فى فتح البارى ذكر فيه وجوه الاعراب الثلاثة وصدر بالجر ولم يذكر وجهه قال والرفع على الاستئناف والنصب باضمار اعني اه (آتاه) بالمد والفوقية أي أعطاه (الله مالا) التنوين فيه للتعميم فيشمل القليل والكثير لكن فى الفاق الاول تفصيل مذكور فى كتب الفقه (فسلطه على هلكته) بفتح اوائله وهو مصدر هلك يهلك من باب ضرب بضرب هلكا وهلاكا وهلوكا ومهلكا بفتح الميم وتثليث اللام أى انفاقه (فى الحق) خلاف الباطل أى في القرب والطاعات وفيه ايماء الي أن اذهابه في خلاف ذلك من اتلاف المال بالباطل (ورجل آتاه الله حكمة) أى علما قال الحافظ المراد به القرآن كما ورد في حديث ابن عمرو أوأعم من ذلك وضابطها ما منع من الجهل وزجر عن القبيح اه (فهو يقضي بها) بين المتنازعين اليه (و يعلمها) الطالب لها (متفق عليه) قال السيوطى فى الجامع الكبير ورواه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه وابن حبان من حديث ابن عمر

وَمَعْنَاهُ يَنْبَغِي أَلاَّ يُغْبَطَ أَحَدٌ إِلاَّ عَلَى إِحْدَى هَاتَيْنِ الخصلتين * وَعَنْهُ قَالَ « قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلاَّ مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ

بلفظ لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار ورواه أحمد والبخارى من حديث أبي هريرة بلفظ لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جاره فقال ليتني أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه فى الحق فقال رجل ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت ما يعمل ، ورواه ابن عدى والبيهقى والخطيب من حديث أبي هريرة بلفظ لا حسد ولا ملق إلا فى طلب العلم ورواه ابن نصر فى كتاب الصلاة من حديث ابن عمر بلفظ لا حسد إلا على اثنتين رجل آتاه الله مالا فصرفه فى سبيل الخير ورجل آتاه الله علما فعلمه وعمل به اه (ومعناه ينبغي ألا يغبط أحد) على حال هو فيه كائنا ما كان (إلا على إحدى هاتين الخصلتين) لعظم نفعهما وحسن وقعهما وإذا كان يغبط على أحدهما فجملتهما بالاولى (وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله) قال فى الفتح أى أن الذي يخلفه الانسان من المال وإن كان حالا منسوبا إليه فإنه باعتبار انتقاله الى وارثه يكون منسوبا له فنسبته للمالك فى حياته حقيقية وللوارث حينئذ مجازية ومن بعد حقيقية (قالوا يا رسول الله ما منا أحد) التقديم للخبر الظرفي على المبتدأ للاهتمام بجانبه (إلا ماله أحب إليه) جملة وصفية لأحد ويصح كونها فى محل الحال لتخصيصه بتقديم الخبر وحذف المفضل عليه وهو قوله

قَالَ فإِنَّ مَالَهُ ما قَدَّمَ ومالَ وارِثِهِ ما أَخَّرَ » رَوَاهُ الْبُخَارِي * وَعَنْ عَدِيِّ بن حاتِمٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلمَ قال « اتَّقوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » متفقٌ عليهِ * وَعنْ جابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال « مَا سُئِلَ رَسول اللهِ صلى اللهُ عَلَيهِ وسلم شيئاً قَطُّ

من مال وارثه اكتفاء بذكره في كلام السائل (قال فان ماله ما قدم) بأن تصدق أو أكل أو لبس كما فى الحديث السابق ليس لك من دنياك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت أو كما قال فهذا هو الذي يضاف اليه حيا وميتا بخلاف ما يخلفه من المال قال ابن بطال فيه التحريض على ما يمكن تقديمه من المال فى وجوه البر والقرب لينتفع به فى الآخرة فان كل ما يخلفه يصير ملكا للوارث كما قال (ومال وارثه ما أخر) فان عمل فيه بطاعة الله اختص بثوابه عن الميت وان كان عمل فيه بمعصية الله تعالى فذاك أبعد لمالكه الاول من الانتفاع ان سلم من تبعته ولا يعارض حديث سعد بن أبي وقاص انك ان تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة لان ذاك فيمن تصدق بماله كله أو معظمه في مرضه وهذا الحديث فيمن تصدق حال صحته (رواه البخارى) فى الرقاق من صحيحه ورواه النسائى فى الوصايا من سننه (وعن عدي بن حاتم رضى الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اتقوا النار) أى اتخذوا بينكم و بينها وقاية من صالح الاعمال جل أو قل (ولو بشق) بكسر المعجمة أى نصف (تمرة متفق عليه) وقد تقدم مع الكلام عليه فى آخر الحديث الطويل فى باب الخوف * (وعن جابر رضي الله عنه قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط) لتأكيد (١) استغراق الازمنة وتنكير شيئا ليعم جلالة المسئول وقلته ووجدانه له

---

(١) أى الاتيان بقوله قط لتأكيد الخ . ع

فقال لاَ » متفقٌ عليهِ * وعنْ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عنه قال قالَ رَسول اللهِ صلَى اللهُ عَلَيهِ وسلم « مَامنْ يوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فيهِ إلا ملَكَان يَنْزِلان فيقُولُ أحَدُهمَا اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقاً

وفقده (فقال لا) بل ان كان عنده أعطاه أو يقول له ميسورا من القول فيعده أو يدعو له فكان إن وجد جاد والا وعد ولم يخلف الميعاد فليس المراد أنه يعطي ما طلب منه جزما بل أنه لا ينطق بالرد فان كان عنده المسئول وساغ الاعطاء أعطى والا وعد وقوله للاشعريين والله لا أحملكم أجيب أنه تأديب لهم لسؤالهم منه ما ليس عنده مع تحققهم ذلك ومن ثمة حلف حسما لطمعهم في تحصيله بنحو استدانة (متفق عليه) رواه البخاري فى الادب من صحيحه ومسلم في فضائل النبي صلى الله عليه وسلم والترمذى في الشمائل (وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم مامن) مزيدة لتنصيص علي العموم والاستغراق فى قوله (يوم) جاء فى حديث أبي الدرداء ما من يوم طلعت فيه الشمس الا وبجنبيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم الا الثقلين يأيها الناس هلموا الى ربكم ان ماقل وكفي خير مما كثر وألهي ولا غربت شمسه الا وبجنبيها ملكان يناديان فذكر مثل حديث أبي هريرة (يصبح العباد فيه) هذا ظاهر فى أن المراد من اليوم ضد الليل (الا ملكان) في حديث أبي الدرداء الا وبجنبيها ملكان والجنب بسكون النون الناحية (ينزلان) والجملة حال من العباد (فيقول) بالرفع عطف على الفعل المرفوع (أحدهما اللهم أعط منفقا) قال الابي أى النفقة في الواجب لان فى المال حقوقا متعينة والنفقة فى المندوب لكن بالمعروف وقال القرطبي هو يعم الواجبات والمندوبات لكن الممسك عن المندوبات لا يستحق الدعاء الا أن يغلب عليه

خَلَفاً وَيقولُ الآخرُ اللّهُمَّ أعطِ مُمْسِكاً تَلَفاً » متفقٌ عَلَيه ، وعنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عَلَيهِ وسلم قالَ « قال الله تعالى أنفِقْ يُنْفَقْ عليكَ » متفقٌ عَلَيهِ * وعنْ عبدِ اللهِ بن عَمْرو بْن العاص

البخل المذموم بحيث لا تطيب نفسه بإخراج الحق الذي عليه ولو أخرجه اه (خلفا) يحتمل أن يكون فى الدنيا ويحتمل أن يكون في الآخرة وفيه الحض علي الانفاق ورجاء قبول دعوة الملك ويشهد لهذا قوله تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وفى اعتبار المعروف قوله تعالى ولا تبسطها كل البسط (ويقول الآخر) بفتح المعجمة (اللهم أعط ممسكا) أى عن الانفاق الواجب والمندوب (تلفا) قال الحافظ في الفتح التعبير بالعطية في هذا للمشاكلة لان التلف ليس عطية والتلف يحتمل أن يراد تلف ذلك المال بعينه أو تلف نفس صاحب المال والمراد به فوات أعمال البر بالتشاغل بغيرها وأفاد هذا الحديث توزيع الكلام بينهما فنسب اليهما فى حديث أبي الدرداء نسبة المجموع الي المجموع قال المصنف الانفاق الممدوح ما كان فى الطاعات وعلى العيال والضيفان والتطوعات (متفق عليه) أخرجاه فى الزكاة من صحيحيهما وأخرجه النسائي فى عشرة النساء وفى التفسير من سننه والحديث قد تقدم مع شرحه فى باب النفقة علي العيال * (وعنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال قال الله تعالى) أى فهو من الاحاديث القدسية (أنفق) (١) أي أيها الصالح للخطاب من سائر المؤمنين أى انفق المال في وجوه القرب بالطريق المأذون فيه شرعا ايمانا واحتسابا (ينفق عليك) بالبناء للمفعول وحذف الفاعل للعلم به سبحانه وهو مجزوم جواب شرط مقدر اي ان تنفق ينفق أي يوسع عليك ويخلف عوض ما تنفقه فعبر عنه بالانفاق على سبيل المشاكلة (متفق عليه * وعن عبد الله بن عمرو بن العاص)بحذف

---

(١) في بعض نسخ المتن « أنفق يا بن آدم » . ع

رَضِيَ اللهُ عنهُمَا « أَنَّ رَجُلاً سأَلَ رَسولَ اللهِ صلّى اللهُ عَلَيهِ وسلم أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيرٌ قالَ تُطْعِمُ الطَّعَامَ وتَقْرَأُ السلاَمَ عَلَى مَنْ عرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ »

الياء اما علي لغة من يقف على المنقوص المعرف بالسكون واما على أنه من الاجوف أى من الحيض لكن الافصح على كونه من المنقوص الوقف عليه بالياء وقد تقدم ذلك (رضى الله عنهما أن رجلا) فى صحيح مسلم عن أبى موسى قال قلت يارسول الله وجاء فى طريق أخرى عنه سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا ظاهر في أنه هو (سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقوله (اى الاسلام خير) علي تقدير القول أى قائلا أى الاسلام أى أيُّ خصاله او أى ذويه فعلي الثاني يقدر قبل قوله (قال تطعم) بالرفع (الطعام) وما بعده مضاف اى ذو إطعام الطعام لان المراد من الفعل فيه المصدر إما علي تقدير ان المصدرية قبله او على تنزيل الفعل منزلته والوجهان مذكوران فى نحو تسمع بالمعيدي خير من أن تراه واقتصر البدر الدماميني في مصابيحه علي الاول وقال فيه حذفها فى غير مواضعها المشهورة كالمثل المذكور قال على أن بعضهم جعل حذفها على الاطلاق مقيسا قال والظاهر أن المراد الاطعام علي وجه الصدقة والهدية والضيافة ونحو ذلك لانه ذكر بصيغة العموم (وتقرأ السلام) مفتوح الفوقية والراء لانه من قرأ قال الزركشي ويجوز ضم أوله وكسر ثالثه قال الدماميني هى لغة سوء قال القاضى عياض لا يقال أقرئه السلام إلا في لغة سوء الا اذا كان مكتوبا اليه فتقول ذلك أى اجعله يقرؤه كما يقال أقرئ الكتاب اه أي ولا يتأتى هذا الاخير هنا اه أى لان المراد افشاء السلام على من لقيت (على من عرفت ومن لم تعرف) وفي بذل

متفقٌ عليه * وَعَنهُ قال قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عَليهِ وسلم « أَرْبَعُونَ خَصلَةً أَعلاهَامَنِيحةُ العَنْزِ مامِنْ عامِلٍ يَعْمَلُ بِخصلَةٍ مِنْهارَجاءَ ثَوَابِها وَتصدِيقَ مَوْعُودِها إلاّ أَدخَلَهُ اللهُ تَعالَى بِهَا الجنَّةَ »

الطعام كما ذكرنا وقرأ (١) السلام علي من ذكر استئلاف القلوب واستجلاب لودها فلا جرم وقع الحض عليهما (متفق عليه) أخرجه البخاري ومسلم فى الايمان وابن ماجه في الاطعمة (وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعون خصلة) جاز الابتداء بأربعون مع نكارته لتخصيصه بالعمل في تمييزه لان الاصح عند النحاة أن العامل فى التمييز عن مبهم هو ذلك الاسم المفسر قال الحافظ فى الفتح وعند أحمد أربعون حسنة (أعلاها منيحة العنز) قال أبوعبيدة المنيحة عند العرب علي وجهين . أولهما اعطاء الرجل صاحبه نحو شاة صلة . ثانيهما أن يعطيه شاة أو ناقة ينتفع بحلبها ثم يردها وهذا هو المراد هنا (ما من عامل يعمل بخصلة) أي بواحدة (منها رجاء ثوابها) مفعول له ويصح كونه منصوبا على الحال أى راجيا ثوابها وفيه إيماء الى أن ترتب الثواب على صالح العمل ليس علي سبيل اللزوم بل علي سبيل الفضل من المولى سبحانه (وتصديق موعودها) الاضافة لأدنى ملابسة أى الموعود به فيها (إلا أدخله الله بها الجنة) قال الحافظ ابن حجر نقلا عن ابن بطال قد كان النبي صلى الله عليه وسلم عالما بالاربعين المذكورة وانما لم يذكرها لمعنى هو أنفع من ذكرها وذلك خشية أن يكون التعيين لها مزهدا فى غيرها من أبواب البر قال الحافظ بعد أن نقل عن ابن بطال عن بعضهم تعيين تلك الخصال وتعقب ابن المنير له في كون بعضها أعلي من المنيحة ما لفظه وأنا موافق لابن بطال في امكان تتبع أربعين خصلة من خصال الخير أدناها منيحة العنز وموافق لابن المنير فى رد

---

(١) باسكان الراء بمصدر كالقراءة معطوف على بذل . ع

رواهُ البُخَارِى، وَقدْ سَبَق بَيَانُ هذَا الحَدِيث فى باب بيَان كَثْرَةِ طُرُقِ الخيْرِ * وعَنْ أَبِى أُمامَةَ صُدَىّ بْنِ عَجْلَانَ رَضِىَ اللهُ عنهُ قال قالَ رَسُول اللهِ صلَّى اللهُ علَيه وسلم « يابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تبْذُلَ الفضلَ خيرٌ لَكَ وأَنْ تمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ ولاَ تُلامُ على كَفافٍ وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ والْيَدُ العُلْيا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى »

كثير مما قال ابن بطال مما هو ظاهر انه فوق المنيحة والله أعلم (رواه البخارى) فى أواخر الهبة من صحيحه ورواه أبو داود فى كتاب الزكاة من سننه (وقد سبق بيان هـذا الحديث) أى بذكر معنى المنيحة (فى باب بيان كثرة طرق الخير * وعن أبى أمامة) بضم الهمزة وتخفيف الميمين (صدى) بضم ففتح فتشديد التحتية (ابن عجلان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يابن آدم انك أن تبذل الفضل) بفتح همزة أن المصدرية وهى ومدخولها في تأويل مصدر منصوب بدل اشتمال من اسم إن أى بذلك الفضل و بكسرها علي انها شرطيـة والفضل ما زاد على ما تدعو اليه حاجة الانسان لنفسه ولمن يمونه (خيرلك) خبر ان على الاول وخبر محذوف مع الفاء على الثانى أى فهو خير لك وبه يتبين ترجيح الفتح لان الاصل عدم الحذف (وان تمسكه) بفتح الهمزة أي وامساكك اياه (شرلك) لانك تحاسب عليه ولا تلقاه بين يديك عنـد حاجتك اليه (ولا تلام) أى ولا يلحقك لوم من الشرع (على كفاف) أى امساك ما تكف به الحاجـة (وابدأ بمن تعول) من زوجة وقريب وعبد ودابة لان حقهم واجب وهو أفضـل من المندوب بسبعين ضعفا (واليد العليا) المنفقة وقيل المتعففة عن السؤال (خير من اليد السفلي) أي الآخذة وقيل السائلة والحديث تقدم مع الكلام عليـه فى باب

رَوَاهُ مسلمٌ * وعَنْ أَنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه قال « مَاسُئِلَ رَسولُ اللهِ صلى الله عَلَيهِ وسَلمَ عَلى الإِسلاَمِ شيئاً إِلاّ أَعْطَاهُ ولَقَدْ جاءَهُ رَجلٌ فأَعْطَاهُ غَنماً بَينَ جَبلَيْنِ فرَجَعَ إِلى قَوْمِهِ فقَالَ يَاقوم أَسلِمُوا فإِنْ مُحمّداً يُعْطِي عطَاءَ

فضل الجوع (رواه مسلم * وعن أنس رضي الله عنه قال ما سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم علي الاسلام) علي فيه تعليلية أى لأجل الاسلام (شياً) من الدنيا جل أو قل وهو ثاني مفعولى سئل (لا أعطاه) ترغيبا فى الاسلام وانقاذا لذلك من النار للرحمة التى طبع عليها (ولقد جاءه رجل) لم يتعرض المصنف فى شرح مسلم لبيانه ولعله كان من المؤلفة (فأعطاه غنما بين جبلين) أى كثيرة كأنها تملأ ما بين الجبلين وهذا الاعطاء منه صلي الله عليه وسلم يحتمل أن يكون عن سؤل من ذلك الرجل ويحتمل أن يكون ابتداء زيادة لترغيبه فى الاسلام ان لم يكن أسلم أو لدوامه عليه ان أسلم ونيته ضعيفة فيه قال المصنف يجوز أن يعطى المسلم من المؤلفة من الزكاة ومن بيت المال ولا يجوز أن يعطى مؤلفة الكفار من الزكاة وفي اعطائهم من غيرها خلاف ، الاصح عندنا لا يعطون منه الآن لان الله قد أعز الاسلام وكثرهم بخلاف أول الاسلام وقد قل المسلمون اه (فرجع الى قومه) داعيا لهم الي الاسلام (فقال يا قوم أسلموا) أى اغتنموا الدنيا لانه لم يكشف له أنوار اليقين الي حينئذ كما يدل عليه قوله (فان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء) مفعول مطلق جوز الهمداني فى مثله من قوله تعالى « والله أنبتكم من الارض نباتا » أن يكون مصدرا مؤكدا لفعله وفعله محذوف يدل عليه أنبت والتقدير أنبتكم فنبتم نباتا وأن يكون مؤكدا لعين أنبت على حذف الهمزة من أوله وله نظائر فى كلام العرب نظما

مَنْ لَا يَخْشَى الفَقْرَ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا فَمَا يَلْبَثُ إِلَّا يَسِيراً حَتَّى يَكُونَ الإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ * وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ « قَسَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْماً فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ

وثرا اه واقتصر ابن هشام في الجامع على كونه مؤكدا لعامله قال شارحه فنبات مصدر افعل عين أنبت ووقع في التوضيح مايقتضى التمثيل به لاسم العين النائب عن المصدر قال قرينه (١) وهو مخالف لكلام النحويين اه وقيل العطاء إنما يدل على المبالغة فيه بقوله (من لا يخشي) يخاف (الفقر) لشدة معرفته بهبات ربه وسعة خزائن فضله وقوله (وإن) مخففة من الثقيلة أى وإنه (كان الرجل ليسلم) أى يدخل في الاسلام وينتظم في عدادهم (ما يريد) باسلامه (الا الدنيا) لما يرى من مزيد بذله صلى الله عليه وسلم تألفا على الاسلام وترغيبا فيه (فما يلبث) بفتح التحتية والموحدة وسكون اللام بينهما أي يمكث (إلا) زمنا (يسيرا) تشرق في قلبه أشعة أنوار الايمان وتخالط بشاشته قلبه فيتمكن منه (حتى يكون الاسلام أحب اليه من الدنيا وما عليها) فهذا من كمال رحمته ومزيد معرفته ازدواء كل داء بما يقطع مادته من أصلها لتقلب تلك الامراض الى ضدها فصلي الله وسلم عليه وزاده فضلا وشرفا لديه وفيه عناية الله بأولئك الذين أهلهم لمعاملة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم اياهم بتلك المعاملة لينالوا الدرجات العلية (رواه مسلم) فى فضائل الانبياء من صحيحه (وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما) اي مايقسم من مال الغنائم أو الخراج أو نحو ذلك (فقلت) معطوف على مقدر دل عليه الكلام فاعطي أناسا وترك آخرين (يارسول الله

---

(١) كذا بالاصول . ع

لَغَيْرُ هؤُلاَءِ كَانوا أَحقَّ به مِنهُمْ قالَ إِنَّهُمْ خيَّرُونِي أَنْ يَسْأَلُونِي بالفُحْشِ فأُعْطِيَهم أَوْ يُبَخِّلُونِ ولَسْتُ بِبَاخِلٍ «رَواهُ مُسلِمٌ * وعَنْ جُبَيرِ بن مُطْعِمٍ رَضِي اللهُ عنْهُ

لغير هؤلاء) أى المعطين (كانوا أحق) أى أولى (به) أى بالعطاء (منهم) أى من هؤلاء وأكد باللام المؤذنة بالقسم المقدر واسمية الجملة لما فهمه من ترك النبي صلى الله عليه وسلم إعطاءهم من أن غيرهم أحق بذلك منهم قال الابي وهذا التنبيه لظنه أن الايثار بالعطاء بحسب الفضيلة والسابقة فى الدين فبين له صلى الله عليه وسلم سببه بقوله (قال أنهم خيروني) قال الابى الاظهر انه بلسان الحال أى وكلوا الخيرة الى (بين أن يسألونى بالفحش فاعطيهم) أوأن (يبخلوني) معناه كما قال المصنف انهم ألحوا على فى السؤال لضعف ايمانهم وألجئوني بمقتضى حالهم الى السؤال بالفحش أو نسبني الى البخل (ولست بباخل) ولا ينبغي احتمال أحد الامرين وقال الابي نقلا عن عياض المعنى أنهم أشطوا عليه في السؤال على وجه يقتضى أنه ان أجابهم اليه حاباهم وإن منعهم آذوه وبخلوه فاختار أن يعطى اذ ليس البخل من خلقه صلي الله عليه وسلم مداراة وتألفا كما قال صلي الله عليه وسلم شر الناس من اتقاه الناس اتقاء لشره وكما أمر باعطاء المؤلفة ففيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من عظيم الخلق والصبر والحلم والاعراض عن الجاهلين كما أمر صلى الله عليه وسلم (رواه مسلم) فى الزكاة من صحيحه وقد انفرد به عن باقى الستة (وعن) أبى محمد ويقال أبو عدى (جبير) بضم الجيم وفتح الموحدة وسكون التحتية (ابن مطعم) بصيغة اسم الفاعل ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى القرشي النوفلى المدنى (رضى الله عنه) أسلم يوم الفتح وقيل قبله وحسن اسلامه وكان سيدا حكيما وقورا بشأنه (١) رئيسا

---

(١) كذا وفى نسخة لسانه فلينظر. ع

أَنَّهُ قال « بَيْنَما هُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسَلمَ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ فَعَلِقَ الاعْرَابُ يَسْأَلونَهُ حتى اضطرُّوهُ إِلى سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ النَّبِيُّ

كاتبا روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال ابن الجوزى نحو ثلاثين حديثا اتفق الشيخان على ستة منها وانفرد البخارى بثلاثة ومسلم بواحد وخرج عنه الاربعة مات بالمدينة سنة ثمان أو تسع بتقديم الفوقية (أنه قال بينما) مامزيدة لكف بين عن الاضافة فالجملة الاسمية بعدها مستأنفة (هو يسير مع النبي صلى الله عليه وسلم مقفله) منصوب على الظرفية الزمانية أى زمن رجوعه (من حنين) بضم المهملة وتخفيف النونين بينهما تحتية ساكنة فى السنة الثامنة بعد الفتح فى شوال (فعلق) بفتح العين وتخفيف اللام وبالقاف من أفعال الشروع بوزن طفق ومعناه وقد جاء بدله فى رواية الكشميهنى ثم هو فى البخارى بالتاء الممدودة بالتأنيث لاسناده الى (الاعراب) وهو اسم جمع لعرب كما قال سيبويه لانه خاص بسكان البوادى والعرب تعمهم والحاضرين ورأيت فى أصل مصحح فعلقه بهاء الضمير والظاهر أنها تاء التأنيث وربطت فى الرسم من تحريف الكتاب وقوله (يسئلونه) جملة فى محل الخبر لعلق (حتى اضطروه) أى ألجأوه الي (سمرة) بفتح المهملة وضم الميم شجرة طويلة متفرقة الرأس قليلة الظل صغيرة الورق والشوك صلبة الخشب قاله ابن التين وقال الداودي السمرة هى العضاه وقال الخطابى ورق السمر أثبت وظلها أكثف ويقال هي شجرة الطلح (فخطفت) بكسر الطاء المهملة (رداءه) قال فى المصباح خطفه من باب سمع أستله بسرعة وخطف من باب ضرب لغة فيه وعند (١) ابن شبه فى كتاب مكة حتى عدلوا ناقته عن الطريق فمر بسمرات فانتهشن ظهره وانتزعن رداءه والباقي بنحو حديث جبير (فوقف النبي

---

(١) كذا ولعل الصواب ابن أبي شيبه . ع

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ اعْطُونِي رِدَائِي فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هٰذِهِ العِضَاهِ نَعَماً لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلاَ كَذَّاباً وَلاَ جَبَاناً »

صلى الله عليه وسلم) أي بامسك خطام الناقة الذى بيده (فقال أعطونى ردائى) قال فى المصباح الرداء بكسر الراء وبالمد ما يرتدى به مذكر لا يجوز تأنيثه قال ابن الانبارى وتثنيته رداآن وربما قلبوا الهمزة فقالوا رداوان والجمع أردية بالياء كسلاح وأسلحة (فلو كان لى عدد هذه العضاه) بالرفع اسم كان وخبرها (نعماً) بالنصب ويجوز على التمييز كما في الفتح للحافظ زاد الدماميني ولى خبر كان وفى رواية أبي ذر بالرفع علي انه اسم كان مؤخرا وعدد بالنصب خبر مقدم (لقسمته بينكم) قال ابن المنير وهذا تنبيه بطريق الاولى لانه اذا سمح بمال نفسه فلأن يسمح بقسم غنائمهم عليهم أولى (ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا) أى لا تجدوني ذا بخل ولا ذا كذب ولا ذا جبن فالمراد نفي الوصف من أصله لا نفي المبالغة المدلول عليها بالصيغة قال ابن المنير فى جمعه صلى الله عليه وسلم بين هذه الصفات لطيفة وذلك انها متلازمة وكذا أضدادها وأصل المعنى هنا الشجاعة فان الشجاع واثق من نفسه بالخلف من كسبه فبالضرورة لا يبخل واذا أسهل عليه العطاء لا يكذب بالخلف فى الوعد لان الخلف انما ينشأ من البخل واستعمال ثم هنا ليس مخالفا لمقتضاها وان كان الكرم يتقدم العطاء لكن علم الناس بكرم الكريم انما يكون بعد العطاء وليس المراد هنا بثم الدلالة على تراخي العلم بالكرم عن العطاء انما التراخى هنا لعلو رتبة الوصف كأنه يقول وأعلى من العطاء بما لا يتقارب أن يكون العطاء عن كرم فقد يكون عطاء بلا كرم كعطاء البخيل قهرا أو نحو ذلك قاله الدماميني فى المصابيح وفي الفتح للحافظ فى الحديث ذم الخصال المنفية وأن إمام

رَواهُ البُخارِى ، مَقفَلَهُ أَىْ فى حالِ رُجُوعِهِ السَّمُرَةُ شَجَرَةٌ ، العِضَاةُ شَجَرٌ لهُ شَوْكٌ * وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وسلم قال « مَانقَصتْ صَدَقَةٌ منْ مالٍ وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعفْوٍ إلاّ عِزًّا ومَا توَاضعَ أَحدٌ للهِ إلاّ

المسلمين لا ينبغي أن يكون فيه خصلة منها وفيه ما كان عليه صلي الله عليه وسلم من الحلم وحسن الخلق وسعة الجود والصبر على جفاة الاعراب وفيه جواز وصف المرء نفسه بالخصال الحيدة عند الحاجة لخوف ظن أهل الجهل به خلاف ذلك ولا يكون ذلك من الفخر المذموم اه ملخصا (رواه البخارى) فى الجهاد وفي الخمس من صحيحه منفرداً به عن باقي الستة (مقفله) بفتح أوله وثالثه وسكون ثانيه (أي فى حال) أحسن منه زمان (رجوعه) لما قدمناه و بذلك عبر الحافظ فى الفتح (السمرة شجرة) تقدم بيانها (العضاه) بكسر العين المهملة وبالضاد المعجمة (شجر له شوك) قال الحافظ في الفتح واختلف في واحدها فقيل عضة بفتح أوليه كشفة وشفاه والاصل عضهه فحذفت الهاء وقيل عضاهة * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة) هي المخرج من المال تقربا الى الله تعالي (من مال) قال المصنف ذكروا فيه وجهين أحدهما انه مبارك فيه و يدفع عنه المفسدات فيجبر النقص الصورى بالبركة الخفية وهذا مدرك بالحس والعادة وثانيهما انه وان نقصت صورته لكن ثوابه المعد له فى الآخرة جابر لنقصه (وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا) فيه وجهان أيضا أحدهما انه على ظاهره ان من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزة وكرامة والثاني أن المراد أجره فى الآخرة وعزه هناك (وما تواضع أحد لله إلا

رَفَعَهُ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ » رواهُ مُسلمٌ * وعَنْ أَبِى كَبْشَةَ عَمْرِو بنِ سَعْدٍ الأَنمَارِى رَضِي اللّٰهعنه أنهُ سمعَ رَسول اللّٰه صَلى اللّٰه عليْهِ وسلم يَقُول « ثَلاَثَةٌ أُقسِمُ عَلَيْهِنَّ وأُحَدِّثُكمْ حَدِيثاً فاحفَظُوهُ

رفعه الله عز وجل) يجوز أن يكون في الدنيا أى بأن يرفعه ويثبت له فى القلوب بتواضعه منزلة يرفعه بها الناس ويجلوا مكانه ويحتمل أن يكون ذلك فى الآخرة فيثيبه الله فى الجنة بتواضعه فى الدنيا وقد يكون المراد فيهما جميعا اه ملخصا (رواه مسلم) فى البر والصلة من صحيحه ووقع فى الاطراف المزى فى الأدب منه والذى رأيته فى الاصول من مسلم كما ذكرته (وعن أبي كبشة) بفتح الكاف وسكون الموحدة و بالشين المعجمة كنية (عمر) بضم ففتح (ابن سعد الأنمارى) بفتح الهمزة وسكون النون و بعد الالف راء نسبة الى أنمار بطن من العرب وقد اختلف فى اسمه (رضى الله عنه) فقيل كما ذكره المصنف عمرو وقيل سعد بن عمرو وقيل (١) عمرو بن سعد سماه يحيى بن يونس وسعيد القرشى هكذا وقيل اسمه عمرو بن سعد قال ابن الاثير وهو الاشهر أخرجه أبو موسى يعد في الشاميين روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث ذكر منها المزى فى الاطراف أربعين وليس منها شيء في الصحيح (أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاثة) من الخصال أو خصال ثلاثة وجاز اتيان التاء فى عدد المؤنث لحذف المعدود (اقسم عليهن) تأكيدا لها في الاذهان للسامعين ليزداد قبولهم لها ويشتد حرصهم علي العمل بها وأكد ذلك بقوله (وأحدثكم حديثا) أي فى ذلك (فاحفظوه) والجملتان معترضتان لذلك وجعل العاقولى من باب التقديم والتأخير فقال اى أحدثكم في معني خصال من خصال الخير واقسم علي ثلاث خصال منها فقدم قوله ثلاث اقسم عليهن للاهتمام بها اه وما سلكته أولي لان الاصل

---

(١) كذا فى الاصول وفيه مع ما بعده تكرار فليتأمل . ع

مَا نقصَ مَالُ عبْدٍ مِنْ صَدَقةٍ ، لاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلمةً فَصبَرَ عليْها إلاّ زَادَهُ اللهُ عِزّاً ،

عدم التقديم والتأخير (مانقص مال عبد من صدقة) أي بل البركة النازلة فيه أو الثواب المعد لباذله وذلك يجبر مانقص منه حسا أو ما نقص ثوابه بل يضاعف يوم القيامة اضعافا كثيرة وفى امالى العز بن عبد السلام معنى الحديث ان ابن آدم لا يضيع له شيء وما لم ينتفع به في دنياه انتفع به فى عقباه فان الانسان اذا كان له داران فحول ماله من احداهما الى الاخرى لا يقال في ذلك المحول انه نقص من ماله وكان بعض السلف اذا رأى السائل يقول مرحبا بمن جاء يحول مال دنيانا الى أخرانا قال هذا معنى الحديث وليس معناه انه لا ينقص فى الحس ولأن الله يخلف عليه فان ذلك معنى مستأنف اه (ولا ظلم عبد مظلمة) بفتح الميم و كسر اللام اسم مصدر ظلم ظلما بالفتح من باب ضرب وفي فتح البارى فى كتاب المظالم المظلمة بكسر اللام على المشهور وحكى ابن قتيبة وابن التين والجوهرى فتحها وانكره ابن التوطية ورأيت بخط مغلطاي ان الفراء حكي الضم قال فى المصابيح هى مايطلبه عند الظالم وهى ما أخذ منك وحذف الفاعل ليعم ظلم القوى والضعيف ونكر مظلمة فى سياق النفي ليعم الظلم فى النفس والمال والعرض وقوله (صبر عليها) اى حبس نفسه على ألمها ولم ينتقم من ظالمه بشيء من الانتقام ويحتمل أن يعم ويدخل من ترك بعض حقه من الظلامة وانتصف في البعض فيثاب فيما تركه احتسابا (الازاده الله) في الدنيا وفى الآخرة أو فيهما (عزا) وذلك من باب قولهم كماتدين تدان ومن حديث اعمل ماشئت فانك مجزى به وفى تفسير سورة فصلت من صحيح البخارى قال ابن عباس ادفع بالتي هي أحسن الصبر عند الغضب والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا عصمهم الله وخضع لهم عدوهم كانه ولي حميم اه وهذا يؤيد ظهور أثر العفو

وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللّٰهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ قَالَ إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ عَبْدٌ رَزَقَهُ اللّٰهُ مَالاً وَعِلْماً فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لِلّٰهِ فِيهِ حَقّاً

فى الدنيا (ولا فتح عبد باب مسئلة) لينال بذلك الغني تكثرا من أموال الناس (لا فتح الله عليه باب فقر) معاملة بنقيض قصده وفى هذه الاخيرة استعارة مكنية تتبعها استعارة تخييلية في الموضعين (أو) شك من الراوي أى قال فتح الله عليه باب فقر أو قال (كلمة نحوها) فى افادة ذلك (وأحدثكم حديثا فاحفظوه) ظاهر أنه مزيد علي الثلاث ولعله صلى الله عليه وسلم استطرد مما أقسم عليه من الخصال الي ذلك لمناسبة بينه و بين ما انتقل عنه اذ كل فيه ترغيب فى انفاق المال فى التقرب الى الله تعالى وتحذير من الحرص على جمع المال ويحتمل أن تكون هذه الجملة من كلام أبى كبشة لما حدثهم بما تقدم ذكر هذا الحديث بجامع ما ذكرناه فذكره وقال هذه الجملة قبله ليقبلوا عليه ويؤيد هذا قوله (قال) اى النبي صلى الله عليه وسلم (انما الدنيا لاربعة نفر) بفتح أوليه هو لغة ما بين الثلاثة الى العشرة وهو هنا تمييز أربعة وجاز مع أن تمييزها لايكون الا جمعا كسبع ليل وثمانية أيام اعتبارا بالمعنى لانه كذلك للبعد (عبد) يجوز فيه وفى أمثاله من مفصل لمجمل أستوفى العدة الجر علي الابدال مما قبله بدل كل من كل بتقدير سبق العطف علي الابدال والقطع بالرفع باضمار مبتدأ محذوف وجوبا وبالنصب باضمار نحو أعنى محذوف كذلك (رزقه الله مالا وعلما) فيه ان العلم من الرزق (فهو يتقى فيه ربه) أي لا يصرفه فى معصية بل يجتنب مالا يرضيه (ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا) سواء كان ذلك واجبا عينيا من زكاة أو كفارة لمقتضاها أو نذر أو كفائيا ككفاية مضطر من جائع

فَهٰذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللّٰهُ عِلْماً وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللّٰهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ

بسد جوعته وعار بكسوته أو مندوبا كالتقرب الى الله سبحانه بانواع الطاعات المالية (فهذا بأفضل المنازل) من الجنة لانه علم وعمل وأدى الواجب والمندوب واجتناب الحرام والمحظور وعلمه هداه الى الاخلاص فى ذلك وجعل معاملته في ذلك مع الله سبحانه (وعبد رزقه الله علما) أى بالاحكام المتعلقة بالمال من حيث جمعه وانمائه وما يتعلق بذلك ويحتمل أن يراد ما يعم علم ذلك وغيره ويؤيده التنكير اذ لاصل فيه التعميم (ولم يرزقه مالا فهو) بعلمه النافع له (صادق النية) أى القصد فى طلب ثواب الله فيعزم على العمل المالى لو قدر عليه ليثاب به (يقول) ناويا لذلك (لو أن لى مالا لعملت) أى فيه (بعمل فلان) الجامع بين المال والعلم من طلب ما رضي الله به (فهو نيته) قال العاقولي مبتدأ وخبر أى فهو سنى النية وبها أجره «قلت» ويجوز أن يكون نيته مبتدأ وخبره محذوف أى ألحقته بمن قبله والجملة خبر هو يدل على ذلك قوله (فأجرهما سواء) أى من حيث النية وصحة القصد ويزيد ذلك بثواب نفقة المال التي زاد علي صاحبه (وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما) يعرف به وجوه التصرف المأذون فيها شرعا والممنوع منها كذلك (فهو يخبط) بكسر الموحدة (فى مال الله بغير علم) وقوله (لا يتقي فيه ربه) بترك أتلافه في المحارم ويبذله فى المآثم (ولا يصل فيه رحمه) وفى الاتيان بفى هنا وفيما قبله تجريد كقوله تعالى «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» لان المال

وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلَا عِلْماً فَهُوَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ نِيَّتُهُ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ * وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم مَا بَقِيَ مِنْهَا قَالَتْ مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُهَا قَالَ بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا »

نفس الضلة لا أنها فيه كما أنه صلى الله عليه وسلم نفس القدوة لا أنها فيه (ولا يعلم لله فيه حقا) لجهله به فلا يؤدى حق المال واجبا كان أو مندوبا لجهله وحرصه على جمعه واتلافه فى مستلذات نفسه (فهذا بأخبث المنازل) لماله من المآثم التى ارتكبها بماله الذى أتلفه مع جهله وعدم علمه (وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو) أي العبد الفاقد لهما لجهله (يقول لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان) أى بصرفه فى الملابس الفاخرة واستماع الملاهي وأكل المستلذات المحرمة وغير ذلك (فهو نيته) اعرابه كما تقدم أي فيجد اثم نيته قصد الفساد (فوزرهما سواء) باعتبار العزم علي المحرم وان زاد الفاعل باثم الفعل (رواه الترمذى) في أبواب الزهد من جامعه (وقال حديث حسن صحيح وعن عائشة رضي الله عنها أنهم) أى ذوى عائشة أو أهل بيت النبي صلي الله عليه وسلم (ذبحوا شاة) أى فتصدقوا بها ما عدا كتفها (فقال النبي صلى الله عليه وسلم) بعد ان عاد لمنزلها لداع دعا للسؤال عما بقى من لحمها وقد علم أنهم تصدقوا ببعضها (مابقي منها) أى عندك (قالت ما بقى) أى عندنا (الا كتفها) بفتح الكاف وكسر الفوقية على الافصح أى انفقنا الجميع وتصدقنا بما عدا ذلك (قال بقي كلها) أي ثواب كلها لانه تصدق به تقربا الي الله تعالى فهو يخلفه ويجزى عليه (غير كتفها) أى فانه يفنى بأكله

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَمَعْنَاهُ تَصَدَّقُوا بِهَا إِلَّا كَتِفَهَا فَقَالَ بَقِيَتْ لَنَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا كَتِفَهَا * وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ « قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا تُوكِي فَيُوكِيَ اللَّهُ عَلَيْكِ » وَفِي رِوَايَةٍ « أَنْفِقِي أَوِ انْفَحِي أَوِ انْضَحِي وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِيَ

ومثله لاثواب فيه ان لم يقارنه قصد صحيح وهذا تحريض على الصدقة والاهتمام بها وان لا يستكثر المرء ما أنفقه فيها فانه وان فني صورة فهو باق حقيقة لصاحبه عند الله يرى ثوابه مضاعفا عند حاجته ومزيد فاقته ففيه أعظم تحريض عليها من كل ما يأكله الانسان لان من استحضر ان ما يأكله لا ثواب له فيه حيث لا غرض صحيح معه وان ما يتصدق به يبقى له عند مولاه حمله ذلك على التصدق منه ولو بلقمة (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ومعناه) أى الحديث من حيث الجملة (تصدقوا بها الا كتفها فقال بقي كلها الا كتفها) وذلك لان ما بقي منها يفنى بأكله وما تصدق به باقيا عند الله سبحانه (وعن أسماء) بسكون المهملة بعدها ميم وألف ممدودة (بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما) تقدمت ترجمتها فى باب بر الوالدين (قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتوكي) قال في النهاية أى لا تدخرى وتشدى ماعندك وتمنعي ما فى يدك (فيوكى) بالنصب أي فيقطع (الله عليك) مادة الرزق والجزاء من جنس العمل وهذا مفهوم قوله تعالى وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه (وفي رواية) هي لمسلم فى الزكاة من صحيحه (انفقى) (أو) شك من الراوى (انفحى أوانضحى) قال المصنف بكسر الضاد المعجمة والمعنى أعطي النضح والنفح العطاء ويطلق النضح على الصب فلعله المراد هنا ويكون أبلغ من النفح (ولاتحصي) اي تمسكي المال وتدخريه من غير انفاق ومنه (فيحصى) كذا

عَلَيْكِ وَلَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللهُ عَلَيْكِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَانْفَحِي بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ فَهُوَ بِمَعْنَى أَنْفِقِي وَكَذَلِكَ انْضَحِي * وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه

هو فى نسخ الرياض بالمبني للمجهول وفى الزكاة من البخاري ومسلم فيحصى الله (عليك) بذكر الفاعل ولعل حذفه من نسخ الرياض ان لم يكن من سبق القلم من المصنف من تحريف الكتاب أي يمسك عنك مادة الرزق والبركة فيه ويناقشك الحساب فى الموقف إذ أصل الاحصاء الاحاطة بالشيء جملة وتفصيلا وهذا فيه تلف أي تلف، فيكون مطابقا لأعط كل ممسك تلفا ويستفاد منه أن الممسك يعاقب بتلف ما عنده وحبس مادة رزقه والبركة فيه ومناقشة الحساب وقد قال صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب عذب وهذا أبلغ وأليق بمقام التنفير والتغليظ (ولا توعي) أى تمنعي ما فضل عنك عمن هو محتاج اليه (فيوعى) بالنصب (الله عليك) أى يصيبك على أعمالك بالتشديد عليك فى الحساب أو يمنع عنك فضله وجوده وبهذا يعلم أن هذه بمعني ما قبلها وأن القصد مزيد التأكيد والحث على الانفاق (متفق عليه) رواه مسلم بجملته وان اقتصر المصنف علي عزو قوله وفى رواية اليه ، والبخاري روى عنها فى حديث أن النبي صلي الله عليه وسلم قال لها لا توكى فيوكى عليك وعند بعض رواته وقال لا تحصى فيحصي الله عليك وفى حديث آخر عنها أن النبى صلي الله عليه وسلم قال لها لا توعى فيوعى الله عليك انضحى ما استطعت (وانفحى) بسكون النون وفتح الفاء و(بالحاء المهملة وهو بمعنى انفقى وكذلك) أي ككون انفحي بمعني انفقى (انضحي) فانفحى المشار اليه مشبه به وانضحى مشبه قال فى شرح مسلم معني انفحى وانضحي أعطى النفح والنضح العطاء * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلي الله عليه

وسلم يقولُ « مثلُ البَخيلِ والمُنفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عليهما جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إلى تَرَاقِيهِما فأمّا المنفقُ فَلَا يُنفقُ إلاّ سَبغَتْ أوْ وَفَرَتْ علَى جِلْدِهِ حتى تخفِيَ بَنَانهُ وتَعفُوَ أثَرَهُ

وسلم يقول مثل) بفتح أوليه أى صفة (البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان) بالموحدة أو النون كما قاله غير واحد وقول بعضهم انه لاشك ولا خلاف انه بالنون رده بعض المحققين انه بالنون تصحيف قيل ومما يرجح النون أن الدرع لا يسمي جبة بالباء بل بالنون (من حديد) حكمة ايثاره الاعلام بأن القبض والشح من جبلة الانسان ولذا أضيف اليه فى ومن يوق شح نفسه وأن السخاوة من عطاء الله وتوفيقه يمنحها من شاء من عباده وايثار الجنة على الغل لانه يتأتى فيه الانقباض والانبساط المشار بهما الي ما يأتي (من ثديهما) قال المصنف بضم الثاء المثلثة أي وكسر الدال وتشديد التحتية علي الجمع كذا في معظم نسخ مسلم جمع ثدى بوزن فلس وفيه رد علي من قال انه خاص بالمرأة ويقال فى مثله من الرجل «تندوه» بضم الفوقية والدال المهملة وسكون النون بينهما ومن فيه ابتدائية (الى تراقيهما) جمع ترقوة بضم الفوقية والقاف وسكون الراء وهى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين قال بعضهم ولا يكون لغير الانسان من باقى الحيوان (فأما المنفق فلا ينفق الا سبغت) أى امتدت وكملت (أو) شك من الراوى (وفرت) بتخفيف الفاء (على جلده حتى تخفى بنانه) مفاصل الاصبع بالموحدة ونونين ومن قاله بالمثلثة والتحتية والموحدة فقد صحف (وتعفو أثره) أى تغطى أثره حتي لايبدو وتعفو منصوب عطفا علي تخفى وكلاهما مسند الى ضمير الجنة أو الجبة وعفا يستعمل لازما ومتعديا تقول عفت الديار اذا درست وعفها الريح

وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا فَهُوَ يُوَسِّعُهَا فَلَا تَتَّسِعُ »

اذا طمسها وهو فى الحديث متعد قال الحافظ فى الفتح والمعني أن الصدقة تستر خطاياه كما يغطى الثوب الذى يجر على الارض أثر صاحبه اذا مشي بمرور الذيل عليه وسيأتى فيه مزيد (وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيأ الا لزقت) فى رواية لمسلم اقبضت وفى رواية لها عضت (كل حلقة) بسكون اللام (مكانها) والمفاد واحد الا أن الاولى نظر فيها الى صورة الضيق والاخرى الى سببه (فهو يوسعها) أى يريد توسيعها بالبذل فتشح نفسه ولا تطاوعه (فلا تتسع) وفى هذا وعد المتصدق بالبركة وستر العورة والصيانة من البلاء فان جبة الحديد لا تعد للستر فقط بل له وللصون من الآفات وهذا كما ورد أن الصدقة تدفع البلاء وفي البخيل على الضد فهي معدة لهتك عورته وكونه هدفا لسهام البلاء والعياذ بالله تعالى كذا فى مصابيح الجامع قال الخطابي وغيره هذا مثل ضربه النبي صلى الله عليه وسلم للبخيل والمتصدق فشبههما برجلين أراد كل واحد منهما لبس درع يستتر به من سلاح عدوه فصبها علي رأسه ليلبسها والدرع أول ما يقع على الرأس الى الثديين الى أن يدخل الانسان يديه فى كميها فجعل المنفق كمن لبس درعا سابغة فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه وجعل البخيل كمثل رجل غلت يداه الى عنقه فكلما أراد لبسها اجتمعت فى عنقه فلزمت ترقوته وهو معنى قلصت أي تضامت واجتمعت والمراد أن الجواد اذا هم بالصدقة انفسح لها صدره وطابت نفسه وتوسعت فى الانفاق والبخيل اذا حدثها بها شحت بها فضاق صدره وانقبضت يداه «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» وقال المهلب المراد ان الله يستر المنفق فى الدارين بخلاف البخيل فانه يفضحه ومعني يعفو أثره يمحو خطاياه وتعقبه عياض بأن الخبر

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَالْجُبَّةُ الدِّرْعُ وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْمُنْفِقَ كُلَّمَا أَنْفَقَ سَبَغَتْ وَطَالَتْ حَتَّى تَجُرَّ وَرَاءَهُ وَتُخْفِيَ رِجْلَيْهِ وَأَثَرَ مَشْيِهِ وَخُطُوَاتِهِ وعنهُ قَالَ « قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ

جاء على التمثيل لا على الاخبار عن كائن وقيل هو تمثيل انماء المال بالصدقة والبخيل بضده اهـ (متفق عليه) واللفظ للبخاري في كتاب الزكاة وهو عند مسلم بنحوه فيها من طرق (والجنة) في النسخ بالنون وهو ما صوبه في شرح مسلم وقال لوروده كذلك في رواية بلا شك وتقدم تعقب بعض المحققين له في ذلك (الدرع) بكسر الدال وبالراء والعين المهملات وهي الثوب المنسوج من الحديد وهي مؤنثة في الاكثر (ومعناه أن المنفق كلما أنفق سبغت وطالت حتي تجر وراءه وتخفي رجليه وأثر مشيه وخطواته) أى كما هو شأن الثوب الرافل هذا بيان لمعاد الضمائر باعتبار ظاهر اللفظ أما المعنى المراد فسكت عن بيانه هناه (وعنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة) قال الحافظ فى الفتح أى بقيمتها لانه بالفتح المثل وبالكسر الحمل بكسر المهملة هذا قول الجمهور وقال الفراء بالفتح المثل من غير جنسه وبالكسر من جنسه وقيل بالفتح مثله في القيمة وبالكسر الشطر وأنكر البصريون هذه التفرقة وقال الكشاف هما بمعني كما أن لفظ المثل لا يختلف وضبط فى هذه الرواية الاكثر بالفتح والتمرة بالمثناة ولفظ مسلم ما تصدق أحد بصدقة (من كسب طيب) أى حلال خال عن الغش والخديعة وقوله (ولا يقبل الله الا الطيب) جملة معترضة بين الشرط والجزاء لتقرير ما قبله وفى رواية سليمان ابن بلال الذي أشار اليها البخاري ولا يصعد الى الله الا الطيب قال القرطبي وانما

فإنَّ اللهَ يَقْبَلُها بِيَمينهِ ثمَّ يُرَبِّيها لِصاحِبِها كَما يُرَبِي أَحَدُكُم فَلُوَّهُ حتى تكونَ مثلَ الجبلِ »

لم يقبل الله الصدقة بالحرام لانه غير مملوك للمتصدق وهو ممنوع من التصرف فيه والتصدق به تصرف فيه فلو قبل لزم أن يكون الشيء مأموراً ومنهيا من وجه واحد وهو محال (فان الله يقبلها بيمينه) وفى رواية لمسلم الا أخذها الله بيمينه وعند مسلم أيضا في رواية الا أخذها الرحمن قال الحفظ في الفتح وفى رواية لمسلم فيقبضها وفى حديث عائشة عند البزار فتلقاه الرحمن بيده (ثم يربيها) فى مسلم فيربيها (كما يربي أحدكم فلوه) جاء فى رواية كما يربى أحدكم مهره وفى أخرى عند البزار مهره أو وصيفه أو فصيله (حتي تكون) أى المتصدق به القليل بالتنمية (مثل الجبل) وفى رواية عند الترمذي حتي أن اللقمة لتصير مثل أحد قال الحافظ والظاهر أن المراد بعظمها أن عينها تعظم لتثقل فى الميزان ويحتمل أن يكون ذلك معبراً به عن ثوابها ومثله فى كلام المصنف فى شرح مسلم نقلا عن عياض وسيأتي حكمة ضرب المثل بالفلو قال المازري وهذا الحديث وشبهه انما عبر به على ما اعتادوا فى خطابهم ليفهموا عنه فكني عن قبول الصدقة باليمين وعن تضعيف أجرها بالتربية وقال عياض لما كان الشيء الذي يرتضي يتلقى باليمين ويؤخذ استعمل فى مثل هذا واستعير اليمين للقبول وليس المراد به الجارحة وقيل عبر باليمين عن جهة القبول إذ الشمال بضده وقيل المراد بيمين الدافع اليه الصدقة واضافتها الي الله تعالى اضافة ملك واختصاص لوضع هذه الصدقة فى يمين الآخذ لله تعالى وقيل المراد سرعة القبول وقيل حسنة وقال الزين بن المنير الكناية عن الترضي والقبول بالتلقى باليمين لتثبيت المعانى المعقولة فى الاذهان وتحقيقها فى النفوس تحقيق المحسوسات أى لا تشكك فى القبول كما لا يتشكك من عاين التلقي للشيء باليمين لا ان التناول

مُتفقٌ عَلَيهِ ، الفَلُوُّ بفتحِ الفاءِ وَضَمِّ اللّامِ وتَشْدِيدِ الوَاوِ ويُقالُ أيضاً بكسرِ الفَاءِ وَاسْكانِ اللامِ وتخفيفِ الوَاوِ وهوَ المهرُ . (وَعنهُ) عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال « بينا رَجلٍ يمشي بفلاةٍ مِنَ الأرضِ إذْ سَمِعَ صوتاً

كالتناول المعهود ولا أن المتناول به جارحة وقال الترمذى فى جامعه قال أهل العلم من أهل السنة والجماعة نؤمن بهذه لاحاديث ولا نتوهم فيها تشبيها ولا نقول كيف هكذا روي عن مالك وابن عيينة وابن المبارك وغيرهم وأنكرت الجهمية هذه الروايات اه (متفق عليه) روياه فى الزكاة من صحيحيهما واللفظ للبخارى (الفلو) فيه لغتان أفصحهما وأشهرها (بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو) وثانيهما أشار اليه بقوله (ويقال بكسر الفاء واسكان اللام وتخفيف الواو وهو المهر) قال أبو زيد اذا فتحت الفاء شددت الواو واذا كسرتها سكنت اللام كجرىء وقال فى شرح مسلم سمى به لانه فلى عن أمه أى فصل وعزل وقال الحافظ وقيل هو كل فطيم من ذات حافر وضرب به المثل لانه يزيد زيادة بينة ولان الصدقة نتاج العمل وأحوج ما يكون النتاج الى التربية إذا كان فطيما واذا أحسن العناية به انتهى الى حد الكمال وكذا عمل ابن آدم لا سيما الصدقة فان العبد اذا تصدق من كسب طيب لا يزال نظر الله يكسبها الكمال حتي تنتهى بالتضعيف الى نصاب تقع المناسبة بينه وبين ما قدم نسبة ما بين التمرة الى الجبل * (وعنه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال بينا) ما مزيدة لكف بين عن الاضافة فالجملة بعده مستأنفة (رجل بفلاة) هي الارض التي لا ماء فيها وجمعها فلا مثل حصاة وحصى وجمع الجمع افلاء كسبب وأسباب كذا فى المصباح ويؤخذ منه أن قوله (من الارض) تصريح بما فهم مما قبله (فسمع صوتا) لعله صوت الملك الموكل

فِي سَحَابَةٍ إِسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللهِ

بالسحاب وهو الرعد (فى سحابة) واحدة السحاب سمي به لانسحابه فى الهواء وجمع السحاب سحب بضمتين (اسق حديقة فلان) لم أقف على من سماه والحديقة البستان يكون عليه حائط فعيلة بمعنى مفعولة لان الحائط أحدق بها أى أحاط ثم توسعوا حتى أطلقوا الحديقة على البستان وان كان بغير حائط والجمع حوائط (فتنحى ذلك السحاب) أتي بما يشار به للبعيد مع أن المشار اليه قريب إما تعظيما له فيكون كقوله تعالى ذلك الكتاب واما لانه لما كان اللفظ عرضا لا يوجد التالى له إلا بعد انعدام ما قبله صار ما قبل كالبعيد فيشار اليه بما يشار به اليه وهذا محتمل لكون السحاب أوتى فهما لامتثال ما أمر ولأن يكون باقيا على جماديته ، وقوله اسق أمر تكوينى وقوله فتنحى بيان لترتب أثر الامر الالهى عليه حالا من غير توان ولا تراخ قال تعالى « إنما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون » وعلي الثانى فيكون فى قوله (فافرغ) أى صب (ماءه) أى الذى فيه والاضافة لأدني ملابسة (فى حرة) اسناده مجازى ان كان الفعل للمعلوم وفاعله ضمير يعود الي السحاب كما هو كذلك فى أصل مصحح وان كانت الرواية ببنائه للمجهول فلا (فاذا شرجة من تلك الشراج) أى مسيل من تلك المسايل (قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع) أى الرجل السامع الصوت (الماء فاذا رجل قائم في حديقته) الظرف خبر بعد خبر ويصح كونه حالا من ضمير الخبر فيكون مستقرا ويجوز أن يكون لغوا متعلقا بقائم (يحول الماء بمسحاته فقال له يا عبد الله) ناداه بالوصف

مَا اسْمُكَ قَالَ فُلَانٌ لِلاسْمِ الَّذِى سَمِعَ فِى السَّحَابَةِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِى عَنِ اسْمِى فَقَالَ إِنِّى سَمِعْتُ صَوْتًا فِى السَّحَابِ الَّذِى هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا فَقَالَ أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّى أَنْظُرُ الَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ

القائم حقيقة بكل انسان «إن كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبداً» (ما اسمك) أي العلم عليك ويحتمل أن يراد مطلق ما يعرف به من علم أو صفة أو غيره (قال فلان) خبر لمحذوف دل عليه ذكره فى السؤال وفلان كما تقدم كناية عن المبهم من الانسان (للاسم) فى محل الحال من فلان أي موافقا للاسم (الذى سمع) العائد محذوف أى سمعه (فى السحابة فقال) أي بعد بيان اسمه له (يا عبد الله ولم تسئلنى) الواو عاطفة علي مقدر أى أجبتك عن مسئلتك وأسألك (عن) سبب سؤالك عن (اسمى) واللام جارة لما الاستفهامية حذفت ألفها كقوله تعالى « عم يتساءلون » وقوله « بم يرجع المرسلون » (فقال إنى سمعت صوتا في السحاب) أل فيه للعهد الذهني بقرينة قوله (الذى هذا ماؤه) ويحتمل كونها للجنس (يقول) جملة فى محل الحال من الصوت على حذف مضاف أى ذا صوت قائلا (اسق) بوصل الهمزة فى الأصح ويجوز قطعها يقال سقاه وأسقاه بمعني (حديقة فلان وقوله فما تصنع فيها) استفهام عن بيان ما أنتج له من العناية الالهية حسن هذه الثمرة بالتخصيص (فقال أما) بفتح الهمزة وتشديد الميم حرف للتأكيد متضمن معنى الشرط (اذ قلت هذا) اى اخبرت بما سمعت ما دعاك للسؤال (فانى) ابين لك عملي الذي نتج عنه بفضل الله سبحانه ذلك وهو أنى (انظر الي ما يخرج منها) اى من الارض من حب او ثمر (فاتصدق بثلثه)بضم أوليه

وَآكُلُ أنا وعيَالي ثُلثًا وَأرُدُّ فيها ثُلثَهُ » رَواه مُسلمٌ ، الْحَرَّةُ الأَرْضُ المُلْبَسَةُ حجَارَةً سُودًا ، والشَّرْجةُ بفتْح الشـين المعجَمَةِ واسكانِ الرَّاء وبالجيم ِ هيَ مَسيل الماء

باب النهى عن البخل والشح

في الافصح ويجوز تسكين ثانيه تخفيفا زيادة في التقرب الى الله سبحانه وتعالى والا فالواجب فى شريعتنا فى النصاب من ذلك العشر تارة ونصفه اخرى (وآكل أنا وعيالى) اي اعوانهم من اهل وولد وزوجة وخادم وغير ذلك (ثلثا وأردفيها ثلثه) اى ثلث الخارج (رواه مسلم) فى صحيحه في أبواب الزهد (الحرة) بفتح الحاء المهملة وتشديد الراء وبالتاء (الارض الملبسة حجارة سودا) اي التى علاها ذلك وغلب عليها فكأنها لبست وقال في المصباح والجمع حرار كـكلابة وكلاب (والشرجة بفتح الشين) المعجمة (واسكان الراء وبالجيم) وسكت المصنف عن التاء آخره قال فى المصباح و بعضهم يحذف فيقول شرج هي (مسيل الماء)وجمعها شراج كـكلبة وكلاب

{ باب النهى عن البخل والشح }

قال فى المصباح بخل بخلا اى بفتح أوليه و بخلا اى بضم فسكون من بابى تعب وقرب والاسم البخل وزان فلس والبخل فى الشرع منع الواجب وعند العرب منع السائل مما يفضل عنده وفيه أيضا الشح البخل وفى شرح مسلم للمصنف قال جماعة الشح أشد البخل وابلغ فى المنع منه فقيل هو البخل مع حرص وقيل البخل فى أفراد الامور والشح عام وقيل البخل بالاموال خاصة والشح بالمال والمعروف وقيل الشح الحرص علي ماليس عنده والبخل بما عنده اه وأصله فى النهاية وزاد

« قَالَ اللهُ تعالى وأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ اذَا تَرَدَّى » وقَالَ تعالى « وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ » وَأَمَّا الأَحَادِيث فَتَقَدَّمَتْ جُمْلَةٌ مِنْهَا فِى البَاب السَّابق

شح يشح شحا فهو شحيح والاسم الشح وترجمة المصنف تمشى على هذا فان الاصل فى العطف التغاير وعلى ما فى المصباح يكون من عطف الرديف اكتفاء بتغاير اللفظ كهو فى قوله تعالى انما أشكوا بثى وحزني الى الله (قال الله تعالى وأما من بخل) اى بالانفاق فى الخيرات (واستغنى) أى بالدنيا عن العقبى (وكذب بالحسنى فسنيسره) فى الدنيا (للعسري) للخلة المؤدية الى الشدة فى الآخرة وهى الأعمال السيئة ولهذا قالوا من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ومن جزاء السيئة السيئة بعدها (ومايغنى عنه ماله اذا تردى) أي هلك وسقط وتردى في جهنم *(وقال تعالى ومن يوق شح نفسه) أي ومن سلم من الحرص الشديد الذى يحمله على ارتكاب المحارم ومنع أداء ما وجب عليه أداؤه وفي تفسير ابن عطية شح النفس فقر لا يذهبه غني المال بل يزيده وينصب به وقال ابن زيد وابن جبير وجماعة من لم يأخذ شيأ نهاه الله عنه ولم يمنع الزكاة المفروضة فقد برىء من شح النفس وقال ابن مسعود شح النفس أكل مال الناس بالباطل أما منع الانسان ماله فبخل وهو قبيح ولكن ليس بشح (فأولئك هم المفلحون) الفائزون ببغيتهم (وأما الاحاديث) أى النبوية (فتقدم جملة منها فى الباب السابق) كقوله وأن تمسكه شر لك وقوله واعط كل ممسك تلفا ولا توكي فيوكي الله عليك وباقى أحاديث ذلك الباب تدل بمفهومها على ما عقد له هذا الباب لان الثناء على الكرم والامر به ذم بضده ونهي

* وعنْ جابر رَضيَ اللهُ عنه أنَّ رَسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اتَّقوا الظُّلْمَ فانَّ الظُّلمَ ظلماتٌ يوْمَ القِيامةِ وَاتَّقوا الشُّحَّ فانَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قبلَكمْ حَمَلَهُم على أنْ سفَكوا دِمَاءهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ » رواه مسلم

باب الايثار وَالمواسَاة

عنه * (وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم) أي اتخذوا لكم وقاية منه بالقسط والظلم التصرف فى حق الغير بغير طريق شرعي وقيل وضع الشيء فى غير موضعه (فان الظلم) أى فى الدنيا (ظلمات) بضم اللام وباسكانها تخفيفا وبالفتح (يوم القيامة) يحتمل كما تقدم انه على حقيقته وظاهره انه يصير ظلمة فى الآخرة ويحتمل كونها كناية عن شدائد ذلك اليوم وما يلقاه من الاهوال (واتقوا الشح) بالضم علي الافصح من لغات ثلاث في أوله (فان الشح) أتي بالظاهر فيه وفيما قبله(١) تقبيحا له وتنفيرا منه ونعا(٢) بقبحه بالنداء عليه بالاسم الدال على ذلك (أهلك من كان قبلكم) أى من بنى اسرائيل (حملهم علي أن سفكوا) بفتح الفاء أى أراقوا (دماءهم) أى قتل بعضهم بعضا فهو كقوله تعالي « وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم) قال المفسرون أي لا يقتل بعضكم بعضا (واستحلوا محارمهم) أي ما حرم عليهم من الشحوم فباعوه واحتالوا لولوج السمك الى ما حفروه يوم السبت ليدخل فى حوزهم فيبيعوه بعد فيوقعهم في ذلك الشح (رواه مسلم) وقد تقدم مع شرحه فى باب تحريم الظلم

﴿ باب الايثار ﴾

بكسر الهمزة وسكون التحتية بعدها مثلثة مصدر آثر يؤثر (والمواساة) مفاعلة من

---

(١) أى قوله فان الظلم (٢) كذا ، ولعله « ونعياً » . ع

قَالَ اللهُ تَعَالى « وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ »
وَقَالَ تعالى « وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا

التواسي قال فى القاموس آساه بماله مواساة أناله منه وجعله فيه اسوة ولا يكون ذلك الا من كفاف فان كان من فضل فليس بمواساة اه وقال فى محل آخر منه واساه مواساة أى بالواو بدل الهمزة لغة رديئة اه (قال تعالي ويؤثرون) أى يقدمون يعنى الانصار والمهاجرون (على أنفسهم) فيما عندهم من الاموال (ولو كان بهم خصاصة) أي حاجة الى ما عندهم ونزلت فى قصة الانصارى الآتية أول الاحاديث (وقال تعالى ويطعمون الطعام على حبه) الاولى أن يكون الضمير للطعام ليكون موافقاً لقوله تعالى « لن تنالوا البر حتي تنفقوا مما تحبون » ولان فيما بعده وهو لوجه الله غنية عن أن يكون التقدير على حب الله (مسكينا ويتيما وأسيرا) وان كان من أهل الشرك أمر صلى الله عليه وسلم باكرام الاسراء يوم بدر والمراد المسجونون من المسلمين « انما نطعمكم لوجه الله » أى قائلين ذلك بلسان الحال أو المقال لتعريف الفقير انها صدقة لا تطلب جزاء وقوله لوجه أى اطعاما خالصاً غير مشوب «لا نريد منكم جزاء ولا شكورا» مصدر كالقعود والجملة حالية من فاعل نطعم «انا نخاف من ربنا» جملة مستأنفة كالتعليل «يوما» اي عذابه فهو مفعول به «عبوسا» شديد العبوس مجازاً أى عبوسا فيه أهله أو كالاسد العبوس فى الضرر والشدة « قمطريرا » شديد العبوس عن عكرمة وغيره يعبس الكافر حتى يسيل من عينيه عرق كالقطران وعن ابن عباس العبوس الضيق والقمطرير الطويل « فوقهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة » بدل عبوس الكفار «وسرورا» بدل حزنهم «وجزاهم بما صبروا » بدل صبرهم على ترك الشهوات وأداء الواجبات « جنة وحريرا » يلبسونه وهذا مراد

إِلَى آخِرِ الآيَاتِ » وعنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قال « جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلم فقالَ إِنِّي مَجْهُودٌ فأَرْسَلَ الَى بَعْضِ نِسَائِهِ فقَالَتْ وَالذي بَعَثَكَ بالحقِّ ما عِنْدِي إلاَّ ماءٌ ثمَّ أَرْسَلَ الَى أُخْرَى فقَالتْ مثلَ ذلكَ حتى قلْنَ كلُّهُنَّ مِثلَ ذلِكَ لاَ والذِي بعَثَكَ بالحقِّ ما عِنْدِي الاَّ ماءٌ

الشيخ رحمه الله بقوله (الآيات) فان فيها بيان مثوبة الايثار والمواساة في الله سبحانه *(وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل) قال الشيخ زكريا فى تحفة القاري هو أبو هريرة وفي تفسير ابن عطية انه مهاجري ولم يسمه فلعله هو (الى النبي صلي الله عليه وسلم فقال انى مجهود) أى أصابني الجهد وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع (فأرسل الي بعض نسائه) يحتمل بدؤه بها لتجويزه وجود شيء عندها مما يسد حاجة الرجل أو لقرب منزلها منه وتأخير الباقيات لبعد منزلهن بالنسبة الى الاولي (فقالت) أى المرسل اليها منهن (والذى بعثك بالحق) أى محقا أو متلبساً به (ما عندى الا ماء) ومرادها ما عندى من جنس ما يطعم شيء من الاشياء الا الماء بقرينة السياق فالاستثناء مفرغ من أعم الاشياء (ثم أرسل الى أخري) أى منهن (فقالت مثل ذلك) هذا من باب الرواية بالمعني والمشار اليه قول السابقة والذى بعثك الخ أى فقالت الثانية ذلك المقال وهكذا (حتى قلن كلهن) توكيد للضمير قبله لافاعل للفعل قبله الاعلى لغة أكلوني البراغيث (مثل ذلك) هو من باب الرواية بالمعني ولذا فسره ببيان قول كل واحدة (لا) نافية لجملة بعدها أى لا أجد له ما طلبت وقولها (والذى بعثك بالحق ما عندى الا ماء) جملة قسمية لتأكيد الامر وان ليس عندها ما يطعمه ذلك الضيف سوى

فَقَالَ مَنْ يُضِيفُ هذا اللَّيْلَةَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ فَقَالَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم »وَفِي رِوَايَةٍ « قَالَ لِامْرَأَتِهِ هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ قَالَتْ لاَ

الماء (فقال من يضيف) بضم أوله (هذا) أى الرجل المجهود (الليلة) بالنصب على الظرفية (فقال رجل من الانصار) زاد مسلم يقال له أبو طلحة وقيل هو ثابت ابن قيس بن شماس وقيل عبد الله بن رواحة ذكره السيوطي فى التوشيح وفى تفسير ابن عطية قال أبو هريرة فى كتاب مكى هـذا الرجل هو أبو طلحة وقال المتوكل هو ثابت بن قيس وخلط المهدوى فى ذكر هذا الرجل اه عزوه كونه أبا طلحة الى ما ذكره مع أنه فى صحيح مسلم عجيب منه مع انه من حفاظ الاسلام (انا) يحتمل أن يكون مبتدأ حذف خبره لدلالة وجوده في السؤال أى أنا أضيفه ويحتمل كونه فاعلا لمحذوف أى أضيفه فحذف الفعل اكتفاء بدلالة وجوده فى السؤال عليه وانفصل الضمير (يا رسول الله فانطلق به الى رحله) بفتح الراء وسكون المهملة أى منزله قال في المصباح رحل الشخص مأواه فى الحضر ثم أطلق علي أمتعة المسافر لانها هناك مأواه (فقال لامرأته) ان كان أبا طلحة فامرأته أم سليم (أكرمى ضيف رسول الله صلي الله عليه وسلم) أى فانه نزل عليه صلى الله عليه وسلم ولم يكن فى بيوته مايضيفه به وفيه ان اكرامه الضيف كرامة مضيفه (وفى رواية) هى لمسلم (قال) فى مسلم فقال بفاء عاطفة على فانطلق في قوله قبله فقام رجل من الانصار فقال أنا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال (هل عندك شيء) وهذا فى هذه الرواية عوض قوله فى الرواية السابقة أكرمى الخ ولعله سألها أولا بما في رواية مسلم فلما أخبرته بما عندها كما قال (قالت لا) بعدها جملة مقدرة لدلالة ما قبلها عليها أى لا شيء

إلاَّ قُوتُ صِبْيَانِي قال فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ وَإِذَا أَرَادُوا العَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ وإذا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وأَرِيهِ أنَّا نَأْكُلُ فقعدُوا وأَكَلَ الضَّيْفُ وبَاتَا طَاوِيين فلمَّا أصْبَحَ غَدَا على النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقالَ لقدْ عجبَ اللهُ من صَنِيعِكُما بِضَيْفِكما الليلةَ »

عندى وقولها (الاقوت صبياني) استثناء من ذلك المقدر قال ابها أكرمي الخ (قال فعلليهم بشيء) محمول على أن الصبيان لم يكونوا محتاجين للاكل وانما تطلبه أنفسهم على عادة الصبيان من غير جوع يضر إذ لو كانوا بتلك الحال بحيث يضرهم ترك الأكل لكان إطعامهم واجبا مقدما علي الضيافة وقد أثنى الله عليه وعلى امرأته فدل على أنهما لم يتركا واجبا بل أحسنا وأجملا قاله المصنف «قلت» وحينئذ فيراد بقولها قوت صبياني أى مايعتادون الاقتيات به علي عادتهم من الولع بالطعام من غير حاجة حافة اليه فيكون فيه مجاز (وإذا أرادوا العشاء فنوميهم) وذلك لئلا يضيقوا الطعام علي الضيف فلا يبلغ حاجته منه (وإذا دخل ضيفنا) أى منزلنا (فأطفئي السراج) بقطع همزة اطفئي (وأريه أنا نأكل) أى اظهرى له فهو كناية عن تداول أيديهما على الطعام وتحريك الفم والمضغ كفعل الاكل وليس ذلك من باب الشبع بما ليس للانسان بل هو باب المروءة والايثار للضيف ليأنس ويأخذ حاجته (فقعدوا) أى الضيف وهما (وأكل الضيف وباتا طاويين) أى خاليين بطنهما جائعين لم يأكلا والجملة محتملة للعطف والحالية (فلما أصبح) أى دخل الصباح (غدا) أى جاء صباحا عارضا نفسه (على النبي صلي الله عليه وسلم فقال لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة) قال القاضي عياض المراد بالعجب من الله رضاه ذلك الشيء وقيل مجازاته عليه بالثواب وقيل تعظيمه ذلك قال وقد يكون المراد عجبت

متفقٌ عليه ، وعَنْهُ قالَ قالَ رَسول الله صلى الله عليه وسلم « طَعَامُ الاثْنينِ كَافِي الثلاثَةِ وطَعَامُ الثلاثَةِ كَافِي الأَرْبعةِ » متفق عَلَيْه

ملائكة الله واضافه اليه سبحانه تشريفا (متفق عليه) واللفظ من قوله وفى رواية الخ لمسلم وللبخاري بنحوه أخرجه البخاري فى فضائل الانصار وفي التفسير وأخرجه مسلم فى أواخر الاطعمة ورواه الترمذى بنحوه في التفسير من جامعه وقال حسن صحيح ورواه النسائى فى التفسير أيضا من سننه (وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الاثنين كافى الثلاثة وطعام الثلاثة كافى الأربعة) قال المهلب المراد بهذا الحديث وما بعده الحض على المكارم والتقنع بالكفاية يعنى وليس المراد الحصر فى مقدار الكفاية وانما المراد المؤاساة وانه ينبغى للاثنين ادخال ثالث لطعامهما وادخال رابع أيضا بحسب من يحضر ووقع عند الطبرانى مايرشد الى العلة فى ذلك وأوله كلوا جميعا ولا تفرقوا فان طعام الواحد يكفى الاثنين الحديث فيؤخذ منه أن الكفاية تنشأ من بركة الاجتماع وان الجمع كلما زاد زادت البركة وقال ابن المنذر يؤخذ من الحديث استحباب الاجتماع على الطعام وألا يأكل المرء وحده وفيه أيضا الاشارة الي أن المواساة اذا حصلت حصل معها البركة فتعم الحاضرين وفيه أيضا انه ينبغى للمرء ألا يستحقر ما عنده فيمتنع من تقديمه فان القليل قد يحصل به الاكتفاء بمعنى سد الرمق واقامة البنية لا حقيقة الشبع اه ملخصا وفي أمالى العز بن عبد السلام قوله طعام الاثنين الخ هو خبر بمعنى الامر أى اطعموا طعام الاثنين بين الثلاثة أو انه للتنبيه على أن طعامهما يقوت الثلاثة وأخبر بذلك ليذهب الجزع قال والاول أرجح لان الثاني معلوم (متفق عليه) ورواه الترمذى أيضا من حديث أبى هريرة ورواه أحمد ومسلم

وفي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ عَنْ جابرٍ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال « طعامُ الواحدِ يكفي الاثنين وطعامُ الاثنين يكفي الأربعةَ وطعامُ الأربعةِ يكفي الثمانيةَ » * وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال بينما نحنُ في سفر مَعَ النبيِّ صلى اللهُ عَلَيهِ وسلم اذ جاءَ رَجلٌ على رَاحِلةٍ لهُ فجعل يَصْرِفُ بَصَرَهُ يميناً وشمالاً فقالَ رسول اللهِ صلى اللهِ عليهِ وسلم « مَنْ كانَ معه فضلُ ظهرٍ فليَعُدْ بهِ على من لا ظهرَ له

والترمذي والنسائي من حديث جابر مرفوعا بلفظ طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وطعام الاربعة يكفي الثمانية كذا في الجامع الصغير (وفي رواية لمسلم) ورواها أيضا احمد والترمذي والنسائي (عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وطعام الاربعة يكفي الثمانية) لا يقال يؤخذ منه أن طعام الواحد يكفي الثمانية باسقاط المكرر فينتج ما ذكر من الشكل لفقد شرط انتاجه من كلية الكبرى * (وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بينما نحن في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم) يجوز أن يكون الظرفان خبراً بعد خبر ويجوز أن يكون أحدهما خبرا والثاني حالا (إذ جاء رجل علي راحلة) هي المركب من الابل ذكراً كان أو أنثى وبعضهم يقول هي الناقة التي تصلح أن ترحل والظرف في محل الصفة للفاعل وقوله (له) في محل الصفة للراحلة (فجعل) من أفعال الشروع (يصرف) أي يجول (بصره يمينا وشمالا) ينظر من يجود عليه بما يسد خلته (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه فضل ظهر) أي مركوب فاضل عن حاجته فهو من اضافة الصفة للموصوف (فليعد) أي يتصدق (به على) المحتاج اليه (من لا ظهر) أي مركوب (له) كافياً لحاجته بذلا لما فضل عن الحاجة في مرضاة الله

ومَنْ كَانَ لهُ فضلٌ من زادٍ فليَعُدْ به على مَنْ لا زَادَ لهُ فذكر من أصنافِ المالِ ما ذكرَ حتى رأينا أنهُ لا حقَّ لأحدٍ منّا في فضلٍ » رواهُ مسلمٌ * وعنْ سهلِ بن سعدٍ رضيَ الله عنهُ أنَّ امرأةً جاءتْ الى النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم ببُردةٍ

فيبقى له بعد ان كان فانيا (ومن كان معه فضل) أي فاضل عن حاجته (من زاد) في المصباح زاد المسافر هو الطعام المستعد لسفره (فليعد به علي من لا زاد له فذكر من أصناف المال ماذكر) جمع صنف قال ابن فارس هو فيما ذكر عن الخليل الطائفة من كل شيء وقال الجوهري الصنف هو النوع والضرب وهو بكسر الصاد وفتحها لغة حكاه ابن السكيت وجماعة وجمع المكسور أصناف كحمل وأحمال والمفتوح صنوف كفلس وفلوس قاله في المصباح أى ذكر أنواع المال وأمر ببذل الفاضل عن الحاجة من كل المحتاج اليه من باب المواساة وهذا الحديث كحديث انك يا ابن آدم أن تبذل الفضل من مالك خير لك وأن تمسكه شر لك وقد تقدم قريبا (حتى) غاية لمقدر أى أمر بالعود بما فضل عن الحاجة المحتاج الى أن (رأينا) من الرأى أو بمعني العلم (انه لا حق لأحد منا) أي معشر بني آدم أو معشر الصحابة المخاطبين بذلك وحكم غيرهم من باقي الأمة حكمهم (في فضل) أى في فاضل عن حاجته الحالة (رواه مسلم * وعن سهل بن سعد) الانصارى الساعدى (رضى الله عنه أن امرأة) قال الحافظ فى الفتح لم أقف على إسمها (جاءت الى النبي صلي الله عليه وسلم ببردة) قال في النهاية البرد نوع من الثياب معروف الجمع أبراد وبرود والبردة الشملة المخططة وقيل هي كساء أسود مربع فيه صفر تلبسه الاعراب وجمعها برد اه وقد روى البخارى فى باب حسن

مَنْسُوجَةٍ فَقَالَتْ نَسَجْتُهَا بِيَدَيَّ لِأَكْسُوكَهَا فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ فَقَالَ فُلَانٌ

الخلق والسخاء من كتاب الادب من صحيحه تفسير البرد عن سهل ولفظه وقال سهل للقوم أتدرون ما البرد فقال هي شملة فقال سهل هي شملة منسوجة فيها حاشيتها اه وهذا أولى ماقيل فيه لانه بيان الراوى المشاهد للقصة (منسوجة) صفة بردة (فقالت نسجتها بيدى لأكسوكها فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم) جبراً لخاطرها بتلقي هديتها بالقبول ففيه استحباب المبادرة لأخذ الهدية لجبر خاطر مهديها وانها وقعت منه موقعا وقوله (محتاجا اليها) حال من الفاعل وكأنهم عرفوا ذلك بقرينة الحال أو بتصريح سابق منه بذلك ومع ذلك فليس الباعث على أخذها الحاجة بل التشريع بما ذكرنا (فخرج الينا وانها إزاره) بكسر الهمزة وجمعه أزر وهو ما يلبس فى أسفل البدن لستر العورة والجملة حال من ضمير خرج (فقال فلان) هو كما أفاد المحب الطبرى فى الاحكام له عبد الرحمن بن عوف وعزاه للطبرانى فقال الحافظ لم أره فى المعجم الكبير لا فى مسند سهل ولا فى مسند ابن عوف ونقل ابن النحوى عن المحب في شرح العمدة وكذا قال لنا شيخنا الحافظ أبو الحسن الهيثمى انه وقف عليه لكن لم يستحضر مكانه ووقع لشيخنا ابن النحوى في شرح التنبيه انه سهل بن سعد وهو غلط كانه تلبس عليه الراوى نعم أخرج الطبرانى الحديث المذكور من طريق قتيبة بن سعيد عن سهل بن سعد وقال فى آخره قال قتيبة هو سعد بن أبي وقاص اه وقد أخرجه البخارى فى اللباس والنسائى فى الزينة عن قتيبة ولم يذكرا عنه ذلك وجاء من طريق زمعة بن صالح ان السائل المذكور كان اعرابيا قال الحافظ فلو لم يكن زمعة ضعيفا لا نتفي أن يكون هو عبد الرحمن أو سعد ويقال تعددت القصة

اكْسُنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا فَقَالَ نَعَمْ فَجَلَسَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ فِي الْمَجْلِس ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيهِ فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ مَا أَحْسَنْتَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُحْتَاجًا إِلَيهَا ثُمَّ سَأَلْتَهُ وعلِمت أَنَّهُ لا يَرُدُّ سَائِلاً فَقَالَ إِنِّي واللهِ ما سَأَلْتُهُ لِأَلْبَسَهَا إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي قَالَ سَهْلٌ فَكَانَتْ كَفَنَهُ » رَوَاه البخارِي

(اكسنيها ما أحسنها) بنصب النون وما تعجبية (فقال نعم) هذا وعد بأن يكسوه (فجلس النبي صلى الله عليه وسلم فى المجلس) الذى وقع فيه السؤال (ثم رجع) الي منزله (فطواها ثم أرسل بها اليه فقال له القوم) ووقع فى تفسير المعاتب له من الصحابة انه سهل الراوي قال سهل فقلت للرجل لم سألته وقد رأيت حاجة اليه قال رأيت ما رأيتم ولكنى أردت أن أخبأها حتى اكفن فيها (ما أحسنت) ما نافية (لبسها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها) جملة استئنافية تعليل لنفي الاحسان عنه (ثم سألته وعلمت) جملة حالية بتقدير قد أى وقد علمت (انه لا يرد) قال فى الفتح فى كتاب الجنائز كذا وقع هنا بحذف المفعول وثبت فى رواية ابن ماجة بلفظ لا يرد سائلا ونحوه وفى رواية يعقوب فى البيوع وفى رواية ابن غسان فى الادب لا يسأل صلى الله عليه وسلم شيئا فيمنعه اه ويستفاد منه ان (سائلا) الذى أورده المصنف هنا انما هو لابن ماجه ولعله من تغيير الكتاب أوانه التبس علي المصنف لورود معناه به عند البخارى فى البيوع فتوهمه فرواه والله أعلم (فقال إنى والله ما سألته لالبسها انما سألته لتكون كفنى) فى رواية أبي داود فقال رجوت بركتها حين لبسها النبي صلي الله عليه وسلم (قال سهل فكانت كفنه رواه البخاري) فى الجنائز من صحيحه بهذا اللفظ ورواه ابن ماجه فى اللباس من سننه وفي الحديث التبرك بآثار الصالحين وجواز اعداد الشيء

*وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم» متفق عليه

قبل الحاجة اليه لكن لا يندب عند الشافعية اعداد الكفن لنفسه لئلا يحاسب على ادخاره كما يحاسب على اكتسابه لا أن يقطع بحله أو يكون من اثر ذى صلاح وفيه حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم وسعة جوده وقبول الهدية (وعن أبي موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الاشعريين) نسبة للاشعر وهو نبت ابن أدد بن يشجب بن يعرب بن قحطان (اذا أرملوا) أي فنى ازوادهم وأصله من الرمل كأنهم لصقوا بالرمل من القلة كما في ذا متربة (في الغزو) أي الخروج لقتال العدو (أو) يحتمل أن تكون للشك من الراوى أقال ماتقدم أوقال (إذقل طعامهم فى المدينة) أى محل اقامتهم ويحتمل أن تكون للتنويع أى إنهم يفعلون ذلك فى السفر والحضر ولفظ البخارى أوقل طعام عيالهم (جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية) علي قدر الحاجة (فهم مني) قريبون خلقا وهديا (وأنا منهم) قال المصنف هذا معناه المبالغة في اتحاد طريقتهما واتفاقهما فى طاعة الله تعالى وقال الحافظ فى الفتح معناه هم متصلون بي وتسمى من هذه الاتصالية قال الشيخ زكريا ومثله لا انا من الدد ولا الدد مني وقيل المراد فعلهم فعلى (متفق عليه) أخرجه البخارى فى الشركة ومسلم فى الفضائل ورواه النسائى فى السير قال المصنف في الحديث فضيلة الاشعريين وفضيلة الايثار والمواساة وفضيلة خلط الازواد فى السفر وفضيلة جمعها في شيء

أَرْمَلوا فرغ زادهُمْ أو قاربَ الفَرَاغَ

(باب التنافس فى أُمور الآخرة)

والاستكثار مِمَّا يُتَبَرَّكُ بهِ « قالَ اللهُ تعالى وَفِي ذَلكَ فَلْيَتَنافسِ الْمُتَنَافِسُونَ »* وعنْ سَهْلِ بن سَعْدٍ رَضي اللهُ عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم أُتي بشراب

عند قلتها ثم قسمها وليس المراد من القسمة هنا المعروفة فى كتب الفقه بشروطها ومنعها في الربويات واشتراط المساوات وغيرها بل المراد أباحة بعضهم بعضا ومواساتهم بالموجود (أرملوا فرغ أزوادهم) هو ما اقتصر عليه فى شرح مسلم (أوقارب الفراغ) وكأن الاول بيان موضوع اللفظ لغة والثاني بيان المراد هنا لان القسمة انما تكون في الموجود لافي الذاهب رأسا والله أعلم

(باب التنافس فى أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به)

أي طلب ذلك لما جاء فيه وفى النهاية التنافس من المنافسة وهي الرغبة فى الشيء والانفراد به وهو من الشيء النفيس الجيد فى نوعه اه والاستكثار طلب الكثرة وقوله مما يتبرك متعلق به والتبرك بالشيء لاسباب كان كان فيه أثر صالح أوظهر فيه آية أو كان قريب عهد بتكوين من الله سبحانه (قال الله تعالى وفى ذلك فليتنافس) فليرتقب «(١)» (المتنافسون) المرتقبون وقال ابن عطية التنافس في الشيء المغالاة فيه وان يتمه كل واحد نفسه فكأن نفسيهما تتباريان فيه وقيل هو من قولك شيء نفيس فكأن هذا يعظمه ثم يعظه الآخر ويستبقان اليه (وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم أتي بشراب) وهو كما فى المصباح مايشرب من المائعات وكان ذلك كما قال

---

(١) لعله فليرغب الراغبون كما فى الجلالين

فَشَرِبَ مِنْهُ وعَنْ يمينِهِ غُلَامٌ وَعنْ يَسارِهِ الأَشْياخُ فقالَ لِلْغُلَامِ أَتأْذَنُ لِي أَنْ أُعطِيَ هؤُلَاءِ فقَالَ الغُلَامُ واللهِ يا رَسُولَ اللهِ لَا أُوثِرُ بنَصِيبِي مِنْكَ أحداً

الحافظ فى بيت ميمونة أم المؤمنين (فشرب منه) فيه استحباب شرب البعض اذا كان ثمة غيره (وعن يمينه غلام) هو كما سيأتي فى الاصل عبد الله بن عباس وقيل هو الفضل أخوه حكاه ابن بطال قال الحافظ والصواب الاول (وعن يساره الاشياخ) جمع شيخ من شاخ فى السن اذا طعن فيها وذلك من الخمسين سنة فوق ويطلق الشيخ لغة على من مهر فى العلوم وان لم يكن فى السن كذلك فيقل للغلام ويصلح كما قال الحافظ أن يعد من جملة الاشياخ خالد قال وقد روى ابن أبى حازم عن أبيه فى حديث سهل ابن سعد ذكر أبي بكر الصديق فيمن كان على يساره صلى الله عليه وسلم ذكره ابن عبد البر وخطأه (فقال للغلام أتأذن لى أن أعطى هؤلاء) جاء فى رواية الترمذى عن ابن عباس فقال لى الشربة لك فان شئت أثرت بها خالدا الحديث قال الحافظ قال ابن الجوزي وانما استأذن الغلام دون الاعرابي المذكور فى حديث أنس من شربه صلى الله عليه وسلم اللبن وعن يمينه أعرابي وعن يساره أبو بكر الحديث لان الاعرابي لم يكن له علم بالشريعة فاستألفه بترك استئذانه بخلاف الغلام (فقال الغلام والله يارسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحداً) أكد بالقسم وتوسيط ندائه صلى الله عليه وسلم بوصف الرسالة ايماء الى أن العلة فى عدم الايثار ليس كونه شرابا فان الاهتمام بأمر المطاعم شأن البهائم انما هو لحلول أثر بركته عليه لكونه سؤره وفضله وذلك ينزع اليه أرباب الافهام ويتنافس فيه أولوا الاحلام فلذا عبر بقوله بنصيبي منك أى من اثر بركتك وفيضك أحدا والتنكير فيه للتعميم ليعم القريب والبعيد والمشرف والشريف وفيه مزيد

فتلَّهُ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم في يَدِهِ » متفقٌ عليهِ ، تلَّهُ بالتاءِ المُثناة فوقُ أيْ وَضعهُ وهذا الغلامُ هُوَ ابْنُ عبّاس رضي اللهُ عنهُما

* وعنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم قال « بيْنا أيُّوبُ عليهِ السَّلامُ يغتسِلُ عُرْياناً فخرَّ عليهِ جرادٌ منْ ذهبٍ

نباهة ابن عباس وجودة فكره إذ نظر الى الاشياء فى مكانتها ولذا قال بقوله عمر عند استجلاء أفكاره فيما يدلهم عليه من الامور «غص يا غواص» (فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده متفق عليه) رواه البخاري بهذا اللفظ فى كتاب المظالم والغصب وفي كتاب الشرب وزاد بعد أحد قوله يا رسول الله وقال بدل قوله فتله فأعطاه إياه فى يده ورواه مسلم فى الاشربة وأخرجه النسائي في الاشربة من سننه (تله بالتاء المثناة فوق) أي وتشديد اللام (أى وضعه) فى تحفة القارى أى وضعه بقوة وفى النهاية قيل التل الصب فاستعير الالقاء يقال تل يتل اذا صب، وتل يتل اذا سقط، الاول بالضم والثاني بالكسر فى المضارع (وهذا الغلام) كما حكاه الحافظ عن ابن التين وجاء كذلك فى رواية الترمذى من حديث ابن عباس نفسه (هو ابن عباس) أى عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) فان هذا علم عليه بالغلبة كابن عمر وابن مسعود على عبد الله * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما أيوب عليه السلام) قال العراقي فى شرح التقريب يقال هو أيوب بن رزاح بن روم بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم (يغتسل عريانا) فيه جواز الاغتسال عريانا في الخلوة مع امكان التستر وهو مذهب الجمهور (فخر) بالخاء المعجمة أي سقط (عليه جراد من ذهب) هذا ظاهر فى سقوطه عليه من علو وهو إكرام من الله تعالي له وهو معجزة فى حقه وهل كان جراداً حقيقة ذا

فجعل أيوب يحثي في ثوبه فناداه ربه عز وجل يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى وعزتك ولكن لا غنى لي عن بركتك »

روح الا أن جسمه من ذهب أو كان على شكل الجراد ولا روح فيه الاظهر الثاني قال الجوهري وليس المراد ذكر الجراد وانما هو اسم جنس كبقر وبقرة نحو بمذكره أن لا يكون من لفظه لئلا يلتبس الواحد المذكر بالجمع (فجعل) شرع (أيوب يحثي في ثوبه) استكثاراً من البركة لكونه قريب عهد بتكوين من الله سبحانه (فناداه ربه عز وجل) لا يخفى ما في التعبير من الرب المؤذن بالتربية والايصال الي الكمال في هذا المقام وهذا النداء الله أعلم انه كان بواسطة الملك لان المخصوص بالسماع من حضرة الحق سبحانه من الانبياء والمرسلين نبينا وموسى صلى الله عليه وسلم ثم رأيت العراقي أشار الى ما ذكرته وزاد احتمال كونه إلهاماً قال ويجوز كونه كفاحاً كما وقع لموسى وفيه نقد والاول وجهه ما ذكرنا وقوله (ألم أكن أغنيتك عما ترى) محكى لقول مقدر أو للنداء لما فيه من معنى القول والقول محتمل لان يراد منه غني القلب أو غني المال وفيه على الثاني أن أيوب كان غنيا شاكراً ولا ينافيه قوله تعالى « إنا وجدناه صابرا » لان المراد صبره على البلاء أو على الفقر معه والذى يظهر ان الله تعالى جمع لأيوب مقامى الصبر على الفقر والشكر على الغنى باعتبار حالتيه فكان فى نفس البلاء فقيراً صابراً وقبله و بعده غنياً شاكراً ولذا قال تعالى « إنا وجدناه صابراً » ثم قال نعم العبد ففيه الايماء الى أنه غنى شاكر كما قال فى حق سليمان نعم العبد انه أواب مع انه كان غنياً شاكراً (قال بلى) واستدرك من مفهوم ذلك قوله (ولكن لا غني لى عن بركتك) أى أغنيتني عنه من سائر الجهات من حيث انه مال وأنا لا آخذه كذلك شرها وحرصا ولكن لكونه بركة وفيها وجوه فقيل لانه قريب عهد بتكوين من الله

رَواهُ البُخارِى

باب فضل الغنيِّ الشّاكر

وَهُوَ مَنْ أَخَذَ المَالَ مِنْ وَجْهِهِ وصَرَفَهُ فى وُجُوهِهِ المَأْمُور بِهَا «قال اللهُ تَعالى فأَمّا مَنْ أَعْطَى واتَّقى وصَدَّقَ بِالْحُسنى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى»

تعالى كما حسر نبينا صلي الله عليه وسلم عن جلده حين نزل عليه المطر وقال انه حديث عهد بربه أى بتكوينه وقيل لانه نعمة جديدة خارقة للمادة فينبغى تلقيها بالقبول ففي ذلك منه شكر لها وتعظيم لشأنها وفى الاعراض عنها كفر بها وقريب منه حديث «ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتي عزائمه» وقيل ان هذا آية ومعجزة وكل ما نشأ عنها فهو بركة ومن ذلك قول الصحابة كنا نعد الآيات بركة وقيل غير ذلك (رواه البخاري) فى كتاب الانبياء من صحيحه

﴿باب فضل الغني الشاكر﴾

أى ما جاء فى ذلك والشاكر هو القائم بما أمر الله تعالى به فى المال فعلا وتركا كما قال المصنف (وهو من أخذ المال من وجهه) أي طريقه المأذون بأخذه منه شرعا كالمعاوضة المستجمعة لشروط الصحة السالمة من غش وخديعة وكالارث والوصية والاكتسابات المأذون فيها من احتطاب ونحوه (وصرفه) الاولى وانفاقه لقوله (فى وجوهه) أى طرقه (المأمور بهـا) شرعا واجبا عينياً كاداء الزكوات والكفارات والنذور أو كفائياً كالقيام بحاجة المحتاج من طعام وكسوة أو مندوبا كالتطوعات (قال الله تعالى فأما من أعطي) أى أنفق ماله لوجه الله (واتقى) محارمه (وصدق بالحسنى) المجازاة وأيقن أن الله سيخلفه عليه أو بالكلمة الحسنى وهي كلمة التوحيد (فسنيسره) نهيئه في الدنيا (لليسرى) للخلة التى توصله الى

وقال تعالى « وسيجنبها الأتقى الذى يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى »

اليسري والزلفى في الدار الآخرة يعنى الاعمال الصالحة والآية بعدها في ضد ذلك تقدمت مع الكلام علي ما يتعلق بها فى باب النهى عن البخل (وقال تعالى وسيجنبها) أي النار (الاتقي) أى الذى اتقى الشرك والمعصية فلا يدخلها اصلاً أما من اتقي الشرك فقط فيمكن أن يدخلها لكن لا يصلاها ولا يلزمها (الذى يؤتي ماله) يعطيه وينفقه فى طاعة الله (يتزكى) أى يطلب تزكية نفسه وماله فصلة الذى بدل أوحال فلا محل له علي الاول (وما لأحد عنده من نعمة تجزي) فيقصد باتيانه مجازاتها (إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) أى لكن يؤتي طلباً لمرضاة الله سبحانه والجمهور على نصب ابتغاء وانه على الاستثناء المنقطع وإلا بمعني لكن كما تقرر فهو فى الحقيقة مفعول له قاله الهمدانى ونظر ابن عطية في كون الاستثناء منقطعا وجعل الكواشى الاستثناء المنقطع والمفعولية له وجهين متقابلين محمول علي المعني والتقدير لم يعط الشىء إلا ابتغاء وجهه سبحانه والابتغاء الطلب أى إلا لطلب التوجه الى ربه الأعلي (ولسوف يرضى) من ربه حين يدخله في رحمته وعن كثير من السلف أن هذه السورة فى الصديق وهو الاتقى فيكون الحصر ادعائياً لا حقيقياً كأن غير هذا الاتقى غير مجتنب بالمكاية كذا فى تفسير السيد معين الدين الصفوى وفى تفسير ابن عطية لم يختلف أهل التأويل أن المراد بالاتقي الى آخر السورة أبو بكر ثم هي تتناول كل من دخل فى هذه الصفات وقال ابن كثير فى تفسيره قد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآى نزلت فى أبى بكر رضي الله عنه حتي أن بعضهم حكى الاجماع عن المفسرين على ذلك ولا شك انه داخل فيها واولى الناس بعمومها وان لفظها لفظ

وَقَالَ تَعالى « إنْ تُبْدُوا الصَّدَاقات فَنِعِمَّا هِيَ وإنْ تُخْفُوها وتُؤْتوها الفُقَرَاءَ فَهوَ خَيْرٌ لكمْ

العموم وهو قوله وسيجنبها الاتقى الخ ولكنه مقدم الامة وسابقهم فى جميع هذه الاوصاف الحميدة فانه كان صديقا تقيا كريما جوادا بذالا لامواله فى طاعة مولاه ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم وفى تفسير الكواشي والمراد بالاتقى أبو بكر الصديق قالوا باجماع المفسرين وما ذكره ابن عطية وابن كثير من أن الآية تشمل من دخل في تلك الصفات تعقبه الحافظ السيوطي فى الاتقان فقال بعد أن مهد قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب « تنبيه » قد علمت ان فرض المسئلة في لفظ عموم اما آية نزلت في معين ولا عموم فى لفظها فانها تقصر عليه قطعا كقوله تعالى وسيجنبها الاتقى الخ فانها نزلت فى الصديق اجماعا وقد استدل بها الفخر الرازى مع قوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم على أنه افضل الناس بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم ووهم من ظن ان الاية عامة فى كل من عمل عمله اجراء له على القاعدة وهذا غلط فان هذه الآية ليس فيها صيغة عموم اذ أل انما تفيد العموم اذا كانت موصولة أو معرفة فى جمع زاد قوم أو مفرد بشرط أن لا يكون هناك عهد واللام فى الاتقي ليست موصولة لأنها لا توصل بافعل التفضيل اجماعا والاتقى ليس جمعا بل مفرد والعهد موجود خصوصا مايفيد صيغة أفعل من التمييز وقطع المشاركة فبطل القول بالعموم وتعيين القطع بالخصوص والقصر على من نزلت فيه رضي الله عنه اه (وقال تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هى) اى ان أظهرتموها فنعم شيأ ابداؤها (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء) أى تعطوها مع اخفاء (فهو) أى اخفاؤها (خير لكم) والآية عامة فى كل صدقة لكن عن ابن عباس السر فى التطوع أفضل من العلانية يقال بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها أفضل بخمسة وعشرين

وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » وَقَالَ تَعَالَى « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ » وَالْآيَاتُ فِي فَضْلِ الْإِنْفَاقِ فِي الطَّاعَاتِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ *وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ

ضعفا (ويكفر عنكم) اي الله أو الاخفاء ففيه اسناد مجازى ومن قرأ مجزوما فهو عطف على محل جواب الشرط (من سيئاتكم) من للتبعيض أو لبيان الجنس أى شيئا هو السيئات (والله بما تعملون خبير) ترغيب فى الاخفاء (وقال تعالى لن تنالوا البر) الجنة او التقوى او كمال الخير (حتي تنفقوا مما تحبون) اى بعضه والمراد منه اداء الزكاة او صدقة السنة ويدل على الثاني ان كثيرا من الصحابة تصدقوا باراضيهم واعتقوا جواريهم حين أنزلت والمعنى لن تنالوا البر حتي تنفقوا وأنتم أصحاء أشحاء (وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم) فيجازي بحسبه (والآيات) الكائنة أو كائنة (في فضل الانفاق فى الطاعات) هى ما تقرب بها الى المولي (كثيرة معلومة) وفيما ذكر كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد (وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لاحسد) أى لاغبطة محمودة (الا فى اثنتين) من الخصال او فى ذى اثنتين منهافعلى الاول يقدر مضاف نحو خصلة قبل قوله رجل وهو فى الاصول مرفوع خبر محذوف أى هما خصلتان رجل ورجل فحذف المضاف واقيم رجل مقامه فارتفع (رجل آتاه) اي أعطاه (الله مالا) أى بطريق لاتبعة فيه كما يومي اليه اسناد الاعطا الى الله سبحانه والا فالتصدق بالسحت لاغبطة فيه (فسلطه على هلكته) أي اتلاف عينه بابقائه عند الله بانفاقه لوجهه

فى الْحَقِّ وَرَجلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهْوَ يَقْضِى بهَا وَيُعلِّمُهَا » منفقٌ عليه وتقدَّمَ شَرْحهُ قريباً * وَعن ابْنِ عُمَرَ رَضِي الله عنْهُمَا عنِ النّبيِّ صلّى الله عَلَيه وسلم قال « لاَحسَدَ إلاَّ فى اثْنَتَين رَجلٌ اتاهُ اللهُ القُرْآنَ فَهْوَ يَقومُ بهِ آناءَ اللّيلِ وآناءَ النّهارِ

ومرضاته (فى الحق) متعلق بالمصدر قبله (ورجل آتاه الله حكمة) أى علما ويجوز أن يراد بها القرآن لورود كل منهما فى رواية ويجوز أن يراد بها السنة والاول أقرب (فهو يقضي بها) أى عند التحاكم اليه (ويعلمها) ففيه أن شكر المال انفاقه فى وجوه الطاعات ابتغاء مرضات الله تعالى وأن شكر العلم العمل به وتعليمه (متفق عليه (وتقدم شرحه) أى تبيان المراد من قوله لاحسد (قريبا) نصبه على أنه صفة مصدر أى تقدما قريبا أو على الظرفية أى فى مكان قريب من الكتاب وهو باب فضل الكرم والجود (وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاحسد) أى لاينبغي أن يحسد أى يغبط (ألا فى اثنتين) ثوابهما بحسن التصرف من فاعلهما (رجل آتاه الله القرآن) قدم هنا علي المال من باب التدلى من الشريف الى المشروف وعكس فى الحديث قبله من باب الترقى أو لأن ذلك سيق للحض علي الاشتغال بالقرآن فقدم فى كل ماسيق له الحديث وذكر الآخر بالتبع أو ان ذلك علي وجه التفنن فى التعبير وعبر هنا بالقرآن الذى هو منبع العلوم ومعدنها وأصلها ومكمنها قال تعالى « مافرطنا فى الكتاب من شيء » وقال تعالي «والكتاب المبين » أي لكل شيء محتاج اليه كما يؤذن به حذف المعمول لانه الاصل وثم بالحكمة مرادا بها العلم الشرعى علي قول لعموم حاجة الناس فى معاشهم ومعادهم اليه (فهو يقوم به) أي فى صلاته (آناء الليل وآناء النهار) منصوب على

ورجلٌ آتاهُ اللهُ مالاً فهوَ يُنفقهُ آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ » متفقٌ عليه الآناء الساعات * وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ فقراءَ المهاجرينَ أتوا إلى رسولِ صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهبَ أهلُ الدثورِ بالدرجاتِ العُلا والنعيمِ المقيمِ فقالَ ومَا ذلكَ

الظرفية وأعاد المضاف دفعاً لتوهم أن المراد آناء مجموعهما لا كل على الانفراد و يحتمل أن يراد من القيام المداومة على تلاوته لا بخصوص كونه في صلاة (ورجل آتاه الله مالا) التنكير فيه للتعظيم كما يدل عليه قوله (فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار) ويحتمل أن يكون للشيوع فيشمل الجليل منه والحقير قال تعالى « لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها » (متفق عليه) تقدم ذكر من خرجه من حديث ابن عمر في باب فضل الكرم المذكور (الآناء) بالفتح ومد الهمزة قبل النون (الساعات) جمع واحده إني بالكسر والقصر وأناء بالمد والفتح وإني بوزن قنو وأنو بوزن دلو ذكرها الواحدي في تفسيره (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن) بالفتح ويجوز كسر الهمزة بتقدير قول قبلها (فقراء المهاجرين) من إضافة الصفة لموصوفها اى المهاجرين الفقراء (قالوا) على وجه الغبطة والتاسف على عدم تمكنهم من ذلك (يارسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات) الباء فيه للتعدية وفيها معنى المصاحبة (العلا) أي الرفيعة قال ابن عطية في التفسير الدرجات العلي هي القرب من الله تعالى (والنعيم المقيم) وهو نعيم الجنة الذى لا ينقضي أبدا (فقال وما ذاك) استفهام عن الذى لاجله قيل فيهم أنهم فازوا بذلك دنيا وعقبى ولم يتركوا منه للفقراء شيئا كما يومئ إليه السياق وأتى باسم الاشارة الموضوع للبعيد فيه مع قربه لفخامة شأنه كقوله تعالى تلك آيات الكتاب

فقالوا يُصلُّونَ كمَا نُصلِّي ويَصومُونَ كمَا نَصُومُ ويتَصَدَّقونَ ولاَ نَتصدَّقُ وَيُعْتِقُونَ وَلاَ نُعْتِقُ فقَالَ رَسولُ اللهِ صلَى اللهُ عَليهِ وسلم « أفلاَ أُعلِّمُكُمْ شيئًا تُدْرِكونَ بهِ مَنْ سبَقَكُمْ وَتَسبِقُونَ بهِ مَنْ بَعْدَكُمْ وَلا يَكُونُ أَحدٌ أَفْضَلَ منكُمْ الاّ مَنْ صَنَعَ مثْلَ ماصَنَعْتُمْ » قَالُوا بلَى يارَسول الله

المبين بناء على أن المشار اليه هو الحروف المقطعة أول السور (فقالوا يصلون كما نصلي) لفظ ما كافة مهيئة للدخول على الجملة الفعلية وتفيد تشبيه مضمون الجملة بالجملة أومصدرية أى مثل صلاتنا أوموصولة أى مثل الذى نصليه (ويصومون كما نصوم) أى هم في العبادات البدنيـة مماثلون لنا مساوون فيها وزائدون علينا بالعبادات المالية المدلول عليها بقولهم (ويتصدقون ولانتصدق) كذا فى النسخ باظهار الفوقية وتخفيف المهملة الاولي فيها (ويعتقون) بفتح التحتية وكسر الفوقية فيها (ولا نعتق)أى فهم يرجحون علينا بذلك إذ لامال لنا نصـل به الى مثل ذلك (فقال رسول الله صلي الله عليـه وسلم أفلا أعلمكم) أي أتركّكم تمابا من ذلك فلا أعلمـكم (شيئا) أىعظيما بقرينة وصفه بقوله (تدركون به من سبقكم) أى الى المنازل العـلي أومن سبقكم من مؤمني الامم (وتسبقون) بكسر الموحدة (به من بعدكم) أى في الرتبة أي دونكم أوفي الزمن (ولا يكون أحد أفضل منكم الا من صنع مثـل ماصنعتم) الاستثناءفيـه منقطع أى لكن من صنع مثل ماصنعتم فلا تسبقونه ولا يفضل عليه أحد كمالايفضل عليكم (قالوابلى يارسول الله) أي تعليم ذلك مرادنا لنلحق به من سبق ونحوز به علي من بعد فضـل السبق وفى قولهـم يارسول الله تحريض على الاعلام أي ان الله رحم بك العباد وتعليم

« قَالَ تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ مَرَّةً » فَرَجَعَ فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم « ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ »

ذلك منها فجد به (قال تسبحون وتكبرون) بتضعيف الفعلين اعتباراً بتكرير الفعل (وتحمدون) بفتح الفوقية والميم (دبر) أى خاف (كل صلاة) أى من المكتوبات كما جاء كذلك في رواية ، ودبر ظرف تنازعه الافعال قبله وكذا تنازعت (ثلاثا وثلاثين) وهو منصوب على المفعولية المطلقة للعامل فيه منها (فرجع) العطف علي محذوف دل عليه السياق أى فذهب فقراء المهاجرين بما علمهم رسول الله صلي الله عليه وسلم فعملوا فعلمه الاغنياء فعملوا به وشاركوهم فيه كغيره من العبادات البدنية فرجع (فقراء المهاجرين الي رسول الله صلي الله عليه وسلم) إذ فاتهم ما استأثروا به عن الاغنياء ليلحقوهم فى فضل عملهم المالى بمشاركتهم فيه (فقالوا سمع اخواننا أهل الأموال) هذا تفسير منهم للدثور المذكور عنهم أول الحديث (بما فعلنا) أى مما ذكرت وما فيه من عظيم الفضل (ففعلوا مثله) فساوونا فيه وزادوا علينا بالعمل المالى فرجع الامر بالآخرة الى ما اشتكوا منه أولا (فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ذلك فضل الله) أى ثوابه (يؤتيه) أى يعطيه (من يشاء) من فقير وغنى والمشار اليه يحتمل أن يكون السبق الي المنازل العلى المذكور أول الخبر أى ألهم الله ذلك وقصره عليهم فلا سبيل لمشاركتهم فيه من غيرهم ويحتمل أن يكون الثواب المرتب على هذا المذكور أنه فضل الله ان شاء خص به الفقراء أفلا يلزم من اتيان الاغنياء به مساواة الفقراء فيه أى فلا

متفقٌ عليهِ وهذا لفظُ رِوَايَةِ مُسْلِم (الدُّثُورُ) الأَمْوَالُ الكَثِيرَةُ واللهُ أَعْلَم

عليكم من مشاركتهم فى ذلك صورة والاول قال به من مال الى تفضيل الغنى الشاكر والثانى قال به من قال بتفضيل الفقير الصابر (متفق عليه) رواه البخارى فى الدعوات ومسلم (وهذا لفظ رواية مسلم) فى كتاب الصلاة وليس في رواية البخارى وصف الدرجات بالعلا وفيها أن كلا من التكبير والتسبيح والتحميد عشرا عشرا وليس عنده من قوله فرجع فقراء المهاجرين الى الآخر وسبق فى باب بيان طرق الخيرات أن حديث أبي ذر عند مسلم بنحو حديث الباب وأن كلا من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر صدقة وفيه زيادة على مافي حديث الباب ونقص عنه (الدثور) بضم المهملة والمثلثة (الاموال الكثيرة) كما فى النهاية وبه يعلم مافى اقتصار الكازروني شارح الاربعين على قوله الدثر المال ولم يقيده بالكثير وفى باب بيان طرق الخيرات الدثور واحدها دثر فأفاد ثمة بيان مفرده وهنا بيان معناه وفى النهاية الدثور جمع دثر أى كفلس يقع علي الواحد والاثنين والجمع ه

﴿ تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس وأوله باب ذكر الموت ﴾

﴿ تنبيهات ﴾ وقع فى صفحة ٢١١ حاشية رقم ٢ يزاد عليها « وبمراجعة المصباح وجد ما نصه الواحدة رطبة والجمع أرطاب . انتهت، فقوله والجمع رطاب الخ . سبق قلم » ووقع في صفحة ٢٥٦ لفظ « المقداد بن معد يكرب » وهو تحريف من النساخ وصوابه « المقدام » بالميم ، وفي ٣٥٠ حاشية يزاد عليها « وبمراجعة أسد الغابة ظهر أن القول الرابع عمرو بن سعيد، فلا تكرار » . ع

(فهرست الجزء الرابع من دليل الفالحين)